سلسلة نصوص تراثية للبحث

(١٠٤٥)

هلا قلت

توجيه الأقوال

في الأحاديث والآثار والأخبار والأشعار

د/ يوسف بن حمود الحوشان

١٤٤٥هـ

نسخة أولية من غير ترتيب او مراجعة

ومتاح لكل أحد الاستفادة منها

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله والصلاة والسلام على رسول الله اما بعد

فهذه نصوص جمعت باستخدام برنامج شاملة وورد من برمجيات الدكتور سعود العقيل بواسطة المكتبة الشاملة

معتمدة على توظيف الكلمة المفتاحية وتوفير النصوص للباحثين لتحريرها والاستفادة منها وهي مشاعة لمن يستفيد منها

وسيتبعها نصوص أخرى يسر الله نشرها والله الموفق

يوسف بن حمود الحوشان

yhoshan@gmail.com

تليجرام https://t.me/dralhoshan

WWW.NSOOOS.COM

"٢٢٥١٥ – حدثنا حسين بن محمد، حدثنا جرير يعني ابن حازم، عن محمد بن إسحاق، عن داود بن حصين، عن عبد الرحمن بن أبي عقبة، عن أبي عقبة وكان مولى من أهل فارس قال: شهدت مع نبي الله صلى الله عليه وسلم يوم أحد فضربت رجلا من المشركين فقلت: خذها مني، وأنا الغلام الفارسي فبلغت النبي صلى الله عليه وسلم فقال: " **هلا قلت**: خذها مني وأنا الغلام الأنصاري "." (١)

٤٤٢ – حدثنا قبيصة عن حماد بن سلمة عن ثابت البناني عن مطرف قال لأن أعافى فأشكر " | عن بيعته لأول ولايته سلطان أبيه ومالاه الملأ من أهل قرطبة مشيختها | وفقهايها وذلك سنة ٥٠٠ ثم نكب وقبض عليه وفسد تدبيره فهرب | أبو بكر حينيذ إلى شرق الأندلس وسمع من أبي علي كثيرا وحل | منه محلا لطيفا ولم يفارقه إلى أن رضي علي بن يوسف عن ابن | الحاج وأخيه وقومه ومن عليه وصفح عنه وولاه مدينة فاس وما إليها من | أعمال المغرب فلحق به أبو بكر وصحبه هنالك وبسرقسطة إذ | وليها مع بلنسية بعد ذلك حتى استشهد بالموضع المعروف بالبورت | وتفسيره بالعربية الباب سنة ٥٠٨ وحكى عنه قال تعشيت ليلة عند أحد | بني طاهر أو غيرهم من أهل مرسية فخشيت التخمة يريد لكثرة | الطعام فقلت في نفسي أصوم غدا ثم نهضت إلى القراة يعني على | أبي علي وقلت للشيخ تعشينا الليلة عند فلان فامتلأ بطني وأخشى | التخمة وسأصوم غدا فتمعر وجهه وقال **هلا قلت** لا آكل غدا شيا | حتى يخف بطني تمن على الله بمداواة تخمتك قد كان بعض | من صحبت بمكة شرفها الله (*) من الأشياخ من أهل الفضل له في | داره أحواض من بغل فكانت أهله لعدم الماء بمكة إذا وضعت له | وضوه توخت وضعه على الحوض رجا أن يسيل ما وضو به في الحوض | فيأخذ هو الماء ويتوضأ في موضع آخر وكان يقول أكره أن أخلط | مع وضوي عملا آخر وتأخر ليلة في عشايه واضطر أبو علي لسؤاله عن | إبطايه وكان قد فرغ له ما بين العشاين زيادة إلى أوقاته من النهار | فقال كنت صايما وأفطرت ولأجل ذلك تأخرت فتمعر وجهه وقال | اقرأ ثم قال له بعد أيام في نفسي شيء إن قلته كنت جافيا وإن سكت | عنه كنت غاشا وأهون الأشياء عندي أن أكون جافيا لا غاشا أخبرتني |

". (٢)

(١) مسند أحمد مخرجا أحمد بن حنبل ١٩٣/٣٧

(٢) المعجم في أصحاب القاضي الصدفي، ص/١٣٤

٢٥٩ – أخبرنا محمد بن عبد الله بن محمد الحافظ حدثنا أبو بكر بن | إسحاق أخبرنا أبو المثنى حدثنا مسدد أخبرنا عبد الواحد بن زياد حدثنا | أبو مالك الأشجعي عن أبيه قال : كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يعلم من أسلم أن يقول : | ' اللهم اهدني وارزقني وعافني وارحمني ' . |

". (١)

"برح رسول الله صلى الله عليه وسلم مجلسه حتى تغشاه من الله جل وعز ما كان يتغشاه فسجي بثوبه ووضعت وسادة من أدم تحت رأسه فأما حين تغشاه من الله ما كان يغشاه فوالله ما فزعت كثيرا ولا باليت قد عرفت أني بريئة وأن الله جل وعز غير ظالم وأما أبواي فوالذي نفس عائشة رضي الله عنها بيده ما سري عن رسول الله صلى الله عليه وسلم حتى ظننت لتخرجن أنفسهما فرقا أن يأتي من الله تحقيق ما قال الناس ، قالت : ثم جلس رسول الله صلى الله عليه وسلم وإنه ليتحدر منه مثل الجمان وهو يمسح جبينه ويقول : " أبشري ياعائشة فقد أنزل الله تعالى براءتك " ، فقلت : بحمد الله وذمكم ، قالت : ثم خرج رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى الناس فخطبهم ثم تلى عليهم ما أنزل الله جل وعز .

أخبرنا محمد قال : حدثنا يحيى بن محمد بن صاعد قال : حدثنا سعيد بن يحيى قال : حدثنا أبي عن ابن إسحاق قال : قال حسان يذكر عائشة رضي الله عنها :

حصان رزان ما تزن بريبة وتصبح غرثى من لحوم الغوافل

فإن كنت قد قلت الذي قد زعمتم فلا رفعت سوطي إلى أناملي

فكيف وودي ما حييت ونصرتي لآل رسول الله زين المحافل

فإن الذي قيل ليس بلائط ولكنه قول امرىء بي ما حل

وقال أبو بكر رضي الله عنه لمسطح وكان اسمه عوف :

ياعوف ويحك هلا قلت عارفة من الكلام ولم تتبع بها طمعا

وأدركتك حميا معشر أنف ولم تكن قاطعا ياعوف منقطعا

أما خزيت من الأقوام إذ حسدوا ولا تقول ولو عاينته قذعا

لما رميت حصانا غير مقرفة أمينة الجيب لم تعلم لها خضعا

فيمن رماها وكنتم معشرا أفكا في سيء القول من لفظ الخنا شرعا

---

(١) الدعوات الكبير، ١٨٤/١

فأنزل الله وحيا في براءتها وبين عوف وبين الله ما صنعا

وقال رجل من المسلمين في ضرب حسان وأصحابه في فريتهم على عائشة رضي الله عنها :

لقد ذاق حسان الذي كان أهله وحمنة إذ قالوا هجيرا ومسطح

تعاطوا برجم الغيب زوج نبيهم وسخطه ذي العرش الكريم فأبرحوا

فآذوا رسول الله فيها فجللوا مخازي تبقى عصبوها وفضحوا." (١)

" قال أنبأنا عبد الكريم بن الهيثم قال حدثنا سند بن داود قال حدثنا الفرج بن فضالة عن معاوية بن صالح عن نافع قال سافرت مع ابن عمر فلما كان آخر الليل قال يا نافع طلعت الحمراء قلت لا مرتين أو ثلاثا ثم قلت طلعت قال لا مرحبا بها ولا **أهلا قلت** سبحان الله نجم سامع مطيع قال ما قلت إلا ما سمعت من رسول الله أو قال قال رسول الله إن الملائكة قالت يا رب كيف صبرك على بني آدم في الخطايا والذنوب قال إني ابتليتهم وعافيتكم قالوا لو كنا مكانهم ما عصيناك قال فاختاروا ملكين منكم فلم يألوا أن اختاروا هاروت وماروت فنزلا فالقى الله عليهما الشبق قلت وما الشبق قال الشهوة قال فنزلا فجاءت امرأة يقال لها الزهرة فوقعت في قلوبهما فجعل كل واحد منهما يخفي عن صاحبه ما في نفسه فرجع إليها أحدهما ثم جاء الآخر فقال هل وقع في نفسك ما وقع في قلبي قال نعم فطلباها نفسها فقالت لا أمكنكما حتى تعلماني الاسم الذي تعرجان به إلى السماء وتهبطان به فأبيا ثم سألاها ايضا فأبت ففعلا فلما استطيرت طمسها الله كوكبا وقطع أجنحتها ثم سألا التوبة من ربهما فخيرهما فقال إن شئتما رددتكما إلى ما كنتما عليه فإذا كان يوم القيامة عذبتكما وإن شئتما عذبتكما في الدنيا وإذا كان يوم القيامة رددتكما إلى ما كنتما عليه فقال أحدهما لصاحبه إن عذاب الدنيا ينقطع ويزول فاختارا عذاب الدنيا على عذاب الآخرة فأوحى الله إليهما أن ائتيا بابل فانطلقا إلى بابل فخسف بهما فهما فيها منكوسان بين السماء والأرض يعذبان إلى يوم القيامة ." (٢)

" كالفرخ المنتوف جهدا فقال هل كنت تدعو بشيء وتسأله قال نعم كنت أقول اللهم ما كنت معاقبي به في الآخرة فعجله لي في الدنيا فقال النبي صلى الله عليه وسلم سبحان الله لا تطيقه ولا تستطيعه **فهلا قلت** ؟ (٣)؟ فدعا رسول الله صلى الله عليه وسلم فشفاه الله عز وجل نوع آخر

---

(١) فوائد ابن أخي ميمي الدقاق، ص/٥٥

(٢) ذم الهوى، ص/١٥٧

(٣) اللهم آتنا في الدنيا حسنة وفي الآخرة حسنة وقنا عذاب النار

٥٥٦ حدثنا أبو محمد بن صاعد ثنا محمد بن بشار ثنا يحيى ابن سعيد ومحمد بن جعفر قالا ثنا شعبة عن عمرو بن مرة عن عبدالله بن سلمة عن علي بن أبي طالب رضي الله عنه قال كنت شاكيا

". [١]

"٦٦٨- قَالَ : وَحَدَّثَنَا يَعْقُوبُ بْنُ إِسْحَاقَ ، عَنْ يَزِيدَ بْنِ إِبْرَاهِيمَ التُّسْتَرِيِّ ، عَنِ ابْنِ سِيرِينَ ، عَنْ عُمَرَ ، وَأَبِي هُرَيْرَةَ مِثْلَ ذَلِكَ وَزَادَ فِيهِ ، قَالَ : قَالَ أَبُو هُرَيْرَةَ : ثُمَّ قَالَ لِي عُمَرُ بَعْدَ ذَلِكَ : أَلاَ تَعْمَلُ ؟ قُلْتُ : لاَ ، قَالَ : قَدْ عَمِلَ مَنْ هُوَ خَيْرٌ مِنْكَ : يُوسُفُ فَقُلْتُ : إِنَّ يُوسُفَ نَبِيٌّ ابْنُ نَبِيٍّ ابْنِ نَبِيٍّ ، وَأَنَا ابْنُ أُمَيْمَةَ ، وَأَخْشَى ثَلاَثًا وَاثْنَتَيْنِ ، قَالَ : **فَهَلاَّ قُلْتُ** خَمْسًا ؟ قَالَ : أَخْشَى أَنْ أَقُولَ بِغَيْرِ عِلْمٍ ، وَأَحْكُمَ بِغَيْرِ حِلْمٍ - أَوْ قَالَ : أَقُولُ بِغَيْرِ حِلْمٍ ، وَأَحْكُمُ بِغَيْرِ عِلْمٍ ، قَالَ : الشَّكُّ مِنِ ابْنِ سِيرِينَ - وَأَخْشَى أَنْ يُضْرَبَ ظَهْرِي وَيُشْتَمَ عِرْضِي وَيُنْتَزَعَ مَالِي.

٦٦٩- قَالَ : حَدَّثَنَا عَبْدُ الرَّحْمَنِ بْنُ مَهْدِيٍّ ، عَنْ خَالِدِ بْنِ أَبِي عُثْمَانَ الأُمَوِيِّ ، عَنْ أَيُّوبَ بْنِ عَبْدِ اللهِ بْنِ يَسَارٍ ، عَنْ عَمْرِو بْنِ أَبِي عَقْرَبٍ ، قَالَ : سَمِعْتُ عَتَّابَ بْنَ أَسِيدٍ وَهُوَ مُسْنَدٌ ظَهْرَهُ إِلَى الْكَعْبَةِ ، وَهُوَ يَقُولُ : مَا صَبْتُ فِي عَمَلِي الَّذِي بَعَثَنِي عَلَيْهِ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ إِلاَّ ثَوْبَيْنِ مُعَقَّدَيْنِ كَسَوْتُهُمَا مَوْلاَيَ كَيْسَانَ.

٦٧٠- قَالَ : وَحَدَّثَنَا يَزِيدُ ، عَنْ عُيَيْنَةَ بْنِ عَبْدِ الرَّحْمَنِ ، عَنْ أَبِيهِ عَبْدِ الرَّحْمَنِ بْنِ أَبِي بَكْرَةَ ، قَالَ : لَمْ يَرْزَأْ عَلِيُّ بْنُ أَبِي طَالِبٍ مِنْ بَيْتِ مَالِنَا حَتَّى فَارَقَنَا غَيْرَ جُبَّةٍ مَحْشُوَّةٍ وَخَمِيصَةٍ دَرَابَجَرْدِيَّةٍ.." [٢]

" (ما كان نومي إلا فوق معرفتي ... بأن رأيك لا يؤتى من الزلل)

وقع تحت أقل قد أقلناك وتحت أنل يحمل إليه من الدراهم كذا وتحت أقطع قد أقطعناك الضيعة الفلانية ضيعة ببلاد حلب وتحت احمل يقاد إليه الفرس الفلاني وتحت عل قد فعلنا وتحت سل قد فعلنا فاسل وتحت أعد أعدناك إلى حالك من حسن رأينا وتحت زد يزاد كذا وتحت تفضل قد فعلنا وتحت أدن قد أدنيناك وتحت سر قد سررناك وتحت صل قد فعلنا

قال ابن جني فبلغني عن المتنبي أنه قال إنما أردت سر من السرية فأمر له بجارية

---

(١) عمل اليوم والليلة، ص/٥٠٦

(٢) كتاب الأموال . لأبي عبيد، ص/٣٤٣

قال وحكى لي بعض إخواننا أن المعقلي وهو شيخ كان بحضرته ظريف قال له وحسد المتنبي على ما أمر به يا مولاي قد فعلت به كل شيء سألكه **فهلا قلت** له لما قال لك هش بش هه هه هه يحكي الضحك فضحك سيف الدولة فقال له ولك أيضا ما تحب وأمر له بصلة

وذكر القاضي أبو الحسن علي بن عبد العزيز في كتاب الوساطة أن أبا الطيب نسج على منوال ديك الجن فقال

(احل وامرر وضر وانفع ولن واخشن ... ورش وابر وانتدب للمعالي) - من الخفيف -

وحكى ابن جني قال حدثني أبو علي الحسين بن أحمد الصنوبري قال خرجت من حلب أريد سيف الدولة فلما برزت من السور إذا أنا بفارس متلثم قد أهوى نحوي برمح طويل وسدده إلى صدري

"[٣] محمد بن عائذ القرشي ، قال : قال الوليد : حدثنا غير واحد ممن سمع هشام بن حسان ([٤٤xliv]) أن محمد بن سيرين ([٤٥xlv]) حدثه ، أن عمير بن سعد كان يعجب عمر بن الخطاب ، فكان من عجبه به يسميه (نسيج وحده) ، وبعثه مرة على جيش من قبل الشام ، فقدم مرة وافداً ، فقال يا أمير المؤمنين : إن بيننا وبين عدونا مدينة يقال لها غرب السوس يطلعون عدونا على عوراتنا ويفعلون ويفعلون ، فقال عمر : إذا أتيتهم فخيرهم بين أن ينقلوا من مدينتهم إلى كذا وكذا ، وتعطيهم مكان كل شاة شاتين ، ومكان كل بقرة بقرتين ، ومكان كل شيء شيئين ، فإن فعلوا فأعطهم ذلك ، وإن أبوا فانبذ إليهم ، ثم أجلهم سنة ، فقال : يا أمير المؤمنين ، اكتب لي عهدك بذلك ، فكتب له عهده ، فأرسل إليهم فعرض عليهم ما أمره به أمير المؤمنين ، فأبوا فأجلهم سنة ، ثم نابذهم ، فقيل لعمر : إن عمير قد خرب غرب السوس وفعل وفعل ، فتغيظ عليه عمر . ثم إنه قدم بعد ذلك وافداً ومعه رهط من أصحابه ، فلما قدم عليه علاه بالدرة ؛ خرَّبت غرب السوس ، وهو ساكت لا يقول له شيئاً ، ثم قال لأصحابه : مبرنسين ؛ مبرنسين ! ضعوا برانسكم ([٤٦xlvi])، فقال عمير : ضعوا برانسكم ثكلتكم أمهاتكم ، إنكم والله ما أنتم بهم ، فوضعوا برانسهم ، فقال عمر : معممين ؛ معممين! ضعوا عمائمكم ([٤٧xlvii])، فقال عمير : ضعوا عمائمكم ، فإنا والله ما نحن بهم ، فقال : مكممين ؛ مكممين! ضعوا أكمامكم([٤٨xlviii])، فقال عمير : ضعوا أكمامكم ثكلتكم أمهاتكم ، فإنا والله ما نحن بهم ، قال : فوضعوا أكمامهم ، فإذا عليهم جِمَام ([٤٩xlix])، فقال عمر : أما والله الذي لا إله إلا هو لو وجدتكم محلقين لرفعت بكم الحشب ([٥٠l]). ثم إن عمر دخل على أهله ، فاستأذن عليه عمير فدخل ، فقال يا أمير المؤمنين: أقرأ

إلي عهدك في غرب السوس ، فقال عمر رحمك الله، **فهلا قلت** لي وأنا أضربك، فقال:كرهت أن أوبخك يا أمير المؤمنين ، فقال عمر : غفر." [١]

"حديث ابن عباس : أخرجه الطبرانى (١١/٢٧٠ ، رقم ١١٧٠٣) قال الهيثمى (٦/٢٧٦) : فيه يعقوب بن حميد وثقة ابن حبان وغيره وضعفه النسائى وغيره وبقيه رجاله رجال الصحيح . وأخرجه أيضا : الدارمى (٢/٢٢٦ ، رقم ٢٢٩٩) ، والحاكم (٤/٤٢٢ ، رقم ٨١٤٨) وقال : صحيح الإسناد .

١٤٧٤٨- **فهلا قلت** خذها وأنا الغلام الأنصارى (البغوى عن أبى عقبة الفارسى)

أخرجه أيضا : أبو داود (٤/٣٣٢ ، رقم ٥١٢٣) ، وابن ماجه (٢/٩٣١ ، رقم ٢٧٨٤) .

١٤٧٤٩- فوا بحلف الجاهلية فإنه لا يزيده الإسلام إلا شدة ولا تحدثوا حلفا فى الإسلام (ابن جرير عن ابن عمرو)

وللحديث أطراف أخرى منها : "أوفوا بحلف الجاهلية" .

ومن غريب الحديث : "فوا" : فعل أمر بمعنى أوفوا .

١٤٧٥٠- فوا لهم ونستعين الله عليهم (أحمد ، والبغوى ، والطبرانى عن حذيفة أن المشركين أخذوه وأباه فأخذوا عليهم أن لا يقاتلوهم يوم بدر فقال النبى – صلى الله عليه وسلم – ... فذكره)." [٢]

"أخرجه أبو يعلى (٣/٩١ ، ١٥٢٢) ، والطبرانى (٢/١٧٦ ، رقم ١٧٢٣) قال الهيثمى (١/٢٧) : فى إسناده عبد الحميد بن بهرام وشهر بن حوشب وقد اختلف فى الاحتجاج بهما .

٢٥٠٦٩- هلا تركت الشيخ حتى آتيه إنا لنحفظه لأيادى ابنه علينا (الحاكم وتعقب عن القاسم بن محمد عن أبيه عن أبى بكر ، قال الذهبى : القاسم لم يدرك أباه ولا أبوه أبا بكر)

أخرجه الحاكم (٣/٢٧٢ ، رقم ٥٠٦٥) وقال : صحيح الإسناد . وأخرجه أيضا : البزار (١/١٥٦ ، رقم ٧٩) . قال الهيثمى (٩/٥٠) : فيه عبد الله بن عبد الملك الفهرى ولم أعرفه وبقية رجاله ثقات .

٢٥٠٧٠- هلا تركت الشيخ فى بيته حتى أجيئه يعنى أبا بكر (الحاكم عن أسماء)

أخرجه الحاكم (٣/٤٨ ، رقم ٤٣٦٣) وقال : صحيح على شرط مسلم .

---

(١) كتاب الصوائف، ص/١٣

(٢) جامع الأحاديث، ٤٦٩/١٤

٢٥٠٧١- **هلا قلت** خذها وأنا الغلام الأنصارى فإن مولى القوم منهم (أبو نعيم عن عقبة بن عبد الرحمن عن أبيه)." [١]

"أخرجه أحمد (٢٦٢/٥ ، رقم ٢٢٣١٩) ، ومسلم (٧١٨/٢ ، رقم ١٠٣٦) ، والترمذى (٥٧٣/٤ ، رقم ٢٣٤٣) وقال : حسن صحيح . وأخرجه أيضا : الرويانى (٣٠٣/٢ ، رقم ١٢٥١) .

٢٥٥٥١- يا ابن آدم إنك لا تقوم بعقوبة الله **هلا قلت** ﴿ربنا آتنا فى الدنيا حسنة وفى الآخرة حسنة وقنا عذاب النار﴾ [البقرة : ٢٠١] (هناد عن الحسن مرسلا)

أخرجه هناد (٢٥٤/١ ، رقم ٤٤١) .

٢٥٥٥٢- يا ابن آدم ارض من الدنيا بالقوت فإن القوت لمن يموت كثير (أبو نعيم عن سمرة)

أخرجه أيضا : الديلمى (٢٨٤/٥ ، رقم ٨١٩٦) .

٢٥٥٥٣- يا ابن آدم كنت بخيلا ما دمت حيا فلما حضرتك الوفاة عمدت إلى مالك تبدده فلا تجمع خصلتين إساءة فى الحياة وإساءة عند الموت انظر إلى قرابتك الذين يحرمون ولا يرثون فأوصل إليهم بمعروف (الديلمى عن زيد بن ثابت)

أخرجه الديلمى (٢٨٤/٥ ، رقم ٨١٩٨) .." [٢]

"٣٨٢٧٦- عن عبد الرحمن بن معاوية بن خديج : أن رجلا سأل النبى - صلى الله عليه وسلم - فقال يا رسول الله ما يحل لى مما يحرم على فكست رسول الله - صلى الله عليه وسلم - فردد عليه ثلاثا كل ذلك يسكت رسول الله - صلى الله عليه وسلم - ثم قال أين السائل فقال أنا ذا يا رسول الله قال ونقر بإصبعه ما أنكر قلبك فدعه (البغوى وقال لا أدرى سمع عبد الرحمن بن معاوية من النبى - صلى الله عليه وسلم - أم لا ولا أعلم روى غير هذا الحديث ، وابن عساكر) [كنز العمال ٨٧٩١]

أخرجه ابن عساكر (٤٤١/٣٥) .

٣٨٢٧٧- أنكح جذام ابنته وهى كارهة رجلا وهى ثيب فأتت النبى - صلى الله عليه وسلم - فذكرت ذلك له فرد نكاحها (الطبرانى)

٣٨٢٧٨- عن عقبة بن عبد الرحمن عن أبيه قال : شهدت مع رسول الله - صلى الله عليه وسلم - أحدا

---

(١) جامع الأحاديث، ٩٣٥/٢٢

(٢) جامع الأحاديث، ٥٧/٢٣

فضربت رجلا فقلت خذها وأنا الغلام الفارسى فسمعنى رسول الله – صلى الله عليه وسلم - فقال هلا قلت خذها منى وأنا الغلام الأنصارى فإن مولى القوم منهم (الديلمى) [كنز العمال ٢٩٧١٦]." [١]

"١- حدثنا إسماعيل ابن أبي أويس قال: حدثنا أبي أبو أويس عن هشام بن عروة عن أبيه عن عائشة بنت أبي بكر الصديق زوج النبي صلى الله عليه وسلم .

#٢٧#

٢- قال أبو أويس: وحدثني أيضاً عبد الله ابن أبي بكر بن عمرو بن حزم الأنصاري ثم البخاري عن عمرة بنت عبد الرحمن الأنصارية ثم البخارية عن عائشة.

#٢٨#

٣- وقال أبو أويس: قال لي هشام بن عروة قال عروة قالت عائشة.

٤- وقال لي عبد الله ابن أبي بكر: قالت عمرة قالت عائشة: كان النبي صلى الله عليه وسلم إذا أراد أن يسافر سفراً أقرع بين أزواجه فأيتهن خرج سهمها خرج بها معه. قال عروة وقالت عمرة فخرج سهم عائشة بنت أبي بكر زوج النبي صلى الله عليه وسلم في غزوة النبي صلى الله عليه وسلم بني المصطلق فلما انصرف النبي صلى الله عليه وسلم فكان قريباً من المدينة . قال عروة وعمرة: وكانت عائشة جويرية حديثة السن قليلة اللحم خفيفة وكانت تلزم خدرها فإذا أراد الناس الرحيل ذهبت فتوضأت ورجعت فجلست في محفتها فيرحل بعيرها ثم تحمل محفتها فتوضع على البعير وهي في المحفة. فكان أول ما قال فيها المنافقون من اشترك في أمر عائشة أنها خرجت توضأ حين دنوا من المدينة فانسل من عنقها عقد لها من جزع ظفار فارتحل النبي صلى الله عليه وسلم والناس وهي في بغاء العقد ولم تعلم برحيلهم فشدوا على بعيرها المحفة وهم يرون أنها فيه كما كانت تكون، فرجعت عائشة إلى منزلها فلم تجد في العسكر أحداً وغلبتها عيناها قال عروة وعمرة: قالت عائشة وكان صفوان بن المصطلق #٢٩# السلمي صاحب النبي صلى الله عليه وسلم تخلف تلك الليلة عن العسكر حتى أصبح قالت: بمر بي فرآني فاسترجع وأعظم مكاني حين رآني وحدي. وكنت أعرفه ويعرفني قبل أن يضرب علينا الحجاب.

قالت فسألني عن أمري فسترت عنه وجهي بجلبابي وأخبرته بأمري فقرب لي بعيره ووطئ على ذراعه وولاني قفاه حتى ركبت وسويت ثيابي ثم بعثه فأقبل يسير بي حتى دخلنا المدينة نصف النهار أو نحوه فهنالك قال فيَّ وفيه من قال من أهل الإفك وأنا لا أعلم شيئاً من ذلك ولا مما يخوض فيه الناس. وكنت تلك الليلة

---

(١) جامع الأحاديث، ٣٢٦/٣٥

شاكية وكنت أول ما أنكرت من أمر النبي صلى الله عليه وسلم في أمري أنه كان يعودني إذا مرضت فكانت تلك الليالي لا يدخل علي ولا يعودني إلا أنه يقول وهو مار: ((كيف تيكم)) فيسأل عني بعض أهل البيت. فلما بلغ النبي صلى الله عليه وسلم ما أكثر فيه الناس من أمري غمه ذلك. قالت وقد كنت شكوت ذلك إلى أمي قبل ذلك ما رأيت من أمر النبي صلى الله عليه وسلم من الجفوة، فقالت: يا بنية اصبري فوالله ما كانت امرأة حسناء يحبها زوجها لها ضرائر إلا رمينها.

قالت: فوجدت تلك الليلة التي بعث النبي صلى الله عليه وسلم من صبيحتها إلى علي ابن أبي طالب وأسامة بن زيد فاستشارهما في أمري، وكنا في ذلك الزمان ليست لنا كنف كنا نذهب كما تذهب العرب ليلاً إلى الليل. فقلت لأم مسطح بن أثاثة وهي امرأة من بني المطلب بن عبد مناف: خذي الأداوة فاملئيها ماءً واذهبي بنا المناصع، وكانت وابنها مسطح بينها وبين أبي بكر قرابة وكان أبو بكر ينفق عليها وكانوا يكونون معه ومع أهله، فأخذت الأداوة وخرجنا نحو المناصع وإن بي لما يشق علي من الغايط، فعثرت أم مسطح فقالت: تعس مسطح فقلت: بئس ما قلت، قالت: ثم مشينا فعثرت أيضاً فقالت: تعس مسطح، فقلت لها: بئس ما قلت لصاحب النبي صلى الله عليه وسلم وصاحب بدر، قالت: إنك لغافلة عما فيه الناس من أمرك ، فقلت أجل فما ذاك قالت: إن مسطحاً وفلاناً وفلانة ومن استزلهما من المنافقين يجتمعون في بيت عبد الله ابن أبي بن سلول أخي بني الحارث من الخزرج الأنصاري يتحدثون عنك وعن صفوان بن المعطل يرمونك به

قالت: فذهب عني ما كنت أجد من الغايط #٣٠# ورجعت عودي على بدئي إلى بيتي، فلما أصبحنا في تلك الليلة بعث النبي صلى الله عليه وسلم إلى علي بن أبي طالب وإلى أسامة بن زيد فأخبرهما بما قيل فيَّ واستشارهما في أمري، فقال أسامة: يا رسول الله ما علمنا على أهلك سوءاً، وقال علي يا رسول الله ما أكثر النساء وإن أردت أن تعلم الخبر فتوعد الخادم واضربها تخبرك يعني بريرة، فقال النبي صلى الله عليه وسلم لعلي: شأنك أنت بالخادم، فسألها علي وتوعدها فلم تخبره والحمد لله إلا خيراً ثم ضربها وسألها فقالت: والله ما علمت على عائشة إلا أنها جويرية تصبح عن عجين أهلها فتدخل الشاة الداجن فتأكل من العجين.

قالت: ثم خرج النبي حين سمع ما قالت فيَّ بريرة لعلي فخرج إلى الناس صلى الله عليه وسلم فلما اجتمعوا إليه قال: ((يا معشر المسلمين من لي من رجال يؤذوني في أهلي وما علمت عليهم سوءاً ويرمون رجلاً من أصحابي ما علمت [عليه] سوءاً ولا خرجت مخرجاً إلا خرج معي فيه)) فقال سعد بن معاذ الأنصاري ثم

الأشهلي من الأوس: لو كان ذلك في أحد من الأوس كفيناكه فقال سعد بن عبادة الأنصاري ثم الخزرجي لسعد بن معاذ: كذبت والله وهذا والله الباطل، فقام أسيد بن حضير الأنصاري ثم الأشهلي ورجال الفريقين فاستبوا وتنازعوا حتى كاد أن يعظم الأمر بينهم .

فدخل النبي صلى الله عليه وسلم بيتي وبعث إلي أبوي فأتياه فحمد الله وأثنى عليه بما هو أهله ثم قال: ((يا عائشة إنما أنت من بنات آدم فإن كنت أخطأت فتوبي إلى الله واستغفريه)) فقلت لأبي: أجب عني رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال: إني لا أفعل هو رسول الله صلى الله عليه وسلم والوحي يأتيه، فقلت لأمي: أجيبي رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فقالت لي كما قال أبي، فقلت: والله لئن أقررت على نفسي بباطل تصدقني ولئن برأت نفسي والله يعلم أني بريئة لتكذبني فلم أجد لي ولكم إلا قول أبي يوسف حين يقول: ﴿فصبر جميل والله المستعان على ما #٣١# تصفون﴾ ونسيت اسم يعقوب لما بي من الحزن والبكا واحتراق الجوف، فتغشى النبي صلى الله عليه وسلم ما كان يتغشاه من الوحي ثم سري عنه وهو يعرق فمسح وجهه بيده ثم قال: ((أبشري يا عائشة فقد أنزل الله براءتك)) قالت عائشة: والله ما كنت أظن أن ينزل الله القرآن في أمري ولكن كنت أرجو لما يعلم الله من براءتي أن يري الله نبيه صلى الله عليه وسلم في أمري رؤيا يبرئني الله بها عند نبيه صلى الله عليه وسلم. فقال لي أبواي عند ذلك: قومي فقبلي رأس رسول الله صلى الله عليه وسلم فقلت: والله لا أفعل بحمد الله كان ذلك لا بحمدكم .

قالت: وكان أبو بكر ينفق على مسطح وأمه فلما رماني حلف أبو بكر أن لا ينفقه بشيء أبداً قالت: فلما تلى النبي صلى الله عليه وسلم قوله جل وعلا: ﴿وليعفوا وليصفحوا ألا تحبون أن يغفر الله لكم﴾ بكى أبو بكر وقال: بلى يا رب وعاد للنفقة على مسطح وأمه

قالت: وقعد صفوان بن المعطل لحسان بن ثابت بالسيف فضربه ضربة وقال صفوان لحسان في الشعر حين ضربه:

تلق ذباب السيف مني فإنني ... غلامٌ إذا هوجيت لست بشاعر

ولكنني أحمي حماي و[أنتقم] ... من الباهت الرامي البراء الطواهر

فصاح حسان واستغاث على صفوان، فلما جاء الناس فر صفوان وجاء حسان إلى النبي صلى الله عليه وسلم واستعداه على صفوان في ضربته، فسأله النبي صلى الله عليه وسلم أن يهب له ضربة صفوان فوهبها له، فعاضه منها حائطاً من النخل عظيماً وجارية رومية يقال أو قبطية تدعى سيرين، فولدت لحسان بن ثابت عبد الرحمن الشاعر.

قال أبو أويس أخبرني بذلك حسين بن عبد الله بن عبيد الله بن عباس بن عبد المطلب عن عكرمة عن عبيد الله بن عباس بن المطلب

قالت عائشة: ثم باع حسان ذلك الحائط من معاوية ابن أبي سفيان بمال عظيم في ولايته.

قالت عائشة: فبلغني والله أعلم أن الذي تولى كبره منهم له عذاب عظيم عبد الله بن أبي سلول أخو بني الحارث بن الخزرج

#٣٢#

قالت عائشة: فقيل في أصحاب الإفك أشعار فقال أبو بكر الصديق لمسطح في رميه عائشة وكان يدعى عوفاً:

يا عوف ويحك **هلا قلت** عارفة ... من الكلام ولم تتبع طمعا

وأدركتك حمياً معشر أنف ... ولم تكن قاطعاً يا عوف مقتطعا

هلا خزيت من الأقوام إذ حشدوا ... فلا تقول وإن غازيتهم قذعا

لما رميت حصاناً غير مقرفة ... أمينة الجيب لم تعلم لها خضعا

فيمن رماها وكنتم معشراً أفكاً ... في سيء القول باللفظ الخنا سرعا

فأنزل الله عذراً في براءتها ... وبين عوف وبين الله ما صنعا

فإن أعش أجز عوفاً في مقالته ... شر الجزاء بما ألفيته تبعا

وقالت أم سعد بن معاذ الأشهلي ثم الأزدي في الذين رموا عائشة رضي الله عنها في الشعر:

تشهد الأوس كهلها وفتاها ... والخماسي من نسلها والفطيم

ونساء الخزرج يشهدن ... بالله بحق وذلكم معلوم

أن بنت الصديق كانت حصاناً ... عفة الجيب دينها مستقيم

تتقي الله في المغيب عليها ... نعمة الله سترها ما تريم

خير هذي النسا حالاً ونفساً ... وأبا للعلى نماها كريم

للموالي الألى رموها بإفك ... أخذتهم مقامع وجحيم

ليت من كان قد قفاها بسوء ... في حطامٍ حتى يتوب اللئيم

وعوان من الحروب تلظى ... لهباً فوقها عقاب صريم

ليت سعداً ومن رماها بسوء ... في حطام حتى يتوب الظلوم

وقال حسان بن ثابت الأنصاري ثم البخاري وهو يبرئ عائشة فيما قيل فيها ويعتذر إليها، فقال في الشعر لها:

حصان رزان ما تزن بريبة ... وتصبح غرثى من لحوم الغوافل

حليلة خير الناس ديناً ومنصباً ... نبي الهدى والمكرمات الفواضل

عقيلة حي من لؤي بن غالب ... كرام المساعي مجدها غير زائل

مهذبة قد طيب الله خيمها ... وطهرها من كل شيء وباطل

#٣٣#

فإن كان ما جاء عني قلته ... فلا رفعت سوطي إلي أناملي

وإن الذي قد قيل ليس بلائط ... بك الدهر بل قول امرئ جد ماحل

وكيف وودي ما حييت ونصرتي ... لآل رسول الله زين المحافل

له رتب عال على الناس قدرها ... تقاصر عنها سورة المتطاول

قال أبو أويس: فأخبرني أبي أن النبي صلى الله عليه وسلم أمر بالذين رموا عائشة فجلدوا الحد جميعاً ثمانين ثمانين.

وقال حسان بن ثابت من الشعر لهم حين جلدوا:

لقد ذاق عبد الله ما كان أهله ... وحمنة إذ قالوا هجيراً ومسطح

تواصوا برجم القول زوج نبيهم ... وسخطة ذي الرب الكريم فأبرحوا

وآذوا رسول الله فيها فعمموا ... مخازي ذل جللوها وفضحوا

وصبت عليهم محصدات كأنها ... شآبيب قطر من ذرى المزن يدلح." (١)

"عبد الرزاق،

٦٩٤٦ - عن ابن جريج قال: أخبرني عمر بن سعيد قال: سمعت أن عمر بن عبد العزيز أرسل إلى عبد الله بن الفضل قال: ولقد قال لي رجل - وحدثته بهذا - بل إلى علي بن الحسين، فقال: إني قد أردت أن استعملك على سعاية كذا، وكذا فقال: إن النبي صلى الله عليه وسلم قال: «إن الصدقة لا تحل لبني هاشم، وبني عبد -[٥٣]- المطلب» قال: فمن أين عطاؤك، ورزقك؟ «فلم أرجع إليه شيئا»، فأتيت

---

(١) حديث ابن ديزيل، ص/٢٦

إلى ابن المسيب، فقال لي: ما قال لك؟ فأخبرته بخبره، وبقوله: «فمن أين عطاؤك، ورزقك؟» قال: **فهلا قلت**: «ما كان العطاء والرزق إلا فيء المسلمين حيث كنت، وأصحابك، والصدقة لأهلها»." [١]

"٣٩- باب هل يقول المولى إني من فلان

٧٤ - (ث ٢٥) عن عبد الرحمن بن حبيب قال: قال: لي عبد الله بن عمر ممن أنت؟ قلت: من تيم تميم قال: من أنفسهم أو من مواليهم؟ قلت: من مواليهم، قال **فهلا قلت** من مواليهم إذا؟)

ضعيف الإسناد، لجهالة ابن حبيب.

٤٠- باب مولى القوم من أنفسهم

٧٥ - عن رفاعة بن رافع - رضي الله عنه - أن النبي صلى الله عليه وسلم قال لعمر رضي الله عنه (اجمع لي قومك) فجمعهم فلما حضروا باب النبي صلى الله عليه وسلم دخل عليه عمر فقال: قد جمعت لك قومي فسمع ذلك الأنصار فقالوا: قد نزل في قريش الوحي فجاء المستمع والناظر ما يقال لهم فخرج النبي صلى الله عليه وسلم." [٢]

"وتكلم يزيد بن أبي سفيان، فقال: يا ابن عقبة، الأنصار أحق بالغضب لقتلى أحد، فاكفف لسانك، فإن من قتله الحق لا يغضب له.

وتكلم ضرار بن الخطاب، فقال: أما والله، لولا أن رسول الله صلى الله عليه وسلم، قال: «الأئمة من قريش» ، لقلنا: الأئمة من الأنصار، ولكن جاء أمر غلب الرأي، فأقمع شرتك أيها الرجل ولا تكن امرأ سوء، فإن الله لم يفرق بين الأنصار والمهاجرين في الدنيا، وكذلك الله لا يفرق بينهم في الآخرة.

وأقبل حسان بن ثابت مغضبا من كلام الوليد بن عقبة، وشعره، فدخل المسجد وفيه قوم من قريش، فقال: يا معشر قريش، إن أعظم ذنبنا إليكم قتلنا كفاركم، وحمايتنا رسول الله صلى الله عليه وسلم، وإن كنتم تنقمون منا منة كانت بالأمس فقد كفى الله شرها، فمالنا ومالكم، والله ما يمنعنا من قتالكم الجبن، ولا من جوابكم العي.

إنا لحي فعال ومقال ولكنا قلنا: إنها حرب، أولها عار وآخرها ذل، فأغضينا عليها عيوننا، وسحبنا ذيولنا

---

(١) مصنف عبد الرزاق الصنعاني عبد الرزاق الصنعاني ٥٢/٤

(٢) الأدب المفرد بالتعليقات البخاري ص/٤٣

حتى نرى وتروا، فإن قلتم قلنا، وإن سكتم سكتنا.

فلم يجبه أحد من قريش، ثم سكت كل من الفريقين عن صاحبه، ورضي القوم أجمعون، وقطعوا الخلاف والعصبية.

إن سرية كانت لعبد الرحمن أو لعبيد الله بن عمر بن الخطاب، جاءت إليه تشكوه، فقالت: يا أمير المؤمنين ألا تعذرني من أبي عيسى؟ قال: «ومن أبو عيسى» ؟ قالت: ابنك عبيد الله، قال: " ويحك! وقد تكنى بأبي عيسى! ، ثم دعاه، فقال: إيها، أكتنيت بأبي عيسى! ، فحذر وفزع، وأخذ يده فعضها، ثم ضربه وقال: ويلك! وهل لعيسى أب؟ أتدري ما كنى العرب؟ أبو سلمة، أبو حنظلة، أبو عرفطة، أبو مرة ".

وكان عمر إذا غضب على بعض أهله لم يسكن غضبه حتى يعض يده عضا شديدا، وكان عبد الله بن الزبير كذلك.

ولقوة هذا الخلق عنده أضمر عبد الله بن عباس في خلافته إبطال القول بالعول، وأظهره بعده، فقيل له: هلا قلت هذا في أيام عمر فقال: هبته، وكان أميرا مهيبا.." (١)

"٤٧ - (٢٩) حدثنا قتيبة بن سعيد، حدثنا ليث، عن ابن عجلان، عن محمد بن يحيى بن حبان، عن ابن محيريز، عن الصنابحي، عن عبادة بن الصامت، أنه قال: دخلت عليه وهو في الموت، فبكيت، فقال: مهلا، لم تبكي؟ فوالله لئن استشهدت لأشهدن لك، ولئن شفعت لأشفعن لك، ولئن استطعت لأنفعنك، ثم قال: والله ما من حديث سمعته من رسول الله صلى الله عليه وسلم لكم فيه خير إلا حدثتكموه، إلا حديثا واحدا وسوف أحدثكموه اليوم، وقد احيط بنفسي، سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم، يقول: «من شهد أن لا إله إلا الله، وأن محمدا رسول الله، حرم الله عليه النار»

---

s [ش (مهلا) معناه أنظرني قال الجوهري يقال مهلا يا رجل بالسكون وكذلك للاثنين والجمع والمؤنث وهي موحدة بمعنى أمهل فإذا قيل لك مهلا قلت لا مهل والله ولا تقل لا مهلا وتقول ما مهل والله بمغنية عنك شيئا (وقد أحيط بنفسي) معناه قربت من الموت وأيسِت من النجاة والحياة]." (٢)

"حدثنا علي بن أبي هاشم قال: حدثنا إسماعيل بن إبراهيم، عن محمد بن إسحاق قال: وحدثني محمد بن إبراهيم بن الحارث التيمي، أن ثابت بن قيس بن شماس أخا بني الحارث بن الخزرج وثب على

---

(١) الأخبار الموفقيات للزبير بن بكار الزبير بن بكار ص/٢٣١

(٢) صحيح مسلم مسلم ١/٥٧

صفوان حين ضرب حسان، فجمع يده إلى عنقه بحبل، ثم انطلق إلى دار الحارث بن الخزرج، فلقيه عبد الله بن رواحة فقال: ما هذا؟ قال: ما أعجبك ضرب حسان بالسيف، فوالله ما أراه إلا قد قتله فقال له عبد الله: هل علم رسول الله صلى الله عليه وسلم شيئا مما صنعت؟ قال: لا قال: والله لقد اجترأت، ثم قال: أطلق الرجل، فأطلقه، ثم أتى رسول الله صلى الله عليه وسلم فذكر ذلك له، فدعا حسان وابن المعطل فقال ابن المعطل: يا رسول الله، آذاني وهجاني، فاحتملني الغضب فضربته فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم لحسان: «يا حسان، أتشوهت على قومي أن هداهم الله للإسلام؟» ثم قال: «أحسن يا حسان في الذي أصابك» قال: هي لك يا رسول الله، فأعطاه رسول الله صلى الله عليه وسلم عوضا منها -[٣٤٥]- بيرحاء، وهي قصر بني حديلة اليوم بالمدينة، وكانت مالا لأبي طلحة بن سهل تصدق بها إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم فأعطاها حسان في ضربته وأعطاه سيرين أمة قبطية، فولدت له عبد الرحمن بن حسان. وكانت عائشة رضي الله عنها تقول: لقد سئل عن ابن المعطل فوجدوه رجلا حصورا ما يأتي النساء، ثم قتل بعد ذلك شهيدا " وقال حسان بن ثابت رضي الله عنه يعتذر من الذي كان قال في شأن عائشة رضي الله عنها:

[البحر الطويل]

حصان رزان ما تزن بريبة ... وتصبح غرثى من لحوم الغوافل

-[٣٤٦]-

فإن كنت قد قلت الذي قد زعمتم ... فلا رفعت سوطي إلي أناملي

فكيف وودي ما حييت ونصرتي ... لآل رسول الله زين المحافل

فإن الذي قد قيل ليس بلائط ... ولكنه قول امرئ بي ماحل

-[٣٤٧]-

قال: وقال قائل من المسلمين في ضرب حسان وأصحابه من فريتهم عليها:

[البحر الطويل]

لقد ذاق حسان الذي كان أهله ... وحمنة إذ قالوا هجيرا ومسطح

تعاطوا برجم الغيب زوج نبيهم ... وسخطة ذي العرش الكريم فأترحوا

وآذوا رسول الله فيها فجللوا ... مخازي تبقى عمموها وفضحوا

وصبت عليهم محصدات كأنها ... شآبيب قطر من ذرا المزن تسفح

وقال أبو بكر الصديق رضي الله عنه لمسطح، وكان اسمه عوف، ومسطح لقب:

[البحر البسيط]

يا عوف ويحك هلا قلت عارفة ... من الكلام ولم تتبع بها طمعا

وأدركتك حميا معشر أنف ... ولم يكن قاطعا يا عوف من قطعا

أما حديث من الأقوام إذ حشدوا ... فلا تقول ولو عاينته قذعا

لما رأيت حصانا غير مقرفة ... أمينة الجيب لم يعلم لها خمعا

في من رماها وكنتم معشرا أفكا ... في سيئ القول من لفظ الخنا شرعا

فأنزل الله عذرا في براءتها ... وبين عوف وبين الله ما صنعا

فإن أعش أجز عوفا عن مقالته ... شر الجزاء بما ألفيته صنعا." (١)

"١٥١ - حدثنا علي بن المبارك الصنعاني، وعبيد الله بن محمد العمري، قالا: ثنا إسماعيل بن أبي أويس، قال: ثنا أبي، قال: ثنا هشام بن عروة، عن أبيه، عن عائشة بنت أبي بكر الصديق، قال: أبو أويس، وحدثني أيضا عبد الله بن أبي بكر بن محمد بن عمرو بن حزم الأنصاري النجاري، عن عمرة بنت عبد الرحمن الأنصارية ثم النجارية، عن عائشة زوج النبي صلى الله عليه وسلم، قالت: كان النبي صلى الله عليه وسلم إذا أراد أن يسافر سفرا أقرع بين نسائه فأيتهن خرج سهمها خرج بها معه فخرج سهم عائشة في غزوة النبي صلى الله عليه وسلم بني المصطلق من خزاعة، فلما انصرف النبي صلى الله عليه وسلم فكان قريبا من المدينة، وكانت عائشة جويرية حديثة السن قليلة اللحم خفيفة، وكانت تلزم خدرها، فإذا أراد الناس الرحيل ذهبت فتوضأت ورجعت فدخلت محفتها فيرحل بعيرها ثم يحمل محفتها فتوضع على البعير، فكان أول ما قال فيها المنـافقون وغيرهم ممن أشرك في عائشة أنها خرجت تتوضأ حين دنوا من المدينة، فانسل من عنقها عقد لها من جزع أظفار، فارتحل النبي صلى الله عليه وسلم والناس وهي في ابتغاء العقد ولم تعلم برحيلهم، فشدوا على بعيرها المحفة وهم يرون أنها فيها كما كانت، فرجعت عائشة إلى منزلها فلم تجد في العسكر أحدا فغلبتها عيناها، وكان صفوان بن المعطل -[١١٢]- السلمي صاحب النبي صلى الله عليه وسلم تخلف تلك الليلة عن العسكر حتى أصبح، قالت: فمر بي فرآني فاسترجع، وأعظم مكاني حين

---

(١) تاريخ المدينة لابن شبة ابن شبة ٣٤٤/١

رآني وحدي، وقد كنت أعرفه ويعرفني قبل أن يضرب علينا الحجاب، قالت: فسألني عن أمري فسترت وجهي عنه بجلبابي، وأخبرته بأمري فقرب بعيره، فوطئ على ذراعه، وولاني قفاه حتى ركبت وسويت ثيابي، ثم بعثه فأقبل يسير بي حتى دخلنا المدينة نصف النهار أو نحوه، فهنالك قال في وفيه من قال من أهل الإفك، وأنا لا أعلم شيئا من ذلك، ولا مما يخوض الناس فيه من أمري، وكنت تلك الليالي شاكية، وكان من أول ما أنكرت من أمر النبي عليه السلام أنه كان يعودني قبل ذلك إذا مرضت، وكان تلك الليالي لا يدخل علي ولا يعودني، إلا أنه يقول وهو مار: «كيف تيكم؟» ، فيسأل عني بعض أهل البيت، فلما بلغ النبي صلى الله عليه وسلم ما أكثر الناس فيه من أمري غمه ذلك وقد كنت شكوت قبل ذلك إلى أمي ما رأيت من النبي صلى الله عليه وسلم من الجفوة، فقالت لي: يا بنية اصبري فوالله لقل ما كانت امرأة حسناء يحبها زوجها، لها ضرائر إلا رمينها، قالت: فوجدت حسا تلك الليلة التي بعث النبي صلى الله عليه وسلم من صبحها إلى علي بن أبي طالب وأسامة بن زيد، فاستشارهما في أمري وكنا ذلك الزمان ليست لنا كنف نذهب فيها، إنما كنا نذهب كما يذهب العرب ليلا إلى ليل، فقلت لأم مسطح بن أثاثة: خذي الإداوة فاملئيها ماء فاذهبي بها إلى المناصع، وكانت هي وابنها مسطح بينهما وبين أبي بكر قرابة، وكان أبو بكر ينفق عليهما، فكان يكونان معه ومع أهله، فأخذت الإداوة وخرجنا نحو المناصع، فعثرت أم مسطح، فقالت: تعس مسطح، فقلت لها: بئس ما قلت، قالت: ثم مشينا فعثرت أيضا، فقالت: تعس مسطح، فقلت لها: بئس ما قلت لصاحب النبي صلى الله عليه وسلم، وصاحب -[١١٣]- بدر، فقالت: إنك لغافلة عما فيه الناس من أمرك، قلت: أجل فما ذاك؟، فقالت: إن مسطحا وفلانا وفلانة فيمن استزلهم الشيطان من المنافقين يجتمعون في بيت عبد الله بن أبي ابن سلول أخي بني الحارث بن الخزرج يتحدثون عنك، وعن صفوان بن المعطل ويرمونك به، قالت: فذهب عني ما كنت أجد من الغائط، ورجعت عودي على بدئي إلى بيتي، فلما أصبحنا من تلك الليلة بعث النبي صلى الله عليه وسلم إلى علي بن أبي طالب وأسامة بن زيد فأخبرهما بما قيل في، واستشارهما في أمري، فقال أسامة: والله يا رسول الله ما علمنا على أهلك سوءا، وقال له علي: يا رسول الله، ما أكثر النساء، وإن أردت أن تعلم الخبر فتوعد الجارية – يعني بريرة –، فقال النبي صلى الله عليه وسلم لعلي: «فشأنك ائت الخادم» ، فسألها علي عني فلم تخبره، والحمد لله إلا بخير، قالت: والله ما علمت على عائشة سوءا إلا أنها جويرية تصبح عن عجين أهلها، فتدخل الشاة الداجن فتأكل من العجين، قالت: ثم خرج النبي صلى الله عليه وسلم حين سمع ما قالت في بريرة لعلي إلى الناس، فلما اجتمعوا إليه، قال: «يا معشر المسلمين من لي من رجال يؤذوني في أهلي

فما علمت على أهلي سوءا، ويذمون رجلا من أصحابي ما علمت عليه سوءا، ولا خرجت مخرجا إلا خرج معي فيه» ، فقال سعد بن معاذ الأنصاري ثم الأشهلي من الأوس: يا رسول الله إن كان ذلك في أحد من الأوس كفيناكه، وإن كان من الخزرج أمرتنا فيه أمرك، فقام سعد بن عبادة الأنصاري ثم الخزرجي، فقال لسعد بن معاذ: كذبت والله وهذا الباطل، فقام أسيد بن حضير الأنصاري ثم الأشهلي، ورجال من الفريقين فاستبوا وتنازعوا حتى كاد أن يعظم الأمر بينهم، فدخل النبي صلى الله عليه وسلم بيتي -[١١٤]-، وبعث إلى أبوي، فأتياه فحمد الله وأثنى عليه بما هو أهله، ثم قال لي: «يا عائشة إنما أنت من بنات آدم، فإن كنت أخطأت فتوبي إلى الله واستغفريه» ، فقلت لأبي: أجب عني رسول الله، فقال لي أبي: لا أفعل، هو نبي الله والوحي يأتيه، فقلت لأمي: أجيبي عني رسول الله، فقالت لي كما قال أبي، فقلت: والله لئن أقررت على نفسي بباطل لتصدقنني، ولئن برأت نفسي والله يعلم أني بريئة لتكذبنني، فما أجد لي ولكم مثلا إلا قول أبي يوسف ﴿فصبر جميل والله المستعان على ما تصفون﴾ [يوسف: ١٨] ، ونسيت اسم يعقوب لما بي من الحزن والبكاء واحتراق الجوف، فتغشى رسول الله صلى الله عليه وسلم ما كان يتغشاه من الوحي، ثم سري عنه فمسح وجهه بيده، ثم قال لي: «أبشري يا عائشة، فقد أنزل الله براءتك» ، قالت عائشة: والله ما كنت أظن أن ينزل القرآن في أمري، ولكني كنت أرجو كما يعلم الله من براءتي، أن يرى النبي صلى الله عليه وسلم في أمري رؤيا فيبرئني الله بها عند نبيه عليه السلام، فقال لي أبواي عند ذلك: قومي فقبلي رأس رسول الله صلى الله عليه وسلم، فقلت: والله لا أفعل بحمد الله كان لا بحمدكم، قالت: وكان أبو بكر ينفق على مسطح وأمه فلما رماني حلف أبو بكر أن لا ينفعه بشيء أبدا، قالت: فلما تلا رسول الله صلى الله عليه وسلم قول الله تبارك وتعالى ﴿وليعفوا وليصفحوا ألا تحبون أن يغفر الله لكم﴾ [النور: ٢٢] ، بكى أبو بكر فقال: بلى يا رب، وعاد للنفقة على مسطح وأمه، قالت: وقعد صفوان بن المعطل لحسان بن ثابت بالسيف فضربه ضربة، فقال صفوان لحسان في الشعر حين ضربه:

[البحر الطويل]

تلق ذباب السيف مني فإنني ... غلام إذا هوجيت ليس بشاعر

ولكنني أحمي حماي وأنتقم ... من الباهت الرامي البراة الطواهر

-[١١٥]-

ثم صاح حسان فاستغاث الناس على صفوان، فلما جاء الناس فر صفوان فجاء حسان إلى النبي صلى الله عليه وسلم فاستعداه على صفوان في ضربته إياه، فسأله النبي صلى الله عليه وسلم أن يهب له ضربة صفوان

إياه، فوهبها للنبي صلى الله عليه وسلم، فعاضه منها حائطا من نخل عظيم وجارية رومية ويقال قبطية تدعى سيرين، فولدت لحسان ابنه عبد الرحمن الشاعر. قال أبو أويس: أخبرني بذلك حسين بن عبد الله بن عبيد الله بن عباس، عن عكرمة، عن ابن عباس قالت عائشة: ثم باع حسان ذلك الحائط من معاوية بن أبي سفيان في ولايته بمال عظيم، قالت عائشة: فبلغني والله أعلم أن الذي قال الله تبارك وتعالى فيه ﴿والذي تولى كبره منهم له عذاب عظيم﴾ [النور: ١١] ، أنه عبد الله بن أبي بن سلول أحد بني الحارث بن الخزرج، قالت عائشة: فقيل في أصحاب الإفك الأشعار، وقال أبو بكر لمسطح في رميه ءائشة فكان يدعى عوفا:

[البحر البسيط]

يا عوف ويحك **هلا قلت** عارفة ... من الكلام ولم تبغ به طمعا

فأدركتك حميا معشر أنف ... فلم يكن قاطع يا عوف من قطعا

هلا حربت من الأقوام إذ حسدوا ... فلا تقول وإن عاديتهم قذعا

لما رميت حصانا غير مقرفة ... أمينة الجيب لم يعلم لها خضعا

فيمن رماها وكنتم معشرا إفكا ... في سيء القول من لفظ الخنا شرعا

فأنزل الله عذرا في براءتها ... وبين عوف وبين الله ما صنعا

فإن أعش أجب عوفا في مقالته ... سوء الجزاء بما ألفيته تبعا

وقالت أم سعد بن معاذ في الذين رموا عائشة من الشعر:

[البحر المديد]

شهد الأوس كلها وفناؤها ... والخماسي من نسلها والنطيم

-[١١٦]-

ونساء الخزرجين يشهدن ... بحق وذلكم معلوم

أن ابنة الصديق كانت حصانا ... عفة الجيب دينها مستقيم

تتقي الله في المغيب ... عليها نعمة الله سترها ما يريم

خير هدي النساء حالا ونفسا ... وأبا للعلى نماها كريم

للموالي إذ رموها بإفك ... أخذتهم مقامع وجحيم

ليت من كان قد رماها بسوء ... في حطام حتى يبول اللئيم

وعوان من الحروب تلظى ... نفسا قوتها عقار صريم

ليت سعدا ومن رماها بسوء ... في كظاظ حتى يتوب الظلوم

وقال حسان وهو يبرئ عائشة رضي الله تعالى عنها فيما قيل فيها ويعتذر إليها:

[البحر الطويل]

حصان رزان ما تزن بريبة ... وتصبح غرثى من لحوم الغوافل

خليلة خير الناس دينا ومنصبا ... نبي الهدى والمكرمات الفواضل

عقيلة حي من لؤي بن غالب ... كرام المساعي مجدها غير زائل

مهذبة قد طيب الله خيمها ... فطهرها من كل سوء وباطل

فإن كان ما قد جاء عني قلته ... فلا رفعت سوطي إلي أناملي

وإن الذي قد قيل ليس بلائط ... بك الدهر بل قول امرئ غير ماحل

وكيف وودي ما حييت ونصرتي ... لآل رسول الله زين المحافل

له رتب عال على الناس فضلها ... تقاصر عنها سورة المتطاول

قال أبو أويس: وحدثني أبي أن رسول الله صلى الله عليه وسلم أمر بالذين رموا عائشة فجلدوا الحد جميعا ثمانين ثمانين، وقال حسان بن ثابت في الشعر حين جلدوا:

[البحر الطويل]

لقد كان عبد الله ما كان أهله ... وحمنة إذ قالوا هجيرا ومسطح

تعاطوا برجم القول زوج نبيهم ... وسخطه ذي العرش الكريم فأترحوا

فآذوا رسول الله فيها وعمموا ... مخازي سوء حللوها وفضحوا." (١)

"٢٣٤ - أخبرنا محمد قال: حدثنا يحيى بن محمد بن صاعد قال: حدثنا سعيد بن يحيى قال: حدثنا أبي، عن ابن إسحاق قال: قال حسان يذكر عائشة رضي الله -[١٢٥]- عنها:

حصان رزان ما تزن بريبة ... وتصبح غرثى من لحوم الغوافل

فإن كنت قد قلت الذي قد زعمتم ... فلا رفعت سوطي إلي أناملي

فكيف وودي ما حييت ونصرتي ... لآل رسول الله زين المحافل

فإن الذي قد قيل ليس بلائط ... ولكنه قول امرىء بي ماحل

---

(١) المعجم الكبير للطبراني الطبراني ١١١/٢٣

وقال أبوبكر رضي الله عنه لمسطح وكان اسمه عوف:

يا عوف ويحك **هلا قلت** عارفة ... من الكلام ولم تتبع بها طمعا

وأدركتك حميا معشر أنف ... ولم تكن قاطعا يا عوف منقطعا

أما خزيت من الأقوام إذ حسدوا ... ولا تقول ولو عاينته قذعا

لما رميت حصانا غير مقرفة ... أمينة الجيب لم تعلم لها خضعا

فيمن رماها وكنتم معشرا أفكا ... في سيء القول من لفظ الخنا شرعا

فأنزل الله وحيا في براءتها ... وبين عوف وبين الله ما صنع ا

وقال رجل من المسلمين في ضرب حسان وأصحابه في فريتهم على عائشة رضي الله عنها:

-[١٢٦]-

لقد ذاق حسان الذي كان أهله ... وحمنة إذ قالوا هجيرا ومسطح

تعاطوا برجم الغيب زوج نبيهم ... وسخطة ذي العرش الكريم فأبرحوا

فآذوا رسول الله فيها فجللوا ... مخازي تبقى عصبوها وفضحوا

فصبت عليهم محصدات كأنها ... شآبيب قطر من ذرى المزن تسفح." (١)

"والعائل المختال» وذكر الثالث (١) .

١٨١١- (٢٣٥) حدثنا يحيى قال: حدثنا محمود بن محمد أبويزيد الظفري قال: حدثنا أيوب بن النجار، عن يحيى بن أبي كثير، عن أبي سلمة، عن أبي هريرة قال:

قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «ما توضأ من لم يذكر اسم الله / عز وجل عليه، وما صلى من لم يتوضأ، وما آمن من لم يحبني، وما أحبني من لم يحب الأنصار» (٢) .

١٨١٢- (٢٣٦) حدثنا يحيى قال: حدثنا يحيى بن سليمان بن نضلة الخزاعي بالمدينة سنة خمس وأربعين ومئتين قال: حدثني سليمان بن بلال، عن موسى بن أنس بن مالك، عن أنس بن مالك،

أن النبي صلى الله عليه وسلم عاد رجلا من المسلمين، فدخل عليه وهو كالفرخ المنتوف جهدا، فقال له: «هل كنت تدعو الله بشيء أو تسأله؟» قال: نعم، كنت أقول: اللهم ما كنت معاقبني به في الآخرة فعجله في الدنيا، فقال النبي صلى الله عليه وسلم: «لا تطيقه ولا تستطيعه، **فهلا قلت**: اللهم آتني في الدنيا حسنة وفي الآخرة حسنة وقني عذاب النار» (٣) .

---

(١) فوائد ابن أخي ميمي الدقاق ابن أخي ميمي ص/١٢٤

١٨١٣- (٢٣٧) قال ابن صاعد: سمعت يحيى بن سليمان بن نضلة

---

(١) وهو الملك الكذاب. وكذلك أخرجه مسلم (١٠٧) من وجه آخر عن أبي هريرة.

(٢) أخرجه الدارقطني (١/ ٧١) ، والبيهقي (١/ ٤٤) من طريق ابن صاعد به.

ومحمود بن محمد قال الدارقطني: ليس بالقوي. وأعله البيهقي بالإنقطاع.

(٣) أخرجه قاضي المارستان في «مشيخته» (٥١) من طريق ابن صاعد به.

وأخرجه مسلم (٢٦٨٨) من طريقين عن أنس به.." [1]

---

(١) المخلصيات المخلص ٣٨٦/٢

لا تفعلوا فإن هذا لا يصلح ولكن بع تمرك ... أبوسعيد الخدري ... ١٧٦٥

لا تقتلوا أصحاب الصوامع ... ابن عباس ... ٨٣٨

لا تقدموا بين يدي شهر رمضان بصوم ... أبوهريرة ... ٣١٨٠

لا تقدموا الشهر بيوم ولا يومين ... أبوهريرة ... ٩٣٧

لا تقولوا هكذا فإن الله هو السلام ... ابن مسعود ... ١٣٢١

لا تقوم الساعة حتى يتقارب الزمان ... أبوهريرة ... ٢٥٦٣." (١)

"حدثنا عبد الله بن محمد بن عثمان الواسطي، ثنا يعقوب بن إبراهيم عن عباد بن العوام، ثنا عمرو بن عون، ثنا هشيم، ثنا يونس، عن الحسن، عن أنس، قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «ما خير للنساء؟» فلم ندر ما نقول فسار علي إلى -[٤١]- فاطمة فأخبرها بذلك فقالت: **فهلا قلت** له: خير لهن أن لا يرين الرجال ولا يرونهن فرجع فأخبره بذلك فقال له: «من علمك هذا؟» قال: فاطمة قال: «إنها بضعة مني» رواه سعيد بن المسيب، عن علي نحوه." (٢)

"٢٨- أخبرنا عبيد الله قال حدثنا عبد الله بن محمد قال حدثنا هدبة بن خالد قال حدثنا حماد عن ثابت عن أنس أن النبي صلى الله عليه وسلم عاد رجلا قد صار مثل الفرخ فقال النبي صلى الله عليه وسلم له هل دعوت بشيء قال نعم قلت اللهم ما كنت معاقبني به في الآخرة فعجله في الدنيا قال رسول الله صلى الله عليه وسلم سبحان الله لا طاقة لك بعذاب الله **فهلا قلت** اللهم ربنا آتنا -[٨٩]- في الدنيا حسنة وفي الآخرة حسنة وقنا عذاب النار.." (٣)

"٢٠٨١٤ - وأخبرنا أبو عبد الله الحافظ ، قال: سمعت أبا بكر بن المؤمل ، يقول: سمعت أبا عبد الله محمد بن يعقوب الفارسي يقول: قرأت في بعض الكتب أن يزيد بن معاوية سأل الأحنف بن قيس عن المروءة ، فقال الأحنف: " المروءة التقى والاحتمال ، ثم أطرق الأحنف ساعة وقال:

---

(١) المخلصيات المخلص ٣٢٣/٤

(٢) حلية الأولياء وطبقات الأصفياء أبو نعيم الأصبهاني ٤٠/٢

(٣) مشيخة الآبنوسي ابْنُ الآبَنُوْسِيِّ ٨٨/١

وإذا جميل الوجه لم ... يأت الجميل فما جماله

ما خير أخلاق الفتى ... إلا تقاه واحتماله

فقال يزيد: أحسنت يا أبا بحر ، وافق اليم زيرا ، قال الأحنف: " هلا قلت: وافق المعنى تفسيرا؟ "." (١)

"٢٣١-[٢٤٠] كتب إلي أبو الحسن أحمد بن إبراهيم بن أحمد بن علي بن أحمد بن فراس العبقسي من مكة يخبر أن أبا محمد عبد الرحمن بن عبد الله بن محمد بن عبد الله بن يزيد المقرئ حدثهم ثنا أبو يونس المديني المعروف بالمكي الجمحي ثنا إسماعيل بن أبي أويس حدثني أبي أبو أويس حدثني هشام بن عروة عن أبيه عروة بن الزبير عن عائشة بنت أبي بكر زوج النبي صلى الله عليه وسلم.

قال أبو أويس: وحدثني أيضا عبد الله بن أبي بكر بن عمرو بن حزم الأنصاري ثم النجاري عن عمرة بنت عبد الرحمن الأنصارية ثم النجارية عن عائشة زوج النبي صلى الله عليه وسلم

قال أبو أويس قال هشام: قال عروة قالت عائشة وقال لي عبد الله بن أبي بكر قالت عمرة قالت عائشة كان النبي صلى الله عليه وسلم إذا أراد سفرا أقرع بين أزواجه فأيتهن -[١١٧٨]- خرج سهمها خرج بها معه قال عروة وعمرة: فخرج سهم عائشة بنت أبي بكر زوج النبي صلى الله عليه وسلم في غزوة النبي صلى الله عليه وسلم بني المصطلق من خزاعة فلما انصرف النبي صلى الله عليه وسلم فكان قريبا من المدينة قال عروة وعمرة: وكانت عائشة جويرية حديثة السن قليلة اللحم خفيفة وكانت تلزم خدرها فإذا أراد الناس الرحيل ذهبت فتوضأت ورجعت فدخلت محفتها فتوضع على البعير وهي في المحفة فكان أول ما قال فيها المنافقون وغيرهم ممن اشتركوا في أمر عائشة أنها خرجت تتوضأ حين دنوا من المدينة فانسل من عنقها عقد لها من جزع ظفار فارتحل النبي صلى الله عليه وسلم والناس وهي في بغاء العقد ولم تعلم برحيلهم فشدوا على بعيرها المحفة وهم يرون أنها فيها كما كانت تكون فرجعت عائشة إلى منزلها فلم تجد في العسكر أحدا وغلبتها عيناها قال عروة وعمرة: قالت عائشة: وكان صفوان بن المعطل السلمي صاحب النبي صلى الله عليه وسلم تخلف تلك الليلة عن العسكر حتى أصبح قالت: فمر بي فرآني فاسترجع وأعظم مكاني حين رآني وحدي وقد كنت أعرفه ويعرفني قبل أن يضرب علينا الحجاب قالت: فسألني عن أمري فسترت وجهي عنه بجلبابي وأخبرته بأمري فقرب لي بعيره ووطئ على ذراعه وولاني قفاه حتى ركبت وسويت ثيابي ثم بعثه فاقبل يسير بي حتى دخلنا المدينة نصف النهار أو نحوه فهنالك قال في وفيه من قال من أهل الإفك وأنا لا أعلم شيئا من ذلك ولا مما يخوض فيه الناس من أمري فكنت تلك -[١١٧٩]- الليالي

---

(١) السنن الكبرى للبيهقي البيهقي، أبو بكر ٣٢٩/١٠

شاكية فكان أول ما أنكرت من أمر النبي صلى الله عليه وسلم أنه كان يعودني قبل ذلك إذا مرضت فكان تلك الليالي لا يدخل علي ولا يعودني إلا أنه يقول وهو مار: كيف تيكم؟ فيسأل عني بعض أهل البيت فلما بلغ النبي صلى الله عليه وسلم ما أكثر فيه الناس من أمري غمه ذلك، قالت: وكنت شكوت إلى أمي قبل ذلك ما رأيت من النبي صلى الله عليه وسلم من الجفوة فقالت لي يا بنية اصبري فوالله لقل ما كانت امرأة حسناء يحبها زوجها لها ضرائر إلا رمينها قالت: فوجدت تلك الليلة التي بعث النبي صلى الله عليه وسلم من صبحها إلى علي بن أبي طالب وأسامة بن زيد فاستشارهما في أمري وكنا ذلك الزمان ليس لنا كنف نذهب فيها إنما كنا نذهب كما يذهب العرب ليلا إلى ليل فقلت لأم مسطح بن أثاثة وهي امرأة من بني المطلب بن عبد مناف خذي الإداوة فاملئيها ماءا فاذهبي بنا إلى المناصع وكانت هي وابنها مسطح بينهم وبين أبي بكر قرابة وكان أبو بكر ينفق عليهم وكانوا يكونون معه ومع أهله فأخذت الإداوة وخرجنا نحو المناصع وإني لما شق علي من الغائط فعثرت أم مسطح فقالت: تعس مسطح فقلت لها بئس ما قلت ثم مشينا فعثرت أيضا فقالت: تعس مسطح فقلت لها بئس ما قلت لصاحب النبي صلى الله عليه وسلم وصاحب بدر فقالت إنك لغافلة عما فيه الناس من أمرك فقلت أجل فما ذاك؟ قالت: إن مسطح وفلان وفلانة وغيرهم ممن استزلهم من المنافقين مجتمعين في بيت عبد الله بن أبي سلول أخي بني الحارث بن الخزرج الأنصاري يتحدثون عنك وعن صفوان بن المعطل ويرمونك به قالت: فذهب عني ما كنت أجد من الغائط ورجعت عودي على بدءي إلى بيتي فلما أصبحنا من تلك الليلة بعث النبي صلى الله عليه وسلم إلى علي بن أبي طالب وإلى -[١١٨٠]- أسامة بن زيد فاخبرهما بما قيل في واستشارهما في أمري فقال له أسامة: والله يا رسول الله ما علمنا على أهلك سوءا وقال له علي: يا رسول الله ما أكثر النساء وإن أردت أن تعلم الخبر فتواعد الخادم واضربها تخبرك يعني بريرة فقال النبي صلى الله عليه وسلم لعلي فشأنك أنت بالخادم فسألها علي عني وتواعدها فلم تخبره والحمد لله إلا بخير ثم ضربها وسألها عني فقالت: والله ما علمت على عائشة سوءا إلا أنها جارية تصبح عن عجين أهلها فتدخل الشاة الداجن أو الدجاج فيأكلون من العجين قالت: ثم خرج رسول الله صلى الله عليه وسلم حين سمع ما قالت في بريرة لعلي فخرج النبي صلى الله عليه وسلم إلى الناس فلما اجتمعوا إليه قال: يا معشر المسلمين من لي من رجال يؤذوني في أهلي وما علمت على أهلي سوءا ويرمون رجلا من أصحابي ما علمت عليه سوءا ولا خرجت مخرجا إلا خرج معي فقال سعد بن معاذ الأنصاري ثم الأشهلي من الأوس: يا رسول الله لو كان ذلك في أحد من الأوس كفيناكه فقام سعد بن عبادة الأنصاري ثم الخزرجي فقال لسعد بن معاذ كذبت والله وهذا الباطل

فقام أسيد بن الحضير الأنصاري ثم الأشهلي ورجال من الفريقين جميعا فاستبوا وتنازعوا حتى كاد أن يعظم الأمر بينهم فدخل النبي صلى الله عليه وسلم بيته وبعث إلى أبوي فأتياه فحمد الله وأثنى عليه بما هو أهله ثم قال لي يا عائشة إنما أنت من بني آدم فإن كنت أخطأت فتوبي إلى الله واستغفريه فقلت لأبي أجب عني رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال: إني لا أفعل، هو رسول الله صلى الله عليه وسلم والوحي يأتيه فقلت لأمي أجيبي عني رسول الله صلى الله عليه وسلم فقالت لي كما قال لي أبي فقلت: والله لئن أقررت على نفسي بباطل لتصدقني ولئن برأت نفسي والله يعلم أني لبريئة لتكذبني فما أجد لي ولكم إلا ما قال أبو يوسف حين يقول -[١١٨١]- ﴿فصبر جميل والله المستعان على ما تصفون﴾ ونسيت اسم يعقوب لما بي من الحزن والبكاء واحتراق الجوف فتغشى رسول الله صلى الله عليه وسلم ما كان يغشاه من الوحي ثم سري عنه فمسح وجهه بيديه ثم قال أبشري يا عائشة قد أنزل الله براءتك فقالت عائشة فوالله ما كنت أظن أن ينزل القرآن في أمري ولكني كنت أرجو لما يعلم الله من براءتي أن يري الله النبي صلى الله عليه وسلم في أمري رؤيا يبرئني الله بها عند نبيه صلى الله عليه وسلم فقال لي أبواي عند ذلك قومي فقبلي رأس رسول الله صلى الله عليه وسلم فقلت والله لا أفعل بحمد الله كان ذلك لا بحمدكم فقالت: وكان أبو بكر رضي الله عنه ينفق على مسطح وأمه فلما رماني حلف أبو بكر رضي الله عنه أن لا ينفعه بشيء أبدا قالت: فلما تلا النبي صلى الله عليه وسلم علينا قول الله تعالى ﴿وليعفو وليصفحوا ألا تحبون أن يغفر الله لكم﴾ فبكى أبو بكر رضي الله عنه وقال: بلى يا رب وعاد النفقة على مسطح وأمه قالت: وقعد صفوان بن المعطل لحسان بن ثابت بالسيف فضربه ضربة وقال صفوان لحسان في الشعر حين ضربه:

تلق ذباب السيف عنك فإنني ... غلام إذا هوجيت لست بشاعر

ولكنني أحمي حماتي وأنتقم ... من الباهت الرامي البراء الطواهر

وصاح حسان واستغاث الناس على صفوان فلما جاء الناس وصفوان وجاء حسان إلى النبي صلى الله عليه وسلم فاستعداه على صفوان في ضربته إياه فسأله النبي صلى الله عليه وسلم أن يهب له ضربه صفوان إياه فوهبها للنبي صلى الله عليه وسلم فعاضه منها حائطا من نخل عظيم وجارية رومية يقال أو قبطية تدعى سيرين فولد لحسان ابنه عبد الرحمن الشاعر.

-[١١٨٢]- فقال أبو أويس: أخبرني ذلك حسين بن عبد الله بن عبيد الله بن عباس بن عبد المطلب عن عكرمة عن عبد الله بن عباس قالت عائشة: ثم باع حسان ذلك الحائط من معاوية بن أبي سفيان في ولايته بمال عظيم قالت عائشة فبلغني والله أعلم أن الذي قال الله عز وجل فيه ﴿والذي تولى كبره منهم له

عذاب عظيم﴾ إنه عبد الله بن أبي بن سلول أحد بني الحارث بن الخزرج قالت عائشة: فقيل في أصحاب الإفك أشعار فقال أبو بكر الصديق رضي الله عنه:

ياعوف ويحك **هلا قلت** عارفة ... من الكلام ولم تبتغ به طمعا

هلا جزيت من الأقوام إذ حشدوا ... ولم تقول وإن عاديتهم قذعا

لما رميت حصانا غير مقرفة ... أمينة الجيب لم يعلم لها خضعا

فيمن رماها وكنتم معشرا أفكا ... في سيء القول من لفظ الخنا شرعا

فأنزل الله عذرا في براءتها ... وبين عوف وبين الله ما صنعا

فإن أعش أجز عوفا في مقالته ... شر الجزاء بما ألفيته تبعا

وقالت أم سعد بن معاذ الأشهلي ثم الأوسي في الذين رموا عائشة:

تشهد الأوس كهلها وفتاها ... والخماسي من نسلها والعظيم

ونساء الخزرجيين يشهدن ... بحق فذلكم معلوم

أن ابنت الصديق كانت حصانا ... عفة الجيب دينها مستقيم

تتقي الله في المغيب عليها ... نعمة الله سترها ما يريم

خير هذي النساء حالا ونفسا ... وأبا للعلا نماها كريم

-[١١٨٣]- للموالي الأولى رموها بإفك ... أخذتهم مقامع وجحيم

ليت من كان قد بغاها بسوء ... في حطام حتى يتوب اللئيم

وعوان من الحروب تلظى ... بيننا فوقها عذاب صريم

ليت سعدا ومن رماها بسوء ... في كظاظا حتى يتوب الظلوم

وقال حسان بن ثابت الأنصاري ثم النجاري وهو يبرئ عائشة مما قيل فيها ويعتذر إليها فقال في الشعر لها:

حصان رزان ما تزن بريبة ... وتصبح غرثى من لحوم الغوافل

حليلة خير الناس دينا ومنصبا ... نبي الهدى والمكرمات الفواضل

عقيلة حي من لؤي بن غالب ... كرام المساعي مجدها غير زائل

مهذبة قد طيب الله خيمها ... وطهرها من كل سوء وباطل

فإن كان ما قد جاء عني قلته ... فلا رفعت سوطي إلى أناملي

وإن الذي قد قيل ليس بلائط ... بك الدهر بل قول امرئ غير ماجل

وكيف وودي ما حييت ونصرتي ... لآل رسول الله زين المحافل

له رتب عال على الناس فضلها ... تقاصر عنها سورة المتطاول

قال أبو أويس: فأخبرني أبي أن النبي صلى الله عليه وسلم أمر بالذين رموا عائشة فجلدوا الحد جميعا ثمانين وقال حسان في الشعر لهم حين جلدوا:

لقد ذاق عبد الله ما كان أهله ... وحمنة إذ قالوا هجيرا ومسطح

تعاطوا برجم الغيب زوج نبيهم ... وسخطة ذي العرش الكريم فأبحروا

قال لنا أبو علي يحيى بن يعقوب: الصواب: وقبحوا.

وآذوا رسول الله فيها فعمموا ... مخازي ذل جللوها وفضحوا

وصب عليهم محصدات كأنها ... شآبيب قطر من ذرى المزن تدلج

-[١١٨٤]- قال أبو علي: الشآبيب جمع شؤبوب وهي الحلبة من الوابل الشديدة ومحصدات السياط المفتولة.

قال أبو أويس: وحدثني الحسن بن زيد بن الحسن بن علي بن أبي طالب عن عبد الله بن أبي بكر بن محمد بن عمرو بن حزم الأنصاري ثم النجاري أن النبي صلى الله عليه وسلم جلد عبد الله بن أبي بن سلول ومسطح وحمنة الحدود ثمانين ثمانين في رميهم عائشة زوج النبي صلى الله عليه وسلم.

وقال أبو أويس قال الحسن بن زيد قال عبد الله بن أبي بكر بلغني أن الذي قال الله تعالى فيه في القرآن ﴿والذي تولى كبره منهم له عذاب عظيم﴾ إنه عبد الله بن أبي بن سلول.

قال أبو أويس وحدثني يزيد بن بكر الكناني ثم الليثي عن القاسم بن محمد بن أبي بكر أو عن سعيد بن المسيب بن حزن المخزومي أن الذي أنزل الله فيه ﴿والذي تولى كبره منهم له عذاب عظيم﴾ إنه عبد الله بن أبي بن سلول.

هذا حديث غريب حسن من حديث أبي أويس عبد الله بن عبد الله بن أبي أويس بن مالك بن أبي عامر الأصبحي المديني حليف عثمان بن عبد الله التيمي القرشي.

وهو صحيح عن أبي المنذر هشام بن عروة عن أبيه أبي عبد الله عروة بن الزبير بن العوام بن خويلد بن أسد بن عبد العزى بن عبد مناف القرشي الأسدي عن أم المؤمنين عائشة ما نعرفه بهذا الطول مع الأشعار وهذه الزيادات إلا من هذا الوجه

وحديث عبد الله بن أبي بكر بن عمرو بن حزم عن عمرة بنت -[١١٨٥]- عبد الرحمن الأنصارية عن عائشة غريب عزيز لا نعرفه إلا من حديث أبي أويس عنه.

والحديث أصله صحيح قد خرج في الصحيح من طرق عن هشام بن عروة عن أبيه عن عائشة ولم يخرجوه من حديث أبي أويس وأبو أويس صحيح الحديث.

وقد رواه الزهري عن عروة وعبيد الله بن عبد الله بن عتبة بن مسعود وسعيد بن المسيب وعلقمة بن وقاص الليثي كلهم عن عائشة.

وهو صحيح مشهور عن الزهري رواه يونس بن يزيد وفليح بن سليمان وإبراهيم بن سعد وجماعة عن الزهري والله أعلم.." (١)

"فقال أبو بكر: **هلا قلت** كما قال الله: (وجاءت سكرة الموت بالحق ذلك ما كنت منه تحيد) وذكر الحديث. والسكرة واحدة السكرات. وفي الصحيح عن عائشة أن رسول الله صلى الله عليه وسلم كانت بين يديه ركوة- أو علبة- فيها ماء فجعل يدخل يديه في الماء، فيمسح بهما وجهه ويقول: (لا إله إلا الله إن للموت سكرات) ثم نصب يده فجعل يقول: (في الرفيق الأعلى) حتى قبض ومالت يده. خرجه البخاري. وروي عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال: (إن العبد الصالح ليعالج الموت وسكراته وإن مفاصله ليسلم بعضها على بعض تقول السلام عليك تفارقني وأفارقك إلى يوم القيامة (. وقال عيسى بن مريم:) يا معشر الحواريين ادعوا الله أن يهون عليكم هذه السكرة) يعني سكرات الموت. وروي: (إن الموت أشد من ضرب بالسيوف ونشر بالمناشير وقرض بالمقاريض). (ذلك ما كنت منه تحيد) أي يقال لمن جاءته سكرة الموت ذلك ما كنت تفر منه وتميل عنه. يقال: حاد عن الشيء يحيد حيودا وحيدة وحيدودة مال عنه وعدل. وأصله حيدودة بتحريك الياء فسكنت، لأنه ليس في الكلام فعلول غير صعفوق. وتقول في الإخبار عن نفسك: حدت عن الشيء أحيد حيدا ومحيدا إذا ملت عنه، قال طرفة:

أبا منذر رمت الوفاء فهبته ... وحدت كما حاد البعير عن الدحض

[سورة ق (٥٠): الآيات ٢٠ الى ٢٢]

ونفخ في الصور ذلك يوم الوعيد (٢٠) وجاءت كل نفس معها سائق وشهيد (٢١) لقد كنت في غفلة من هذا فكشفنا عنك غطاءك فبصرك اليوم حديد (٢٢)

قوله تعالى: (ونفخ في الصور) هي النفخة الآخرة للبعث (ذلك يوم الوعيد) الذي وعده الله للكفار أن

---

(١) فوائد الحنائي = الحنائيات أبو القاسم الحنائي ١١٧٧/٢

يعذبهم فيه. وقد مضى الكلام في النفخ في الصور مستوفى «١» والحمد لله.

---

(١). راجع ج ١٣ ص ٢٣٩ وج ١٥ ص ٢٧٩." [١]

"يصدق على القليل والكثير على حد السوية ليكون متواطئا، وقال ابن رشد: الصحيح الأول لنهيه صلى الله عليه وعلى آله وسلم عن السفر بالقرآن إلى أرض العدو مع أنه كتب على هرقل بقوله: (قل يا أهل الكتاب تعالوا إلى كلمة سواء بيننا وبينكم ألا نعبد إلا الله ولا نشرك به شيئا ولا يتخذ بعضنا بعضا أربابا من دون الله فإن تولوا فقولوا اشهدوا بأنا مسلمون).

ابن عرفة: وهذا الأمر عام في الأشخاص لإجماعهم على أنه يتناول كل قارئ والعام في الأشخاص قيل إنه عام في الأزمنة والأحوال، وقيل إنه مطلق فيهما فعلى الأول يومي المصلي بالاستعاذة والمشهور من مذهبنا منع ذلك في الفريضة وطلبه في النافلة والخلاف المتقدم ذكره القرافي، والشيخ عز الدين، وابن دقيق العيد في شرح العهدة في حديث النبي عن استقبال القبلة لبول أو غائط مع حديث ابن عمر وفيه أنه وجد النبي صلى الله عليه وآله وسلم على بول أو غائط مستقبرا بيت المقدس مستدبرا القبلة، قال: اختلفوا في العام في الأشخاص إلى آخره، قيل لابن عرفة: وحكي ابن بريدة في هذا الموضع من تفسيره أن في المجموعة قولا بأنه يتعوذ في الصلاة بعد الفاتحة وقبل السورة.

ابن عرفة: وهذا غريب، قيل: وأظن أن ابن العربي حكاه كذلك، وقد قال ابن الحاجب: ولا يتعوذ ولا يبسمل، وله أن يتعوذ ويبسمل في النافلة، قال ابن عبد السلام: فإن قلت: عموم فإذا قرأت القرآن فاستعذ يتناوله **فهلا قلتم** يتعوذ في الفريضة؟ قلنا: قد نقلت لنا قراءة رسول الله عليه وعلى آله وسلم في الصلاة ولم يذكر منها استعاذة فيكون ذلك مخصصا للآية.

ابن عرفة: لا يصح تخصيص عموم القرآن إلا بلفظ ورد منصوصا عليه في السنة أو تابع المنصوص عليه كالمفهوم وأما هذا فلم يرد فيه نص ولا هو تابع والأصل عدم التخصيص.

ابن عرفة: ويتناول هذا الأمر بالتعوذ من يقرأ آية استعاذة كقوله تعالى: (وقل رب أعوذ بك من همزات الشياطين (٩٧) وأعوذ بك رب أن يحضرون (٩٨). لأنه يصدق عليه أنه قارئ القرآن.

ابن عرفة: وفي الآية سؤال وهو أن الاستعاذة من الشيطان إنما يطلب حيث يتوهم حضوره، وهو عند إرادة

---

(١) تفسير القرطبي، شمس الدين القرطبي ١٣/١٧

القراءة إذا [تأهب*] ولولا ذلك لوسوس ومنع منها يستعاذ منه عند القراءة، وأجاب: بأنه قد جاء أن كل حرف بعشر حسنات كما قال: "لا أقول (الم)." [1]

"(ولولا إذ دخلت جنتك قلت) لولا للتحضيض أي **هلا قلت** عندما دخلتها (ما شاء الله) قال الفراء والزجاج: **هلا قلت** حين دخلتها الأمر بمشيئة الله وما شاء الله كان، وقيل كائن أي شيء شاء الله كان فترد أمر جنتك من الحسن والنضارة لخالقه ولا تفتخر به لأنه ليس من صنعك.

وقوله (لا قوة إلا بالله) من جملة مقول، أي **هلا قلت** هاتين الجملتين تحضيضا له على الاعتراف بأنها وما فيها بمشيئة الله تعالى، إن شاء أبقاها وإن شاء أفناها، وعلى الاعتراف بالعجز، وأن ما تيسر له من عمارتها وحسنها ونضارتها إنما هو بمعونة الله لا بقوته وقدرته.

وهذا نصح من المؤمن للكافر وتوبيخ له على قوله (ما أظن أن تبيد هذه أبدا) قال الزجاج: لا يقوي أحد على ما في يده من ملك ونعمة إلا بالله ولا يكون إلا ما شاء الله.

أخرج ابن أبي حاتم عن أسماء بنت عميس قالت: علمني رسول الله صلى الله عليه وسلم كلمات أقولهن عند الكرب: الله الله ربي لا أشرك به شيئا، وأخرج أبو يعلى وابن مردويه والبيهقي في الشعب عن أنس قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: " ما أنعم الله على عبد نعمة في أهل أو مال أو ولد فيقول ما شاء الله لا قوة إلا بالله إلا دفع الله عنه كل آفة حتى تأتيه منيته "، وقرأ هذه الآية (١) وفي إسناده عيسى بن عون. وروي عن أنس نحوه موقوفا.

---

(١) ضعيف الجامع الصغير ٥٠٢٨ - سلسلة الأحاديث الضعيفة ٢٠١٢.." [2]

"" صفحة رقم ٧٥ "

(أن) في) ألا تشركوا (مفسرة و (لا) النهي . فإن قلت : **هلا قلت** هي التي تنصب الفعل ، وجعلت أن لا تشركوا بدلا من) ما حرم (؟ قلت : وجب أن يكون) لا تشركوا (و) لا تقربوا (و) لا تقتلوا (و) لا تتبعوا السبل ((الأنعام : ١٥٣) نواهي لانعطاف الأوامر عليها ، وهي قوله :) وبالوالدين إحسانا (لأن التقدير : وأحسنوا بالوالدين إحسانا . و) أوفوا (،) وإذا قلتم فاعدلوا ((الأنعام : ١٥٢) ،) وبعهد الله أوفوا ((الأنعام : ١٥٢) . فإن قلت : فما تصنع بقوله :) وأن هاذا صراطي مستقيما فاتبعوه (فيمن

---

(١) تفسير ابن عرفة النسخة الكاملة، ابن عرفة ٤٨/٣

(٢) فتح البيان في مقاصد القرآن، صديق حسن خان ٥٣/٨

قرأ بالفتح ، وإنما يستقيم عطفه على أن لا تشركوا إذا جعلت أن هي الناصبة للفعل ، حتى يكون المعنى : أتل عليكم نفي الإشراك والتوحيد ، وأتل عليكم أن هذا صراطي مستقيما ؟ قلت : أجعل قوله :) وأن هاذا صراطي مستقيما ((الأنعام : ١٥٣) علة للاتباع بتقدير اللام ، كقوله تعالى :) وأن المساجد لله فلا تدعوا مع الله أحدا ((الجن : ١٨) بمعنى : ولأن هذا صراطي مستقيما فاتبعوه . والدليل عليه القراءة بالكسر ، كأنه قيل : واتبعوا صراطي لأنه مستقيم ، أو واتبعوا صراطي إنه مستقيم . فإن قلت : إذا جعلت) ءان (مفسرة لفعل التلاوة وهو معلق بما حرم ربكم ، وجب أن يكون ما بعده منهيا عنه محرما كله ، كالشرك وما بعده مما دخل عليه حرف . النهي مما تصنع بالأوامر قلت لما وردت هذه الأوامر مع النواهي وتقدمهن جميعا فعل التحريم واشتركن في الدخول تحت حكمه ، علم أن التحريم راجع إلى أضدادها ، وهي الإساءة إلى الوالدين ، وبخس الكيل والميزان . وترك العدل في القول ، ونكث عهد الله) من إملاق (من أجل فقر ومن خشيته ، كقوله تعالى :) خشية إملاق ((الإسراء : ٣١) .) ما ظهر منها وما بطن (مثل قوله :) ظاهر الإثم وباطنه ((الأنعام : ١٢٠) .) إلا بالحق (كالقصاص ، والقتل على الردة ، والرجم .

) ولا تقربوا مال اليتيم إلا بالتى هى أحسن حتى يبلغ أشده وأوفوا الكيل والميزان بالقسط لا نكلف نفسا إلا وسعها وإذا قلتم فاعدلوا ولو كان ذا قربى وبعهد الله أوفوا ذالكم وصاكم به لعلكم تذكرون (

) إلا بالتى هى أحسن (إلا بالخصلة التي هي أحسن ما يفعل بمال اليتيم ، وهي حفظه وتثميره والمعنى : احفظوه عليه حتى يبلغ أشده فادفعوه إليه) بالقسط (بالسوية والعدل ؛) لا نكلف نفسا إلا وسعها (إلا ما يسعها ولا تعجز عنه . وإنما أتبع الأمر بإيفاء الكيل والميزان ذلك ؛ لأن مراعاة الحد من القسط الذي لا زيادة فيه ولا نقصان مما يجري فيه الحرج ، فأمر ببلوغ الوسع وأن ما وراءه معفو عنه) ولو كان ذا قربى (ولو كان المقول له أو عليه في شهادة أو غيرها من أهل قرابة القاتل ، فما ينبغي أن يزيد في القول أو ينقص ، كقوله :) ولو على أنفسكم أو الوالدين والاقربين ((النساء : ١٣٥) .." [1]

"" صفحة رقم ١٨٩ "

المؤمنين لكرهون (.

) يجادلونك في الحق بعدما تبين كأنما يساقون إلى الموت وهم ينظرون (

الأنفال : (٦) يجادلونك في الحق . . . . .

---

(١) تفسير الكشاف . ، ٧٥/٢

والحق الذي جادلوا فيه رسول الله (صلى الله عليه وسلم) : تلقى النفير ، لإيثارهم عليه تلقي العير) بعد ما تبين (بعد إعلام رسول الله (صلى الله عليه وسلم) بأنهم ينصرون . وجدالهم : قولهم ما كان خروجنا إلا للعير ، **وهلا قلت** لنا لنستعد ونتأهب ؟ وذلك لكراهتهم القتال . ثم شبه حالهم في فرط فزعهم ورعبهم وهم يسار بهم إلى الظفر والغنيمة ، بحال من يقتل إلى القتل ويساق على الصغار إلى الموت المتيقن ، وهو مشاهد لأسبابه ، ناظر إليها لا يشك فيها . وقيل : كان خوفهم لقلة العدد ، وأنهم كانوا رجالة . وروي أنه ما كان فيهم إلا فارسان .

) وإذ يعدكم الله إحدى الطائفتين أنها لكم وتودون أن غير ذات الشوكة تكون لكم ويريد الله أن يحق الحق بكلماته ويقطع دابر الكافرين (٧)

الأنفال : (٧) وإذ يعدكم الله . . . . .

) وإذ (منصوب بإضمار اذكر . و) أنها لكم (بدل من إحدى الطائفتين . والطائفتان : العير والنفير .) غير ذات الشوكة (العير ، لأنه لم يكن فيها إلا أربعون فارسا ، والشوكة كانت في النفير لعددهم وعدتهم : والشوكة : الحدة مستعارة من واحدة الشوك . ويقال : شوك القنا لشباها . ومنها قولهم : شائك السلاح ، أي تتمنون أن تكون لكم العير ، لأنها الطائفة التي لا حدة لها ولا شدة ، ولا تريدون الطائفة الأخرى) أن يحق الحق (أن يثبته ويعليه) بكلماته (بآياته المنزلة في محاربة ذات الشوكة ، وبما أمر الملائكة من نزولهم للنصرة ، وبما قضى من أسرهم وقتلهم وطرحهم في قليب بدر . والدابر الآخر : فاعل من دبر . إذا أدبر . ومنه دابرة الطائر وقطع الدابر عبارة عن الاستئصال ، يعني أنكم تريدون الفائدة العاجلة وسفساف الأمور وأن لا تلقوا ما يرزؤكم في أبدانكم وأحوالكم والله عز وجل يريد معالي الأمور ، وما يرجع إلى عمارة الدين ، ونصرة الحق ، وعلو الكلمة ، والفوز في الدارين . وشتان ما بين المرادين . ولذلك اختار لكم الطائفة ذات الشوكة ، وكسر قوتهم بضعفكم ، وغلب كثرتهم بقلتكم ، وأعزكم وأذلهم ، وحصل لكم ما لا تعارض أدناه العير." (١)

"" صفحة رقم ٦٧٥ "

التمييز ، أي : منقلب تلك ، خير من منقلب هذه ، لأنها فانية وتلك باقية .

) قال له صاحبه وهو يحاوره أكفرت بالذى خلقك من تراب ثم من نطفة ثم سواك رجلا (

الكهف : (٣٧) قال له صاحبه . . . . .

---

(١) تفسير الكشاف . ، ١٨٩/٢

) خلقك من تراب (أي خلق أصلك ، لأن خلق أصله سبب في خلقه ، فكان خلقه خلقا له) سواك (عدلك وكملك إنسانا ذكرا بالغا مبلغ الرجال . جعله كافرا بالله جاحدا لأنعمه لشكه في البعث ، كما يكون المكذب بالرسول (صلى الله عليه وسلم) كافرا .

) لكن هو الله ربى ولا أشرك بربى أحدا (

الكهف : (٣٨) لكن هو الله . . . . . .

) لكن هو الله ربى (أصله لكن أنا ، فحذفت الهمزة وألقيت حركتها على نون لكن ، فتلاقت النونان فكان الإدغام . ونحوه قول القائل : وترمينني بالطرف أي أنت مذنب

وتقلينني لكن إياك لا أقلي

أي : لكن أنا لا أقليك وهو ضمير الشأن ، والشأن الله ربي ، والجملة خبر أنا ، والراجع منها إليه ياء الضمير . وقرأ ابن عامر بإثبات ألف أنا في الوصل والوقف جميعا ، وحسن ذلك وقوع الألف عوضا من حذف الهمزة . وغيره لا يثبتها إلا في الوقف . وعن أبي عمرو أنه وقف بالهاء : لكنه . وقرىء (لكن هو الله ربي) ، بسكون النون وطرح أنا . وقرأ أبي بن كعب : (لكن أنا) على الأصل . وفي قراءة عبد الله (لكن أنا لا إله إلا هو ربي) . فإن قلت : هو استدراك لماذا ؟ قلت : لقوله) أكفرت (قال لأخيه : أنت كافر بالله ، لكني مؤمن موحد ، كما تقول : زيد غائب ، لكن عمرا حاضر .

) ولولا إذ دخلت جنتك قلت ما شآء الله لا قوة إلا بالله إن ترن أنا أقل منك مالا وولدا فعسى ربى أن يؤتين خيرا من جنتك ويرسل عليها حسبانا من السمآء فتصبح صعيدا زلقا أو يصبح مآؤها غورا فلن تستطيع له طلبا (

الكهف : (٣٩ - ٤١) ولولا إذ دخلت . . . . .

) ما شاء الله (يجوز أن تكون) ما (موصولة مرفوعة المحل على أنها خبر مبتدأ محذوف تقديره : الأمر ما شاء الله . أو شرطية منصوبة الموضع والجزاء محذوف ، بمعنى : أي شيء شاء الله كان . ونظيرها في حذف الجواب) لو (في قوله :) ولو أن قرانا سيرت به الجبال (والمعنى : **هلا قلت** عند دخولها والنظر إلى ما رزقك الله منها الأمر ما شاء الله ، اعترافا بأنها وكل خير فيها إنما حصل بمشيئة الله وفضله ، وأن أمرها بيده : إن شاء تركها عامرة وإن شاء خربها ، وقلت) لا قوة إلا بالله (إقرارا بأن ما قويت به على عمارتها وتدبير أمرها إنما هو بمعونته وتأييده ، إذ لا يقوى أحد في بدنه ولا في ملك يده إلا بال له." [١]

---

(١) تفسير الكشاف . ، ٦٧٥/٢

"" صفحة رقم ٣٧٣ "
وأبي ذر وسالم مولى حذيفة . فنزلت . وعن عائشة رضي الله عنها أنها كانت تسخر من زينب بنت خزيمة الهلالية وكانت قصيرة . وعن ابن عباس أن أم سلمة ربطت حقويها بسبنية وسدلت طرفها خلفها وكانت تجره ، فقالت عائشة لحفصة : انظري ما تجر خلفها كأنه لسان كلب . وعن أنس : عيرت نساء رسول الله (صلى الله عليه وسلم) أم سلمة بالقصر . وعن عكرمة عن ابن عباس

(١٠٧٢) أن صفية بنت حيي أتت رسول الله (صلى الله عليه وسلم) فقالت : إن النساء يعيرنني ويقلن يا يهودية بنت يهوديين ، فقال لها رسول الله (صلى الله عليه وسلم) : (**هلا قلت** إن أبي هرون وإن عمي موسى وإن زوجي محمد) ، روي :

(١٠٧٣) أنها نزلت في ثابت بن قيس وكان به وقر ، وكانوا يوسعون له في مجلس رسول الله (صلى الله عليه وسلم) ليسمع ؛ فأتى يوما وهو يقول : تفسحوا لي ، حتى انتهى إلى رسول الله صلى الله تعالى عليه وآله وسلم ، فقال لرجل : تنح ، فلم يفعل ، فقال : من هذا ؟ فقال الرجل : أنا فلان ، فقال : بل أنت ابن فلانة ، يريد : أما كان يعير بها في الجاهلية ، فخجل الرجل فنزلت ، فقال ثابت : لا أفخر على أحد في الحسب بعدها أبدا) الاسم (هاهنا بمعنى الذكر ، من قولهم : طار اسمه في الناس بالكرم أو باللؤم ، كما يقال : طار ثناؤه وصيته . وحقيقته : ما سما من ذكره وارتفع بين الناس . ألا ترى إلى قولهم : أشاد بذكره ؛ كأنه قيل : بئس الذكر المرتفع للمؤمنين بسبب ارتكاب هذه." [١]

"وإخراج الحب من الأرض: هو إخراجه من نباتها فهو جاء منها بواسطة. وهذا إدماج للامتنان في ضمن الاستدلال ولذلك فرع عليه ﴿فمنه يأكلون﴾. وتقديم ﴿منه﴾ على ﴿يأكلون﴾ للاهتمام تنبيها على النعمة ولرعاية الفاصلة.

[٣٤، ٣٥] ﴿وجعلنا فيها جنات من نخيل وأعناب وفجرنا فيها من العيون [٣٤] ليأكلوا من ثمره وما عملته أيديهم أفلا يشكرون [٣٥]﴾.

هذا من إحياء الأرض بإنبات الأشجار ذات الثمار، وهو إحياء أعجب وأتقى وإن كان الإحياء بإنبات الزرع والكلأ أوضح دلالة لأنه سريع الحصول.

وتقدم ذكر ﴿جنات﴾ في أول سورة الرعد [٤].

وتفجير العيون تقدم عند قوله تعالى: ﴿وإن من الحجارة لما يتفجر منه الأنهار﴾ في سورة البقرة [٧٤].

---

(١) تفسير الكشاف ، ٤/٣٧٣

والثمر بفتحتين وبضمتين: ما يغله النخل والأعناب من أصناف الثمر وأصناف العنب والثمرة بمنزلة الحب للسنبل. وقرأ الجمهور: ﴿ثمره﴾ بفتحتين. وقرأه حمزة والكسائي وخلف بضمتين. والنخيل: اسم جمع نخل.

والأعناب جمع عنب، وهو يطلق على شجرة الكرم وعلى ثمرها. وجمع النخيل والأعناب باعتبار تعدد أصناف شجره المثمر أصنافا من ثمره.

وضمير ﴿من ثمره﴾ عائد إلى المذكور، أي من ثمر ما ذكرنا، كقول رؤبة:

فيها خطوط من سواد وبلق ... كأنه في الجلد توليع البهق

فقيل له: **هلا قلت**: كأنها ؟ فقال: أردت كأن ذلك ويلك. وتقدم عند قوله تعالى: ﴿عوان بين ذلك﴾ في سورة البقرة [٦٨].

ويجوز أن يعود الضمير على النخيل وتترك الأعناب للعلم بأنها مثل النخيل. كقول الأزرق بن طرفة بن العمود القراطي ١ الباهلي:

١ كذا في نسخة "تفسير ابن عطية"، ولم أقف على معنى هذه النسبة.." (١)

"﴿قالوا ادع لنا ربك يبين لنا ما هى﴾ ، لما قال لهم موسى : ﴿أعوذ بالله أن أكون من الجاهلين﴾ ، وعلموا أن ما أخبرهم به موسى من أمر الله إياهم بذبح البقرة كان عزيمة وطلبا ، جاز ما قالوا له ذلك ، وهذا القول أيضا فيه تعنيت منهم وقلة طواعية ، إذ لو امتثلوا فذبحوا بقرة ، لكانوا قد أتوا بالمأمور ، ولكن شددوا ، فشدد الله عليهم ، قاله ابن عباس وأبو العالية وغيرهما. وكسر العين من ادع لغة بني عامر ، وقد سبق ذكر ذلك في ﴿فادع لنا ربك يخرج لنا﴾ ، وجزم يبين على جواب الأمر. وما هي : مبتدأ وخبر. وقرأ عبد الله : سل لنا ربك يبين ما هي ، ومفعول يبين : هي الجملة من المبتدأ والخبر ، والفعل معلق ، لأن معنى يبين لنا يعلمنا ما هي ، لأن التبيين يلزمه الإعلام ، والضمير في هي عائد على البقرة السابق ذكرها ، وكأنهم قالوا : يبين لنا ما البقرة التي أمرنا بذبحها ، ولم يريدوا تبيين ماهية البقرة ، وإنما هو سؤال عن الوصف ، فيكون على حذف مضاف ، التقدير : ما صفتها ؟ ولذلك أجيبوا بالوصف ، وهو قوله : ﴿لا فارض ولا بكر﴾ . وإنما سألوا على طريق التعنت ، كما قدمناه ، أو على طريق التعجب من بقرة ميتة يضرب بها ميت فيحيا ، إذ ذاك في غاية الاستغراب والخروج عن المألوف ، أو على طريق أنهم ظنوا قوله : ﴿أن تذبحوا بقرة﴾ من باب المجمل ، فسألوا تبيين ذلك ، إذ تبين المجمل واجب ، أو على رجاء أن

---

(١) التحرير والتنوير، ٢٢٥/٢٢

ينسخ عنهم تكليف الذبح ، لثقل ذلك عليهم ، لكونهم لم يعلموا المعنى الذي لأجله أمروا بذلك. وتقدم معنى قولهم : ﴿ادع لنا ربك﴾ ، كيف خصوا لفظ الرب مضافا إلى موسى ، وذلك لما علموا له عند الله من الخصوصية والمنزلة الرفيعة. وقيل : إنما سألوا موسى استرشادا لا عنادا ، إذ لو كان عنادا لكفروا به وعجلت عقوبتهم ، كما عجلت في قولهم : ﴿أرنا الله جهرة﴾ ، وفي عبادتهم العجل ، وفي امتناعهم من قبول التوراة ، وقولهم : ﴿فاذهب أنت وربك فقاتلا﴾ . وفي الكلام حذف تقديره : فدعا موسى ربه فأجابه.

﴿قال إنه يقول إنها بقرة لا فارض ولا بكر﴾ : صفة لبقرة ، والصفة إذا كانت منفية بلا ، وجب تكرارها ، كما قال :

جزء : ١ رقم الصفحة : ٢٤٧

وفتيان صدق لا ضعاف ولا عزل

فإن جاءت غير مكررة ، فبابها الشعر ، ومن جعل ذلك من الوصف بالمجمل ، فقدر مبتدأ محذوفا ، أي ﴿لا فارض ولا بكر﴾ ، فقد أبعد ، لأن الأصل الوصف بالمفرد ، والأصل أن لا حذف. ﴿عوان﴾ : تفسير لما تضمنه قوله : ﴿لا فارض ولا بكر﴾ . ﴿بين ذالك﴾ : يقتضي بين أن تكون تدخل على ما يمكن التثنية فيه ، ولم يأت بعدها إلا اسم إشارة مفرد ، فقيل : أشير بذلك إلى مفرد ، فكأنه قيل : عوان بين ما ذكر ، فصورته صورة المفرد ، وهو في المعنى مثنى ، لأن تثنية اسم الإشارة وجمعه ليس تثنية ولا جمعا حقيقة ، بل كان القياس يقتضي أن يكون اسم الإشارة لا يثني ولا يجمع ولا يؤنث ، قالوا : وقد أجرى الضمير مجرى اسم الإشارة ، قال رؤبة :

فيها خطوط من سواد وبلقكأنه في الجلد توليع البهق

قيل له : كيف تقول كأنه ؟ وهلا قلت : كأنها ، فيعود على الخطوط ، أو كأنهما ، فيعود على السواد والبلق ؟ فقال : أردت كان ذاك ، وقال لبيد :

إن للخير وللشر مدىوكلا ذلك وجه وقبل

قيل : أراد وكلا ذينك ، فأطلق المفرد وأراد به المثنى ، فيحتمل أن تكون الآية من ذلك ، فيكون أطلق
٢٥١
ذلك ويريد به ذينك ، وهذا مجمل غير الأول. والذي أذهب إليه غير ما ذكروا ، وهو أن يكون ذلك مما حذف منه المعطوف ، لدلالة المعنى عليه ، التقدير : عوان بين ذلك وهذا ، أي بين الفارض والبكر ،

فيكون نظير قول الشاعر :

فما كان بين الخير لو جاء سالماأبو حجر إلا ليال قلائل

أي : فما كان بين الخير وباغيه ، فحذف لفهم المعنى. ﴿سرابيل تقيكم الحر﴾ أي والبرد. وإنما جعلت عوانا لأنه أكمل أحواله ، فالصغيرة ناقصة لتجاوزها حالته. ﴿فافعلوا ما تؤمرون﴾ : أي من ذبح البقرة ، ولا تكرروا السؤال ، ولا تعنتوا في أمر ما أمرتم بذبحه. ويحتمل أن تكون هذه الجملة من قول الله ، ويحتمل أن تكون من قول موسى ، وهو الأظهر. حرضهم على امتثال ما أمروا به ، شفقة منه. وما موصولة ، والعائد محذوف تقديره : ما تؤمرونه ، وحذف الفاعل للعلم به ، إذ تقدم أن الله يأمركم ، ولتناسب أواخر الآي ، كما قصد تناسب الإعراب في أواخر الأبيات في قوله :

ولا بد يوما أن ترد الودائع

جزء : ١ رقم الصفحة : ٢٤٧

إذ آخر البيت الذي قبل هذا قوله :

وما يدرون أين المصارع

." (١)

"﴿فمن الناس من يقول ربنآ ءاتنا فى الدنيا﴾ قالوا : بين تعالى حال الذاكرين له قبل مبعثه ، وحال المؤمنين بعد مبعثه ، وعلمهم بالثواب والعقاب. والذي يظهر أن هذا تقسيم للمأمورين بالذكر بعد الفراغ من المناسك ، وأنهم ينقسمون في السؤال إلى من يغلب عليه حب الدنيا ، فلا يدع إلا بها ، ومنهم من يدعو بصلاح حاله في الدنيا والآخرة ، وأن هذا من الالتفات. ولو جاء على الخطاب لكان : فمنكم من يقول : ومنكم. وحكمة هذا الالتفات أنهم ما وجهوا بهذا الذي لا ينبغي أن يسلكه عاقل ، وهو الاقتصار على الدنيا ، فأبرزوا في صورة أنهم غير المخاطبين بذكر الله بأن جعلوا في صورة الغائبين ، وهذا من التقسيم الذي هو من جملة ضروب البيان ، وهو تقسيم بديع يحصره المقسم إلى هذين النوعين ، لا على ما يذهب إليه الصوفية من أن ثم قسما ثالثا لم يذكر لهم تعالى ، قالوا : وهم الراضون بقضائه ، المستسلمون لامره ، الساكتون عن كل دعآء ، وافتشآء ، ومفعول آتنا الثاني محذوف ، تقديره : ما تريد ، أو : مطلوبنا ، أو ما أشبه.

جزء : ٢ رقم الصفحة : ٨٢

---

(١) تفسير البحر المحيط . (دار الفكر)، ٢١٣/١

هذا وجعل في زائدة ، وتكون الدنيا المفعول الثاني قول ساقط ، وكذلك جعل

١٠٤

في بمعنى : من ، حتى يكون في موضع المفعول ، وحذف مفعولي آتي ، وأحدهما جائز اختصارا واقتصارا ، لأن هذا باب : أعطى ، وذلك جائز فيه.

﴿له فى الاخرة من خلاق﴾ تقدم تفسير هذا في قوله : ﴿ولقد علموا لمن اشتراه ما له فى الاخرة من خلاق﴾ واحتملت هذه الجملة هنا معنيين : أحدهما : الأخبار بأنه لا نصيب له في الآخرة لاقتصاره على الدنيا. والثاني : أن يكون المعنى إخبارا عن الداعي بأنه ما له في الآخرة من طلب نصيب ، فيكون هذا كالتوكيد لاقتصاره على طلب الدنيا ، وجمع في قوله : ﴿ربنآ ءاتنا فى الدنيا﴾ ولو جرى على لفظ من ، لكان : رب آتني. وروعي الجمع هنا لكثرة من يرغب في الاقتصار على مطالب الدنيا ونيلها ، ولو أفرد لتوهم أن ذلك قليل.

﴿ومنهم من يقول ربنآ ءاتنا فى الدنيا حسنة﴾ الحسنة : مطلقة ، والمعنى : أنهم سألوا الله في الدنيا الحالة الحسنة ، وقد مثل المفسرون ذلك بأنها المرأة الصالحة ، قاله علي. أو : العافية في الصحة وكفاف المال ، قاله قتادة. أو : العلم ، أو العبادة ، قاله الحسن. أو : المال ، قاله السدي ، وأبو وائل ، وابن زيد. أو : الرزق الواسع ، قاله مقاتل. أو : النعمة في الدنيا ، قاله : ابن قتيبة ، أو القناعة بالرزق ، أو : التوفيق والعصمة ، أو : الأولاد الأبرار ، أو : الثبات على الإيمان ، أو : حلاوة الطاعة ، أو : اتباع السنة ، أو : ثناء الخلق ، أو : الصحة والأمن والكفاءة والنصرة على الأعداء ، أو : الفهم في كتاب الله تعالى. أو : صحبة الصالحين ، قاله جعفر. وعن الصوفية في ذلك مثل كثيرة.

﴿وفي الاخرة حسنة﴾ مثلوا حسنة الآخرة بأنها الجنة ، أو العفو والمغفرة والسلامة من هول الموقف وسوء الحساب ، أو النعمة ، أو الحور العين ، أو تيسير الحساب ، أو مرافقة الأنبياء ، أو لذة الرؤية ، أو الرضا ، أو اللقاء.

وقال ابن عطية : هي الحسنة بإجماع. قيل : وينبغي أن تكون الحسنتان هما العافية في الدنيا والآخرة لثبوت ذلك في حديث الذي زاره رسول الله صلى الله عليه وسلم وقد صار مثل الفرخ ، وإنه سأله عما كان يدعو به ، فأخبره أنه سأل الله في الدنيا تعجيل ما يعاقبه به في الآخرة ، وأنه قال له : "لا تستطيعه" وقال : "**هلا قلت** اللهم آتنا في الدنيا..." إلى آخره. فدعا بهما الله تعالى فشفاه.

جزء : ٢ رقم الصفحة : ٨٢

وصح أن رسول الله صلى الله عليه وسلم أكثر ما كان يدعو به ، وكان يقول ذلك فيما بين الركن والحجر الأسود ، وكان يأمر أن يكون أكثر دعاء المسلم في الموقوف.

وأبو بكر أول من قالها في الموسم عام الفتح ، ثم اتبعه علي ، والناس أجمعون ؛ وأنس سئل الدعاء فدعا بها ، ثم سئل الزيادة فأعادها ، ثم سئل الزيادة فقال : ما تريدون ؟ قد سألت الله خير الدنيا والآخرة. ". (١)

"وهذا لا نعلم فيه خلافا بخلاف الجمل المتباينة بالخبر والاستفهام والإنشاء فإن في جواز العطف فيها خلافا وقد جوزوا في أن ﴿ءان﴾ تكون مصدرية لا تفسيرية في موضع رفع وفي موضع نصب. فأما الرفع فعلى إضمار مبتدأ دل عليه المعنى أو التقدير المتلو﴿عليكم ألا تشركوا ﴾ . وأما النصب فمن وجوه. أحدها : أن يكون منصوبا بقوله : ﴿عليكم﴾ ويكون من باب الإغراء وتم الكلام عند قوله : ﴿أتل ما حرم ربكم﴾ أي التزموا انتفاء الإشراك وهذا بعيد لتفكيك الكلام عن ظاهره. الثاني : أم يكون مفعولا من أجله أي ﴿أتل ما حرم ربكم عليكم﴾ ﴿عليكم ألا تشركوا ﴾ وهذا بعيد لأن ما جاء بعده أمر معطوف بالواو ومناه هي معطوفة بالواو فلا يناسب أن يكون تبيينا لما حرم ، أما الأوامر فمن حيث المعنى وأما المناهي فمن حيث العطف. الثالث : أن يكون مفعولا بفعل محذوف تقديره أوصيكم أن لا تشركوا لأن قوله : ﴿وبالوالدين إحسانا ﴾ مےمول على أوصيكم ﴿وبالوالدين إحسانا ﴾ وهذا بعيد لأن الإضمار على خلاف الأصل : وهذه الأوجه الثلاثة لا فيها باقية على أصل وضعها من النفي وهو مراد. الرابع : أن يكون في موضع نصب على البدل من ﴿ما حرم﴾ أو من الضمير المحذوف من﴿ما حرم﴾ إذ تقديره ما حرمه وهذان الوجهان لا فيهما زائدة كهي في قوله : ﴿ما منعك أن تسجد﴾ وهذا ضعيف لانحصار عموم المحرم في الإشراك إذ ما بعده من الأمر ليس داخلا من المحرم ولا بعد الأمر مما فيه لا يمكن ادعاء زيادة لا فيه لظهور أن لا فيها للنهي. وقال الزمخشري : فإن قلت **هلا قلت** هي التي تنصب الفعل وجعلت ﴿ألا تشركوا ﴾ بدلا من ﴿ما حرم﴾ قلت : وجب أن يكون لا تشركوا ولا تقربوا ولا تقتلوا ولا تتبعوا السبل نواهي لانعطاف الأوامر عليها وهي قوله : ﴿وبالوالدين إحسانا ﴾ لأن التقدير وأحسنوا ﴿وبالوالدين إحسانا ﴾ وأوفوا وإذا قلتم فاعدلوا وبعهد الله أوفوا ؛ انتهى. ولا يتعين أن تكون جميع الأوامر معطوفة على جميع ما دخل عليه لا لأنا بينا جواز عطف ﴿وبالوالدين إحسانا ﴾ على ﴿تعالوا ﴾ وما بعده معطوف عليه ، ولا يكون قوله : ﴿وبالوالدين إحسانا ﴾ معطوفا على ﴿ءان﴾ و﴿ألا تشركوا ﴾ شامل لمن أشرك بالله الأصنام

---

(١) تفسير البحر المحيط . (دار الفكر)، ٦٥/٢

كقوم إبراهيم ومن أشرك بالله الجن ومن أشرك بنين وبنات. وقال ابن الجوزي : قيل ادعاء شريك لله. وقيل : طاعة غير الله في معصية الله وتقدم تفسير ﴿وبالوالدين إحسانا ﴾ في سورة البقرة.

جزء : ٤ رقم الصفحة : ٢٣٤

﴿ولا تقتلوا أولادكم من إملاق نحن نرزقكم وإياهم﴾ ﴿من﴾ هنا سببية أي من فقر لقوله ﴿خشية إملاق﴾ وقتل الولد حرام إلا بحقه وإنما ذكر هذا السبب لأنه كان العلة في قتل الولد عندهم ، وبين تعالى أنه هو الرازق لهم ولأولادهم وإذا كان هو الرازق فكما لا تقتل نفسك كذلك لا تقتل ولدك. ولما أمر تعالى بالإحسان إلى الوالدين نهى عن الإساءة إلى ا لأولاد ونبه على أعظم الإساءة للأولاد هو إعدام حياتهم بالقتل خوف الفقر كما قال في الحديث وقد سئل عن أكبر الكبائر فذكر الشرك بالله وهو قوله : "أن تجعل لله ندا وهو خلقك" ثم قال : " وأن تقتل ولدك مخافة أن يطعم معك" وقال : " وأن تزاني حليلة جارك" وجاء هذا الحديث منتزعا من هذه الآية وجاء التركيب هنا ﴿نحن نرزقكم وإياهم﴾ ، وفي الإسراء ﴿نحن نرزقهم وإياكم﴾ فيمكن أن يكون ذلك من التفنن في الكلام ويمكن أن يقال في هذه الآية جاء ﴿من إملاق﴾ فظاهره حصول الإملاق للوالد لا توقعه ، وخشيته وإن كان واجدا للمال فبدأ أولا بقوله : ﴿نحن نرزقكم﴾ خطابا للآباء وتبشيرا لهم بزوال الإملاق وإحالة الرزق على الخلاق الرزاق ، ثم عطف عليهم الأولاد. وأما في الإسراء فظاهر التركيب أنهم موسرون وإن قتلهم إياهم إنما هو لتوقع حصول الإملاق والخشية منه فبدىء فيه بقوله : ﴿نحن نرزقهم﴾ إخبارا بتكفله تعلى بـرزقهم فلستم أنتم رازقيهم وعطف عليهم الآباء وصارت الآيتان مفيدتان معنيين. أحدهما : أن الآباء نهوا عن قتل الأولاد مع وجود إملاقهم. والآخر : أنهم نهوا عن قتلهم وإن كانوا موسرين لتوقع الإملاق وخشية وحمل

٢٥١

الآيتين على ما يفيد معنيين أولى من التأكيد.

﴿ولا تقربوا الفواحش ما ظهر منها وما بطن﴾ المنقول فيما ﴿ظهر منها وما بطن﴾ كالمنقول في ﴿وذروا ظاهر الاثم وباطنها ﴾ وتقدم فأغنى عن إعادته.

." (١)

"﴿ترحمون * يا أيها الذين ءامنوا لا يسخر قوم من قوم﴾ : هذه الآية والتي بعدها تأديب للأمة ، لما كان فيه أهل الجاهلية من هذه الأوصاف الذميمة التي وقع النهي عنها. وقيل : نزلت بسبب عكرمة بن

---

(١) تفسير البحر المحيط . (دار الفكر)، ٤/٢٠٤

أبي جهل ، كان يمشي بالنميمة ، وقد أسلم ، فقال له قوم : هذا ابن فرعون هذه الأمة ، فعز ذلك عليه وشكاهم ، فنزلت. وقوم مرادف رجال ، كما قال تعالى : ﴿الرجال قوامون على النسآء﴾ ، ولذلك قابله هنا بقوله : ﴿ولا نسآء من نسآء﴾ ، وفي قول زهير :

وما أدري وسوف إخال أدريأقوم آل حصن أم نساء

وقال الزمخشري : وهو في الأصل جمع قائم ، كصوم وزور في جميع صائم وزائر. انتهى وليس فعل من أبنية الجموع إلا على مذهب أبي الحسن في قوله : إن ركبا جمع راكب. وقال أيضا الزمخشري : وأما قولهم في قوم فرعون وقوم عاد : هم الذكور والإناث ، فليس لفظ القوم بمتعاط للفريقين ، ولكن قصد ذكر الذكور وترك ذكر الإناث ، لأنهن توابع لرجالهن. انتهى. وغيره يجعله من باب التغليب والنهي ، ليس مختصا بانصبابه على قوم ونساء بقيد الجمعية من حيث المعنى ، وإن كان ظاهر اللفظ ذلك ، بل المعنى : لا يسخر أحد من أحد ، وإنما ذكر الجمع ، والمراد به كل فرد فرد ممن يتناوله عموم البدل. فكأنه إذا سخر الواحد ، كان بمجلسه ناس يضحكون على قوله ، أو بلغت سخريته ناسا فضحكوا ، فينقلب الحال إلى جماعة. ﴿عسى أن يكونوا ﴾ : أي المسخور منهم ، ﴿خيرا منهم﴾ : أي من الساخرين بهم. وهذه الجملة مستأنفة ، وردت مورد جواب المستخبر عن العلة الموجبة لما جاء النهي عنه ، أي ربما يكون المسخور منه عند الله خيرا من الساخر ، لأن العلم بخفيات الأمور إنما هو لله تعالى. وعن ابن مسعود :

١١٢

لو سخرت من كلب ، خشيت أن أحول كلبا.

جزء : ٨ رقم الصفحة : ١٠٣

﴿ولا نسآء من نسآء﴾ : روي أن عائشة وحفصة ، رضي الله تعالى عنهما ، رأتا أم سلمة ربطت حقويها بثوب أبيض وسدلت طرفه خلفها ، فقالت عائشة لحفصة : انظري إلى ما يجر خلفها ، كأنه لسان كلب. وعن عائشة ، أنها كانت تسخر من زينب بنت خزيمة الهلالية ، وكانت قصيرة. وعن أنس : كان نساء النبي صلى الله عليه وسلم يعيرن أم سلمة بالقصر. وقالت صفية لرسول الله صلى الله عليه وسلم : يعيرنني ويقلن يا يهودية بنت يهوديين ، فقال لها : **هلا قلت** إن أبي هارون ، وإن عمي موسى ، وإن زوجي محمد ؟ وقرأ عبد الله وأبي : عسوا أن يكونوا ، وعسين أن يكن ، فعسى ناقصة ، والجمهور : عسى فيهما تامة ، وهي لغتان : الإضمار لغة تميم ، وتركه لغة الحجاز.

﴿ولا تلمزوا أنفسكم﴾ : ضم الميم في تلمزوا ، الحسن والأعرج وعبيد عن أبي عمرو. وقال أبو عمرو :

هي عربية ؛ والجمهور ؛ بالكسر ، واللمز بالقول والإشارة ونحوه مما يفهمه آخر ، والهمز لا يكون إلا باللسان ، والمعنى : لا يعب بعضكم بعضا ، كما قال : فاقتلوا أنفسكم ، كأن المؤمنين نفس واحدة ، إذ هم إخوة كالبنيان يشد بعضه بعضا ، وكالجسد إذا اشتكى منه عضو تداعى سائره بالسهر والحمى. ومفهوم أنفسكم أن له أن يعيب غيره ، مما لا يدين بدينه. ففي الحديث : "اذكروا الفاجر بما فيه كي يحذره الناس". وقيل : المعنى لا تفعلوا ما تلمزون به ، لأن من فعل ما استحق اللمز ، فقد لمز نفسه.

﴿ولا تنابزوا بالالقاب﴾ : اللقب إن دل على ما يكرهه المدعو به ، كان منهيا ، وأما إذا كان حسنا ، فلا ينهى عنه. وما زالت الألقاب الحسنة في الأمم كلها من العرب والعجم تجري في مخاطباتهم ومكاتباتهم من غير نكير. وروي أن بني سلمة كانوا قد كثرت فيهم الألقاب ، فنزلت الآية بسبب ذلك. وفي الحديث : "كنوا أولادكم". قال عطاء : مخافة الألقاب. وعن عمر : "أشيعوا الكنى فإنها سنة". انتهى ، ولا سيما إذا كانت الكنية غريبة ، لا يكاد يشترك فيها أحد مع من تكنى بها في عصره ، فإنه يطير بها ذكره في الآفاق ، وتتهادى أخباره الرفاق ، كما جرى في كنيتي بأبي حيان ، واسمي محمد. فلو كانت كنيتي أبا عبد الله أو أبا بكر ، مما يقع فيه الاشتراك ، لم أشتهر تلك الشهرة ، وأهل بلادنا جزيرة الأندلس كثيرا ما يلقبون الألقاب ، حتى قال فيهم أبو مروان الطنبي :

يا أهل أندلس ما عندكم أدببالمشرق الأدب النفاخ بالطيب

جزء : ٨ رقم الصفحة : ١٠٣

يدعى الشباب شيوخا في مجالسهموالشيخ عندكم يدعى بتلقيب." (١)

"٢٨٠

ذلك وقال بعضهم كلاهما سواء فالرياء يدخل في الفرائض والنوافل جميعا وهذا القول أصح لقوله تعالى " وإذا قاموا إلى الصلاة قاموا كسالى يراءون الناس " النساء١٤٢

ثم إن الله تعالى أخبرهم بما لقيت الأنبياء والمؤمنون قبلهم فيعيزيهم ليصبروا فقال تعالى سبحانه " وكأين من نبي قاتل معه " قرأ ابن كثير " وكأين " بمد الألف والهمزة وقرأ الباقون " كأين " بغير مد وفتح الهمزة وباء مكسورة مشددة ومعناهما واحد " كأين " للتكثير وقرأ نافع وابن كثير وأبو عمرو " وكأين من نبي قتل " بضم القاف وكسر التاء وقرأ الباقون " قاتل " فمن قرأ " قاتل " فمعناه كم من نبي قاتل معه جموع كثيرة ومن قرأ " قتل " معناه وكم من نبي قتل وقتل " معه " جماعة كثيرة

---

(١) تفسير البحر المحيط . (دار الفكر)، ٨/٨٥

وقوله تعالى " ربيون كثير " قال الكلبي الربية الواحد عشرة آلاف وقال الزجاج هاهنا قراءتان " ربيون " بضم الراء " وربيون " بالكسر أما بالضم الجماعة الكثيرة ويقال عشرة آلاف وأما الربيون بالكسر العلماء الأتقياء الصبراء على ما يصيبهم في الله ويقال وكأين من نبي قتل يعني كم من نبي قتل وكان معه ربيون كثير " فما وهنوا " بعد قتله عن القتال وما عجزوا بما نزل بهم من قتل أنبيائهم وأنفسهم " لما أصابهم في سبيل الله وما ضعفوا " لعدوهم ويقال وما جبنوا

ثم قال تعالى " وما استكانوا " يقول وما خضعوا لعدوهم ولكنهم صبروا " والله يحب الصابرين " فكأنه يقول للمؤمنين فهلا قاتلتم مع نبيكم صلى الله عليه وسلم وبعد قتله وإن قتل كما قاتلت القرون الماضية من قبلكم إذا أصيبت أنبياؤهم

ثم أخبر عن قول الذين قاتلوا مع النبيين فقال تعالى " وما كان قولهم " عند قتل أنبيائهم " إلا أن قالوا ربنا اغفر لنا ذنوبنا " أي دون الكبائر " وإسرافنا في أمرنا " العظام من الذنوب " وثبت أقدامنا " عند القتال " وانصرنا على القوم الكافرين " معناه **هلا قلتم** كما قالوا ، وقاتلتم كما قاتلوا وقرأ بعضهم " وما كان قولهم " بالضم والمعنى في ذلك أنه جعل القول اسم كان فيكون معناه وما كان قولهم إلا قولهم ربنا اغفر لنا ومن قرأ بالنصب جعل القول خبر كان وجعل الاسم ما بعده

قوله تعالى " فآتاهم " بما قالوا يقول أعطاهم الله " ثواب الدنيا " بالغنيمة والنصرة " وحسن ثواب الآخرة " أي الجنة " والله يحب المحسنين " المؤمنين المجاهدين

سورة آل عمران ١٤٩ – ١٥٠

قوله تعالى " يا أيها الذين آمنوا إن تطيعوا الذين كفروا " يعني المنافقين " يردوكم على أعقابكم "كفارا بعد الإيمان " فتنقلبوا خاسرين " إلى دينكم الأول " بل الله مولاكم " يقول." (١)

"٥٠٢

ولكن حملته الحمية فقال كلا ولكنها عداوتك للخزرج قال فاستبا فقام أسيد بن حضير الأوسي وقال يا سعد بن عبادة أتقول هذا كلا والله ولكنك منافق تحب المنافقين فاستب حي هذا وحي هذا فلما رأى رسول الله صلى الله عليه وسلم اللغط نزل وتركهم وقد تلا عليهم ما أنزل الله تعالى عليه في أمر عائشة رضي الله عنها " إن الذين جاؤوا بالإفك عصبة منكم " يعني جماعة منكم وهو ما قال عبد الله بن أبي وأصحابه ما برئت عائشة من صفوان وما بريء عنها صفوان والعصبة عشرة فما فوقها كما قال الكلبي

---

(١) بحر العلوم .، ٢٨٠/١

" لا تحسبوه شرا لكم " يعني عائشة ومن كان ينسبها والنبي صلى الله عليه وسلم وأبا بكر " بل هو خير لكم " لأنه لو لم يكن قولهم لم يظهر فضل عائشة رضي الله عنها وإنما ظهر فضل عائشة بما صبرت على المحنة فنزل بسببها سبع عشرة آية من القرآن من قوله " إن الذين جاءوا بالإفك " إلى قوله " لهم مغفرة ورزق كريم " ووجه آخر " بل هو خير لكم " لأنه يؤخذ من حسناتهم ويوضع في ميزانه يعني عائشة وصفوان وهذا خير له

ثم قال " لكل إمرئ منهم ما اكتسب من الإثم " يعني لكل واحد منهم العقوبة بمقدار ما شرع في ذلك الأمر لأن بعضهم قد تكلم بذلك وبعضهم ضحك وبعضهم سكت فكل واحد منهم ما اكتسب من الإثم بقدر ذلك

" والذي تولى كبره " يعني الذي تكلم بالقذف " منهم له عذاب عظيم " يعني الحد في الدنيا فأقام النبي صلى الله عليه وسلم الحد وكان حميد يقرأ " والذي تولى كبره " بضم الكاف يعني عظمه قال أبو عبيد والقراءة عندنا بالكسر وإنما الكبر في النسب وفي الولاء

سورة النور ١٢ - ١٥

ثم قال عز وجل " لولا إذ سمعتموه " يعني هلا إذ سمعتم قذف عائشة وصفوان " ظن المؤمنون والمؤمنات بأنفسهم خيرا " يعني هلا ظننتم به كظنكم بأنفسكم ويقال ظن المؤمنون والمؤمنات بأنفسهم كظن المؤمنين والمؤمنات بأمثالهم وبأهل دينهم خيرا ويقال يعني ﻫ لا ظننتم كما ظن المؤمنون والمؤمنات " وقالوا هذا إفك مبين " يعني **هلا قلتم** حين بلغكم هذا الكذب هذا كذب بين وعلمتم أن أمكم لا تفعل ذلك " لولا جاءوا عليه بأربعة شهداء " يعني هلا جاؤوا بها " فإذ لم يأتوا بالشهداء فأولئك عند الله هم الكاذبون " في." (١) ٤٦٢"

أخطأنا الطريق وليست هذه جنتنا

فلما تفحصوا علموا أنها جنتهم وهذا عقوبة لهم فقالوا " بل نحن محرومون " يعني حرمنا منفعتها

" قال أوسطهم " يعني أعدلهم وأعلمهم وأعقلهم " ألم أقل لكم لولا تسبحون " يعني هلا تستثنون في أيمانكم

ويقال كان استثناؤهم التسبيح يعني **هلا قلتم** سبحان الله فندموا على فعلهم و " قالوا سبحان ربنا " يعني نزهوه وعظموه تائبين عن ذنوبهم ويقال معناه نستغفر ربنا

---

(١) بحر العلوم ، ٢/٥٠٢

" إنا كنا ظالمين " يعني ضارين بأنفسنا عاصين بمنعنا المساكين

" فأقبل بعضهم على بعض يتلاومون " يعني جعل بعضهم يلوم بعضهم بعضا بصنيعهم ذلك ثم قالوا بأجمعهم قوله " قالوا يا ويلنا إنا كنا طاغين " يعني عاصين بمنعنا المساكين

ثم قالوا " عسى ربنا أن يبدلنا خيرا منها " يعني يعوضنا خيرا منها في الجنة

" إنا إلى ربنا راغبون " يعني راجين مما عنده

قال الله تعالى "كذلك العذاب " يعني هكذا عذاب الدنيا لمن منع حق الله تعالى

" ولعذاب الآخرة أكبر " لمن لم يتب ولم يرجع عن ذنبه

ويقال هكذا العذاب في الدنيا لأهل مكة بالجوع ولعذاب الآخرة أكبر إن لم يؤمنوا

" لو كانوا يعلمون " يعني لو كانوا يفقهون

ويقال لو كانوا يصدقون

سورة نون والقلم ٣٤ – ٣٩

ثم ذكر ما للمتقين من الثواب فقال تعالى " إن للمتقين عند ربهم " في الآخرة " جنات النعيم "

فلما ذكر الله تعالى نعيم الجنة قال عتبة بن ربيعة إن كان كما يقول محمد صلى الله عليه وسلم فإن لنا في الآخرة أكثر ما للمسلمين لأن فضلنا وشرفنا أكثر فنزل " أفنجعل المسلمين كالمجرمين " يعني أفنركم المجرمين كالمؤمنين ويقال معناه أفنهين المؤمنين كالمجرمن يعني لا يكون حال المسلمين في الهوان والذل كالمشركين

ثم قال تعالى " ما لكم كيف تحكمون " يعني ويحكم كيف تقضون بالجور " أم لكم كتاب فيه تدرسون " يعني ألكم كتاب تقرؤون فيه " إن لكم فيه لما تخيرون " يعني في الكتاب مما تتمنون

" أم لكم أيمان علينا بالغة " يعني ألكم عهد عندنا وثيق " إلى يوم القيامة "

يعني في يوم القيامة

" إن لكم لما تحكمون " يعني ما تقضون به لأنفسكم في الآخرة

سورة نون والقلم ٤٠ – ٤١." (١)

"فصل : لا عبرة في الإجماع بالفرق الضالة دَلَّت الآيةُ على أنّ العِبْرَة بإجْمَاع المُؤمِنين ، فأمَّا من يشكُّ في بإيمانِهِ من سائِرِ الفرقِ فلا عِبْرَةِ بِهِم.

---

(١) بحر العلوم . ، ٤٦٢/٣

فصل : حصر الأدلة أربعة دَلَّت [هذه] الآيةُ على أنَّ ما سِوَى هذه الأصُولِ الأرْبَعَة ، أعني : الكِتَابِ والسُّنَّة والإجْمَاعِ والقياسَ باطِلٌ ؛ لأنه – تعالى – جعل الوَقَائِعِ قِسْمَيْن : أحدهما : مَنْصُوص عليه فأمر فيه بالطَّاعَةِ ، بقوله [– تعالى –] : ﴿أَطِيعُواْ اللَّهَ وَأَطِيعُواْ الرَّسُولَ وَأُوْلِي الأَمْرِ مِنْكُمْ﴾.

والثاني : غير مَنْصُوص عليه [وأمر فيه بالاجتهاد بقوله – تعالى – : ﴿فَإِن تَنَازَعْتُمْ فِي شَيْءٍ فَرُدُّوهُ إِلَى اللَّهِ وَالرَّسُولِ﴾] ، ولم يزد على ذَلِكَ ؛ فدلَّ على أنه لَيْسَ للمكَلَّفِ أن يَتَمَسَّك بشَيْءٍ سِوَى هذه الأرْبَعَة ، فالقَوْلُ بالاسْتِحْسَانِ الذي تَقُولُ به الحَنَفِيَّةُ ،

٤٤٨

والقول بالاسْتِصْحَابِ الذي تقُولُ به المالِكِيَّة قو بَاطِلٌ لهذه الآية.

فصل : في الاقتداء بقول الرسول صلى الله عليه وسلم وفعله المنْقُول عن النَّبِيِّ صلى الله عليه وسلم إن كان قَوْلاً ، وَجَبَ طَاعَتُهُ ؛ لقوله – تعالى – : ﴿أَطِيعُواْ اللَّهَ وَأَطِيعُواْ الرَّسُولَ﴾ وإن كان فِعْلاً ، وجب الاقْتِدَاءُ بِهِ إلاّ ما خصَّه الدَّلِيل ؛ لقوله – تعالى – : ﴿وَاتَّبِعُوهُ﴾ [الأعراف : ١٥٨] ، والمُتَابَعَةُ عِبارَةٌ عن الإتْيَانِ بمثل فِعْل الغَيْرِ ؛ لأجْلِ أنَّ ذلك الغَيْر فَعَلَهُ.

٤٤٩

فصل : الأمر في الشرع يدل على التكرار ظَاهِر الأمْرِ في عُرْفِ الشَّرْع يدل على التِّكْرَارِ لوُجُوه : الأول : أن قوله : ﴿أَطِيعُواْ اللَّهَ﴾ يَصِحُّ منه اسْتِثْنَاء أيّ وقْتٍ كان ، وحُكْمُ الاسْتِثْنَاء إخْرَاج ما لوْلاَهُ لَدَخَل ؛ فوجَبَ أن يكُون قوله : ﴿أَطِيعُواْ اللَّهَ﴾ مُتَنَاوِلاً لكُلِّ الأوْقَاتِ ، وذلِك يَقْتَضِي التَّكْرَار.

والقول الثاني : لو لَمْ يفدْ ذَلِك ، لصارت الآيةُ مُجْمَلة ؛ لأن الوَقْتَ المخصُوصَ والكَيْفِيَّة المخْصُوصَة غير مَذْكُورة ، فإذا حَمَلْنَاهُ على العُمُوم كانت مُبَيِّنة ، وهو أوْلَى من الإجْمَالِ ، أقصَى ما في البَابِ أنَّه يدخل التَّخْصِيص ، والتَّخْصِيص خَيْرٌ من الإجْمَال.

الثالث : أنه أضَاف لَفْظَ الطَّاعَةِ إلى لَفْظِ اللهِ ، [وهذا] يَقْتَضِي أن مَنْشَأ وجوب الطَّاعَةِ هو العُبُودِيَّةُ والرُّبُوبِيَّةِ ، وذلك يَقْتَضِي دوامَ وُجوبِ الطَّاعَةِ على المكَلَّفين إلى يَوْمِ القِيَامَة.

فصل قال – [تعالى] – : " أطيعوا الله " فأفرَدَهُ بالذِّكْر [ثم] قال : " وأطيعوا الرسول وأولي الأمر " وهذا تَعليمٌ من الله لنا الأدب ، ولذلك " رُوِيَ أن رجلاً قال بِحَضْرَة الرَّسُول – عليه الصلاة والسلام – : " مَنْ أطَاعَ اللهَ والرَّسُولَ فَقَدْ رشَدَ ومَنْ يَعْصِهِمَا فقد غَوَى " ، فقال – عليه السلام – : " بِئْس الخَطِيبُ أنْتَ هَلا قُلْتَ : مَنْ عَصَى اللهَ وعَصَى رَسُولَهُ " أو لفظ هذا مَعْنَاه ؛ وذلك لأنَّ الجَمْعَ بينَهُمَا في اللَّفْظِ يوهِمُ

نَوْع مُنَاسَبةٍ ومُجَانَسة ، والله – تعالى – مُنَزَّهٌ عن ذلك.

فصل : في فروع تتعلق بالإجماع دلَّ قوله – تعالى – : ﴿وَأُوْلِي الأَمْرِ مِنْكُمْ﴾ على أن الإجْمَاع حُجَّة ، وهَهُنا فروعٌ : الأوَّل : أن الإجْماع لا يَنْعَقِدُ إلا بقوْل العُلَماء ، الذين يمكِنُهُم اسْتِنْبَاطُ أحْكَامِ الله – تعالى – من نُصُوص الكِتَابِ والسُّنَّةِ ، وهؤلاء هم المُسَمَّون بأهْلِ الحَلِّ والعَقْدِ.

الثاني : اخْتَلَفُوا في الإجماعِ الحَاصِلِ عَقِيب الخلافِ ، هل هو حُجَّة أمْ لاَ ، وهذه

٤٥٠

" (١).

"وهذا لا نَعْلَم فيه خلافاً ، بخلاف الجمل المُتَبايِنَة بالخَبَر والاستِفْهَام والإنْشَاء ؛ فإن في دواز العَطْف فيها خِلافاً انتهى.

الثاني : أن تكون " أنْ " نَاصِبَة للفِعل بعدها ، وهي وما في حَيِّزِهَا في محلِّ نَصْبٍ بدلاً من " مَا حَرَّم ".

٥٠٦

الثالث : أنها النَّاصِبة أيضاً ، وهي وما في حَيِّزها بدلٌ من العَائِد المحذُوف ، إذا التَّقْدير : ما حَرَّمه ، وهلي في المَعْنى كالذي قَبْلَه.

و " لا " على هذهين الوَجْهَيْن زائدة ؛ لئلا يَفْسُد المعنى كزِيَادَتِها شفي قوله – تعالى – : ﴿أَلاَّ تَسْجُدَ﴾ [الأعراف : ١٢] و ﴿لِّئَلاَّ يَعْلَمَ﴾ [الحديد : ٢٩] والتَّقْدير : حرّم ربُّكُم عليككم أن تُشْرِكوا.

قال أبو حيَّان : " وهذا ضَعِيف ؛ لانحصار عُمُوم المحرَّم في الإشْرَاك ؛ إذ ما بعده من الأمْر ليس دَاخِلاً في المُحَرَّم ، ولا ما بعدها الأمر مما فيه لا يمكن ادّعا زِيَادة " لا " فيه ؛ لظهور أنَّ " لاَ " فيه للنهْي " ، ولما مكِّي كونها بَدَلاً من " مَا حَرَّم " [لم يُنَبّه على زيادة " لاَ " ولا بُدَّ منه.

وقد مَنَع الزَّمَخْشَرِيُّ أن يكُون بدلاً من " مَا حَرَّمَ "] فقال : " فإن قُلْتَ : **هلا قُلْت** : فهي الَّتِي تَنْصِب الفِعْل ، وجعلت " ألاَّ تُشْرِكُوا " بدلاً من " ما حَرَّم ".

قلت : وجب أن يكُون : ألاَّ تُشْرِكُوا ، ولا " تَقْرَبوا " و " لا تقْتُلوا " و " لا تَتّبِعُوا السُّبُلَ نواهي ؛ لانعطاف الأوَامِر الأوَامِر عليها ، وهي قوله – تعالى – ﴿وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَاناً﴾ ؛ لأن التقْدير : وأحْسِنُوا بالوالدين إحْسَاناً ، وأوْفُوا وإذا قلتم فاعدلوا ، وبعهد الله أوفوا.

فإن قُلْت : فما تَصْنَع بقوله : ﴿وَأَنَّ هَذَا صِرَاطِي مُسْتَقِيماً فَاتَّبِعُوهُ﴾ [الأنعام : ١٥٣] فيمن قَرَأَ بالفَتْح ؛

(١) تفسير اللباب لابن عادل . ، ص/١٥٠٤

وإننما يستقيم عَطْفُه على " ألاَّ تُشْرِكُوا " إذا جعلْت " أنْ " هي النَّاصِبَة ، حتى يكون المَعْنَى : أتْل عَلَيْكُم نَفْي الإشْرَاكِ ، وأتل عَلَيْكم أنَّ هذا صِرَاطِي مستقياً ؟ قلت : أجْعَلُ قوله : " وأنَّ هَذَا صِراطِي مُسْتَقيماً " علَّةً للاتِّبَاع بتقدير اللام ؛ كقوله ﴿وَأَنَّ الْمَسَاجِدَ لِلَّهِ فَلاَ تَدْعُواْ مَعَ اللَّهِ أَحَداً﴾ [الجن : ١٨] بمعنى : واتَّبْعُوا صراطِي ، لأنَّه مسْتَقِيمٌ ، أو : واتّبِعُوا صِرَاطي أنَّه مُسْتَقيم ".

واعترض عليه أبُو حيَّان بعد السُّؤال الأوّل وجوابه ، وهو : " فإن قلت : " **هلاَّ قُلْت** هي النَّاصِبَة " إلى : و " وبِعْهْد الله أوْفُوا " فقال : لا يَتَعَيَّنُ أن تكُون جِمِيع الأوَامِر معطُوفَة على ما دخل عليه " لا " لأنَّا بيَّنَّا جواز عَطْفِ " وبالوَالِدَيْن إحْساناً " على " تَعَالَوْا " وما بَعْدَه معطوف عليه ، ولا يكون قوله " " وبالوالِدَيْن إحْسَاناًط معطوفاً على " ألا تُشْرِكُوا ".

الرابع : أن تكون " أنْ " النَّاصِبة وما في حَيِّزها مَنْصُوبة على الإغْرَاء بأ " عَلَيْكُم " ، ويكون الكلامُ الأوَّل قد تمَّ عند قوله : " رَبُّكُم " ، ثم ابْتَدأ فقال : عَلَيْكُم ألاَّ تُشْرِكوا ، أي :

٥٠٧

". (١)

"حقًّا فسيكونُ ، وإن تَمْضِ الثلاث ، ولم يكن من ذلك شيء ؛ نكتب عليكم كتاباً أنَّكُمْ أكذبُ هل بيت في العرب قال العباس : فواللَّهِ ما كان منّي إليه كبير فلمَّا كان بعد ثلاث إذْ هو يسمعُ صوتَ ضمضمٍ بن عمرو وهو يصرخ ببطن الوادي واقفاً على بعيره وقد جدع بعيره ، وحول رحله ، وشق قميصه ، وهو يقولُ : يا معشر قريش اللَّطيمة ، أموالكم مع أبي سفيان ، قد عرض لها مُحَمَّدٌ في أصحابه ولا أرى أن تدركوها الغوث.

فخرج أبو جهلٍ بجميع أهل مكَّة وهم النَّفيرُ ، وفي المثل السَّائر : لا في العير ، ولا في النفير ، فقيل له : إنَّ العير قد أخذت طريق السَّاحل ، ونجتْ ، فارجع بالنَّاس إلى مكة ، فقال : لا والله لا يكونُ ذلك أبداً حتَّى ننحرَ الجزور ، ونشرب الخُمُورَ ، ونقيم القينات والمعازف ببدر ، فيتسامع العربُ بخروجنا ، وأنَّ محمداً لم يُصِب العير ، فمضى بهم إلى بدرٍ ، وبدرٌ كانت العربُ تجمع فيه يوماً في السَّنةِ لسوقهم.

" ونزل جبريلُ وقال : إنَّ القوم قد خرجوا من مكَّة على كلِّ صعبٍ وذلولٍ ، وإن الله قد وعدكم أحدى الطائفتين فالعيرُ أحب إليكم أم النفير ؟ .

قالوا : بل العيرُ أحبُّ إلينا من لقاء العدو ، فتغيَّر وجهُ رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وقال : إنَّ العير

---

(١) تفسير اللباب لابن عادل . ، ص/٢٢٥٩

قدمضت على ساحلِ البَحْرِ ، وهذا أبو جهل قد أقبل.

فقالوا : يا رسول الله عليك بالعير ودَع العدُوَّ فقام عند غضب رسول الله صلى الله عليه وسلم أبو بكر وعمر لإأحسنا ، ثمَّ قام سعدُ بنُ عبادة وقال : امْضِ لِمَا أمرك اللَّهُ به ، فواللَّهِ لو سرت إلى عدن ما تخلَّف رجلٌ عنك من الأنصار ، ثم قال المقدادُ بنُ عمرو : يا رسول الله امض لما امرك اللَّهُ ؛ فإنَّ معك حيث أردت ، لا نقولُ لك كما قالت بَنُو إسرائيل لموسى : ﴿فَاذْهَبْ أَنتَ وَرَبُّكَ فَقَاتِلا اا إِنَّا هَاهُنَا قَاعِدُونَ﴾ [المائدة : ٢٤] ولكن نقول : اذْهَبْ أنت وربُّك فقاتلا إنَّا معكما مقاتلون ما دامت عين منَّا تطرف ، فضحك رسولُ اللَّه صلى الله عليه وسلم ثم قال : " سِيرُوا على بركةِ الله ، وأبشروا ، فإنَّ اللَّهَ اللَّهَ قد وعدني إحْدَى الطائفتين ، واللَّهِ لكَأنِّي الآن أنظرُ إلى مصارعِ القوْمِ " عن أنس قال رسُول اللَّهِ صلى الله عليه وسلم " هذا مصرعُ فُلانٍ قال : ويضعُ يدهُ على الأرض ههنا وههنا ، قال : فَمَا مَاطَ أحدهم عن موضع يَدِ رسول الله صلى الله عليه وسلم.

ولمَّا فرغ نبيُّ الله من بدر قال بعضهم : عليك بالعير ، فناداهُ العبَّاسُ وهو في وثاقه : لا يصلحُ ، فقال النبي صلى الله عليه وسلم : لِمَ ؟ قال : لأنَّ اللَّهَ وعدك إحدى الطائفتين وقد أعطاك "

٤٥٥

إذا عرف ذلك نقولُ كانت كراهية القتال حاصلة لبعضهم لقوله تعال : ﴿وَإِنَّ فَرِيقاً مِّنَ الْمُؤْمِنِينَ لَكَارِهُونَ﴾ [الأنفال : ٥] والحق الذي جادلوك فيه رسول الله صلى الله عليه وسلم تليق النفير لايثارهم العير.

جزء : ٩ رقم الصفحة : ٤٥٠

قوله : ﴿بَعْدَمَا تَبَيَّنَ﴾ المرادُ منه : إعلام رسُول اللَّهِ بأنَّهم ينصرون ، وجدالهم قولهم : ما كان خُروجنا إلاَّ للعير ، **وهلاَّ قلت** لنا لنستعدّ ونتأهبّ للقتالِ ؛ لأنَّهم كانُوا يكرهون القتال ثُم إنَّه تعالى شبَّه حالهم في فرط فزعهم بحال من يُجَرّ غلى القتل ، ويُسَاق إلى الموت وهو شاهد لأسبابه ناظر إلى موجبته ، ومنه قوله عليه السَّلأامُ : " من نفى ابنه وهو ينظر إليه " أي يعلم أنَّه ابنه ، كقوله تعالى : ﴿يَوْمَ يَنظُرُ الْمَرْءُ مَا قَدَّمَتْ يَدَاهُ﴾ [النبأ : ٤٠] أي يعلم وكان خوفهم لأمور : أحدها : قلَّة العدد.

وثانيها : كانوا رجَّالة ، روي أنه ما كان فيهم إلا فارسان.

وثالثها : قلة السلاح.

قوله : يُجالدُونك يحتمل أن يكون مُسْتأنفاً إخباراً عن حارهم بالمجادلةِ ، ويحتمل أن يكون حالاً ثانية أي : أخرجك في حال مجادلتهم إيَّاك ، ويحتمل أن يكون حالاً من الضَّمير في لكارهُون ، أي : لكارِهُونَ

في حال جدالٍ.
والظاهرُ أنَّ الضميرَ المرفوع يعودُ على الفريق المتقدِّم.
ومعنى المجادلة قولهم : كيف تُقاتل ولم نستعد للقتال ؟ ويجوزُ أن يعود على الكفَّارِ ، وجدالهم ظاهر.
قوله : بَعْدَ ما تبيَّن منصوب بالجدال ، و " ما " مصدرية ، أي : بعد تَبينِهِ ووضوحه ، وهو أقبحُ من الجدال في الشَّيء قبل إيضاحه.
وقرأ عبد الله " بُيِّن " مبنياً للمفعول من : بَيَّنتُهُ أي : أظهرته ، وقوله : " وهُمْ ينظرُونَ " حالٌ من مفعول يُساقُونَ.
جزء : ٩ رقم الصفحة : ٤٥٥
قوله " وإذْ يعدُكُمُ " " إذْ " منصوب بفعل مقدر ، أي : اذكر إذْ ، والجمهور على رفع الدال ؛ لأنَّه مضارع مرفوع.
وقرأ مسلمة بنُ محاربٍ : بسكونها على التَّخفيفِ لتوالي الحركاتِ.
٦٥٤
." (١)

"قوله : ﴿وَلَوْلا اا إِذْ دَخَلْتَ جَنَّتَكَ قُلْتَ مَا شَآءَ اللَّهُ﴾ : " لولا " تحضيضيَّةٌ داخلة على " قلت " و " إذْ دَخلْتَ " منصوب بـ " قُلْتَ " فصل به بين " لوْلاَ " وما دخلت عليه ، ولم يبال بذلك ؛ لأنه ليس بأجنبيٍّ ، وقد عرفت أنَّ حرف التحضيضِ ، إذا دخل على الماضي ، كان للتَّوبيخ.
ومعنى الكلام : هلاَّ إذا دخلت جنَّتك ، قلت : ما شَاءَ الله ، أي : الأمر ما شاء الله ، وقيل : جوابه مضمرٌ ، أي : ما شاء الله كان.
﴿مَا شَآءَ اللَّهُ﴾ يجوز في " مَا " وجهان : الأول : أن تكون شرطية ؛ فتكون في محلِّ نصبٍ مفعولاً مقدماً وجوباً بـ " شاء " أي : أيَّ شيء شاء الله ، والجواب محذوف ، أي : ما شاء الله ، كان ووقع كما تقدم.
والثاني : أنها موصولة بمعنى " الذي " وفيها حينئذ وجهان : أحدهما : أن تكون مبتدأة ، وخبرها محذوف ، أي : الذي شاء الله كائنٌ وواقعٌ.
والثاني : أنها موصولة بمعنى " الذي " وفيها حينئذ وجهان : أحدهما : أن تكون مبتدأة ، وخبرها محذوف

(١) تفسير اللباب لابن عادل . ، ص/٢٥١١

، أي : الذي شاءه الله ، وعلى كل تقدير : [فهذه الجملة] في محل نصبٍ بالقول.

قوله : " إلاَّ الله " خبر " لا " التبرئةِ ، والجملة أيضاً منصوبة بالقولِ ، أي : **هلاَّ قلت** هاتين الجملتين.

فإن قيل : معنى ﴿لاَ قُوَّةَ إِلاَّ بِاللَّهِ﴾ أي : لا أقدرُ على حفظ مالي ، ولا دفع شيءٍ عنه إلاَّ بالله.

روى هشامُ بن عروة عن أبيه : " أنَّهُ كان إذَا رأى مِنْ مَالِهِ شَيْئاً يُعْجبهُ ، أو دَخَلَ حَائِطاً من حِيطانِه قال : مَا شَاءَ الله لا قُوَّة إلاَّ بالله ".

فالجواب : احتجَّ أهل السنَّة بقوله : ﴿مَا شَآءَ اللَّهُ﴾ على أنَّ كلَّ ما أراده الله واقعٌ ، وكلَّ ما لم يقع ، لم يرده الله تعالى ؛ وهذا يدلُّ على أن الله ما أراد الإيمان من الكافر ، وهو صريحٌ في إبطال قول المعتزلة.

فصل في الرد على استدلال المعتزلة بالآية [ذكر الجبائيُّ] والكعبيُّ بأنَّ تأويل قولهم : " مَا شَاءَ الله " ممَّا تولَّى فعله ، لا ما هو فعل العباد ، كما قالوا : لا مردَّ لأمر الله ، لم يرد ما أمر به العباد ، ثم قال : لا يمتنع أن يحصل في سلطانه ما لا يريد ، كما يحصل فيه ما ينهى عنه.

٤٩٢

واعلم أنَّ الذي ذكره الكعبيُّ ليس جواباً عن الاستدلال ، بل هو التزامٌ لمخالفة ظاهر النصِّ ، وقياس الإرادة على الأمر باطلٌ ؛ لأنَّ هذا النصَّ دالٌّ على أنَّه لا يوجد إلاَّ ما أراده الله ، وليس في النصوص ما يدلُّ على أنَّه لا يدخل في الوجود إلاَّ ما أمر به ، فظهر الفرق.

وأجاب القفَّال عنه بأن قال : هلاَّ إذا دخلت [جنَّتك] ، قلت : ما شاء الله ، أي : هذه الأشياء الموجودةُ في هذا البستان : ما شاء الله ؛ كقول الإنسان ، إذا نظر غلى شيءٍ عمله زيدٌ : عمل زيدٍ ، أي : هذا عمل زيدٍ.

ومثله : ﴿سَيَقُولُونَ ثَلاثَةٌ رَّابِعُهُمْ كَلْبُهُمْ﴾ [الكهف : ٢٢] ، أي : قالوا : ثلاثةٌ ، وقوله : ﴿وَقُولُواْ حِطَّةٌ﴾ [الأعراف : ١٦١] أي : وقولوا : هذه حطَّة ، وإذا كان كذلك ، كان [المراد أن] هذا الشيء الموجود في البستان شيءٌ شاء الله تكوينه ، وعلى هذا التقدير : لم يلزم أن يقال : وقع كلُّ ما شاء الله ؛ لأنَّ هذا الحكم غير عامٍّ في الكلِّ ، بل يختصُّ بالأشياء المشاهدة في البستان ، وهذا التأويلُ الذي ذكره القفَّال أحسن مما ذكره الجبائيُّ والكعبيُّ.

فصل قال ابن الخطيب : وأقول : إنَّه على جوابه لا يندفع الإشكال عن المعتزلة ؛ لأنَّ عمارة ذلك البستان ، ربَّما حصلت بالغصوب ، وبالظُّلم الشديد ؛ فلا يصحُّ أيضاً على قول المعتزلة أن يقال : هذا واقعٌ بمشيئةِ الله ، اللهم ، إلاَّ أن يقال : المراد أنَّ هذه الثمار حصلت بمشيئة الله إلاَّ أنَّ هذا تخصيص لظاهر النصِّ

من غير دليل.
وأمَّا أمر المؤمن الكافر بأن يقول : لا قُوَّة إلاَّ بالله ، أي : لا قُوَّة لأحدٍ على أمر من الأمور إلاَّ بإعانة الله وإقداره.
ثُمَّ إن المؤمن ، لما علَّم الكافر الإيمان ، أجابه عن الافتخار بالمال والنَّفر ، فقال : ﴿إِن تَرَنِ أَنَاْ أَقَلَّ مِنكَ مَالاً وَوَلَداً﴾.
واعلم أن ذكر الولد ها هنا يدلُّ على أنَّ المراد بالنَّفر المذكور في قوله : ﴿وَأَعَزُّ نَفَراً﴾ الأعوان والأولاد.
وقوله : ﴿إِن تَرَنِ أَنَاْ أَقَلَّ﴾ يجوز في " أنا " وجهان : أحدهما : أن يكون مؤكِّداً لياء المتكلم.
والثاني : أنه ضمير الفصل بين المفعولين ، و " أقلَّ " مفعول ثانٍ ، أو حال بحسب الوجهين في الرؤية ، هل هي بصرية أو علمية ؟ إلا أنَّك إذا جعلتها بصرية ، تعيَّن في " أنَا " أن تكون توكيداً ، لا فصلاً ؛ لأنَّ شرطه أن يقع بين مبتدأ وخبر ، أو ما أصله المبتدأ والخبر.
٤٩٣
." (١)

"واغزه، فتثبت] (١) في هذا الضرب ليكون عوضا من المحذوف من الكلمة، فإذا لم يجز هذا أحدا فالأول كذلك لا فصل) (٢).
وقوله تعالى: ﴿هو﴾ من ﴿هو الله ربي﴾ ضمير علامة الحديث والقصة، كما أنه قوله: ﴿فإذا هي شاخصة أبصار الذين كفروا﴾ [الأنبياء: ٩٧] وقوله: ﴿قل هو الله أحد﴾ [الإخلاص: ١] كذلك، ويسمى هذا الضمير على شريطة التفسير، وقد مضت هذه المسألة مشروحة عند قوله: ﴿فأسرها يوسف﴾ [يوسف: ٧٧]. وهذا الضمير يدخل على المبتدأ والخبر، فيصير المبتدأ والخبر في موضع خبره.
وقوله تعالى: ﴿ولا أشرك بربي أحدا﴾ قال أبو إسحاق: (دل خطابه على أن صاحب الجنتين مشرك عابد مع الله غيره) (٣). وهذا من أبي إسحاق قول بمفهوم الخطاب.
٣٩ - ثم أقبل على أخيه يلومه فقال: ﴿ولولا إذ دخلت جنتك﴾ بمعنى: هلا، وتأويله التوبيخ. ﴿قلت ما شاء الله﴾ ذكر الفراء والزجاج في ﴿ما﴾ وجهين:
أحدهما: أنه في موضع رفع على معنى: الأمر ما شاء الله، أو: هو ما شاء الله. والمعنى: أن الأمر بمشيئة الله، وفي هذا رد على الأخ الكافر، حيث قال حين دخل جنته: ﴿ما أظن أن تبيد هذه أبدا﴾ فرد عليه

---

(١) تفسير اللباب لابن عادل . ، ص/٣٤٢٨

الأخ المؤمن وقال: **هلا قلت** حين دخلتها: الأمر بمشيئة الله وما شاء الله كان.

الوجه الثاني: أن ﴿ما﴾ في موضع نصب بـ (شاء) على معنى الشرط

---

(١) ما بين المعقوفين ساقط من الأصل ومثبت في بقية النسخ.

(٢) "الإغفال فيما أغفله الزجاج من المعاني" ص ٩٥٩.

(٣) "معاني القرآن" للزجاج ٣/ ٢٨٦.." [١]

"عيسى وعزير (١) والملائكة: ﴿إن الذين سبقت لهم منا الحسنى أولئك عنها مبعدون﴾ فقالوا: **فهلا قلت** هذا إذ سألناك؟ ولكنك تذكر إذ خلوت.

١٠٣ - ﴿لا يحزنهم الفزع الأكبر:﴾ الموت (٢)، لأنهم مستعدون له، والدنيا (٢٢٥ ظ) سجنهم. وقال الكلبي: الأطباق (٣) على النار بعد خروج المؤمنين منها، وذبح الموت بين الجنة والنار في صورة كبش أملح.

١٠٤ - ﴿يوم نطوي السماء:﴾ ندرجها.

و ﴿السجل:﴾ الصك يطوى. وقيل: ﴿السجل:﴾ الوراق اكاتب. وعن أبي الجوزاء قال: ﴿السجل:﴾ كاتب للنبي عليه السلام. (٤) وذكر أبو عبيد الهروي: أنه اسم ملك من الملائكة. (٥) وعن ابن عباس قال: قام رسول الله صلى الله عليه وسلم بالموعظة، فقال: «أيها الناس، إنكم محشورون إلى الله تعالى عراة غرلا»، ثم قرأ: ﴿كما بدأنا أول خلق نعيده. . .﴾ الآية، قال:

«أول من يكسى يوم القيامة إبراهيم، وإنه سيؤتى برجال من أمتي فيؤخذ بهم ذات الشمال. فأقول: رب أصحابي، فيقال: إنك لا تدري ما (٦) أحدثوا بعدك، فأقول كما قال العبد الصالح:

﴿وكنت عليهم شهيدا ما دمت فيهم فلما توفيتني كنت أنت الرقيب عليهم﴾ [المائدة:١١٧] إلى قوله: ﴿العزيز الحكيم﴾ [المائدة:١١٨]، فيقال: هؤلاء لم يزالوا مرتدين على أعقابهم منذ فارقتهم». (٧)

١٠٥ - وعن ابن عباس في قوله: ﴿أن الأرض يرثها:﴾ الجنة.

﴿في الزبور:﴾ زبور داود عليه السلام.

﴿من بعد الذكر:﴾ التسبيح والتهليل والوعظ. ويحتمل: أن المراد بالذكر التوراة،

---

(١) التفسير البسيط الواحدي ٢١/١٤

(١) ع: والعزير.

(٢) ساقطة من أ.

(٣) الأصول المخطوطة: الاطبا. وما أثبت من تفسير القرطبي ١١/ ٣٤٦.

(٤) أخرجه أبو داود في السنن (٢٩٣٥)، النسائي في الكبرى ٦/ ٤٠٨ (١١٣٣٥)، عن أبي الجوزاء عن ابن عباس وقال الطبري في التفسير: «ولا يعرف لنبينا كاتب كان اسمه (السجل)» وقال ابن كثير في التفسير ٣/ ٢٦٩: «وقد صرح جماعة من الحفاظ بوضعه، وإن كان في سنن أبي داود، منهم شيخنا الحافظ الكبير أبو الحجاج المزي. . .».

(٥) ينظر: تفسير الثوري ٢٠٦، وتفسير القرطبي ١١/ ٣٤٧ عن السدي.

(٦) ع: بما أحدثوا.

(٧) أخرجه البخاري في الصحيح (٤٣٤٩)، والترمذي في السنن (٣١٦٧)، والنسائي في السنن ٤/ ١١٧، أبو يعلى (٢٥٧٨).." [1]

"دونها شيء، فناداه العباس وهو في وثاقه: لا يصلح «١» فقال له النبي صلى الله عليه وسلم: لم؟ قال: لأن الله وعدك إحدى الطائفتين. وقد أعطاك ما وعدك، وكانت الكراهة من بعضهم لقوله وإن فريقا من المؤمنين لكارهون.

[سورة الأنفال (٨) : آية ٦]

يجادلونك في الحق بعد ما تبين كأنما يساقون إلى الموت وهم ينظرون (٦)

والحق الذي جادلوا فيه رسول الله صلى الله عليه وسلم: تلقى النفير، لإيثارهم عليه تلقى العير بعد ما تبين بعد إعلام رسول الله صلى الله عليه وسلم بأنهم ينصرون. وجدالهم: قولهم ما كان خروجنا إلا للعير، **وهلا قلت** لنا لنستعد ونتأهب؟ وذلك لكراهتهم القتال. ثم شبه حالهم في فرط فزعهم ورعبهم وهم يسار بهم إلى الظفر والغنيمة، بحال من يعتل إلى القتل «٢» ويساق على الصغار إلى الموت المتيقن، وهو مشاهد لأسبابه، ناظر إليها لا يشك فيها. وقيل:

كان خوفهم لقلة العدد، وأنهم كانوا رجالة. وروى أنه ما كان فيهم إلا فارسان.

[سورة الأنفال (٨) : آية ٧]

وإذ يعدكم الله إحدى الطائفتين أنها لكم وتودون أن غير ذات الشوكة تكون لكم ويريد الله أن يحق الحق

---

(١) درج الدرر في تفسير الآي والسور ط الفكر الجرجاني، عبد القاهر ٣٢٦/٢

بكلماته ويقطع دابر الكافرين (٧)
إذ منصوب بإضمار اذكر. وأنها لكم بدل من إحدى الطائفتين. والطائفتان:
العير والنفير. غير ذات الشوكة العير، لأنه لم يكن فيها إلا أربعون فارسا، والشوكة كانت في النفير لعددهم وعدتهم: والشوكة: الحدة مستعارة من واحدة الشوك. ويقال: شوك القنا لشباها «٣» . ومنها قولهم: شائك السلاح، أى تتمنون أن تكون لكم العير، لأنها الطائفة التي لا حدة لها ولا شدة، ولا تريدون الطائفة الأخرى أن يحق الحق أن يثبته ويعليه بكلماته بآياته المنزلة في محاربة ذات الشوكة، وبما أمر الملائكة من نزولهم للنصرة، وبما قضى من أسرهم وقتلهم وطرحهم في قليب بدر. والدابر الآخر: فاعل من دبر. إذا أدبر. ومنه دابرة الطائر. وقطع الدابر عبارة عن الاستئصال، يعنى أنكم تريدون الفائدة العاجلة وسفساف

(١) . أخرجه الترمذي وأحمد وإسحاق وأبو يعلى والبزار وابن حيان والحاكم من رواية إسرائيل عن سماك عن عكرمة عن ابن عباس رضى الله عنهما.
(٢) . قوله «بحال من يعتل إلى القتل» أى يجذب جذبا عنيفا. أفاده الصحاح. (ع)
(٣) . قوله «شوك القنا لشباها» شباه كل شيء: حد طرفه، والجمع شبا وشبوات، كذا في الصحاح. مشياها جمع مضاف لضمير القنا. (ع)." [1]

"لكنه. وقرئ: لكن هو الله ربى، بسكون النون وطرح أنا. وقرأ أبى بن كعب: لكن أنا على الأصل. وفي قراءة عبد الله: لكن أنا لا إله إلا هو ربى. فإن قلت: هو استدراك لماذا؟
قلت: لقوله أكفرت قال لأخيه: أنت كافر بالله، لكنى مؤمن موحد، كما تقول: زيد غائب، لكن عمرا حاضر.

[سورة الكهف (١٨) : الآيات ٣٩ الى ٤١]

ولولا إذ دخلت جنتك قلت ما شاء الله لا قوة إلا بالله إن ترن أنا أقل منك مالا وولدا (٣٩) فعسى ربي أن يؤتين خيرا من جنتك ويرسل عليها حسبانا من السماء فتصبح صعيدا زلقا (٤٠) أو يصبح ماؤها غورا فلن تستطيع له طلبا (٤١)
ما شاء الله يجوز أن تكون ما موصولة مرفوعة المحل على أنها خبر مبتدإ محذوف تقديره: الأمر ما شاء الله. أو شرطية منصوبة الموضع والجزاء محذوف، بمعنى: أى شيء شاء الله كان. ونظيرها في حذف

(١) تفسير الزمخشري = الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل الزمخشري ١٩٩/٢

الجواب لو في قوله ولو أن قرآنا سيرت به الجبال والمعنى:

هلا قلت عند دخولها والنظر إلى ما رزقك الله منها الأمر ما شاء الله، اعترافا بأنها وكل خير فيها إنما حصل بمشيئة الله وفضله، وأن أمرها بيده: إن شاء تركها عامرة وإن شاء خربها، وقلت لا قوة إلا بالله إقرارا بأن ما قويت به على عمارتها وتدبير أمرها إنما هو بمعونته وتأييده، إذ لا يقوى أحد في بدنه ولا في ملك يده إلا بالله تعالى. وعن عروة بن الزبير أنه كان يثلم حائطه أيام الرطب، فيدخل من شاء. وكان إذا دخله ردد هذه الآية حتى يخرج. من قرأ أقل بالنصب فقد جعل أنا فصلا، ومن رفع جعله مبتدأ وأقل خبره، والجملة مفعولا.

ثانيا لترنى. وفي قوله وولدا نصرة لمن فسر النفر بالأولاد في قوله وأعز نفرا والمعنى إن ترني أفقر منك فأنا أتوقع من صنع الله أن يقلب ما بى وما بك من الفقر والغنى، فيرزقنى لإيمانى جنة خيرا من جنتك ويسلبك لكفرك نعمته ويخرب بستانك. والحسبان: مصدر كالغفران والبطلان، بمعنى الحساب، أى: مقدارا قدره الله وحسبه، وهو الحكم بتخريبها وقال الزجاج: عذاب حسبان، وذلك الحسبان حساب ما كسبت يداك. وقيل حسبانا مرامي الواحدة حسبانة وهي الصواعق صعيدا زلقا أرضا بيضاء يزلق عليها لملامتها زلقا. وغورا كلاهما وصف بالمصدر.." (١)

"قال عمر رضى الله عنه: أشيعوا الكي فإنها منبهة. ولقد لقب أبو بكر بالعتيق والصديق، وعمر بالفاروق، وحمزة بأسد الله، وخالد بسيف الله. وقل من المشاهير في الجاهلية والإسلام من ليس له لقب، ولم تزل هذه الألقاب الحسنة في الأمم كلها من العرب والعجم تجرى في مخاطباتهم ومكاتباتهم من غير نكير. روى عن الضحاك أن قوما من بنى تميم استهزؤا ببلال وخباب وعمار وصهيب وأبى ذر وسالم مولى حذيفة، فنزلت. وعن عائشة رضى الله عنها أنها كانت تسخر من زينب بنت خزيمة الهلالية وكانت قصيرة. وعن ابن عباس أن أم سلمة ربطت حقويها بسبيبة، «١» وسدلت طرفها خلفها وكانت تجره، فقالت عائشة لحفصة: انظري ما تجر خلفها كأنه لسان كلب. وعن أنس: عيرت نساء رسول الله صلى الله عليه وسلم أم سلمة بالقصر.

وعن عكرمة عن ابن عباس أن صفية بنت حيى أتت رسول الله صلى الله عليه وسلم فقالت: إن النساء يعيرنني ويقلن يا يهودية بنت يهوديين، فقال لها رسول الله صلى الله عليه وسلم: «**هلا قلت** إن أبى هرون وإن عمى موسى وإن زوجي محمد» «٢» وروى أنها نزلت في ثابت بن قيس وكان به وقر، وكانوا

---

(١) تفسير الزمخشري = الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل الزمخشري ٢/٧٢٣

يوسعون له في مجلس رسول الله صلى الله عليه وسلم ليسمع، فأتى يوما وهو يقول: تفسحوا لي، حتى انتهى إلى رسول الله صلى الله تعالى عليه وعلى آله وسلم، فقال لرجل: تنح، فلم يفعل، فقال: من هذا؟ فقال الرجل. أنا فلان، فقال: بل أنت ابن فلانة، يريد: أما كان يعير بها في الجاهلية، فخجل الرجل فنزلت، فقال ثابت: لا أفخر على أحد في الحسب بعدها أبدا «٣» الاسم هاهنا بمعنى الذكر، من قولهم: طار اسمه في الناس بالكرم أو باللؤم، كما يقال: طار ثناؤه وصيته. وحقيقته: ما سما من ذكره وارتفع بين الناس. ألا ترى إلى قولهم: أشاد بذكره، كأنه قيل: بئس الذكر المرتفع للمؤمنين «٤» بسبب ارتكاب

(١) . قوله «حقويها بسبيبة» في الصحاح «السب» : شقة كتان: والسبيبة: مثله. (ع)

(٢) . ذكره الثعلبي عن عكرمة، عن ابن عباس بغير إسناد وفي الترمذي من رواية هاشم بن سعيد الكوفي: حدثنا كنانة حدثتنا صفية بنت حيي قالت «دخلت على النبي صلى الله عليه وسلم وقد بلغني عن عائشة وحفصة كلام. فذكرت ذلك له فقال: ألا قلت: وكيف تكونا خيرا منى وزوجي محمد صلى الله عليه وسلم وأبى هارون وعمى موسى عليهما الصلاة والسلام. وكان الذي بلغها أنهن قلن نحن أكرم على رسول الله صلى الله عليه وسلم منها وخير منها نحن أزواجه وبنات عمه» وقال: غريب. وليس إسناده بذاك. وروى الترمذي وابن حبان وأحمد والطبراني من رواية معمر عن ثابت عن أنس قال. «بلغ صفية أن حفصة قالت بنت يهودى فبكت ... فذكر معناه.

(٣) . ذكره الثعلبي، ومن تبعه عن ابن عباس بغير سند.

(٤) . قال محمود: «الاسم هاهنا الذكر، من قولهم: طار اسمه في الناس بالكرم. كأنه قال: بئس الذكر المرتفع للمؤمنين ... الخ» قال أحمد: أقرب الوجوه الثلاثة ملائمة لقاعدة أهل السنة وأولاها: هو أولها، ولكن بعد صرف الذم إلى نفس الفسق، وهو مستقيم لأن الاسم هو المسمى. ولكن الزمخشري لم يستطع ذلك: انحرافا إلى قاعدة: يصرف الذم إلى ارتفاع ذكر الفسق من المؤمن، تحوما على أن الاسم التسمية، ولا شك أن صرف الذم إلى نفس الفسق أولى. وأما الوجه الثاني، فأدخله ليتم له حمل الاسم على التسمية صريحا. وأما الثالث فليتم له أن الفاسق غير مؤمن، وكلا القاعدتين مخالف للسنة فاحذرهما، وبالله التوفيق. ولقد كشف الله لي عن مقاصده، حتى ما تنقلب له كلمة متحيزة إلى فئة البدعة إلا إذا أدركها الحق فكلمها، ولله الحمد.." [١]

(١) تفسير الزمخشري = الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل الزمخشري ٣٧٠/٤

"والمؤمنات وهي: حمنة بنت جحش بأنفسهم وفيها ثلاثة أقوال: أحدها: بأمهاتهم. والثاني: بأخواتهم. والثالث: بأهل دينهم، لان المؤمنين كنفس واحدة، وقالوا هذا إفك مبين أي: كذب بين. وجاء في التفسير أن أبا أيوب الأنصاري قالت له أمه:

(١٠٢٩) ألا تسمع ما يقول الناس في أمر عائشة؟! فقال: هذا إفك مبين، أكنت يا أماه فاعلته؟ فقالت: معاذ الله، قال: فعائشة والله خير منك فنزلت هذه الآية.

قوله تعالى: لولا جاؤ أي: هلا جاءت العصبة الكاذبة على قذفهم عائشة بأربعة شهداء وقرأ الضحاك، وعاصم الجحدري: «بأربعة» منونة والمعنى: يشهدون بأنهم عاينوا ما رموها به فإذ لم يأتوا بالشهداء فأولئك عند الله أي: في حكمه هم الكاذبون. ثم ذكر القاذفين فقال: ولولا فضل الله عليكم ورحمته أي: لولا ما من الله به عليكم، لمسكم أي: لأصابكم فيما أفضتم أي: أخذتم وخضتم فيه من الكذب والقذف عذاب عظيم في الدنيا والآخرة. ثم ذكر الوقت الذي لولا فضله لأصابهم فيه العذاب فقال إذ تلقونه وكان الرجل منهم يلقى الرجل فيقول: بلغني كذا، فيتلقاه بعضهم من بعض. وقرأ عمر بن الخطاب: «إذ تلقونه» بتاء واحدة خفيفة مرفوعة وإسكان اللام وقاف منقوطة بنقطتين مرفوعة خفيفة وقرأ معاوية، وابن السميفع مثله، إلا أنهما فتحا التاء والقاف. وقرأ ابن مسعود: «تتلقونه» بتاءين مفتوحتين مع نصب اللام وتشديد القاف. وقرأ أبي بن كعب، وعائشة، ومجاهد، وأبو حيوة: «تلقونه» بتاء واحدة خفيفة مفتوحة وكسر اللام ورفع القاف. وقال الزجاج:

«تلقونه» : يلقيه بعضكم إلى بعض وتلقونه معناه: إذ تسرعون بالكذب، يقال: قد ولق يلق: إذا أسرع في الكذب وغيره، قال الشاعر:

جاءت به عنس من الشام تلق

أي: تسرع. وقال ابن قتيبة: «تلقونه» أي: تقبلونه، ومن قرأ: «تلقونه» أخذه من الولق، وهو الكذب.

قوله تعالى: وتقولون بأفواهكم ما ليس لكم به علم أي: من غير أن تعلموا أنه حق وتحسبونه يعني: ذلك القذف هينا أي: سهلا لا إثم فيه وهو عند الله عظيم في الوزر. ثم زاد عليهم في الإنكار فقال: ولولا إذ سمعتموه قلتم ما يكون لنا أي: ما يحل وما ينبغي لنا أن نتكلم بهذا سبحانك وهو يحتمل التنزيه والتعجب. وروت عائشة أن امرأة أبي أيوب الأنصاري قالت له: ألم تسمع ما يتحدث الناس؟! فقال: «ما يكون لنا ان نتكلم بهذا ... » الآية، فنزلت الآية، وقد روينا آنفا أن أمه ذكرت له ذلك، فنزلت الآية المتقدمة، وروي عن سعيد بن جبير أن سعد بن معاذ لما سمع ذلك قال سبحانك هذا بهتان عظيم، فقيل للناس: **هلا قلتم**

كما قال سعد؟! قوله تعالى: يعظكم الله أي: ينهاكم الله أن تعودوا لمثله أي: إلى مثله إن كنتم مؤمنين

أخرجه الطبري ٢٥٨٥٩ من طريق محمد بن إسحاق به، عن بعض رجال بني النجار، فهذا إسناد ضعيف. وأخرجه الواحدي في «أسباب النزول» ٦٣٦ عن عروة عن عائشة رضي الله عنها حدثته بحديث الإفك وقالت فيه: وكان أبو أيوب الأنصاري حين أخبرته امرأته ... وذكر الحديث وفي إسناده عطاء الخراساني، وهو ضعيف.." [١]

"قاله السدي. والسادس: أنه الحنق والغضب على المساكين، قاله الشعبي، وسفيان، وأنشد أبو عبيدة:

أسود شرى لاقت أسود خفية ... تساقوا على حرد دماء الأساود «١»

والسابع: أنه المنع، مأخوذ من حاردت السنة فليس فيها مطر، وحاردت الناقة فليس لها لبن، قاله أبو عبيدة، وابن قتيبة. والثامن: أنه القصد. يقال: حردت حردك، أي: قصدت قصدك، حكاه الفراء، وأبو عبيدة، وابن قتيبة. وأنشدوا:

قد جاء سيل كان من أمر الله ... يحرد حرد الجنة المغلة

أي: يقصد قصدها. قال ابن قتيبة: وفيها لغتان: حرد، وحرد، كما يقال: الدرك، والدرك.

وقوله: قادرين فيه ثلاثة أقوال: أحدها: قادرين على جنتهم عند أنفسهم، قاله قتادة. والثاني:

قادرين على المساكين، قاله الشعبي. والثالث: أن المعنى: منعوا وهم قادرون، أي: واجدون، قاله ابن قتيبة، قوله: فلما رأوها محترقة قالوا إنا لضالون أي: قد ضللنا طريق جنتنا، فليست هذه. ثم علموا أنها عقوبة، فقالوا: بل نحن محرومون أي: حرمنا ثمر جنتنا بمنعنا المساكين قال أوسطهم أي أعدلهم، وأفضلهم لولا أي: هلا تسبحون وفيه ثلاثة أقوال: أحدها: هلا تستثنون عند قولكم:

ليصرمنها مصبحين قاله ابن جريج والجمهور. والمعنى: **هلا قلتم**: إن شاء الله. قال الزجاج: وإنما قيل للاستثناء: تسبيح، لأن التسبيح في اللغة: تنزيه الله عز وجل عن السوء. والاستثناء تعظيم لله، وإقرار بأنه لا يقدر أحد أن يفعل فعلا إلا بمشيئة الله. والثاني: أنه كان استثناؤهم قول: «سبحان الله» قاله أبو صالح. والثالث: هلا تسبحون الله وتشكرونه على ما أعطاكم، حكاه الثعلبي. وقوله تعالى: قالوا سبحان ربنا فنزهوه أن يكون ظالما فيما صنع، وأقروا على أنفسهم بالظلم فقالوا: إنا كنا ظالمين بمنعنا المساكين فأقبل بعضهم

---

(١) زاد المسير في علم التفسير ابن الجوزي ٣/٢٨٤

على بعض يتلاومون أي: يلوم بعضهم بعضا في منع المساكين حقوقهم. يقول هذا لهذا: أنت أشرت علينا. ويقول الآخر: أنت فعلت، ثم نادوا على أنفسهم بالويل، فقالوا: يا ويلنا إنا كنا طاغين حين لم نصنع ما صنع آباؤنا، ثم رجعوا إلى الله تعالى فسألوه أن يبدلهم خيرا منها، فذلك قوله: عسى ربنا أن يبدلنا خيرا منها. وقرأ قوم: «يبدلنا» بالتخفيف، وهما لغتان. وفرق قوم بينهما، فقالوا: التبديل: تغيير حال الشيء وصفته والعين باقية. والإبدال: إزالة الشيء ووضع غيره مكانه.

ونقل أن القوم أخلصوا، فبدلهم الله جنة العنقود منها وقر بغل «٢» .

قوله عز وجل: كذلك العذاب ما فعلنا بهم نفعل بمن تعدى حدودنا. وهاهنا قصة أهل الجنة. ثم قال عز وجل: ولعذاب الآخرة أكبر لو كانوا يعلمون يعني: المشركين. ثم ذكر ما للمتقين عنده بما بعد هذا، فقال المشركون: إنا لنعطى في الآخرة أفضل مما يعطون، فقال تعالى مكذبا لهم: أفنجعل المسلمين كالمجرمين قال الزجاج: هذه ألف الاستفهام مجازها هاهنا مجاز التوبيخ والتقرير.

قوله عز وجل: كيف تحكمون أي: كيف تقضون بالجور، أم لكم كتاب أنزل من عند الله فيه هذا تدرسون أي: تقرؤون ما فيه إن لكم في ذلك الكتاب لما تخيرون أي: ما تختارون وتشتهون. وقرأ أبو الجوزاء، وعاصم الجحدري، وأبو عمران: «أن لكم» بفتح الهمزة. وهذا تقريع

---

(١) البيت للأشهب بن رميلة الذي كان يهاجي الفرزدق، كما في «الكامل» للمبرد ٤٣٨ و «الخزانة» ٢/ ٥٠٨. [.....]

(٢) وقر بغل: حمل بغل.." [1]

"الصلاة والسلام: فاتبعوه وهذا أمر، فوجب أن يكون للوجوب، فثبت أن متابعته واجبة، والمتابعة عبارة عن الإتيان بمثل فعل الغير لأجل أن ذلك الغير فعله، فثبت أن قوله: أطيعوا الله يوجب الاقتداء بالرسول في كل أفعاله، وقوله: وأطيعوا الرسول يوجب الاقتداء به في جميع أقواله، ولا شك أنهما أصلان معتبران في الشريعة.

المسألة التاسعة: اعلم أن ظاهر الأمر وإن كان في أصل الوضع لا يفيد التكرار ولا الفور إلا أنه في عرف الشرع يدل عليه، ويدل عليه وجوه: الأول: أن قوله: أطيعوا الله يصح منه استثناء أي وقت كان، وحكم الاستثناء إخراج ما لولاه لدخل، فوجب أن يكون قوله: أطيعوا الله متناولا لكل الأوقات، وذلك يقتضي

---

(١) زاد المسير في علم التفسير ابن الجوزي ٣٢٤/٤

التكرار، والتكرار يقتضي الفور. الثاني: أنه لو لم يفد ذلك لصارت الآية مجملة، لأن الوقت المخصوص والكيفية المخصوصة غير مذكورة، أما لو حملناه على العموم كانت الآية مبينة، وحمل كلام الله على الوجه الذي يكون مبينا أولى من حمله على الوجه الذي به يصير مجملا مجهولا، أقصى ما في الباب أنه يدخله التخصيص، والتخصيص خير من الإجمال. الثالث: أن قوله: أطيعوا الله أضاف لفظ الطاعة إلى لفظ الله، فهذا يقتضي أن وجوب الطاعة علينا له إنما كان لكوننا عبيدا له ولكونه إلها، فثبت من هذا الوجه أن المنشأ لوجوب الطاعة هو العبودية والربوبية، وذلك يقتضي دوام وجوب الطاعة على جميع المكلفين إلى قيام القيامة/ وهذا أصل معتبر في الشرع.

المسألة العاشرة: أنه قال: أطيعوا الله فأفرده في الذكر، ثم قال: وأطيعوا الرسول وأولي الأمر منكم وهذا تعليم من الله سبحانه لهذا الأدب، وهو أن لا يجمعوا في الذكر بين اسمه سبحانه وبين اسم غيره، وأما إذا آل الأمر إلى المخلوقين فيجوز ذلك، بدليل أنه قال: وأطيعوا الرسول وأولي الأمر منكم وهذا تعليم لهذا الأدب، ولذلك

روي أن واحدا ذكر عند الرسول عليه الصلاة والسلام وقال: من أطاع الله والرسول فقد رشد، ومن عصاهما فقد غوى، فقال عليه الصلاة والسلام: «بئس الخطيب أنت **هلا قلت** من عصى الله وعصى رسوله»

أو لفظ هذا معناه، وتحقيق القول فيه أن الجمع بين الذكرين في اللفظ يوهم نوع مناسبة ومجانسة، وهو سبحانه متعال عن ذلك.

المسألة الحادية عشرة: قد دللنا على أن قوله: وأولي الأمر منكم يدل على أن الإجماع حجة فنقول:

كما أنه دل على هذا الأصل فكذلك دل على مسائل كثيرة من فروع القول بالإجماع، ونحن نذكر بعضها:

الفرع الأول: مذهبنا أن الإجماع لا ينعقد إلا بقول العلماء الذين يمكنهم استنباط أحكام الله من نصوص الكتاب والسنة، وهؤلاء هم المسمون بأهل الحل والعقد في كتب أصول الفقه نقول: الآية دالة عليه لأنه تعالى أوجب طاعة أولي الأمر، والذين لهم الأمر والنهي في الشرع ليس إلا هذا الصنف من العلماء، لأن المتكلم الذي لا معرفة له بكيفية استنباط الأحكام من النصوص لا اعتبار بأمره ونهيه، وكذلك المفسر والمحدث الذي لا قدرة له على استنباط الأحكام من القرآن والحديث، فدل على ما ذكرناه، فلما دلت الآية على أن إجماع أولي الأمر حجة علمنا دلالة الآية على أنه ينعقد الإجماع بمجرد قول هذه الطائفة من العلماء. وأما دلالة الآية على أن العامي غير داخل فيه فظاهر، لأنه من الظاهر أنهم ليسوا من أولي الأمر.

الفرع الثاني: اختلفوا في أن الإجماع الحاصل عقيب الخلاف هل هو حجة؟ والأصح أنه حجة، والدليل." (١)

"- لا في العير ولا في النفير- فقيل له: العير أخذت طريق الساحل ونجت، فارجع إلى مكة بالناس. فقال: لا والله لا يكون ذلك أبدا حتى ننحر الجزور ونشرب الخمور، وتغني القينات والمعازف ببدر فتتسامع جميع العرب بخروجنا، وإن محمدا لم يصب العير فمضى إلى بدر بالقوم. وبدر كانت العرب تجتمع فيه لسوقهم يوما في السنة، فنزل جبريل وقال: يا محمد إن الله وعدكم إحدى الطائفتين، إما العير وإما النفير من قريش، واستشار النبي صلى الله عليه وسلم أصحابه فقال: «مال تقولون إن القوم خرجوا من مكة على كل صعب وذلول. فالعير أحب إليكم أم النفير؟ قالوا بل العير أحب إلينا من لقاء العدو. فتغير وجه رسول الله صلى الله عليه وسلم وقال: إن العير قد مضت على ساحل البحر وهذا أبو جهل قد أقبل فقالوا يا رسول الله عليك بالعير ودع العدو، فقام عند غضب النبي صلى الله عليه وسلم أبو بكر وعمر فأحسنا، ثم قام سعد بن عبادة فقال امض إلى ما أمرك الله به فإنا معك حيثما أردت. فو الله لو سرت إلى عدن لما تخلف عنك رجل من الأنصار. ثم قال المقداد بن عمرو: يا رسول الله امض إلى ما أمرك الله به، فإنا معك حيثما أردت، لا نقول لك كما قالت بنو إسرائيل لموسى: فاذهب أنت وربك فقاتلا إنا هاهنا قاعدون [المائدة: ٢٤] ولكنا نقول: اذهب أنت وربك فقاتلا إنا معكما مقاتلون ما دامت منا عين تطرف.

فضحك رسول الله صلى الله عليه وسلم ثم قال: «سيروا على بركة الله والله لكأني أنظر إلى مصارع القوم»، ولما فرغ رسول الله من بدر، قال بعضهم: عليك بالعير. فناداه العباس وهو في وثاقه، لا يصلح، فقال النبي صلى الله عليه وسلم: لم؟ قال: لأن الله وعدك إحدى الطائفتين، وقد أعطاك ما وعدك.

إذا عرفت هذه القصة فنقول: كانت كراهية القتال حاصلة لبعضهم لا لكلهم، بدليل قوله تعالى: وإن فريقا من المؤمنين لكارهون والحق الذي جادلوا فيه رسول الله صلى الله عليه وسلم تلقي النفير لإيثارهم العير. وقوله: بعد ما تبين المراد منه: إعلام رسول الله بأنهم ينصرون. وجدالهم قولهم: ما كان خروجنا إلا للعير، وهلا قلت لنا؟ لنستعد ونتأهب للقتال، وذلك لأنهم كانوا يكرهون القتال، ثم إنه تعالى شبه حالهم في فرط فزعهم ورعبهم بحال من يجر إلى القتل ويساق إلى الموت، وهو شاهد لأسبابه ناظر إلى موجباته، وبالجملة فقوله: وهم ينظرون كناية عن الجزم والقطع. ومنه

قوله عليه السلام: «من نفى ابنه وهو ينظر إليه»

---

(١) تفسير الرازي = مفاتيح الغيب أو التفسير الكبير الرازي، فخر الدين ١١٧/١٠

أي يعلم أنه ابنه. وقوله تعالى: وم ينظر المرء ما قدمت يداه
[النبأ: ٤٠] أي يعلم.
واعلم أنه كان خوفهم لأمور: أحدها: قلة العدد. وثانيها: أنهم كانوا رجالة.
روي أنه ما كان فيهم إلا فارسان.
وثالثها: قلة السلاح.
المسألة الثالثة:
روي أنه صلى الله عليه وسلم إنما خرج من بيته باختيار نفسه، ثم إنه تعالى أضاف ذلك الخروج إلى نفسه فقال: كمِا أخرجك ربك من بيتك بالحق
وهذا يدل على أن فعل العبد بخلق الله تعالى إما ابتداء أو بواسطة القدرة والداعية اللذين مجموعهما يوجب الفعل كما هو قولنا. قال القاضي معناه: أنه حصل ذلك الخروج بأمر الله تعالى وإلزامه، فأضيف إليه.
قلنا: لا شك أن ما ذكرتموه مجاز، والأصل حمل الكلام على حقيقته.
[سورة الأنفال (٨) : الآيات ٧ الى ٨]
وإذ يعدكم الله إحدى الطائفتين أنها لكم وتودون أن غير ذات الشوكة تكون لكم ويريد الله أن يحق الحق بكلماته ويقطع دابر الكافرين (٧) ليحق الحق ويبطل الباطل ولو كره المجرمون (٨)." (١)

"عنه، واعلم أن الذي ذكر الكعبي ليس جوابا عن الاستدلال بل هو التزام المخالفة لظاهر النص وقياس الإرادة على الأمر، باطل لأن هذا النص دال على أنه لا يوجد إلا ما أراده الله وليس في النصوص ما يدل على أنه لا يدخل في الوجود إلا ما أمر به فظهر الفرق وأجاب القفال عنه بأن قال: هلا إذا دخلت بستانك قلت ما شاء الله كقول الإنسان هذه الأشياء الموجودة في هذا البستان ما شاء الله، ومثله قوله: سيقولون ثلاثة رابعهم كلبهم [الكهف: ٢٢] وهم ثلاثة وقوله: وقولوا حطة [البقرة: ٥٨] أي قولوا هذه حطة وإذا كان كذلك كان المراد من هذا الشيء الموجود في البستان شيء شاء الله تكوينه وعلى هذا التقدير لم يلزم أن يقال كل ما شاء الله وقع لأن هذا الحكم غير عام في الكل بل مختص بالأشياء المشاهدة في البستان وهذا التأويل الذي ذكره القفال أحسن بكثير مما ذكره الجبائي والكعبي، وأقول: إنه على جوابه لا يدفع الإشكال على المعتزلة لأن عمارة ذلك البستان ربما حصلت بالغصوب والظلم الشديد فلا يصح أيضا على قول المعتزلة أن يقال: هذا واقع بمشيئة الله. اللهم إلا أن نقول المراد أن هذه الثمار حصلت بمشيئة

---

(١) تفسير الرازي = مفاتيح الغيب أو التفسير الكبير الرازي، فخر الدين ١٥/٤٥٧

الله تعالى إلا أن هذا تخصيص لظاهر النص من غير دليل. والكلام الثاني: الذي أمر المؤمن الكافر بأن يقوله هو قوله: لا قوة إلا بالله أي لا قوة لأحد على أمر من الأمور إلا بإعانة الله وإقداره. والمقصود أنه قال المؤمن للكافر: **هلا قلت** عند دخول جنتك الأمر ما شاء الله والكائن ما قدره الله اعترافا بأنها وكل خير فيها بمشيئة الله وفضله فإن أمرها بيده إن شاء تركها وإن شاء خربها، **وهلا قلت** لا قوة إلا بالله إقرارا بأن ما قويت به على عمارتها وتدبير أمرها فهو بمعونة الله وتأييده لا يقوى أحد في بدنه ولا في ملك يده إلا بالله ثم إن المؤمن لما علم الكافر الإيمان أجابه عن افتخاره بالمال والنفر فقال: إن ترن أنا أقل منك مالا وولدا من قرأ أقل بالنصب فقد جعل أنا فصلا وأقل مفعولا ثانيا ومن قرأ بالرفع جعل قوله:

أنا مبتدأ وقوله: أقل خبر والجملة مفعولا ثانيا لترن واعلم أن ذكر الولد هاهنا يدل على أن المراد بالنفر المذكور في قوله: وأعز نفرا الأعوان والأولاد كأنه يقول له: إن كنت تراني: أقل مالا وولدا وأنصارا في الدنيا الفانية: فعسى ربي أن يؤتين خيرا من جنتك إما في الدنيا، وإما في الآخرة. ويرسل على جنتك:

حسبانا من السماء أي عذابا وتخريبا والحسبان مصدر كالغفران والبطلان بمعنى الحساب/ أي مقدارا قدره الله وحسبه وهو الحكم بتخريبها. قال الزجاج: عذاب حسبان وذلك الحسبان حسبان ما كسبت يداك وقيل حسبانا أي مرامي الواحد منها حسبانة وهي الصواعق: فتصبح صعيدا زلقا أي فتصبح جنتك أرضا ملساء لا نبات فيها والصعيد وجه الأرض، زلقا أي تصير بحيث تزلق الرجل عليها زلقا ثم قال: أو يصبح ماؤه، غورا أي يغوص ويسفل في الأرض: فلن تستطيع له طلبا أي فيصير بحيث لا تقدر على رده إلى موضعه. قال أهل اللغة في قوله: ماؤها غورا أي غائرا وهو نعت على لفظ المصدر كما يقال: فلان زور وصوم للواحد والجمع والمذكر والمؤنث ويقال نساء نوح أي نوائح ثم أخبر الله تعالى أنه حقق ما قدره هذا المؤمن فقال:

وأحيط بثمره وهو عبارة عن إهلاكه بالكلية وأصله من إحاطة العدو لأنه إذا أحاط به فقد ملكه واستولى عليه ثم استعمل في كل إهلاك ومنه قوله: إلا أن يحاط بكم [يوسف: ٦٦] ومثله قولهم: أتى عليه إذا أهلكه من أتى عليهم العدو إذا جاءهم مستعليا عليهم. ثم قال تعالى: فأصبح يقلب كفيه وهو كناية عن الندم والحسرة فإن من عظمت حسرته يصفق إحدى يديه على الأخرى، وقد يمسح إحداهما على الأخرى، وإنما يفعل هذا ندامة على ما أنفق في الجنة التي وعظه أخوه فيها وعذله: وهي خاوية على عروشها أي

ساقطة على عروشها فيمكن أن يكون المراد بالعروش عروش الكرم فهذه العروش سقطت ثم سقطت الجدران عليها ويمكن أن يراد." (١)

"ربك؟ فيقول: ما أدري فيضرب ضربة يسمعها كل شيء إلا الثقلين الإنس والجن، فلا يسمع شيء صوته إلا لعنه، ويقول له الملك: لا دريت ولا تليت، كذلك كنت في الدنيا. وسادسها: قال أبو مسلم: (اللاعنون) هم الذين آمنوا به، ومعنى اللعن منهم: مباعدة الملعون ومشاقته ومخالفته مع السخط عليه والبراءة منه. قال القاضي: دلت الآية على أن هذا الكتمان من الكبائر لأنه تعالى أوجب فيه اللعن، ويدل على أن أحدا من الأنبياء لم يكتم ما حمل من الرسالة وإلا كان داخلا في الآية.

[سورة البقرة (٢) : آية ١٦٠]

إلا الذين تابوا وأصلحوا وبينوا فأولئك أتوب عليهم وأنا التواب الرحيم (١٦٠)

اعلم أنه تعالى لما بين عظيم الوعيد في الذين يكتمون ما أنزل الله كان يجوز أن يتوهم أن الوعيد يلحقهم على كل حال، فبين تعالى أنهم إذا تابوا تغير حكمهم، ودخلوا في أهل الوعيد، وقد ذكرنا أن التوبة عبارة عن الندم على فعل القبيح لا لغرض سواه، لأن من ترك رد الوديعة ثم ندم عليه لأن الناس ذموه، أو لأن الحاكم رد شهادته لم يكن تائبا، وكذلك لو عزم على رد كل وديعة، والقيام بكل واجب، لكي تقبل شهادة، أو يمدح بالثناء عليه لم يكن تائبا، وهذا معنى الإخلاص في التوبة ثم بين تعالى أنه لا بد له بعد التوبة من إصلاح ما أفسده مثلا لو أفسد على غيره دينه بإيراد شبهة عليه يلزمه إزالة تلك الشبهة، ثم بين ثالثا أنه بعد ذلك يجب عليه فعل ضد الكتمان، وهو البيان وهو المراد بقوله: وبينوا فدلت هذه الآية على أن التوبة لا تحصل إلا بترك كل ما لا ينبغي وبفعل كل ما ينبغي، قالت المعتزلة: الآية تدل على أن التوبة عن بعض المعاصي مع الإصرار على البعض لا تصح، لأن قوله: وأصلحوا عام في الكل. والجواب عنه: أن اللفظ المطلق يكفي في صدقه حصول فرد واحد من أفراده. قال أصحابنا: تدل الآية على أن قبول التوبة غير واجب عقلا، لأنه تعالى ذكر ذلك في معرض المدح والثناء على نفسه ولو كان كذلك واجبا لما حسن هذا المدح ومعنى: أتوب عليهم أقبل توبتهم وقبول التوبة يتضمن إزالة عقاب ما تاب منها فإن قيل: هلا قلتم أن معنى فأولئك أتوب عليهم هو قبول التوبة بمعنى المجازاة والثواب كما تقولون في قبول الطاعة قلنا: الطاعة إنما أفاد قبولها استحقاق الثواب، لأنه لا يستحق بها سواه وهو الغرض بفعلها/ وليس كذلك التوبة لأنها موضوعة لإسقاط العقاب، وهو الغرض بفعلها، وإن كان لا بد من أن يستحق بها الثواب إذا لم يكن

---

(١) تفسير الرازي = مفاتيح الغيب أو التفسير الكبير الرازي، فخر الدين ٤٦٥/٢١

مخطئا، ومعنى قوله: وأنا التواب القابل لتوبة كل ذي توبة فهو مبالغة في هذا الباب، ومعنى الرحيم عقيب ذلك: التنبيه على أنه لرحمته بالمكلفين من عباده، يقبل توبتهم بعد التفريط العظيم منهم.

[سورة البقرة (٢) : الآيات ١٦١ الى ١٦٢]

إن الذين كفروا وماتوا وهم كفار أولئك عليهم لعنة الله والملائكة والناس أجمعين (١٦١) خالدين في٥١ لا يخفف عنهم العذاب ولا هم ينظرون (١٦٢)

اعلم أن في الآية مسائل:

المسألة الأولى: أن ظاهر قوله تعالى: إن الذين كفروا وماتوا وهم كفار عام في حق كل من كان كذلك فلا وجه لتخصيصه ببعض من كان كذلك، وقال أبو مسلم: يجب حمله على الذين تقدم ذكرهم، وهم الذين يكتمون الآيات، واحتج عليه بأنه تعالى لما ذكر حال الذين يكتمون، ثم ذكر حال التائبين منهم، ذكر أيضا حال من يموت منهم من غير توبة، وأيضا أنه تعالى لما ذكر أن أولئك الكاتمين ملعونون حال الحياة، بين في هذه." [١]

"تظلم منه

ولم تنقص من أكلها. شيئا يعهد في سائر البساتين فإن الثمار تتم في عام وتنقص في عام غالبا. وفجرنا خلالهما نهرا ليدوم شربهما فإنه الأصل ويزيد بهاؤهما، وعن يعقوب وفجرنا بالتخفيف.

وكان له ثمر أنواع من المال سوى الجنتين من ثمر ماله إذا كثره. وقرأ عاصم بفتح الثاء والميم، وأبو عمرو بضم الثاء وإسكان الميم والباقون بضمهما وكذلك في قوله وأحيط بثمره فقال لصاحبه وهو يحاوره يراجعه في الكلام من حار إذا رجع. أنا أكثر منك مالا وأعز نفرا حشما وأعوانا. وقيل أولادا ذكورا لأنهم الذين ينفرون معه.

[سورة الكهف (١٨) : الآيات ٣٥ الى ٣٦]

ودخل جنته وهو ظالم لنفسه قال ما أظن أن تبيد هذه أبدا (٣٥) وما أظن الساعة قائمة ولئن رددت إلى ربي لأجدن خيرا منها منقلبا (٣٦)

ودخل جنته بصاحبه يطوف به فيها ويفاخره بها، وإفراد الجنة لأن المراد ما هو جنته وما متع به من الدنيا تنبيها على أن لا جنة له غيرها ولا حظ له في الجنة التى وعد المتقون، أو لاتصال كل واحدة من جنتيه بالأخرى، أو لأن الدخول يكون في واحدة واحدة. وهو ظالم لنفسه ضار لها بعجبه وكفره قال ما أظن أن

(١) تفسير الرازي = مفاتيح الغيب أو التفسير الكبير الرازي، فخر الدين ١٤٢/٤

تبيد أن تفنى. هذه الجنة. أبدا لطول أمله وتمادي غفلته واغتراره بمهلته.

وما أظن الساعة قائمة كائنة. ولئن رددت إلى ربي بالبعث كما زعمت. لأجدن خيرا منها من جنته، وقرأ الحجازيان والشامي «منهما» أي من الجنتين. منقلبا مرجعا وعاقبة لأنها فانية وتلك باقية، وإنما أقسم على ذلك لاعتقاده أنه تعالى إنما أولاه ما أولاه لاستئهاله واستحقاقه إياه لذاته وهو معه أينما تلقاه.

[سورة الكهف (١٨) : الآيات ٣٧ الى ٣٨]

قال له صاحبه وهو يحاوره أكفرت بالذي خلقك من تراب ثم من نطفة ثم سواك رجلا (٣٧) لكنا هو الله ربي ولا أشرك بربي أحدا (٣٨)

قال له صاحبه وهو يحاوره أكفرت بالذي خلقك من تراب لأنه أصل مادتك أو مادة أصلك. ثم من نطفة فإنها مادتك القريبة. ثم سواك رجلا ثم عدلك وكملك إنسانا ذكرا بالغا مبلغ الرجال. جعل كفره بالبعث كفرا بالله تعالى لأن منشأه الشك في كمال قدرة الله تعالى، ولذلك رتب الإنكار على خلقه إياه من التراب فإن من قدر على بدء خلقه منه قدر أن يعيده منه.

لكنا هو الله ربي ولا أشرك بربي أحدا أصله لكن أنا فحذفت الهمزة بنقل الحركة أو دونه فتلاقت النونان فكان الإدغام، وقرأ ابن عامر ويعقوب في رواية بالألف في الوصل لتعويضها من الهمزة أو لإجراء الوصل مجرى الوقف، وقد قرئ «لكنا أنا» على الأصل وهو ضمير الشأن وهو بالجملة الواقعة خبرا له خبر «أنا» أو ضمير الله والله بدله وربي خبره والجملة خبر «أنا» والاستدراك من أكفرت كأنه قال: أنت كافر بالله لكني مؤمن به، وقد قرئ «لكن هو الله ربي ولكن أنا لا إله إلا هو ربي» .

[سورة الكهف (١٨) : آية ٣٩]

ولولا إذ دخلت جنتك قلت ما شاء الله لا قوة إلا بالله إن ترن أنا أقل منك مالا وولدا (٣٩)

ولولا إذ دخلت جنتك قلت **وهلا قلت** عند دخولها. ما شاء الله الأمر ما شاء أو ما شاء كائن على أن ما موصولة، أو أي شيء شاء الله كان على أنها شرطية والجواب محذوف إقرارا بأنها وما فيها بمشيئة الله إن شاء أبقاها وإن شاء أبادها. لا قوة إلا بالله وقلت لا قوة إلا بالله اعترافا بالعجز على نفسك والقدرة لله، وإن ما تيسر لك من عمارتها وتدبير أمرها فبمعونته وإقداره.

وعن النبي صلى الله عليه وسلم «من رأى شيئا فأعجبه فقال ما شاء الله لا قوة إلا بالله لم يضره» .

إن ترن أنا أقل منك مالا وولدا يحتمل أن يكون فصلا وأن يكون." (١)

---

(١) تفسير البيضاوي = أنوار التنزيل وأسرار التأويل ناصر الدين البيضاوي ٣/٢٨١

"الله

في مخالفة حكمه والإهمال فيه. لعلكم ترحمون على تقواكم.

"يجادلونك في الحق بعدما تبين كأنما يساقون إلى الموت وهم ينظرون (٦)

﴿يجادلونك في الحق﴾ الحق الذي جادلوا فيه رسول الله صلى الله عليه وسلم تلقى النفير لإيثارهم عليه تلقى العير ﴿بعد ما تبين﴾ بعد اعلام رسول الله صلى الله عليه وسلم بانهم ينصرون وجدالهم قولهم ماكان خروجناا إلا للعيبر **وهلا قلتلنا** لنستعد وذلك لكراهتهم القتالر ﴿كأنما يساقون إلى الموت وهم ينظرون﴾ شبه حالهم في فرط فزعهم وهم يسار بهم إلى الظفر والغنيمة بحال من يعتل إلى القتل ويساق على الصفار إلى الموت وهو مشاهد لأسبابه ناظر إليها لا يشك فيها وقيل كان خوفهم لقلة العدد وأنهم كانوا رجالة وما كان فيهم إلا فارسان." (١)

"منصوبة الموضع والجزاء محذوف يعني أي شيء شاء الله كان والمعنى **هلا قلت** عند دخولها والنظر إلى ما رزقك الله منها الأمر ما شاء الله اعترافا بأنها وكل ما فيها إنما حصل بمشيئته الله وأن أمرها بيده إن شاء تركها عامرة وإن شاء خربها ﴿لا قوة إلا بالله﴾ إقرارا بأن ما قويت به على عمارتها وتدبير أمرها هو بمعونته وتأييده

الكهف (٣٩ - ٤٣)

من قرأ ﴿إن ترن أنا أقل منك مالا﴾ بنصب أقل فقد جعل أنا فصلا ومن رفع وهو الكسائي جعله مبتدأ وأقل خبره والجملة مفعولا ثانيا لترني وفي قوله ﴿وولدا﴾ نصرة لمن فسر النفر بالأولاد في قوله وأعز نفرا." (٢)

"ولولا إذ سمعتموه قلتم ما يكون لنا أن نتكلم بهذا سبحانك هذا بهتان عظيم (١٦)

﴿ولولا﴾ وهلا ﴿إذ سمعتموه قلتم ما يكون لنا أن نتكلم بهذا﴾ فصل بين لولا وقلتم الظرف لأن للظروف شأنا وهو تنزلها من الأشياء منزلة أنفسها لوقوعها فيها وأنها لا تنفك عنها فلذا يتسع فيها ما لا يتسع في غيرها وفائدة تقديم الظرف أنه كان الواجب عليهم أن يتفادوا أول ما سمعوا بالإفك عن التكلم به فلما كان ذكر الوقت أهم قدم والمعنى

النور (١٦ - ٢١)

---

(١) تفسير النسفي = مدارك التنزيل وحقائق التأويل النسفي، أبو البركات ٦٣٢/١

(٢) تفسير النسفي = مدارك التنزيل وحقائق التأويل النسفي، أبو البركات ٣٠٢/٢

﴿سبحانك هذا بهتان عظيم يعظكم الله أن تعودوا لمثله أبدا إن كنتم مؤمنين﴾

هلا قلتم إذ سمعتم الإفك ما يصح لنا أن نتكلم بهذا ﴿سبحانك﴾ للتعجب من عظم الأمر ومعنى التعجب في كلمة التسبيح أن الأصل ان يسبح الله عند رؤية العجيب من صنائعه ثم كثر حتى استعمل في كل متعجب منه أو لتنزيه الله من أن تكون حرمة نبيه فاجرة وإنما جاز أن تكون امرأة النبي كافرة كامرأة نوح ولوط ولم يجز أن تكون فاجرة لأن النبي مبعوث إلى الكفار ليدعوهم فيجب أن لا يكون معه ما ينفرهم عنه والكفر غير منفر عندهم وأما الكشخنة فمن أعظم المنفرات ﴿هذا بهتان﴾ زوربيهت من يسمع ﴿عظيم﴾ وذكر فيما تقدم هذا إفك مبين ويجوز أن يكونوا أمروا بهما مبالغة في التبري." (١)

"مسعود فأخبرناه بما قالوا قال فما رددتم عليهم قلنا لم نرد عليهم شيئا قال **هلا قلتم** لهم أمن أهل الجنة أنتم إن المؤمنين هم أهل الجنة؟ وقال سفيان الثوري: من زعم أنه مؤمن حقا عند الله ثم لم يشهد أنه في الجنة فقد آمن بنصف الآية دون النصف الآخر.

الوجه الرابع: إن قولنا أنا مؤمن إن شاء الله للتبرك لا للشك فهو كقوله صلى الله عليه وسلم «وإنا إن شاء الله بكم لاحقون» مع العلم القطعي أنه لاحق بأهل القبور.

الوجه الخامس: إن المؤمن لا يكون مؤمنا حقا إلا إذا ختم له بالإيمان ومات عليه وهذا لا يحصل إلا عند الموت، فلهذا السبب حسن أن يقول: أنا مؤمن إن شاء الله. فالمراد صرف هذا الاستثناء إلى الخاتمة. وأجاب أصحاب هذا القول، وهم أصحاب الإمام الشافعي رضي الله تعالى عنهم، عن استدلال أصحاب أبي حنيفة رضي الله تعالى عنهم بقولهم: إن المتحرك لا يجوز أن يقول أنا متحرك إن شاء الله بأن الفرق بين وصف الإنسان بكونه مؤمنا وبين وصفه بكونه متحركا أن الإيمان يتوقف حاله على الخاتمة والحركة فعل يقيني فحصل الفرق بينهما والجواب عن الوجه الثاني وهو قولهم إنه سبحانه وتعالى قال: أولئك هم المؤمنون حقا فقد حكم لهم بكونهم مؤمنين حقا أنه تعالى حكم للموصوفين بتلك الصفات المذكورة في الآية بكونهم مؤمنين حقا إذا أتوا بتلك الأوصاف الخمسة ولا يقدر أحد أن يأتي بتلك الأوصاف على الحقيقة ونحن نقول أيضا إن من أتى بتلك الأوصاف على الحقيقة كان مؤمنا حقا ولكن لا يقدر على ذلك أحد والله أعلم بمراده وأسرار كتابه.

وقوله تعالى: لهم درجات عند ربهم يعني لهم مراتب بعضها أعلى من بعض لأن المؤمنين تتفاوت أحوالهم في الأخذ تلك الأوصاف المذكورة فلهذا تتفاوت مراتبهم في الجنة لأن درجات الجنة على قدر الأعمال.

---

(١) تفسير النسفي = مدارك التنزيل وحقائق التأويل النسفي، أبو البركات ٢/٤٩٤

قال عطاء: درجات الجنة يرتقون فيها بأعمالهم، وقال الربيع بن أنس: درجات الجنة سبعون درجة ما بين الدرجتين حضر الفرس المضمر سبعين سنة وعن أبي هريرة قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم «إن في الجنة مائة درجة ما بين كل درجتين مائة عام» أخرجه الترمذي وله عن أبي سعيد أن النبي صلى الله عليه وسلم قال «إن في الجنة مائة درجة لو أن العالمين اجتمعوا في إحداهن لوسعتهم» ومغفرة يعني ولهم مغفرة لذنوبهم ورزق كريم يعني ما أعد لهم في الجنة وصفه بكونه كريما لأن منافعه حاصلة لهم دائمة عليهم مقرونة بالإكرام والتعظيم.

[سورة الأنفال (٨): الآيات ٥ الى ٧]

كما أخرجك ربك من بيتك بالحق وإن فريقا من المؤمنين لكارهون (٥) يجادلونك في الحق بعد ما تبين كأنما يساقون إلى الموت وهم ينظرون (٦) وإذ يعدكم الله إحدى الطائفتين أنها لكم وتودون أن غير ذات الشوكة تكون لكم ويريد الله أن يحق الحق بكلماته ويقطع دابر الكافرين (٧)

قوله سبحانه وتعالى: كما أخرجك ربك من بيتك بالحق اختلفوا في الجالب لهذه الكاف ما هو؟ فقال المبرد: تقديره قل الأنفال لله والرسول وإن كرهوا كما أخرجك ربك من بيتك بالحق وإن كرهوا. وقيل: معناه امض لأمر ربك في الأنفال وإن كرهوا كما مضيت لأمر ربك في الخروج من البيت لطلب العير وهم كارهون. وقيل: معناه فاتقوا الله وأصلحوا ذات بينكم فإن ذلك خير لكم كما أن إخراج محمد صلى الله عليه وسلم من بيته بالحق هو خير لكم وإن كرهه فريق منكم. وقيل: هو راجع لقوله سبحانه وتعالى: لهم درجات عند ربهم تقديره وعد الله المؤمنين بالدرجات حق حتى ينجزه الله تعالى كما أخرجك ربك من بيتك بالحق وأنجز الوعد بالنصر والظفر.

وقيل: هي متعلقة بما بعدها تقديره كما أخرجك ربك من بيتك بالحق على كره فريق منهم كذلك يكرهون القتال ويجادلونك فيه. وقيل: الكاف بمعنى على أي امض على الذي أخرجك ربك من بيتك بالحق فإنه حق. وقيل:

الكاف بمعنى القسم تقديره والذي أخرجك ربك من بيتك وجوابه يجادلونك في الحق. وقيل: الكاف بمعنى إذ." (١)

"وكان له أي لصاحب البستان ثمر قرئ بالفتح جمع ثمرة وقرئ بالضم وهو الأموال الكثيرة المثمرة من كل صنف من الذهب والفضة وغيرهما فقال يعني صاحب البستان لصاحبه يعني المؤمن وهو يحاوره

---

(١) تفسير الخازن لباب التأويل في معاني التنزيل الخازن ٢٩٣/٢

أي يخاطبه أنا أكثر منك مالا وأعز نفرا أي عشيرة ورهطا وقيل خدما وحشما ودخل جنته يعني الكافر آخذا بيد أخيه المؤمن يطوف به فيها ويريه إياها وهو ظالم لنفسه أي بكفره فتوهم أنها لا تفنى أبدا وأنكر البعث فقال وما أظن الساعة قائمة أي كائنة ولئن رددت إلى ربي فإن قلت كيف قال ولئن رددت إلى ربي وهو منكر للبعث قلت معناه ولئن رددت إلى ربي على ما نزعم من أن الساعة آتية لأجدن خيرا منها منقلبا أي يعطيني هناك خيرا منها لأنه لم يعطني الجنة في الدنيا إلا ليعطيني في الآخرة أفضل منها قال له صاحبه يعني المؤمن وهو يحاوره أكفرت بالذي خلقك من تراب أي خلق أصلك من تراب لأن خلق أصله سبب في خلقه فكان خلقا له ثم من نطفة ثم سواك رجلا أي عداك بشرا سويا وكملك إنسانا ذكرا بالغ مبلغ الرجال لكنا هو الله ربي مجازه لكن أنا هو الله ربي ولا أشرك بربي أحدا ولولا أي هلا إذ دخلت جنتك قلت ما شاء الله والمعنى **هلا قلت** عند دخولها والنظر إلى ما رزقك الله منها ما شاء الله اعترافا بأنها وكل خير فيها إنما حصل بمشيئة الله تعالى وفضله وأن أمرها بيده وأنه إن شاء تركها عامرة وإن شاء تركها خرابا لا قوة إلا بالله أي وقلت لا قوة إلا بالله إقرارا بأن ما قويت به على عمارتها وتدبير أمرها بمعونة الله وتأييده ولا أقدر على حفظ مالي ودفع شيء عنه إلا بالله. روي عن عروة بن الزبير أنه كان إذا رأى من ماله شيئا يعجبه أو دخل حائطا من حيطانه قال ما شاء لا قوة إلا بالله الحائط البستان إن ترن أنا أقل منك مالا وولدا أي لأجل ذلك تكبرت علي وتعظمت فعسى ربي أي فلعل ربي أن يؤتين أي يعطيني خيرا من جنتك يعني في الآخرة ويرسل عليها أي على جنتك حسبانا قال ابن عباس: نارا، وقيل مرامي من السماء وهي الصواعق فتهلكها فتصبح صعيدا زلقا أي أرضا جرداء ملساء لا نبات فيها وقيل تزلق فيها الأقدام وقيل رملا هائلا أو يصبح ماؤها غورا غائرا ذاهبا لا تناله الأيدي ولا الدلاء فلن تستطيع له طلبا يعني إن طلبته لم تجده وأحيط بثمره يعني أحاط العذاب بثمر جنته وذلك أن الله تعالى أرسل عليها من السماء نارا فأهلكها وغار ماؤها فأصبح يعني صاحبها الكافر يقلب كفيه يصفق بكف على كف ويقلب كفيه ظهرا لبطن تأسفا وتلهفا على ما أنفق فيها المعنى فأصبح يندم على ما أنفق في عمارتها وهي خاوية على عروشها أي ساقطة سقوفها وقيل إن كرومها المعرشة سقطت عروشها في الأرض ويقول يا ليتني لم أشرك بربي أحدا يعني أنه تذكر موعظة أخيه المؤمن فعلم أنه أتى من جهة شركه وطغيانه فتمنى لو لم يكن مشركا ولم تكن له فئة أي جماعة ينصرونه من دون الله أي يمنعونه من عذاب الله وما كان منتصرا أي ممتنعا لا يقدر على الانتصار لنفسه وقيل معناه لا يقدر على رد ما ذهب منه. قوله سبحانه وتعالى هنالك الولاية قرئ بكسر الواو يعني السلطان في القيامة لله الحق وقرئ بفتحها من الموالاة والنصرة، يعني أنهم يتولونه يومئذ ويتبرؤون مما كانوا يعبدون

من دونه في الدنيا هو خير ثوابا أي أفضل جزاء لأهل طاعته لو كان غيره يثيب وخير عقبا يعني عاقبة طاعته خير من عاقبة طاعة غيره فهو خير إثابة وعاقبة قوله عز وجل:

[سورة الكهف (١٨): الآيات ٤٥ الى ٤٨]

واضرب لهم مثل الحياة الدنيا كماء أنزلناه من السماء فاختلط به نبات الأرض فأصبح هشيما تذروه الرياح وكان الله على كل شيء مقتدرا (٤٥) المال والبنون زينة الحياة الدنيا والباقيات الصالحات خير عند ربك ثوابا وخير أملا (٤٦) ويوم نسير الجبال وترى الأرض بارزة وحشرناهم فلم نغادر منهم أحدا (٤٧) وعرضوا على ربك صفا لقد جئتمونا كما خلقناكم أول مرة بل زعمتم ألن نجعل لكم موعدا (٤٨)." [١]

"قدمناه، أو على طريق التعجب من بقرة ميتة يضرب بها ميت فيحيا، إذ ذاك في غاية الاستغراب والخروج عن المألوف، أو على طريق أنهم ظنوا قوله: أن تذبحوا بقرة من باب المجمل، فسألوا تبيين ذلك، إذ تبيين المجمل واجب، أو على رجاء أن ينسخ عنهم تكليف الذبح، لثقل ذلك عليهم، لكونهم لم يعلموا المعنى الذي لأجله أمروا بذلك.

وتقدم معنى قولهم: ادع لنا ربك، كيف خصوا لفظ الرب مضافا إلى موسى، وذلك لما علموا له عند الله من الخصوصية والمنزلة الرفيعة. وقيل: إنما سألوا موسى استرشادا لا عنادا، إذ لو كان عنادا لكفروا به وعجلت عقوبتهم، كما عجلت في قولهم: أرنا الله جهرة «١» ، وفي عبادتهم العجل، وفي امتناعهم من قبول التوراة، وقولهم: فاذهب أنت وربك فقاتلا «٢» . وفي الكلام حذف تقديره: فدعا موسى ربه فأجابه. قال إنه يقول إنها بقرة لا فارض ولا بكر: صفة لبقرة، والصفة إذا كانت منفية بلا، وجب تكرارها، كما قال: وفتيان صدق لا ضعاف ولا عزل فإن جاءت غير مكررة، فبابها الشعر، ومن جعل ذلك من الوصف بالمجمل، فقدر مبتدأ محذوفا، أي لا هي فارض ولا بكر، فقد أبعد، لأن الأصل الوصف بالمفرد، والأصل أن لا حذف. عوان: تفسير لما تضمنه قوله: لا فارض ولا بكر. بين ذلك: يقتضي بين أن تكون تدخل على ما يمكن التثنية فيه، ولم يأت بعدها إلا اسم إشارة مفرد، فقيل: أشير بذلك إلى مفرد، فكأنه قيل: عوان بين ما ذكر، فصورته صورة المفرد، وهو في المعنى مثنى، لأن تثنية اسم الإشارة وجمعه ليس تثنية ولا جمعا حقيقة، بل كان القياس يقتضي أن يكون اسم الإشارة لا يثنى ولا يجمع ولا يؤنث، قالوا: وقد أجرى الضمير مجرى اسم الإشارة، قال رؤبة:

فيها خطوط من سواد وبلق ... كأنه في الجلد توليع البهق

---

(١) تفسير الخازن لباب التأويل في معاني التنزيل الخازن ١٦٥/٣

قيل له: كيف تقول كأنه؟ **وهلا قلت**: كأنها، فيعود على الخطوط، أو كأنهما، فيعود على السواد والبلق؟ فقال: أردت كان ذاك، وقال لبيد:

إن للخير وللشر مدى ... وكلا ذلك وجه وقبل

---

(١) سورة المائدة: ٥/ ٢٤.

(٢) سورة النساء: ٤/ ١٥٣.." [(١)]

"وما أمركم به لدلالة ما حرم عليه، لأن معنى ما حرم ربكم: ما نهاكم ربكم عنه فالمعنى: تعالوا أتل ما نهاكم ربكم عنه وما أمركم به، وإذا كان التقدير هكذا صح أن تكون «أن» تفسيرية لفعل/ النهي الدال عليه التحريم وفعل الأمر المحذوف، ألاى ترى أنه يجوز أن تقول: «أمرتك أن لا تكرم جاهلا وأكرم عالما» إذ يجوز أن يعطف الأمر على النهي والنهي على الأمر كما قال:

٢١١٨ -. . . . . يقولون لا تهلك أسى وتجمل

وهذا لا نعلم فيه خلافا بخلاف الجمل المتباينة بالخبر والاستفهام والإنشاء فإن في جواز العطف فيها خلافا «انتهى.

الثاني: أن تكون» أن «ناصبة للفعل بعدها، وهي وما في حيزها في محل نصب بدلا من» ما حرم «.

الثالث: أنها الناصبة أيضا وهي وما في حيزها بدل من العائد المحذوف إذ التقدير: ما حرمه، وهو في المعنى كالذي قبله. و» لا «على هذين الوجهين زائدة لئلا يفسد المعنى كزيادتها في قوله تعالى: {ألا تسجد} [الأعراف: ١٢] و {لئلا يعلم} [الحديد: ٢٩] . قال الشيخ:» وهذا ضعيف لانحصار عموم المحرم في الإشراك، إذ ما بعده من الأمر ليس داخلا في المحرم ولا ما بعد الأمر مما فيه لا يمكن ادعاء زيادة «لا» فيه لظهور أن «لا» فيه للنهي «. ولما ذكر مكي كونها بدلا من» ما حرم «لم ينبه على زيادة لا «ولا بد منه. وقد منع الزمخشري أن تكون بدلا من» ما حرم «فقال:» فإن قلت: **هلا قلت**." [(٢)]

"هي التي تنصب الفعل وجعلت «أن لا تشركوا» بدلا من «ما حرم» . قلت: وجب أن يكون أن لا تشركوا ولا تقربوا ولا تقتلوا ولا تتبعوا السبل نواهي لانعطاف الأوامر عليها، وهي قوله «بالوالدين إحسانا» ؛ لأن التقدير: وأحسنوا بالوالدين إحسانا، وأوفوا وإذا قلتم فاعدلوا، وبعهد الله أوفوا «. فإن قلت: فما تصنع

---

(١) البحر المحيط في التفسير أبو حيّان الأندلسي ١/٤٠٦

(٢) الدر المصون في علوم الكتاب المكنون السمين الحلبي ٥/٢١٥

بقوله ﴿وأن هذا صراطي مستقيما فاتبعوه﴾ [الأنعام: ١٥٣] فيمن قرأ بالفتح، وإنما يستقيم عطفه على» أن لا تشركوا «إذا جعلت» أن «هي الناصبة حتى يكون المعنى: أتل عليكم نفي الإشراك وأتل عليكم أن هذا صراطي مستقيما؟ قلت: أجعل قوله» وأن هذا صراطي مستقيما «علة للاتباع بتقدير اللام كقوله ﴿وأن المساجد لله فلا تدعوا مع الله أحدا﴾ [الجن: ١٨] بمعنى: ولأن هذا صراطي مستقيما فاتبعوه، والدليل عليه القراءة بالكسر كأنه قيل: واتبعوا صراطي لأنه مستقيم، أو: واتبعوا صراطي أنه مستقيم «.

واعترض عليه الشيخ بعد السؤال الأول وجوابه وهو» فإن قلت: **هلا قلت**: هي الناصبة «إلى: ﴿وبعهد الله أوفوا﴾ فقال:» لا يتعين أن تكون جميع الأوامر معطوفة على ما دخل عليه «لا» لأنا بينا جواز عطف «وبالوالدين إحسانا» على «تعالوا» وما بعده معطوف عليه، ولا يكون قوله «وبالوالدين إحسانا» معطوفا على أن لا تشركوا «.

الرابع: أن تكون» أن «الناصبة وما في حيزها منصوبة على الإغراء ب» عليكم «، ويكون الكلام الأول قد تم عند قوله» ربكم «، ثم ابتدأ فقال: عليكم أن لا تشركوا، أي: الزموا نفي الإشراك وعدمه، وهذا وإن كان ذكره." (١)

"فصل: الأمر في الشرع يدل على التكرار

ظاهر الأمر في عرف الشرع يدل على التكرار لوجوه:

الأول: أن قوله: ﴿أطيعوا الله﴾ يصح منه استثناء أي وقت كان، وحكم الاستثناء إخراج ما لولاه لدخل؛ فوجب أن يكون قوله: ﴿أطيعوا الله﴾ متناولا لكل الأوقات، وذلك يقتضي التكرار.

والقول الثاني: لو لم يفد ذلك، لصارت الآية مجملة؛ لأن الوقت المخصوص والكيفية المخصوصة غير مذكورة، فإذا حملناه على العموم كانت مبينة، وهو أولى من الإجمال، أقصى ما في الباب أنه يدخل التخصيص، والتخصيص خير من الإجمال.

الثالث: أنه أضاف لفظ الطاعة إلى لفظ الله، [وهذا] يقتضي أن منشأ وجوب الطاعة هو العبودية والربوبية، وذلك يقتضي دوام وجوب الطاعة على المكلفين إلى يوم القيامة.

فصل

قال -[تعالى]-: «أطيعوا الله» فأفرده بالذكر [ثم] قال: «وأطيعوا الرسول وأولي الأمر» وهذا تعليم من الله لنا الأدب، ولذلك «روي أن رجلا قال بحضرة الرسول - عليه الصلاة والسلام -:» من أطاع الله والرسول

---

(١) الدر المصون في علوم الكتاب المكنون السمين الحلبي ٢١٦/٥

فقد رشد ومن يعصهما فقد غوى «، فقال – عليه السلام –:

» بئس الخطيب أنت **هلا قلت**: من عصى الله وعصى رسوله «أو لفظ هذا معناه؛ وذلك لأن الجمع بينهما في اللفظ يوهم نوع مناسبة ومجانسة، والله – تعالى – منزه عن ذلك.

فصل: في فروع تتعلق بالإجماع

دل قوله – تعالى –: ﴿وأولي الأمر منكم﴾ على أن الإجماع حجة، وههنا فروع:

الأول: أن الإجماع لا ينعقد إلا بقول العلماء، الذين يمكنهم استنباط أحكام الله – تعالى – من نصوص الكتاب والسنة، وهؤلاء هم المسمون بأهل الحل والعقد.

الثاني: اختلفوا في الإجماع الحاصل عقيب الخلاف، هل هو حجة أم لا، وهذه." (١)

"الثالث: أنها الناصبة أيضا، وهي وما في حيزها بدل من العائد المحذوف، إذا التقدير: ما حرمه، وهلي في المعنى كالذي قبله.

و» لا «على هذهين الوجهين زائدة؛ لئلا يفسد المعنى كزيادتها شفي قوله – تعالى –: ﴿ألا تسجد﴾ [الأعراف: ١٢] و ﴿لئلا يعلم﴾ [الحديد: ٢٩] والتقدير: حرم ربكم عليككم أن تشركوا.

قال أبو حيان:» وهذا ضعيف؛ لانحصار عموم المحرم في الإشراك؛ إذ ما بعده من الأمر ليس داخلا في المحرم، ولا ما بعدها الأمر مما فيه لا يمكن ادعا زيادة «لا» فيه؛ لظهور أن «لا» فيه للنهي «، ولما مكي كونها بدلا من» ما حرم « [لم ينبه على زيادة» لا «ولا بد منه.

وقد منع الزمخشري أن يكون بدلا من» ما حرم «] فقال:» فإن قلت: **هلا قلت**: فهي التي تنصب الفعل، وجعلت «ألا تشركوا» بدلا من «ما حرم» .

قلت: وجب أن يكون: ألا تشركوا، ولا «تقربوا» و «لا تقتلوا» و «لا تتبعوا السبل

نواهي؛ لانعطاف الأوامر الأوامر عليها، وهي قوله – تعالى – ﴿وبالوالدين إحسانا﴾ ؛ لأن التقدير: وأحسنوا بالوالدين إحسانا، وأوفوا وإذا قلتم فاعدلوا، وبعهد الله أوفوا.

فإن قلت: فما تصنع بقوله: ﴿وأن هذا صراطي مستقيما فاتبعوه﴾ [الأنعام: ١٥٣] فيمن قرأ بالفتح؛ وإننما يستقيم عطفه على «ألا تشركوا» إذا جعلت «أن» هي الناصبة، حتى يكون المعنى: أتل عليكم نفي الإشراك، وأتل عليكم أن هذا صراطي مستقيا؟

قلت: أجعل قوله: «وأن هذا صراطي مستقيما» علة للاتباع بتقدير اللام؛ كقوله ﴿وأن المساجد لله فلا

---

(١) اللباب في علوم الكتاب ابن عادل ٦/٤٥٠

تدعوا مع الله أحدا﴾ [الجن: ١٨] بمعنى: واتبعوا صراطي، لأنه مستقيم، أو: واتبعوا صراطي أنه مستقيم .»

واعترض عليه أبو حيان بعد السؤال الأول وجوابه، وهو:» فإن قلت: «هلا قلت هي الناصبة» إلى: و «وبعهد الله أوفوا» فقال: لا يتعين أن تكون جميع الأوامر معطوفة على ما دخل عليه «لا» لأنا بينا جواز عطف «وبالوالدين إحسانا» على «تعالوا» وما بعده معطوف عليه، ولا يكون قوله «» وبالوالدين إحساناط معطوفا على «ألا تشركوا» .

الرابع: أن تكون «أن» الناصبة وما في حيزها منصوبة على الإغراء بأ «عليكم» ، ويكون الكلام الأول قد تم عند قوله: «ربكم» ، ثم ابتدأ فقال: عليكم ألا تشركوا، أي:." (١)

"قوله: ﴿بعدما تبين﴾ المراد منه: إعلام رسول الله بأنهم ينصرون، وجدالهم قولهم: ما كان خروجنا إلا للعير، وهلا قلت لنا لنستعد ونتأهب للقتال؛ لأنهم كانوا يكرهون القتال ثم إنه تعالى شبه حالهم في فرط فزعهم بحال من يجر غلى القتل، ويساق إلى الموت وهو شاهد لأسبابه ناظر إلى موجبته، ومنه قوله عليه السلأام: «من نفى ابنه وهو ينظر إليه» أي يعلم أنه ابنه، كقوله تعالى: ﴿يوم ينظر المرء ما قدمت يداه﴾ [النبأ: ٤٠] أي يعلم وكان خوفهم لأمور:

أحدها: قلة العدد.

وثانيها: كانوا رجالة، روي أنه ما كان فيهم إلا فارسان. وثالثها: قلة السلاح.

قوله: يجالدونك يحتمل أن يكون مستأنفا إخبارا عن حالهم بالمجادلة، ويحتمل أن يكون حالا ثانية أي: أخرجك في حال مجادلتهم إياك، ويحتمل أن يكون حالا من الضمير في لكارهون، أي: لكارهون في حال جدال.

والظاهر أن الضمير المرفوع يعود على الفريق المتقدم.

ومعنى المجادلة قولهم: كيف تقاتل ولم نستعد للقتال؟ ويجوز أن يعود على الكفار، وجدالهم ظاهر.

قوله: بعد ما تبين منصوب بالجدال، و «ما» مصدرية، أي: بعد تبينه ووضوحه، وهو أقبح من الجدال في الشيء قبل إيضاحه.

---

(١) اللباب في علوم الكتاب ابن عادل ٥٠٧/٨

وقرأ عبد الله «بين» مبنيا للمفعول من: بينته أي: أظهرته، وقوله: «وهم ينظرون» حال من مفعول يساقون.." (١)

"جنتك قلت) أي: **هلا قلت** حين دخلت (ما شاء الله) ما موصولة أي: الأمر ما شاء الله أو ما شاء كائن (لا قوة إلا بالله) إقرارا بأنها بمشيئته إن شاء أبقاها وإن شاء أفناها واعترافا بالعجز على نفسك والقدرة لله قال بعض السلف: من أعجبه شيء فليقل ما شاء الله لا قوة إلا بالله (إن ترن أنا) ضمير الفصل أو تأكيد للمفعول (أقل منك مالا وولدا فعسى ربي أد يؤتين خيرا من جنتك) في الآخرة أو في الدنيا أيضا (ويرسل عليها) على جنتك (حسبانا من السماء) مراقي جمع حسبانة وهي الصاعقة (فتصبح) الجنة (صعيدا) أرضا (زلقا) ملساء لا يثبت فيه قدم (أو يصبح ماؤها غورا) غائرا في الأرض مصدر وصف به كالزلق (فلن تستطيع له) للماء الغائر (طلبا) في رده (وأحيط بثمره) عبارة عن إهلاكه (فأصبح يقلب كفيه) [ظهرا] لبطن تأسفا (على ما أنفق فيها) متعلق بـ يقلب لأنه في معنى يتحسر أي: يتحسر على ما أنفق في عمارتها (وهي خاوية) ساقطة (على عروشها) فإن كرومها المعرشة سقطت عروشها على الأرض وسقطت الكروم فوقها (ويقول يا ليتني لم أشرك بربي أحدا): تذكر موعظة أخيه، وتمني لو لم يكن مشركا حتى لا يهلك الله بستانه (ولم تكن له فئة ينصرونه من دون الله) أي: يقدرون على." (٢)

"﴿يجادلونك في الحق﴾ الذي هو تلقي النفير لإيثارهم عليه تلقي العير والجملة استئناف أو حال ثانية أي أخرجك في حال مجادلتهم إياك ويجوز أن يكون حالا من الضمير في لكارهون وقوله تعالى ﴿بعد ما تبين﴾ منصوب بيجادلونك وما مصدرية أي بعد تبين الحق لهم بإعلامك أنهم ينصرون أينما توجهوا ويقولون ما كان خروجنا إلا للعير **وهلا قلت** لنا لنستعد ونتأهب وكان ذلك لكراهتهم القتال ﴿كأنما يساقون إلى الموت﴾ الكاف في محل نصب على الحالية من الضمير في لكارهون أي مشبهين بالذين يساقون بالعنف والصغار إلى القتل

﴿وهم ينظرون﴾ حال من ضمير يساقون أي والحال أنهم ينظرون إلى أسباب الموت ويشاهدونها عيانا وما كانت هذه المرتبة من الخوف والجزع إلا لقلة عددهم وعدم تأهبهم وكونهم رجالة روي أنه لم يكن فيهم إلا فارسان." (٣)

---

(١) اللباب في علوم الكتاب ابن عادل ٤٥٦/٩

(٢) تفسير الإيجي جامع البيان في تفسير القرآن الإيجي، محمد بن عبد الرحمن ٤٤١/٢

(٣) تفسير أبي السعود = إرشاد العقل السليم إلى مزايا الكتاب الكريم أبو السعود ٦/٤

"﴿ولولا إذ دخلت جنتك قلت﴾ أي هلا قلت عندما دخلتها وتقديم الظرف على المحضض عليه للإيذان بتحتم القول في آن الدخول من غير ريث لا للقصر ﴿ما شاء الله﴾ أي الأمر ما شاء الله أو ما شاء الله كأن على أن ما موصولة مرفوعة المحل أو أي شيء شاء الله كان على أنها شرطية منصوبة والجواب محذوف والمراد تحضيضه على الاعتراف بأنها وما فيها بمشيئة الله تعالى إن شاء أبقاها وإن شاء أفناها ﴿لا قوة إلا بالله﴾ أي هلا قلت ذلك اعترافا بعجزك وبأن ما تيسر لك من عمارتها وتدبير أمرها إنما هو بمعونته تعالى وإقداره عن النبي صلى الله عليه وسلم من رأى شيئا فأعجبه فقال ما شاء الله لا قوة إلا بالله لم يضره ﴿إن ترن أنا أقل منك مالا وولدا﴾ أنا إما مؤكد لياء المتكلم أو ضمير فصل بين مفعولي الرؤية إن جعلت عملية وأقل ثانيهما وحال إن جعلت بصرية فيكون أنا حينئذ تأكيدا لا غير لأن شرط كونه ضمير فصل توسطه بين المبتدأ والخبر أو ما أصله المبتدأ والخبر وقرئ أقل بالرفع خبرا لأنا والجملة مفعول ثان للرؤية أو حال وفي قوله تعالى وولدا نصرة لمن فسر النفر بالولد." (١)

"﴿يا أيها الذين آمنوا لا يسخر قوم﴾ أي منكم ﴿من قوم﴾ آخرين أيضا منكم وقوله تعالى ﴿عسى أن يكونوا خيرا منهم﴾ تعليل للنهي أو لموجبه أي عسى أن يكون المسخور منهم خيرا عند الله تعالى من الساخرين والقوم مختص بالرجال لأنهم القوام على النساء وهو فى اللأصل إما جمع قائم كصوم وزور في جمع صائم وزائر أو مصدر نعت به فشاع في الجمع وأما تعميمه للفريقين في مثل قوم عاد وقوم فرعون فإما للتغليب أو لأنهن توابع واختيار الجمع لغلبة وقوع السخرية في المجمع والتنكير إما للتعميم أو للقصد إلى نهي بعضهم عن سخرية بعض لما أنها مما يجري بين بعض وبعض ﴿ولا نساء﴾ أي ولا تسخر نساء من المؤمنات ﴿من نساء﴾ منهن ﴿عسى أن يكن﴾ أي المسخور منهن ﴿خيرا منهن﴾ أي من الساخرات فإن مناط الخيرية في الفريقين ليس ما يظهر للناس من الصور والأشكال ولا الأوضاع والأطوار التي عليها يدور أمر السخرية غالبا بل إنما هو الأمور الكامنة في القلوب فلا يجترئ أحد على استحقار أحد فلعله أجمع منه لما نيط به الخيرية عند الله تعالى فيظلم نفسه بتحقير من وقره الله تعالى والاستهانة بمن عظمه الله تعالى وقرئ عسوا أن يكونوا وعسين أن يكن فعسى حينئذ هي ذات الخبر كما في قوله تعالى فهل عسيتم وأما على الأول فهى التى لا خبر لها ﴿ولا تلمزوا أنفسكم﴾ أي ولا يعب بعضكم بعضا فإن المؤمنين كنفس واحدة أو لا تفعلوا ما تلمزون به فإن من فعل ما يستحق به اللمز فقد لمز نفسه واللمز الطعن باللسان وقرئ بضم الميم ﴿ولا تنابزوا بالألقاب﴾ أي ولا يدع بعضكم بعضا بلقب السوء فإن النبز مخنص به عرفا ﴿بئس

---

(١) تفسير أبي السعود = إرشاد العقل السليم إلى مزايا الكتاب الكريم أبو السعود ٥/٢٢٣

الاسم الفسوق بعد الإيمان﴾ أي بئس الذكر المرتفع للمؤمنين أن يذكروا بالفسق بعد دخولهم الإيمان أو اشتهارهم به فإن الاسم ههنا بمعنى الذكر من قولهم طار اسمه في الناس بالكرم أو باللؤم والمراد به إما تهجين نسبة الكفر والفسوق إلى المؤمنين خصوصا إذ روي أن الآية نزلت في صفية بنت حيي أتت رسول الله صلى الله عليه وسلم فقالت إن النساء يقلن لي يا يهودية بنت يهوديين فقال عليه الصلاة والسلام هلا قلت إن أبى هرون وعمي موسى وزوجي محمد عليهم السلام أو الدلالة على أن التنابز فسق والجمع بينه وبين الإيمان قبيح ﴿ومن لم يتب﴾ عما نهي عنه ﴿فأولئك هم الظالمون﴾ بوضع العصيان موضع الطاعة وتعريض." (١)

"وقيام الساعة، ولذلك قال: وما أظن الساعة قائمة أي: كائنة فيما سيأتي، ولئن رددت إلى ربي بالبعث عند قيامها، كما تقول، لأجدن حينئذ خيرا منها: من الجنتين منقلبا أي: مرجعا وعاقبة، أي: كما أعطاني هذا في الدنيا سيعطيني أفضل منه في الآخرة، ومدار هذا الطمع واليمين الفاجرة: اعتقاد أنه تعالى إنما أولاه ما أولاه في الدنيا لاستحقاقه لذاته، وكرامته عليه، ولم يدر أن ذلك استدراج.

قال له صاحبه أخوه المسلم وهو يحاوره أكفرت بالذي خلقك أي: أصلك من تراب، فإن خلق آدم عليه السلام من تراب متضمن لخلق أولاده منه إذ لم تكن فطرته مقصورة على نفسه، بل كانت أنموذجا منطويا على فطرة سائر أفراد الجنس، انطواء مجانسا مستتبعا لجريان آثارها على الكل، فكان خلقه عليه السلام من تراب خلقا للكل منه، ثم من نطفة هي مادتك القريبة، ثم سواك رجلا أي: عدلك وكملك إنسانا ذكرا، أو صيرك رجلا، وفي التعبير بالموصول مع صلته: تلويح بدليل البعث، الذي نطق به قوله تعالى: يا أيها الناس إن كنتم في ريب من البعث فإنا خلقناكم من تراب «١» .

قال البيضاوي: جعل كفره بالبعث كفرا بالله لأنه منشأ الشك في كمال قدرة الله، ولذلك رتب الإنكار على خلقه إياه من التراب، فإن من قدر على إبداء خلقه منه قدر أن يعيده منه. هـ.

ثم قال أخوه المسلم: لكنا أصله: لكن أنا، وقرئ به، فحذفت الهمزة، فالتقت النونان فوقع الإدغام، هو الله ربي، «هو» : ضمير الشأن، مبتدأ، خبره: «هو الله ربي» ، وتلك الجملة: خبر «أنا» ، والعائد منها: الضمير، وقرئ بإثبات «أنا» في الوصل والوقف، وفي الوقف خاصة، ومدار الاستدراك قوله تعالى: أكفرت، كأنه قال: أنت كافر، لكنني مؤمن موحد، ولا أشرك بربي أحدا، وفيه تنبيه على أن كفره كان بالإشراك. قاله أبو السعود.

---

(١) تفسير أبي السعود = إرشاد العقل السليم إلى مزايا الكتاب الكريم أبو السعود ١٢١/٨

قال شيخ شيوخنا سيدي عبد الرحمن الفاسي: والذي يظهر من قوله: ولولا إذ دخلت ... الآية، ومن قوله:

يا ليتني لم أشرك ... الآية، أنه إشراك بالله في عدم صرف المشيئة إليه، ودعوى الاستقلال بنفسه دونه، وقد قال وهب بن منبه: (قرأت في تسعين كتابا من كتب الله أن من وكل إلى نفسه شيئا من المشيئة فقد كفر) ، ثم شكه في البعث تكذيب بوعد الله، وهو كفر صراح. هـ.

ولولا إذ دخلت جنتك: بستانك، قلت ما شاء الله أي: **هلا قلت** عند دخولها: ما شاء الله أي: الأمر ما شاء الله، أو ما شاء الله يكون، والمراد: تحضيضه على الاعتراف بأنها وما فيها بمشيئة الله تعالى، إن شاء أبقاها، وإن شاء أخفاها، لا قوة إلا بالله أي: لا قوة لي على عمارتها وتدبير أمرها إلا بمعونة الله وإقداره.

---

(١) من الآية ٥ من سورة الحج.." (١)

"ثم وبخ الخائضين فى حديث الإفك، فقال:

[سورة النور (٢٤) : الآيات ١٢ الى ١٣]

لولا إذ سمعتموه ظن المؤمنون والمؤمنات بأنفسهم خيرا وقالوا هذا إفك مبين (١٢) لولا جاؤ عليه بأربعة شهداء فإذ لم يأتوا بالشهداء فأولئك عند الله هم الكاذبون (١٣)

قلت: قال ابن هشام: وقد يلي حرف التخصيص اسم معلق بفعل، إما بمضمر، نحو: «فهلا بكرا تلاعبها وتلاعبك» «١» أي: فهلا تزوجت، أو مؤخرا نحو: (لولا إذ سمعتموه قلتم..) أي: **فهلا قلتم** إذ سمعتموه. هـ. وإليه أشار في الخلاصة بقوله:

وقد يليها اسم بفعل مضمر ... علق أو بظاهر مؤخر

يقول الحق جل جلاله: لولا إذ سمعتموه أي: الإفك ظن المؤمنون والمؤمنات بأنفسهم خيرا بالذين هم منهم لأن المؤمنين كنفس واحدة، كقوله: ولا تلمزوا أنفسكم «٢» أي: هلا ظنوا بإخوانهم خيرا: عفافا وصلاحا، وذلك نحو ما يروى عن عمر رضي الله عنه قال لرسول الله صلى الله عليه وسلم: (أنا قاطع بكذب المنافقين لأن الله تعالى عصمك عن وقوع الذباب على جلدك، لئلا يقع على النجاسات فتلطخ بها، فإذا عصمك من ذلك فكيف لا يعصمك من صحبة من تكون ملطخة بهذه الفاحشة) !. وقال

---

(١) البحر المديد في تفسير القرآن المجيد ابن عجيبة ٣/٢٧١

عثمان رضي الله عنه: (ما أوقع ظلك على الأرض لئلا يضع إنسان قدمه عليه فلما لم يمكن أحدا من وضع القدم على ظلك، فكيف يمكن أحدا من تلويث عرض زوجتك!) . وكذا قال على رضي الله عنه: إن جبريل أخبرك أن على نعلك قذرا، وأمرك بإخراج النعل عن رجلك، بسبب ما التصق به من القذر، فكيف لا يأمرك بإخراجها، على تقدير أن تكون متلطخة بشيء من الفواحش) ؟ قاله النسفي.

وروي أن أبا أيوب الأنصاري قال لامرأته: ألا ترين ما يقال في عائشة؟ فقالت: لو كنت بدل صفوان أكنت تخون رسول الله صلى الله عليه وسلم؟ فقال: لا، قالت: ولو كنت أنا بدل عائشة ما خنت رسول الله، فعائشة خير مني، وصفوان خير منك. وفي رواية ابن إسحاق: قالت زوجة أبى يوب لأبي أيوب: ألا تسمع ما يقول الناس في عائشة؟ قال:

بلى، وذلك الكذب، أكنت فاعلة ذلك يا أم أيوب؟ قالت: لا والله، فقال: عائشة خير منك، سبحان الله، هذا بهتان عظيم، فنزل: لولا إذ سمعتموه.. الآية «٣» .

---

(١) جاء ذلك فى حديث سيدنا جابر، وأخرجه البخاري فى (النكاح، باب تزويج الثيبات ح ٥٠٧٩) ، ومسلم فى (الرضاع، باب استحباب نكاح البكر، ٢/ ١٠٨٧، ح ٥٦ فى الباب) ولفظ البخاري: (هلا جارية..) .

(٢) من الآية ١١ من سورة الحجرات.

(٣) انظر تفسير ابن جرير (١٨/ ٩٦) ، والبغوي (٦/ ٢٥) ، وأسباب النزول للواحدى، ص (٣٣٣) .." [١]

"والمغفرة، لمسكم عاجلا فيما أفضتم أي: بسبب ما خضتم فيه من حديث الإفك عذاب عظيم يستحقر دونه التوبيخ والجلد، يقال أفاض في الحديث، وفاض، واندفع: إذا خاض فيه.

إذ تلقونه أي: لمسكم العذاب العظيم وقت تلقيه إياكم من المخترعين له، يقال: تلقى القول، وتلقنه، وتلقفه، بمعنى واحد، غير أن التلقف: فيه معنى الخطف والأخذ بسرعة، أي: إذ تأخذونه بألسنتكم بأن يقول بعضكم لبعض: هل بلغك حديث عائشة، حتى شاع فيما بينكم وانتشر، فلم يبق بيت ولا ناد إلا طار فيه. وتقولون بأفواهكم ما ليس لكم به علم

أي: قولا لا حقيقة له، وقيده بالأفواه، مع أن الكلام لا يكون إلا بالفم لأن الشيء المعلوم يكون في القلب،

---

(١) البحر المديد في تفسير القرآن المجيد ابن عجيبة ١٨/٤

ثم يترجم عنه اللسان، وهذا الإفك ليس إلا قولا يدور فى الأفواه، من غير ترجمة عن علم به في القلب.
وتحسبونه هينا أي: وتظنون أن خوضكم في عائشة سهل لا تبعة فيه، وهو عند الله عظيم أي: والحال أنه عند اﷲ كبير، لا يقادر قدره في استجلاب العذاب. جزع بعض الصالحين عند الموت، فقيل له في ذلك، فقال: أخاف ذنبا لم يكن مني على بال، وهو عند الله عظيم.
ولولا إذ سمعتموه من المخترعين والشائعين له قلتم ما يكون لنا ما يمكننا أن نتكلم بهذا، وما ينبغي أن يصدر عنا، وتوسيط الظروف بين «لولا» و «قلتم» إشارة إلى أنه كان الواجب أن يبادروا بإنكار هذا الكلام في أول وقت سمعوه، فلما تأخر الإنكار وبخهم عليه، فكان ذكر الوقت أهم، فقدم، والمعنى: **هلا قلتم** إذ سمعتم الإفك: ما يصح لنا أن نتكلم بهذا، سبحانك تنزيها لك، وهو تعجب من عظم ما فاهوا به.
ومعنى التعجب في كلمة التسبيح: أن الأصل أن يسبح الله عند رؤية العجيب من صنائعه تعالى، ثم كثر حتى استعمل في كل متعجب منه. أو: تنزيها لك أن يكون في حرم نبيك فاجرة، هذا بهتان عظيم لعظمة المبهوت عليه، واستحالة صدقه، فإن حقارة الذنوب وعظمتها باعتبار متعلقاتها. وقال فيما تقدم: هذا إفك مبين «١» . ويجوز أن يكونوا أمروا بهما معا، مبالغة في التبري.
يعظكم الله أي: ينصحكم أن تعودوا لمثله أي: كراهة أن تعودوا، أو يزجركم أن تعودوا لمثل هذا الحديث أو القذف أو الاستماع، أبدا مدة حياتكم، إن كنتم مؤمنين فإن الإيمان وازع عنه لا محالة.
وفيه تهييج وتقريع وتذكير بما يوجب ترك العود، وهو الإيمان الصاد عن كل قبيح.

---

(١) الآية ١٢ من سورة النور.." [(١)]

"(٤٤٩٣٥) - قال مقاتل بن سليمان: (أكفرت بالذي خلقك من تراب) يعني: آدم؛ لأن أول خلقه التراب، ثم قال: (ثم من نطفة ثم سواك) يعني: خلقك فجعلك (رجلا) تفسير مقاتل بن سليمان (٢) / (٥٨٦) - ذكر ابن عطية ((٥) / (٦٠٨)) أن معنى: (ثم سواك رجلا) «كما تقول: سواك شخصا أو حيا أو نحو هذا من التأكيدات» - ثم ذكر احتمالا آخر، فقال: «وقد يحتمل أن قصد تخصيص الرجولة على وجه تعديد النعمة في أن لم يكن أنثى ولا خنثى» - .
(٤٤٩٣٦) - قال يحيى بن سلام: (وهو يحاوره أكفرت بالذي خلقك من تراب)، يعني: أول خلق الإنسان، يعني: آدم تفسير يحيى بن سلام (١) / (١٨٦) - .

---

(١) البحر المديد في تفسير القرآن المجيد ابن عجيبة ٤/٢٠

(لكنا هو الله ربي ولا أشرك بربي أحدا (٣٨))

قراءات

(٤٤٩٣٧) - عن هارون، قال: في قراءة أبي بن كعب: (لكن أنا هو الله ربي) أخرجه ابن الأنباري في الوقف والابتداء (١) / (٤٠٩) ((١٥٢)) - وهي قراءة شاذة، تروى أيضا عن الحسن، وقراءة العشرة: (لكنا ہو الله ربي) - انظر: المحتسب (٢) / (٢٩) - .

(٤٤٩٣٨) - عن الأعمش: في قراءة عبد الله [بن مسعود]: (لكنا هو الله ربي) أخرجه ابن أبي داود في المصاحف (١) / (٣٢٢) - .

(٤٤٩٣٩) - عن عمر، عن الحسن أنه كان يقرؤها: (لكن أنا هو الله ربي) أخرجه ابن الأنباري في الوقف والابتداء (١) / (٤٠٩) ((١٥٢)) - .

تفسير الآية

(٤٤٩٤٠) - قال مقاتل بن سليمان: (لكنا) أقول: (هو الله ربي ولا أشرك بربي أحدا) تفسير مقاتل بن سليمان (٢) / (٥٨٦) - .

آثار متعلقة بالآية

(٤٤٩٤١) - عن أسماء بنت عميس، قالت: علمني رسول الله - صلى الله عليه وسلم - كلمات أقولهن عند الكرب: «الله الله ربي، لا أشرك به شيئا» أخرجه أحمد (٤٥) / (١٥) - (١٦) ((٢٧٠٨٢))، وأبو داود (٢) / (٦٣٢) ((١٥٢٥))، وابن ماجه (٥) / (٤٦) ((٣٨٨٢))، وابن أبي حاتم (٧) / (٢٣٦٢) ((١٢٨١٣)) - قال أبو نعيم في الحلية (٥) / (٣٦٠): «غريب من حديث عمر» - وقال الألباني في صحيح أبي داود (٥) / (٢٥٥) ((١٣٦٤)): «إسناده صحيح» - .

(ولولا إذ دخلت جنتك قلت ما شاء الله لا قوة إلا بالله)

(٤٤٩٤٢) - عن عبد الله بن عباس، في «لا حول ولا قوة إلا بالله»، قال: لا حول بنا على العمل بالطاعة إلا بالله، ولا قوة لنا على ترك المعصية إلا بالله عزاه السيوطي إلى ابن أبي حاتم - .

(٤٤٩٤٣) - عن زهير بن محمد، أنه سئل عن تفسير: لا حول ولا قوة إلا بالله - قال: لا تأخذ ما تحب إلا بالله، ولا تمتنع مما تكره إلا بعون الله عزاه السيوطي إلى ابن أبي حاتم - .

(٤٤٩٤٤) - قال مقاتل بن سليمان: ثم قال المؤمن للكافر: (ولولا) يعني: هلا (إذ دخلت جنتك) يعني: بستانك؛ (قلت ما شاء الله لا قوة إلا بالله) يعني: **فهلا قلت**: بمشيئة الله أعطيتها بغير حول مني ولا قوة

تفسير مقاتل بن سليمان (٢) / (٥٨٦) - .

(٤٤٩٤٥) - قال يحيى بن سلام: (ولولا): فهلا تفسير يحيى بن سلام (١) / (٨٦١) - .

آثار متعلقة بالآية

(٤٤٩٤٦) - عن ابن مسعود، عن النبي - صلى الله عليه وسلم -، قال: «أخبرني جبريل أن تفسير «لا حول ولا قوة إلا بالله»: أنه لا حول عن معصية الله إلا بقوة الله، ولا قوة على طاعة الله إلا بعون الله» أخرجه البزار (٥) / (٣٧٤) ((٢٠٠٤))، وابن شاهين في الترغيب في فضائل الأعمال ص (١٠٦) ((٣٥١)) - قال البزار: «وهذا الحديث لم نسمع موصولا عن القاسم عن أبيه عن عبد الله إلا من هذا الوجه» - وقال البيهقي في شعب الإيمان (٢) / (١٦٣) - (١٦٤) ((٦٥٦)): «تفرد به صالح بن بيان السيرافي، وليس بالقوي، وروي ذلك من وجه آخر ضعيف، عن زر عن عبد الله مرفوعا» - وقال الهيثمي في المجمع (١٠) / (٩٩) ((١٦٩٠٧)): «رواه البزار بإسنادين، أحدهما منقطع، وفيه عبد الله بن خراش، والغالب عليه الضعف، والآخر متصل حسن» - وقال المناوي في التيسير (١) / (٣٩٥): «وفي إسناده لين» - وقال الألباني في الضعيفة (٧) / (٣٦٦) ((٣٣٥٥)): «ضعيف» - .

". [1]

"عليه حد الزنا أخرجه ابن أبي حاتم (٨) / (٢٥٤٩) - .

(٥٢٦٤٥) - تفسير إسماعيل السدي: (ولولا إذ سمعتموه قلتم ما يكون لنا أن نتكلم بهذا) يعني: لا ينبغي لنا، (سبحانك هذا بهتان عظيم) كذب عظيم علقه يحيى بن سلام (١) / (٤٣٤) - .

(٥٢٦٤٦) - قال مقاتل بن سليمان: ثم وعظ الذين خاضوا في أمر عائشة، فقال سبحانه: (ولولا) يعني: هلا (إذ سمعتموه) يعني: القذف؛ (قلتم ما يكون لنا) يعني: ما ينبغي لنا (أن نتكلم بهذا) الأمر، **هلا قلتم** مثل ما قال سعد بن معاذ؛ وذلك أن سعدا لما سمع القول في أمر عائشة قال: سبحانك! هذا بهتان عظيم - ثم قال: ألا قلتم: (سبحانك) يعني: ألا نزهتم الرب - جل جلاله - عن أن يعصى، وقلتم (هذا) القول (بهتان عظيم) لشدة قولهم، والبهتان: الذى يبهت فيقول ما لم يكن من قذف أو غيره تفسير مقاتل بن سليمان (٣) / (١٩١) - .

آثار متعلقة بالآية

(٥٢٦٤٧) - عن ابن عمر، أن رسول الله - صلى الله عليه وسلم - قال لأسامة في شأن عائشة لما

---

(١) موسوعة التفسير المأثور ٢٤/٤

رميت بالإفك: «ما تقول أنت؟» - فقال: سبحان الله! ما يحل لنا أن نتكلم بهذا، سبحانك! هذا بهتان عظيم أخرجه الطبراني في المعجم الكبير (٢٣) / (١٤٣) ((٢٠٢))، وأيضا (٢٣) / (١٢٥) ((١٦٤)) مطولا - قال الهيثمي في المجمع (٩) / (٢٤٠) ((١٥٣٠٠)): «فيه إسماعيل بن يحيى بن عبيد الله التيمي، وهو كذاب» - .

(٥٢٦٤٨) - عن سعيد بن المسيب، قال: كان رجلان من أصحاب النبي - صلى الله عليه وسلم - إذا سمعا شيئا من ذلك قالا: (سبحانك هذا بهتان عظيم)؛ زيد بن حارثة، وأبو أيوب أخرجه محمد بن عبد الله المعروف بابن أخي ميمي في فوائده - كما في فتح الباري (١٣) / (٣٤٤) - - .

(٥٢٦٤٩) - عن سعيد بن جبير: أن سعد بن معاذ لما سمع ما قيل في أمر عائشة قال: سبحانك! هذا بهتان عظيم أخرجه سنيد في تفسيره - كما في فتح الباري (١٣) / (٣٤٤) - - .

(يعظكم الله أن تعودوا لمثله أبدا إن كنتم مؤمنين (١٧))

(٥٢٦٥٠) - عن عبد الله بن عباس - من طريق مقسم - (يعظكم الله أن تعودوا لمثله

." (١)

"(٧١٦٩٤) - عن قتادة بن دعامة - من طريق سعيد - قال: ذكر لنا: أن هذه الآية (وإن طائفتان) نزلت في رجلين من الأنصار كانت بينهما مدارأة في حق بينهما، فقال أحدهما للآخر: لآخذن عنوة لكثرة عشيرته، وأن الآخر دعاه ليحاكمه إلى نبي الله - صلى الله عليه وسلم - ، فأبى أن يتبعه، فلم يزل الأمر حتى تدافعوا، وحتى تناول بعضهم بعضا بالأيدي والنعال، ولم يكن قتال بالسيوف، فأمر الله أن تقاتل حتى تفيء إلى كتاب الله، وإلى حكم نبيه - صلى الله عليه وسلم - ، وليست كما تأولها أهل الشبهات، وأهل البدع، وأهل الفرى على الله وعلى كتابه: أنه المؤمن يحل لك قتله، فوالله، لقد عظم الله حرمة المؤمن حتى نهاك أن تظن بأخيك إلا خيرا، فقال: (إنما المؤمنون إخوة) أخرجه ابن جرير (٢١) / (٣٦١) - .

(٧١٦٩٥) - قال مقاتل بن سليمان: (إنما المؤمنون إخوة فأصلحوا بين أخويكم) يعني: الأوس والخزرج، (واتقوا الله) ولا تعصوه، لما كان بينكم؛ (لعلكم ترحمون) يعني: لكي ترحموا، فلا تعذبوا لما كان بينكم تفسير مقاتل بن سليمان (٤) / (٩٤) - .

آثار متعلقة بالآية

(٧١٦٩٦) - عن عبد الله بن عمر، أن رسول الله - صلى الله عليه وسلم - قال: «المسلم أخو المسلم،

---

(١) موسوعة التفسير المأثور ٤٨٢/٢٧

لا يظلمه، ولا يسلمه، من كان في حاجة أخيه كان الله في حاجته، ومن فرج عن مسلم كربة فرج الله بها عنه كربة من كرب يوم القيامة، ومن ستر مسلما ستره الله يوم القيامة» أخرجه البخاري (٣) / (١٢٨) ((٢٤٤٢))، (٩) / (٢٢) ((٦٩٥١))، ومسلم (٤) / (١٩٩٦) ((٢٥٨٠)) واللفظ له – .

(يا أيها الذين آمنوا لا يسخر قوم من قوم عسى أن يكونوا خيرا منهم ولا نساء من نساء عسى أن يكن خيرا منهن ولا تلمزوا أنفسكم ولا تنابزوا بالألقاب بئس الاسم الفسوق بعد الإيمان ومن لم يتب فأولئك هم الظالمون (١١))

نزول الآية

(٧١٦٩٧) – عن عبد الله بن عباس – من طريق عكرمة – : أن صفية بنت حيي بن أخطب أتت رسول الله – صلى الله عليه وسلم – ، فقالت: إن النساء يعيرنني فيقلن: يا يهودية بنت يهوديين – فقال رسول الله – صلى الله عليه وسلم – : «**هلا قلت**: إن أبي هارون، وابن عمي موسى، وإن زوجي محمد ". (١)

"فإن قلت: **هلاّ قلتَ** إنه فعلٌ، لإعراب بنى تميمٍ، من ذلك في التسمية، ما لم يكن آخرهُ راءً؟

قيل: هذا لا يدلّ، لأنهم جهلوه بمنزلة أينَ و (٠ كيف إذا سمّىَ به، وإجماعهم مع الحجازّيين، على إقرار البناءِ فيه بعد النّقل، فيما كان آخره راءً، دلالةُ على أنه اسمُ عندهم، فلم يغيّروه عن البناءِ، كما لم يغيّروه قبلُ، لأنّه في كلا الموضعين اسمُ.

فإن قلتَ: إنما لم يعربه، لأنه [قد] حكى، فكان بمنزلة برقَ نحره، ونحوه.

قيل: هذا لا يستقيم، لأنّ الضّميرَ الذي يحتمله هذا الضّربُ، ليس على حدّ ما يحتمله الفعلُ، إنّما هو على حدّ ما يحتمله الاسمُ، ألا ترى أنّه لا يظهر إذا جاوزتَ الواحد، في عامّة هذه الأسماء كما لا يظهرُ في أسماءِ الفاعلين، والظّروف ونحوها، ولو كان الضّميرُ فيها على حدّ كونه في الأفعال، لظهرتْ له في اللفظ علامةُ، فلمّا لم تظهر [كما لم تظهر] في أسماء الفاعلين، والصّفات المشبّهة بها، دلّ على أنّها احتملت الضّميرَ، على حدّ ما احتملته، وإذا كان ذلك لم تحكه، كما لا تحكى اسماءَ الفاعلين، إذا سمّيتَ بها في الأمرِ الأشهر الأفشى، فلا يكون إذنْ سفارِ وحذامِ في الحكاية، كقوله: أنا أبن جلا، ولكم جذامِ في قوله: إذا قالتْ حذامِ فصدّقوها." (٢)

---

(١) موسوعة التفسير المأثور ٣٨٢/٣٧

(٢) كتاب الشعر أو شرح الأبيات المشكلة الإعراب، أبو علي الفارسي ص/١٢

"كلزوم

حرفي الجمع هنا.

فإن قال قائل: فإذا سميت رجلاً بشيةٍ، فرخمته، على من قال: يا حارُ، **فهلا قلت**: ياشى، ولم ترد الفاء، لأن الاسم هنا لا يلحقه التنوين، فلا يؤدي إلى بقاء الاسم على حرف واحد.

قيل: إنه إذا رخم هذا الترخيم، فقد جعل اسماً على حياله، ولا يستقيم أن يبنى إلا على ما يكون عليه الأسماء، ألا ترى أنه قد يجوز أن يلحقه التنوين للضرورة في النداء، على حد ما لحق: يا مطراً، ويا مطرُ، فإذا لحقه في قول من رفع، بقي على حرفٍ، وهذا مما يكره ويرفض أن يصير إليه بناء الاسم، ألا ترى أنك لو سميت امرأة بلو، أوكى، أو نحو ذلك، زدت عليه ما يكون به على أمثلة الأسماء التي يلحقها التنوين.." (١)

"ليرتدع به غيره ويصير نكالاً وأحدوثة في العالمين، قال لا والله وهذا رأيكم قالوا نعم، قال قبح الله هذا من رأي فما أقله وأقبحه ويحكم هذا رجل ضاق به الرزق فأمّل فيّ خيراً ووثق

بي وشخص إلى أذربيجان مع بعد مشقتها وصعوبة طريقها أتشيرون عليّ أن أحرمه ما أمله فيّ حتى يسيء ظنه بي، فما انا والله ممن يقبل منكم ذلك، ثم أخبرهم بما كتب به إلى عبد الله فتعجبوا من كرمه واحتماله الكذب وورد الكتاب بخطه إلى عبد الله فدعا بالرجل وقد سقط من عينه الاعتراض وسوء الظن بقلبه، فلما دخل عليه قال هذا كتاب أخي قد ورد إليّ بصحة أمرك وسألني تعجيل صرفك إليه فدعا له بمائتي ألف درهم وما يتبعها من الدواب والبغال والجواري والغلمان ثم أصدره، فلما ورد باب يحيى بن خالد أدخل ذلك أجمع إليه وعرضه عليه فأمر له يحيى بمثل ذلك وأثبته في خاصته:

خرجت من شيءٍ إلى غيره ... حب الذي يقضي به الحال

لا تنكروا حالي فإني امرؤ ... دارت به في السير أحوال

حكاية: حدث محمد بن اسحق عن أبيه، قال دخلت على الرشيد وبين يديه طبق فيه ورد فقال قل في هذا شيئاً فقلت:

كأنه خد محبوب يقبله ... فم الحب وقد أضحى به خجلا

فقالت له جارية كانت على رأسه أخطأت **هلا قلت** كما أقول:

كأنه لون خدي حين تدفعني ... يد الرشيد لأمر يوجب الغسلا

---

(١) كتاب الشعر أو شرح الأبيات المشكلة الإعراب، أبو علي الفارسي ص/١٤٦

قال فضحك الرشيد، وقال الخرج يا اسحق فقد حركتني هذه الماجنة، ثم قام وأخذ بيدها وخلا بها.

حكاية: قيل انقطع عبد الملك بن مروان عن أصحابه فانتهى إلى أعرابي، فقال أتعرف عبد الملك بن مروان؟ قال نعم جائر فاجر قال ويحك أنا عبد الملك بن مروان قال لا حياك الله ولا قربك أكلت مال الله وضيعت حرمته قال ويحك أنا أضر وأنفع قال لا رزقني الله نفعك ولا دفع عني ضررك، فلما وصلت خيله إليه قال يا أمير المؤمنين اكتم ما كان بيني وبينك فالمجالس بالأمانة فضحك عبد الملك وأنعم عليه.

حكاية: قيل إن أعرابياً ولي البحرين فجمع اليهود، وقال ما صنعتم بعيسى بن مريم عليه السلام قالوا قتلنا. قال والله لا تخرجوا من السجن حتى تؤدوا ديته، فما خرجوا حتى أخذ منهم الدية كاملة.

حكاية: قيل أهدى أبو جعفر محمد بن علي البحتري." (١)

"وقال آخر ولله دره:

ليس في الكتب والدفاتر علم ... إنما العلم في صدور الرجال

من يطلب العلوم فريدا ... دون شيخ فإنه في ضلال

نشوان بن سعيد رحمه الله تعالى:

قال الطبيب لقومي حين جس يدي ... هذا فتاكم ورب البيت مسحور

فقلت قد قاربت في صفتي ... عين الصواب فهلا قلت مهجور

وما أحسن قول القائل:

إذا هممت بكتمان الهوى نطقت ... مدامعي بالذي أخفي من

فإن أبح أفتضح من غير منفعة ... وغن كتمت فدمعي غير منكتم

ولكن إلى الله أشكو ما اكابده ... من طول وجد ودمع غير منصرم

ولبعضهم:

النار آخر دينار نطقت به ... والهم آخر هذا الدرهم الجاري

والمرء ما دام مشغوفاً بحبهما ... معذب القلب بين الهم والنار

الشيخ نجيب الدين العاملي رحمه الله تعالى:

مالي على هجرك من طاقة ... ولا إلى وصلك لي مقدرة

لكنني ما بين هذا وذا ... فرطت في دنياي والآخرة

---

(١) نفحة اليمن فيما يزول بذكره الشجن، الشرواني، أحمد ص/٤٨

وما ألطف قول بهاء الدين زهير رحمه الله تعالى:

أما تقرر أنا ... فلم تأخرت عنا

وما الذي كان حتى ... حللت ما قد عقدنا

ولم يكن لك عذر ... ولو يكون علمنا

ولا تلمنا فإنا ... قلنا وقلنا وقلنا

وقد أتيناك زحفا ... فأين تهرب منا

فانظر لنفسك فيما ... قد كان منك ودعنا

وقال أيضاً:

لا تلمني أو فلمني ... فيك ظلم وتجني

لا تسابقني بعتب ... ما بذا تخلص مني

لا تغالطني وحق ... الله لا يكذب ظني

لا تقل إني وإني ... ليس هذا القول يغني

أيها العاتب ظلما ... يا حبيبي لك أعني

أنا لا أسأل عمن ... هو لا يسأل عني

إن تردني فبهذا الشر ... ط أولا لا تردني

واسترح بالله من هـ ... ذا التجني وأرحني." [١]

"فمن لأمور المسلمين! **هلا قلت** كما قال جرير:

فلا هو في الدنيا مضيع نصيبه ... ولا غرض الدنيا عن الدين شاغله!

والمشهور في هذا المعنى قول الفاروق رضي الله عنه: اعمل لدنياك كأنك تعيش أبدا واعمل لآخرتك كأنك تموت غدا. . . وقال الشاعر:

ولله مني جانب لا أضيعه ... وللهو مني والخلاعة جانب

وسيمر بك كثير من عبقرياتهم في هذا المعنى، في مواضع أخرى من هذا الكتاب.

الرجاء والجمع بينه وبين الخوف من الله

قال تعالى: في صفة المؤمنين: ﴿ويرجون رحمته ويخافون عذابه﴾، وقال حكيم: ارج إذا خفت وخف إذا

---

(١) نفحة اليمن فيما يزول بذكره الشجن، الشرواني، أحمد ص/٢١٨

رجوت، وكن كالمرأة الحامل ليس رجاؤها أن تلد ولدا ذكرا بأكثر من خوفها أن تلد أنثى. وقريب من هذا قول رجل لابنه: خف الله خوفا لا يمنعك من الرجاء، وارجه رجاء لا يمنعك من الخوف، فالمؤمن له قلبان: يرجوه أحدهما ويخافه الآخر وقال:

أنا بين الرجاء والخوف منه ... واقف بين وعده والوعيد

وقال أبو نواس:

ل ا تحظر العفو إن كنت امرءا حرجا ... فإن حظركه بالدين إزراء

وقال أيضا:

يا كثير الذنب عفو الله من ذنبك أكثر

وقال:." (١)

"هذا استعاروا العروة لكل ما يلجأ إليه ويعول عليه ويوثق به ويتمسك؛ فيقال لقادة الجيش: العرى، والصحابة رضوان الله عليهم: عرى الإسلام، وقوله تعالى: ﴿فقد استمسك بالعروة الوثقى لا انفصام لها﴾؛ شبه ما يعتصم به من الدين بالعروة التي يتمسك بها ويلجأ إليها، والوثقى: المحكمة، فقول ابن المقفع: استوثقوا: أي أحكموها وقال البحتري:

يزيد تفضلا وأزيد شكرا ... وذلك دأبه أبدا ودأبي

وقال عمرو بن مسعدة: لا تصحب من يكون استمتاعه بمالك وجاهك أكثر من إمتاعه لك بشكر لسانه وفوائد عمله. وقال يحيى بن أكثم: كنت عند المأمون فأتي برجل ترعد فرائصه، فلما مثل بين يديه قال المأمون: كفرت نعمتي ولم تشكر معروفي! فقال: يا أمير المؤمنين، وأين يقع شكري في جنب ما أنعم الله بك علي! قال يحيى: فنظر إلي المأمون وقال متمثلا:

ولو كان يستغني عن الشكر ماجد ... لرفعة قدر أو علو مكان

لما أمر الله العباد بشكره ... فقال: اشكروا لي أيها الثقلان

ثم التفت إلى الرجل وقال: هلا قلت كما قال أصرم بن حميد:

ملكت حمدي حتى إنني رجل ... كلي بكل ثناء فيك مشتغل

خولت شكري لما خولت من نعم ... فحر شكري لما خولتني خدم

وقريب من هذا قول أبي الفتح البستي:

---

(١) الذخائر والعبقريات، البرقوقي ١٨٣/١

لئن عجزت عن شكر برك قوتي ... وأقوى الورى عن شكر برك عاجز

فإن ثنائي واعتقادي وطاقتي ... لأفلاك ما أوليتنيها مراكز

ومن أبرع ما قيل في الشكر قول البحتري:

فلو كان للشكر شخص يبين ... إذا ما تأمله الناظر." (١)

"أن جاؤوا في الغلائل المطيبة والنعال السندية، وذلك بعد هدأة من الليل، فسلموا وجلسوا، ثم قال معن، يا غلام، ادع يزيد، فلم يلبث أن دخل عجلا وعليه سلاحه، فوضع رمحه بباب المجلس، ثم دخل، فقال معن له: ما هذه الهيئة يا أبا الزبير، فقال: جاءني رسول الأمير فسبق وهمي إلي أنه يريدني لمهم فلبست سلاحي وقلت: إن كان الأمر كذلك مضيت ولم أعرج وإن كان غير ذلك فنزع هذه الآلة عني من أيسر الأشياء، فقال معن: انصرفوا في حفظ الله، فلما خرجوا قالت زوجته قد تبين لي عذرك، فأنشد متمثلا:

نفس عصام سودت عصاما ... وعلمته الكر والإقداما

وصيرته ملكا هماما

وإلى ذلك أشار مسلم بالبيتين المذكورين. ويروى: أن مسلما لما انتهى في إنشاد هذه القصيدة إلى البيت الأول قال له يزيد الممدوح: **هلا قلت** كما قال أعشى بكر بن وائل في مدحه قيس بن معد يكرب:

وإذا تجيء كتيبة ملمومة ... شهباء تجتنب الكماة نزالها

كنت المقدم غير لابس جنة ... بالسيف تضرب معلما أبطالها." (٢)

""في مكان ما في السماء"، ومن فكرة القديس بولس عن وجود مجتمع من القديسين الأحياء منهم والأموات (٩٠)، ومن عقيدة تكنيوس Tyconius الدوناتي عن الوجود مجتمعين أحدهما لله والآخر للشيطان، استمد من هذا كله الفكرة الأساسية التي قام عليها كتابه وهو أنه قصة مدينتين: مدينة أرضية يسكنها رجال هذه الدنيا المنهمكون في شؤون الأرض ومباهجها، ومدينة إلهية هي مدينة عباد الله الواحد الحق في الماضي والحاضر والمستقبل. ولماركس أورليوس في هذا المعنى عبارة ما أعظمها: "في وسع الشاعر أن يقول لأثينة: أي مدينة سكربس Cecrops الجميلة! **فهلا قلت** أنت للعالم أي مدينة الله جميلة؟ " (٩٢). وكان أورليوس يقصد بقوله هذا الكون المنظم كله. ويقول أوغسطين أن مدينة الله قد نشأت بخلق الملائكة وإن المدينة الأرضية قد قامت بعصيانه بسبب الشياطين". والجنس البشري منقسم قسمين

---

(١) الذخائر والعبقريات، البرقوقي ٢٠٢/١

(٢) الذخائر والعبقريات، البرقوقي ٢٥٣/٢

مختلفين: منهم قسم يعيش طبقا لسنن الآدميين، وقسم يعيش طبقا لسنة الله. ونحن نطلق على هذين القسمين اسمين رمزيين فنسميها "المدينتين" أو "المجتمعين". فواحدة منهما قدر لها أن تحكم إلى أبد الدهر مع الله، وأخرى قد حكم عليها أن تعذب إلى الدهر مع الشيطان" (٩٣). وليس حتما أن تنحصر المدينة أو الإمبراطورية الواقعية من جميع نواحيها في داخل نطاق المدينة الأرضية؛ فقد تقوم بأعمال طيبة، فتسن الشرائع الحكيمة، وتصدر الأحكام العادلة، وتساعد الدين، كأن هذه الأعمال الصالحة تحدث في داخل مدينة الله؛ كذلك ليست المدينة الروحية هي بعينها الكنيسة الكاثوليكية، فإن الكنيسة أيضا قد تكون لها مصالح أرضية، وقد ينحط أتباعها فيعلمون لمصلحتهم الخاصة، ويرتكبون الذنوب، وينحدرون من إحدى المدينتين إلى الأخرى، ولن تنفصل المدينتان وتصبح كلتاهما بمعزل عن الأخرى إلا في يوم الحساب (٩٤).

وفي وسع الكنيسة أن تكون هي بعينها مدينة الله، وإن أوغسطين ليجعلها." (١)

" المقصد الثالث في بيان ما يحتاج إليه الكاتب من اللغة ويرجع المقصود منه إلى خمسة أصناف

الصنف الأول الغريب وهو ما ليس بمألوف الاستعمال ولا دائر على الألسنة وذلك أن مدار الكتابة على استخراج المعاني من القرآن الكريم والأحاديث النبوية والشعر وألفاظها لا تخلو عن الغريب بل ربما غلب الغريب منها في الشعر على المألوف لا سيما الشعر الجاهلي وقد قال الأصمعي توسلت بالملح ونلت بالغريب قال صاحب الريحان والريعان والغريب وإن لم ينفق منه الكاتب فإنه يجب أن يعلم ويتطلع إليه ويستشرف فرب لفظة في خلال شعر أو خطبة أو مثل نادر أو حكاية فإن بقيت مقفلة دون أن تفتح لك بقي في الصدر منها حزازة تحوج إلى السؤال وإن صنت وجهك عن السؤال رضيت بمنزلة الجهال وقد عاب ابن قتيبة رجلا كتب في وصف برذون وقد بعثت به أبيض الظهر والشفتين فقيل له **هلا قلت** في بياض الشفتين أرثم ألمظ فقال لهم فبياض الظهر قالوا لا ندري فقال إنما جهلت من الشفتين ما جهلتم من الظهر وذم قوما من وجوه الكتاب بأنه اجتمع معهم في مجلس فتذاكروا عيوب الرقيق فلم يكن فيهم من يفرق بين الوكع والكوع ولا بين الحنف والفدع ولا ." (٢)

" فلما رأيته استصغرت الرتبة مع شرفها الباذخ في جانبه وعلمت أن ما تقدم من المدح لم يوف حقه ولم يقم ببعض واجبه فغلبت هيبته إقدامي وحالت حرمته بيني وبين مرامي فقلت إنا لله قد فاتتني مآربي

---

(١) قصة الحضارة، ول ديورانت ١٤٨/١٢

(٢) صبح الأعشى، ١٨٦/١

ورجعت من فوري إلى صاحبي فأظهرت له الأسف وقصصت عليه القصة قال لا تخف إنها لمنقبة عمرية وأثرة عدوية فالفاروق جده وبنو عدي قبيله وجنده

هذا وإنه لألطف وأرق من النسيم الساري والماء الجاري وأحيى من العذراء في خدرها وأشفق من الوالدة إذا ضمت ولدها إلى صدرها وأحلم من معن بن زائدة وإن كان أفصح من قس بن ساعدة

(يغضي حياء ويغضى من مهابته ... فلا يكلم إلا حين يبتسم)

بالعزائم الفاروقية فتحت الأمصار وبالهيبة العمرية أقر المهاجرون والأنصار ويشهد لذلك قصة ابن عباس في العول وسكوته في خلافة عمر وصمته وجوابه بعد ذلك للقائل له هلا قلت ذلك في زمن عمر بقوله إنه كان مهيبا فهبته كيف وما سلك فجا إلا وسلك الشيطان فجا غير فجه وضاقت عليه الفجاج ولم تماثل هيبته بهيبة غيره وإن عظمت سطوته حتى قال الشعبي إن درة عمر لأهيب من سيف الحجاج وهو مع ذلك يلطف بالأرامل والمساكين ويعين الفقراء والمحتاجين فقد اتضحت لك القضية وتحققت أنها سمات إرثية ." (١)

"قوله (على طرب) يجوز أن يتعلق بتبغلني، ويجوز أن يتعلق بوتقذفن، والفعلان جمعا على قوله (مبينة عنق) وهي ناقة. والاختيار عند أصحابنا البصريين أن يرتفع بالأقرب، وهو تقذفن، ويجوز أن يرتفع بتبلغني، وعلى هذا: جاءني وأكرمني زيد. والطرب: خفة تلحق لنشاط وجذل، واهتمام وجزع. وبيوت هم، فعول من قولك: باب يبيت. كأنه هم جاءه ليلا فلازمه. وعلى هذا قيل في الصقيع: البيوت. وانتصب (حسن خد) على التمييز. والجنف: الميل. ورجل أجنف: في خلقه ميل، وقيل: هو الطويل المنحني. والعرك: الدلك والغمز. وقوله(به جنف) في موضع النصب، لأنه صفة لمرفق. و (شاغله) صفة لجنف. وإضافته على طريق التخفيف، فهو نكرة والتنوين منوى، كأنه شاغل له. ويريد بقوله (به جنف) أن المرفق متباعد عن الزور، لأن الناقة فتلاء؛ ولولا بعده عنه لكان يكون ناكتا أو حازا أو ضاغطا، أو ناقرا وذلك عيب يمنع من إدامة السير. فيقول عى وجه ا لتمني: هل أراني راكب ناقة وصلني إلى هذه المرأة، نشيطة طربة، وتطرح عني ثقل هم أزواله وأدافعه، وهي تلازمني بالليل ولا تفارقني. وهذه الناقة لها شواهد توجب عتقها وكرمها، من حسن الخد والمرفق المتجانف عن الزور.

مطارة قلب إن ثنى الرجل ربها ... بسلم غرز في مناخ تعاجله

هذا يرجع إلى صفة الناقة، والمراد أنها ذكية الفؤاد، شهمة النفس، فكأن بها لنشاطها وذكائها جنونا أطار

---

(١) صبح الأعشى، ١٤/١٤٣

قلبها، وأزال مسكتها. وقوله (إن ثنى الرجل ربها) جواب الشرط فيه قوله (تعاجله) وأصله تعاجله، اللام ساكنة للجزم، ولكنه نقل إليها حركة الهاء، وهو ضمير يرجع إلى (ربها). ومثله قول طرفة:

لو أطيع النفس لم أرمه

يريد: لم أرمه، فنقل. والمعنى أنها لخفتها وحدتها، متى هم صاحبها بركوبها فثنى رجلها، أي غطف بغرزها الذي هو كالسلم، وهو الركاب، عاجلته فنهضت به قبل تمكنه من ركوبها، واستقراره على ظهرها.

وقد سلك هذا المسلك ذو الرمة في البائية التي أولها:

ما بال عينك منها الماء ينسكب

حدثت عن الكسروي علي بن مهدي الأصفهاني عن شيوخه، أن ذا الرمة أنشد هذه القصيدة كثير عزة، فلما انتهى إلى قوله:

حتى إذا ما استوى في غرزها تثب.

قال له: أهلكت والله راكبها، **هلا قلت** كما قال الراعي:

تراها إذا قمت في غرزها ... كمثل السفينة أو أوقر

فهذا ما روى لنا. وقد ذكر الراعي في موضع آخر فقال:

وكأن ريضها إذا ياسرتها ... كانت معاودة الرحيل ذلولا

وحكى لي أن سعيد بن سلم الباهلي، قال: قرأنا هذه القصيدة على الأصمعي من شعر الراعي، فلما انتهينا رواه:

وكأن ريضها إذا باشرتها

فقلت: ما معنى (باشرتها)؟ قال: ركبتها، من المباشرة. فسألنا ذلك أبا عبيدة عنه، فقال: صحف والله، إنما هو (إذا ياسرتها) أي لم أعازها ولم أقتسرها. ومثله قوله.

إذا يوسرت كانت وقورا أديبة ... وتحسبها إن عوسرت لم تؤدب

يباري بها القود النوافخ في البري ... قليل النزول أغيد الخلق عاطله

مراجع نجد بعد فرك وبغضة ... مطلق بصرى أصمع القلب جافله

يقول: يعارض بهذه الرالة التي وصفتها رواحل طوال الأعناق، تنفخ في براها لنشاطها، رجل قليل النزول عنها، ناعم الخلق عاطله، يعني نفسه، أي أنه يجد في السير ويديمه. وقوله: (مراجع نجد) أي أنه بعد أن فارق نجدا وأبغضه لخلوه من حبيبه يريد أن يراجعه وينتقل عن بصري – وهي قرية بالشأم تطبع فيها السيوف

البصرية – ويخليها. ومعنى أصمع القلب: حديده. جافله، أي مسرعه. ويقال: أجفل الظليم وجفل، إذا نشر جناحيه ومر يعدو، وكل هارب من شيء فقد أجفل عنه. والظليم مجفل وجافل جميعا. وذكر الرماجعة والتطليق، واستعارة للانتقال والتخلية. وقد فعل أبو تمام مثل هذا فقال:

فبها وطلقت السور ثلاثا

إلا أن ماقاله هذا الشاعر أحسن، حين زاوج التطليق بالمراجعة. وقوله (نوافخ في البري) النوافخ : المتنفسات نفخا لنشاطها. والبري: الحلق التي في أنوفها. وقوله (أغيد الخلق) أي منثنيه، وعاطله أي يعطله من الترفه، ويفطمه عن النعمة. وكل مهمل متروك فهو معطل وعاطل.

وقال عبدالله بن عجلان النهدي

وحقة مسك من نساء لبستها ... شبابي وكأس باكرتني شمولها." (١)

"حدّثني محمد بن عبيد قال: حدّثنا سفيان بن عيينة عن ابن أبي نجيح قال: لما أتي عمر بتاج كسرى وسواريه جعل يقلبه بعود في يده ويقول: واللّه إن الذي أدى إلينا هذا لأمين. فقال رجل: يا أمير المؤمنين أنت أمين اللّه يؤدّون إليك ماأدّيت إلى اللّه فإذا رتعت رتعوا. قال: صدقت.

لعليّ رضي اللّه عنه في القناعة

حدّثني أبو حاتم قال: حدّثنا الأصمعيّ قال: لما أتي عليّ عليه السلام بالمال أقعد بين يديه الوزّان والنّقاد فكوّم كومةً من ذهب وكومة من فضة وقال: يا حمراء ويا بيضاء احمرّي وابيضّي وغرّي غيري. وأنشد:

هذا جناي وخياره فيه ... إذ كل جانٍ يده إلى فيه

لعمر بن الخطاب رضي اللّه عنه

حدّثني محمد بن عبيد عن معاوية بن عمرو عن أبي إسحاق عن إسماعيل بن أبي خالد عن عاصم قال: كان عمر بن الخطاب إذا بعث عاملاً يشترط عليه أربعاً: ألّا يركب البراذين، ولا يلبس الرقيق، ولا يأكل النقي، ولا يتخذ بوّاباً. ومر ببناء يبني بحجارة وجصٍ فقال: لمن هذا؟ فذكروا عاملاً له على البحرين فقال: " أبت الدراهم إلا أن تخرج أعناقهم " وشاطره ماله. وكان يقول: " لي على كل خائن أمينان الماء والطين

؟كتاب عمر بن عبد العزيز إلى واليه

حدّثني إسحاق بن إبراهيم بن حبيب بن الشهيد قال: حدّثنا قريش بن أنس عن سعيد عن قتادة قال: جاء كتاب عمر بن عبد العزيز إلى واليه: أن دع لأهل الخراج من أهل الفرات ما يتختمون به الذهب ويلبسون

---

(١) شرح ديوان الحماسة، ٣٨٦/١

الطيالسة ويركبون البراذين وخذ الفضل؟؟.

؟؟؟؟؟؟؟؟؟؟؟؟بين عمر وأبي هريرة في الأمانة

حدّثنا محمد بن عبيد عن هوذة عن عوف عن ابن سيرين وإسحاق عن النضر بن شميل عن ابن عون عن ابن سيرين بمعناه قال: لما قدم أبو هريرة من البحرين قال له عمر: يا عدوّ اللّه وعدوّ كتابه، أسرقت مال اللّه؟ قال أبو هريرة: لست بعدوّ اللّه ولاعدوّ كتابه ولكني عدوّ من عاداهما ولم أسرق مال اللّه. قال: فمن أين اجتمعت لك عشرة آلاف درهم؟ قال: خيلي تناسلت وعطائي تلاحق وسهامي تتابعت فقبضتها منه. قال أبو هريرة: فلما صليت الصبح استغفرت لأمير المؤمنين ثم قال لي عمر بعد ذلك: ألا تعمل؟ فقلت: لا. قال: قد عمل من هو خير منك يوسف. فقلت: يوسف نبيّ ابن نبيّ وأنا ابن أميمة أخشى ثلاثاً واثنتين. قال: فهلا قلت خمساً؟ قلت: أخشى أن أقول بغير علم، وأحكم بغير حلم، وأخشى أن يضرب ظهري، ويشتم عرضي، وينزع مالي.

؟قول مالك بن دينار لبلال بن أبي بردة

حدّثنا محمد بن داود عن نصر بن قديد عن إبراهيم بن المبارك عن مالك بن دينار أنه دخل على بلال بن أبي بردة وهو أمير البصرة فقال: أيها الأمير، إني قرأت في بعض الكتب: " من أحمق من السلطان ومن أجهل ممن عصاني ومن أعزّ ممن أعزّني. أيا راعي السوء دفعت إليك غنماً سماناً سحاحاً فأكلت اللحم وشربت اللبن وائتدمت بالسمن ولبست الصوف وتركتها عظاماً تتقعقع

موعظة لعمر بن الخطاب

حدّثني محمد بن شبابة عن القاسم بن الحكم العرني القاضي قال: حدّثني إسماعيل بن عيّاش عن أبي محمد القرشي عن رجاء بن حيوة عن ابن مخرمة قال: إني لتحت منبر عمر بن الخطاب رضي اللّه عنه بالجابية حين قام في الناس فحمد اللّه وأثنى عليه ثم قال: " أيهم الناس، اقرأوا القرآن تعرفوا به واعملوا به تكونوا من أهله. إنه لن يبلغ ذو حق في حقه أن يطاع في معصية اللّه. ألا إنه لن يبعّد من رزق اللّه ولن يقرّب من أجلٍ أن يقول المرء حقاً وأن يذكّر بعظيم. ألا وإني ما وجدت صلاح ما ولاني اللّه إلا بثلاث: أداء الأمانة، والأخذ بالقوة، والحكم بما أنزل اللّه. ألا وإني ما وجدت صلاح هذا المال إلا بثلاث: أن يؤخذ من حق، ويعطى في حق، ويمنع من باطل. ألا وإنما أنا في مالكم هذا كوالي اليتيم إن استغنيت

استعففت، وإن افتقرت أكلت بالمعروف، تقرّم البهمة " .

لزياد في الولاية." (١)

"""""""""" صفحة رقم ١٥ """"""""

واو عمرو

ومن لطائف ما جنيت من ثمرات الأوراق أن رجلا من الحذاق كان يكتب كتاباً وإلى جانبه آخر فانتهى في كتابه إلى اسم عمرو فكتبه بغير واو فقال يا مولانا زدها واواً للفرق بينها وبين عمر فقال : والله لقد تفضل مولانا بزيادة الواو بمعنى تفوضل قلت وبعضهم يرى أن الواو تزاد بعد لا النافية في الجواب إذا قيل هل فعلت كذا وكذ فيقول لا وعافاك الله .

قال أبو الفرج بن الجوزي : روي عن أمير المؤمنين عمر بن الخطاب رضي الله عنه أنه قال لرجل عربي أكان كذا وكذا فقال : لا أطال الله بقاءك فقال الإمام عمر رضي الله عنه : قد عُلمتم فلم تتعلموا **هلا قلت** : لا وعافاك الله .

وحكي عن الصاحب بن عباد أنه قال هذه الواو هنا أحسن من واوات الأصداغ في وجنات الملاح . قلت وهذه الواو أعني واو عمرو نظم فيها الشعراء كثيرا منهم أبو نواس قال يهجو أشجع السلمي .." (٢)

"""""""""" صفحة رقم ٤٧ """"""""

لا توهِ أعناقَ الرجال بحمله . . . يكفي الذي حملوه من نعمائه

قال الشيخ شهاب الدين فوقع في نفسي أنه أحق الناس بهذا الرثاء وأنه نعى نفسه فمات في ذلك الأسبوع برد الله مضجعه .

نكتة لطيفة قيل إنه لما رجع الشيخ شهاب الدين السهروردي رحمه الله من الشام إلى بغداد وجلس على عادته أخذ يقلل أحوال الناس ويهضم جانب الرجال ويقول إنه ما بقي من يجاري وقد خلت الدنيا وأنشد :

ما في الصحاب أخو وجدٍ نطارحه . . . حديث نجدٍ ولا خلٌّ نجاريه فصاح من أطراف المجلس رجل عليه قباء وكلوتة فقال يا شيخ كم تنتقص بالقوم والله إن فيهم من لم يرض أن يجاريك وقصاراك أن تفهم ما يقول **هلا قلت** :

---

(١) عيون الأخبار، ص/٢٢

(٢) طيب المذاق من ثمرات الأوراق، ص/١٥

ما في الصحاب وقد سارت حمولهم . . . إلا محبٌّ له في الركب محبوب

كأنما يوسفٌ في كلِّ راحلةٍ . . . والحيّ في كلِّ بيتٍ منه يعقوب

فصاح السهروردي ونزل عن الكرسي وطلب الشاب فلم يجده .." (١)

"وما يدخل في صفة البازي من هذا القول.

وتبعه أبو تمام فقال:

هنّ الحمام فإنْ كسرتَ عيافةً ... من حائهنَّ فإنَّهنَّ حمامُ

فمن ذا الذي جهل أنَّ الحمام إذا كسرت حاؤُها صارت حماماً.

وإنما أراد أبو نواس أنه يشبه الجيم لا يغادرُ من شبهها شيئاً، حتى لو زدت عليها هذه الأحرف صارت جعفرا لشدّة شبهها به، وهو عندي صوابٌ، إلا أنه لو اكتفى بقول "كعطفة الجيم بكف أعسرا " ولم يزد الزيادة التي بعدها كان أجود وأرشق وأدخل في مذاهب الفصحاء، وأشبه بالشعر القديم.

وأما قول أبي تمام فله معنى خلافُ ما ذكره، وذلك أنه أراد أنك إذا أردتَ الزّجرَ والعيافة أدّاك الحمام إلى الحمام، كما أنّ صوتها الذي يظنّ أنه بكاء إنما هو طرب، ويؤدّيك إلى البكاء الحقيقي، وهذا المعنى صحيح، إلا أن المعنى إذا صار بهذه المنزلة من الدّقة كان كالمعمّى والتعمية حيث يراد البيانُ عيٌّ.

ومن عيوب المعنى قول أبي نواس في صفة الأسد:

كأنما عينُه إذا نظرت ... بارزة الجفن عينُ مخنوق

فوصف عين الأسد بالجحوظ، وهي توصف بالغؤور، كما قال الرّاجز:

كأنّما ينظر من خرق حجرْ

وكقول أبي زبيد:

كأن عينيه في وقبين من حجرٍ ... قيضا اقتياضاً بأطرافِ المناقِيرِ

وقوله أيضاً:

وعينان كالوقبين في قلب صخرة ... يرى فيها كالجمرتين تسعر

وأنشد مروان بن أبي حفصة عمارة بن عقيل بيته في المأمون:

أضحى إمام الهدَى المأمونُ مشتغلاً ... بالدّين، والناسُ بالدنيا مشاغيلُ

فقال له: ما زدتَه على أن وصفتَه بصفةِ عجوزٍ في يدها مسباحُها، **فهلا قلتَ**: كما قال جدّي في عمر بن

---

(١) طيب المذاق من ثمرات الأوراق، ص/٤٧

عبد العزيز:

فلا هوَ في الدنيا مضيعٌ نصيبَه ... ولا عرض الدّنيَا عن الدين شاغِلُه

ومن الغلط قول أبي تمام:

رقيقُ حواشِي الحلم لو أنَّ حلمَهُ ... بكفّيك ما ماريتَ في أنه بردُ

وما وصف أحدٌ من أهل الجاهلية ولا أهل الإسلام الحلم بالرّقة، وإنما يصفونه بالرجحان والرزانة، كما قال النابغة:

وأعظمُ أحلاماً وأكبر سيداً ... وأفضلُ مشفوعاً إليه وشافعا

وقال الأخطل:

صمٌّ عن الجهل عن قيل الخناخرُس ... وإن ألمَّت بهم مكروهةٌ صبرُوا

شمسُ العداوةِ حتى يستقادَ لهمْ ... وأعظمُ النّاسِ أحلاماً إذا قدرُوا

وقال أبو ذؤيب:

وصبرٌ على حدثِ النّائباتِ ... وحلمٌ رزينٌ وعقلٌ ذكيّ

وقال عديّ بن الرّقاع:

أبتْ لكم مواطِن طيّبات ... وأحلام لكم تزنُ الجبالا

وقال الفرزدق:

إنَّا لتوزنُ بالجبال حُلومنا ... ويزيد جاهلُنا على الجهَّالِ

ومثل هذا كثير.

وإذا ذمّوا الرجل قالوا: خفّ حلمه وطاش، كما قال عياض بن كثير الضبي:

تنائلةٌ سودٌ خفافٌ حلُومُهُم ... ذوو نيربٍ في الحيّ يغدو ويطرقُ

وقال عقبة بن هبيرة الأسدي:

أبنُوا المغيرةِ مثلُ آل خويلدٍ ... يا للرِّجال لخفَّةِ الأحلامِ

لا، بل أحسبني سمعت بيتاً لبعض المحدثين يصف فيه الحلمَ بالرّقةِ وليس بالمختار.

ومن خطئه أيضاً قوله:

من الهيف لو أنّ الخلاخل صيّرت ... لها وشحاً جالتْ عليها الخلاخِلُ

ولو قال: نطقا لكان حسناً، وهذا خطأٌ كبير، وذلك أن الخلخال قدرُه في السعة معروف، ولو صار وشاحاً

للمرأة لكانت المرأة في غاية الدّمامة والقصر، حتى لو كانت هي في خلقة الجرذ والهرة، ولو قال: حقبا لكان جيّداً، كما قال النمري:

ولوْ قستَ يوماً حجلَها بحقَابِها ... لكان سواء، لا، بل الحجلُ أوسَعُ

فجعل الحجلَ أوسع من الحقاب، لأنّ امتلاء الأسوق محمود ودقّة الخصور ممدوح.

والجيد في ذكر الوشاح قول ذي الرمة:

عجزاء ممكوَرة خمصانة قلقٌ ... عنها الوشاحُ وتم الجسمُ والقصبُ

وقال ابن مقبل:

وقد دقّ منها الخصر حتَّى وشاحُها ... يجول، وقد عمّ الخلاخيلَ والقلبَا

وقال طرفة:

وملء السوار من الدُملجين ... وأما الوشاحُ عليها فجالا

وقال كثير:

يجولُ الوشاحُ بأقرَابِها ... وتأبَى خلاخِلُها أن تجُولا

ومن الخطأ قوله أي أبو تمام:

قسم الزّمانُ ربوعها بينَ الصّبا ... وقبولَها ودبورَها أثلاثا

والصّبا: هي القبول.." [1]

"""""""" صفحة رقم ٢٩٧ """""""

ووعد المهدي عيسى بن دأب جارية ، ثم وهبها له ، فأنشده عبد الله بن مصعب الزبيري معرضا بقول مضرس الأسدي : الطويل :

فلا تيأسن من صالح أن تناله . . . وإن كان قدما بين أيد تبادره

فضحك المهدي ، وقال : ادفعوا إلى عبد الله فلانة ، لجارية أخرى ؛ فقال عبد الله بن مصعب : الرجز :

أنجز خير الناس قبل وعده . . . أراح من مطل وطول كده

فقال ابن دأب : ما قلت شيئا ، **هلا قلت** : الرجز :

حلاوة الفضل بوعد ينجز . . . لا خير في العرف كنهب ينهز

فقال المهدي : مجزوء الكامل :

---

(١) كتاب الصناعتين، ص/٣٧

الوعد أحسن ما يكو . . . ن إذا تقدمه ضمان

وقد قال أبو قابوس النصراني يمدح يحيى بن خالد : البسيط :

رأيت يحيى ، أتم الله نعمته . . . عليه ، يأتي الذي لم يأته أحد

ينسى الذي كان من معروفه أبدا . . . إلى الرجال ، ولا ينسى الذي يعد

وقال أبي الطيب المتنبي : المنسرح :

قوم بلوغ الغلام عندهم . . . طعن نحور الكماة لا الحلم

كأنما يولد الندى معهم . . . لا صغر عاذر ولا هرم

إذا توالوا عداوة كشفوا . . . وإن تولوا صنيعة كتموا

تظن من فقدك اعتدادهم . . . أنهم أنعموا وما علموا

ودخل أبو علي البصير على الفضل بن يحيى ، فأنشده : الرمل :

وصف الصد لمن أهوى فصد . . . وبدا يمزح بالهجر فجد

ما له يعدل عني وجهه . . . وهو لا يعدله عندي أحد ؟

لا تريدوا غرة الفضل ، ومن . . . يطلب الغروة في خيس الأسد

ملك ندفع ما نخشى به . . . وبه نصلح منا ما فسد

ينجز الناس إذا ما وعدوا . . . وإذا ما أنجز الفضل وعد." [١]

"""""""" صفحة رقم ٣٠٠ """""""

مبار أعجزني شكرها ، كما أعوزني حصرها . شكره شأو بعيد لا تبلغه أشواطي ، ولا أتلافى التفريط في حقه بإفراطي . إحسانه يعيد العرب عجما ، والفصحاء بكما . قد زحمني من مكارمه ما يحصر عنه المبين ، ويصحبه العي وبئس القرين .

وقال أعرابي : الطويل :

رهنت يدي بالعجز عن شكر بره . . . وما فوق شكري للشكور مزيد

ولو كان شيئا يستطاع استطعته . . . ولكن ما لا يستطاع شديد

وقال يحيى بن أكثم : كنت عند المأمون ، فأتى برجل ترعد فرائصه ؛ فلما مثل بين يديه قال المأمون : كفرت نعمتي ، ولم تشكر معروفي ، فقال : يا أمير المؤمنين ، وأين يقع شكري في جنب ما أنعم الله بك

---

(١) زهر الأداب وثمر الألباب، ٢٩٧/١

علي ، فنظر إلي المأمون ، وقال متمثلا : الطويل :

ولو كان يستغني عن الشكر ماجد . . . لرفعة قدر أو علو مكان

لما أمر الله العباد بشكره . . . فقال : اشكروا لي أيها الثقلان

ثم التفت إلى الرجل فقال : هلا قلت كما قال أصرم بن حميد : البسيط :

ملكت حمدي حتى إنني رجل . . . كلي بكل ثناء فيك مشتغل

خولت شكري لما خولت من نعم . . . فحر شكري ، لما خولتني ، خول

وقال أبو الفتح البستي : الطويل :

لئن عجزت عن شكر برك قوتي . . . وأقوى الورى عن شكر برك عاجز

فإن ثنائي واعتقادي وطاقتي . . . لأفلاك ما أوليتنيها مراكز وقال أبو القاسم الزعفراني : الخفيف :

لي لسان كأنه لي معادي . . . ليس ينبي عن كنه ما في فؤادي

حكم الله لي عليه فلو أن . . . صف قلبي عرفت قدر ودادي." [١]

"وقوله:

فلو أن ما أبقيت مني معلّق ... بعود ثمام ما تأوّد عودها

هو من بالغ ما ورد في صفة النحول لأن الثمام من أضعف النبت وأدقّه عوداً، ولذلك تقول العرب في الشيء تقرّبه " على طرف الثمام " وقول قيس بن معاذ من بالغ ما ورد في هذا الباب ويروى لمحمد بن نمير الثقفي:

ولم أر ليلى غير موقف ساعة ... ببطن منى ترمي جمار المحصّب

ويبدي الحصا منها إذا قذفت به ... من البرد أطراف البنان المخضّب

فأصبحت من ليلى الغداة كناظر ... مع الصبح في أعقاب نجم مغرّب

ألا إنما غادرت يا أمّ مالك ... صدى أينما تذهب به الريح يذهب

ونظر المؤمّل إلى هذا المعنى فقال:

قد صرت من ضعفي إلى حالة ... تجري لها آماق حسّادي

يكاد جسمي من نحول الضنى ... يحمله أنفاس عوّادي

وقد أفرط المحدثون في هذا فقال التمّار:

---

(١) زهر الأداب وثمر الألباب، ٣٠٠/١

قد كان لي فيما مضى خاتم ... والآن لو شئت تمنطقت به

أنحلني الحبّ فلو زجّ بي ... في مقلة النائم لم ينتبه

وقال ابن دريد:

إن الذي أبقيت من جسمه ... يا متلف الصبّ ولم تشعر

صبابة لو أنّها قطرة ... تجول في جفنك لم تقطر

حتى أتى أبو الطيّب فقال:

أراك ظننت السلك جسمي فعقته ... عليك بدرّ عن لقاء الترائب

ولو قلم ألقيت في شقّ رأسه ... من السقم ما غيّرت من خطّ كاتب

فهذا معدوم ألبتّة غير موجود لأن أدقّ ما يكون من الشعر وأحقر ما تدركه حاسّة البصر يغيّر الخطّ.

وأنشد أبو علي " ١ - ٤٣،٤٥ " :

يلقي السيوف بوجهه وبنحره ... ويقيم هامته مقام المغفر

هذا الشعر ينسب إلى ابن المولى محمد بن عبد الله بن مسلم مولى بني عمرو بن عوف من شعراء الدولتين ويوصل به بيت خامس وهو:

وإذا الفوارس عدّدت أبطالها ... عدّوه في أبطالهم بالخنصر

وأكثر مذاهب الشعراء المديح بلبس الدروع وشكّة السلاح وكمال البزّة. قال النابغة:

سهكين من صدإ الحديد كأنّهم ... تحت السنوّر جنّة البقّار

وقال مسلم بن الوليد يمدح بعض آل المهلّب:

تراه في الأمن في درع مضاعفة ... لا يأمن الدهر أن يأتي على عجل

فجعله ملتزماً للبسها وغير عار منها. وقال الأعشى فذهب مذهب الأوّل:

وإذا تجئ كتيبة ملمومة ... خرساء يغشى الذائدون نهالها

كنت المقدّم غير لابس جنّة ... بالسيف تضرب معلماً أبطالها

وعلمت أن النفس تلقى حتفها ... ما كان خالقها المليك قضى لها

يمدح بهذا الشعر قيس بن معدي كرب الكنديّ. ولما أنشد كثيّر عبد الملك بن مروان قوله:

على ابن العاصي دلاص حصينة ... أجاد المسدّي سردها وأذالها

" يؤود ضئيل القوم حمل قتيرها ... ويستضلع القرم الأشمّ احتمالها "

قال له عبد اللمك: **هلاّ قلت** كما قال الأعشى؟

كنت المقدّم غير لابس جنّة

فقال له كثيّر: كلاّ. إن الأعشى وصف صاحبه بالخرق ووصفتك بالحزم. وكان لرسول الله صلى الله عليه وسلم درع إذا علّقت بزرافينها شمّرت وإذا أرسلت مسّت الأرض، وكان لا يشاهد الحروب إلاّ بها، وقد ظاهر في بعض تلك المواطن بين درعين وذلك يوم أحد ومن أمثال العرب: " المستلئم أحزم من المستسلم " وأنشد أبو علي " ١ - ٤٤،٤٥ " :

لقد هزئت منّي بنجران أن رأت ... مقامي في الكبلين أمّ أبان

ع هو لعطارد بن قرّان قاله أبو عبيدة في كتاب الصعاليك، وفيها ولا رجلاً " يرمى به الرجوان " هذه كناية عمن عرض للاستقاء ثم جعل لكل مهنة وابتذال، وقيل إنه كناية عمن يعرّض للهلكة. وفيه لا يقضى لحين أوان. أي لا يهيّأ في الوقت الذي يراد.

وأنشد أبو علي " ١ - ٤٤،٤٦ " لعمرو بن الأيهم:

وتراهن شزّباً كسعالي ... يتطلّعن من ثغور النقاب

ع هو عمرو بن الأيهم بن أفلت التغلبي نصرانيّ شاعر إسلاميّ، ويقال إن اسمه عمير وقيل للأخطل وهو يموت على من تخلّف قومك قال على العميرين يريد القطاميّ عمير بن أشيم وعمير بن الأيهم. وبعد البيت الشاهد:." [(١)]

" ع وقال غيره لا يكون القسيب إلاّ صوته تحت ورق أو قماش. وقال آخرون تحت شجر أو حشيش وأنشدوا لعبيد:

أو جدول في ظلال نخل ... للماء من تحته قسيب

والغقيق: صوته إذا كان في مضيق.

وأنشد أبو علي " ١ - ٩٨،٩٨ " لابن أحمر:

أزاحمهم بالباب إذ يدفعونني ... وبالظّهر منّي من قرا الباب عاذر

وهو عمرو بن أحمر بن فرّاص بن معن باهلي شاعر إسلاميّ يكنى أبا الخطّاب قال:

فجئت وقد قام الخصوم كأنّهم ... قروم تسامى بينهن الحناجر

فما زلت حتى أدحض الخصم حجّتي ... وقد مسّ ظهري من قرى الباب عاذر

---

(١) سمط اللآلي، ص/٥٢

هكذا رواه غير واحد. وقرى الباب: ظهره كأنه أطبق عليه. وأدحض: أي أغرب وأزهق. ويريد بالحناجر الكلام لأنه منها يكون. وتسامى: أي ارتفع وعلا. وكان خاصم في حمالة كانت بينهم فصولحوا عليها.

ومن العاذر الأثر قولهم:

إن اللئيم بفعله معذور

أي موسوم وقال أبو علي " ١ - ٩٨،٩٩ " : ومكشّم مقطوع.

ع أكثر ما يقع الكشم في اللغة على قطع الأنف والأذن يقال رجل أكشم إذا كان مقطوع الأنف أو الأذن. فأمّا الذي يخصّ الأذن فالصلم، والذي يخصّ الأنف الجدع، والذي يخصّ اليد الجذم.

أنش أبو علي " ١ - ٩٨،٩٩ " لأبي العميثل:

لقيت ابنة السّهمي زينب عن عفر ... ونحن حرام مسى عاشرة العشر

ع قال أبو علي اسم أبي العميثل عبد الله بن خالد وقال أبو بكر الصوليّ اسمه خويلد بن خالد وهو مولى لبني العباس. قال دعبل: وكان أعرابياً فصيحاً وهو شاعر مكثر وبعد البيتين:

فكلّمتها ثنتين كالثلج منهما ... على اللوح والأخرى أحرّ من الجمر

اللوح: العطش. ويروى على القلب يعني السلام في أول اللقاء والسلام عند الوداع وقال أبو العباس: " مغذّ وذو فتر " : يرفق بها لأنها امرأة ويسرع بي لأني رجل.

وأنشد أبو عليّ " ١ - ٩٩،٩٩ " لحندج بن حندج:

في ليل صول تناهي العرض والطّول

ع حندج هذا مرّي شاعر مقلّ إسلاميّ والحندج ما تراكب من الرمل وقيل: الحندجة رملة طيّبة تنبت ألواناً من النبات. وقوله بالسوط مقتول: إنما أراد أن ضرب السوط لا يجهز على الحيّة فهو يضطرب ويتململ وإن كان لا ترجى له حياة، ومن لم ترج له حياة فهو مقتول.

وأنشد أبو علي " ١ - ٩٩،١٠٠ " لبشار:

خليلّي ما بال الدجى لا تزحزح ... وما لعمود الصبح لا يتوضّح

أضلّ؟ النهار المستنير طريقه ... أم الدهر ليل كلّه ليس يبرح

وطال عليّ الليل حتّى كأنّه ... بليلين موصول فما يتزحزح

ع وتمام الشعر وهو كلّه مختار:

كأنّ الدجى زادت وما زادت الدجى ... ولكن أطال الليل همّ مبرّح

لقد هاج دمعي نازح بنزوحه ... ونومي إذا ما نوّم الناس أنزح

وأنشد أبو علي " ١ - ١٠٠،١٠٠ " لعديّ بن الرقاع:

وكأن ليلي حين تغرب شمسه ... بسواد آخر غيره موصول

هو عديّ بن زيد بن مالك بن عثمان بن الرقاع بن عاملة. وعاملة اسمه الحارث. وقد اختلف في نسب عاملة فقيل هو من زيد بن كهلان بن سبأ، وقيل هو من قضاعة، وقيل من ربيعة. وعديّ شاعر إسلاميّ يكنى أبا داود وبعد البيت:

أرعى النجوم إذا تغيّب كوكب ... أبصرت آخر كالسّراج يجول

وأنشد أبو علي " ١ - ١٠٠،١٠٠ " لبشار:

لم يطل ليلي ولكن لم أنم ... ونفي عنيّ الكرى طيف ألمّ

هذا أوّل الأبيات وبعده:

وإذا قلت لها جودي لنا ... حرجت بالصمت عن لا ونعم

ختم الحبّ لها في عنقي ... موضع الخاتم من أهل الذمم

خفّفي عنّا قليلاً واعلمي ... أنّنا يا هند من لحم ودم

ويروى أن مروان ابن أبي حفصة قال قلت لبشّار وقد أنشدني هذا الشعر: **هلاّ قلت** خرست بالصّمت عن لا ونعم! فقال لي: لو كنت في عقلك لقلته أتطيّر على من أحبّه بالخرس؟ وسأل بعض الرواة أبا عمر وابن العلاء من أبدع الناس بيتاً؟ قال الذي يقول:

لم يطل ليلي ولكن لم أنم ... ونفي عنّي الكرى طيف ألمّ

قلت: فمن أمدح الناس؟ قال الذي يقول:

لمست بكفي كفّه أبتغي الغنى ... ولم أدر أن الجود من كفّه يعدى." (١)

" ع قد تقدم ذكر العطوى وهو: محمد بن عبد الرحمن ابن أبي عطية، مولى بني ليث من كنانة يكنى أبا عبد الرحمن، بصرى المولد والمنشأ، وشاعر من شعراء الدولة الهاشمية، وكان معتزليا قوياً في مذهبه، متقدما في جدله، وبهذا المذهب اتصل بأحمد بن أبي دؤاد وتقرب إليه، وكان مختصاً به. وهشام الذي ذكره في شعره هو: هشام بن الحكم البغدادي، وكان من الحشوية المشبهة، وكان هو وأصحابه يقولون إن البارى تعالى في أحسن الأقدار لا يزدون على ذلك، ويروون أحاديث في التشبيه كثيرة مستحيلة، وحجتهم

---

(١) سمط اللآلي، ص/٨٧

أنه لا يقوم في المعقول إلا جسم أو عرض، فلما بطل وقوع الفعل الفعل من العرض وصح من الجسم، كان ذلك دليلا لهم على ما قالوا. وقياسهم أفسد، لأنه لا يقوم في المعقول جسم إلا مؤلف، فإن قالوا ذلك ولا بد لهم منه، فقد أقروا أن البارئ عز وجل مخلوق تعالى الله عز وجل علواً كبيرا. وقد ذهبت طائفة من الروافض إلى صورة الإنسان كقول اليهود لعنهم الله.

وأنشد أبو علي:

لا أترك ابن العم يمشي على شفاً ... وإنن بلغتني من أذاه الجنادع

ع هذه الأبيات لمحمد بن عبد الله الأزدي هكذا نسبه أبو تمام، ويروى: وحسبك من لؤم وسوء صنيعة وقد رأيته منسوبا إلى مضرس بن ربعى الفقعسى. ويوصل به أبيات، منها:

وإن امرأ في الناس يعطى ظلامة ... ويمنع نصف الحق منه لواضع

أبا لموت يخشى أثكل الله أمه! ... أم العيش يرجو نفعه وهو ضائع

والصحيح ما قاله أبو تمام.

وذكر أبو علي قول رؤبة لأبي النجم لما أنشده:

بين رماحي مالك ونهشل

ع يريد رؤبة نهشل بن دارم بن مالك بن حنظلة، وإنما أراد أبو النجم مالك بن ضبيعة بن قيس ثعلبة بن عكابة بن صعب بن علي، يريد بين بلاد بكر وبلاد بني تميم. وصلة الشطر:

الحمد لله الوهوب المجزل ... أعطى فلم يبخل ولم يبخل

كوم الرى من خول المخول ... تبقلت من أول التبقل

يقول: رعت هذه المواضع لعزها كما قال امرؤ القيس:

تحاماه أطراف الرماح تحامياً ... وجاد عليه كل أسحم هطال

قال أبو عمرو الشيباني: قيل لأبي النجم هلا قلت: بين رماحي دارم ونهشل قال: لقد ضيقت عليها المرعى إذن.

وأنشد أبو علي للمخبل:

إذا أنت عاديت الرجال فلاقهم ... وعرضك عن غب الأمور سليم

ع المخبل لقب وهو ربيعة بن مالك بن ربيعة بن عوف أحد بنى أنف الناقة، واسمه جعفر بن قريع بن عوف بن كعب بن سعد بن زيد مناة بن تميم، هذا قول محمد بن حبيب. وقال ابن الكلبي: اسم المخبل

الربيع بن ربيعة بن عوف، وقال ابن دأب: اسمه كعب بن ربيعة بن عوف، يكنى أبا يزيد، وهو شاعر مخضرم فحل، وهو الذي عنى الفرزدق بقوله:

وهب القصائد لي النوابغ كلهم ... وابو يزيد وذو القروح وجرول

وقوله: وعرضك عن غب الأعور سليم يعني عاقبة السوء وما يؤول مثلبة على صاحبه وفي رواية غيره: وعرضك عن غث الأمور سليم غثها: ساقطها، يقال فلان غث الحديث.

وأنشد أبو علي لعروة بن الورد:

قلت لقوم في الكنيف تروحواعشية بتنا عند ماوان رزح

ع كان عروة قد أصابت قومه سنوات جهدتهم، وهو غائب فرجع مخفقاً، فوجد قومه قد عننوا عننا من البرد وشدة الزمان والجهد، فندب منهم رهطا وهطا، فخرجوا معه وقال هذا الشعر: وما وان: بين النقرة والربذة فأتى عروة وأصحابه أرض بنى القين، فأصابوا مائة إبل فاستاقوها.

وذكر أبو علي قال قيل للفرزدق: إن ههنا أعرابياً قرباً منك ينشد الشعر فقال إن هذا لقائف أو حائن، فأتاه فقال: ممن الرجل؟ قال: من فقعس، قال: كيف تركت القنان؟ قال يساير لصاف. قال أبو علي: فقلت ما أراد الفرزدق والفقعسى، قال: أراد الفرزدق قول الشاعر:

ضمن القنان لفقعس سوآتها ... إن القنان بفقعس لمعمر

وأراد الفقعسى قول الشاعر:

وإذا يسرك من تميم خصلة ... فلما يسوءك من تميم أكثر

قد كنت أحسبكم لسود خفية ... فغذا لصاف تبيض فيه الحمر

أكلت أسيد والهجيم ودارم ... أير الحمار وخصيتيه العنبر

هذه رواية محالة عن وجهها في الخبر وفي بيت من الشعر ذكر المدائني وغيره قال مر الفرزدق بمضرس بن ربعي الأسدي وهو ينشد بالمربد قصيدته التي أولها:." [١]

"شهِدْتُ لقد أقْوَتْ مغانيكُمُ بعْدي ... ومحَّتْ كما محّتْ وشائِعُ من بُرْدِ

حتى انتهيتُ الى قوله:

كريمٌ متى أمدَحْهُ أمْدَحْه والوَرى ... معي ومتى ما لُمْتُه، لُمْتُه وحدي

فقال: هل تعرِفُ في هذا البيت عيباً؟ قلت: نعم، قابلَ المدحَ باللّوم فلم يوفِ التطبيقَ حقَّهُ إذ حقُّ المدحِ

---

(١) سمط اللآلي، ص/٢٤٥

أن يقابَلَ بالهجو والذّمِ، فقال: غيرَ هذا أردتُ، قلت: ما أعرفُ، قال: أحدُ ما يُحتاجُ إليه في الشعرِ سلامةُ حروفِ اللفظِ من الثِقل، وهذا التكريرُ في أمدحْهُ، أمدحْه مع الجمعِ بين الحاء والهاء مرتين، وهُما من حُروف الحلْق، خارجٌ عن حد الاعتدال، نافِرٍ كلَّ النِفار. قلت: هذا لا يدركُه إلا من انقادَتْ وجوهُ العِلْمِ له وأنهضَهُ الى ذُراها طبعُه.

قيلَ: وسمعَ الأصمعي قولَ الأعشى:

كأنّ مِشيَتَها من بيتِ جارَتِها ... مرُّ السّحابةِ لا ريْثٌ ولا عجَلُ

فقال: لقد جعلها خَرّاجةً ولاّجَةً، هلاّ قال كما قال الآخر:

ويُكرِمُها جاراتُها فيَزُرْنَها ... وتعتلُّ عن إتيانِهنَّ فتُعذَرُ

وأقول: إنّ نقدَ الشعر صناعةٌ لا يعرفها حقَّ معرفتِها إلا مَنْ قد دُفع الى مضائِقِ القريض وتجرّع غُصَصَ اعتياصِه عليه، وعرَفَ كيف يتقحّمُ مهاويَهُ ويترامى إليه. قال أبو العبّاس محمّد بن يزيد المبرّد: قال لي عُمارةُ بن عقيل بن بلال بن جرير قال لي مروان بن أبي حفصة: إنّ المأمونَ لا بصيرةَ له بالشعرِ، قلت له: وكيفَ ذاك، وإنّا لَنُنشدُهُ صدْرَ البيت فيسبقُنا الى عجُزِه ولم يكن قد سمِعَه من قبل؟ قال: إنّي قلت فيه شِعراً جيداً فلم يهتزَّ له، قال: فقلت له: وما الذي قلت فيه؟ فأنشدني:

أضْحى إمامُ الهُدى المأمونُ مُشتَغِلاً ... بالدينِ والناسُ بالدنيا مشاغيلُ

قال: فقلتُ له: ما صنعتَ شيئاً، وما زِدْتَ على أنْ جعلتَه عجوزاً في محرابها بيدِها سُبْحَتُها، فمن يقوم بأمر الدنيا إذا كان الخليفةُ مشغولاً عنها، وهو المطوّقُ أمرَها؟ هلاّ قُلتَ كما قال عمُّك جرير في عبدِ العزيز بن الوليد بن عبد الملك:

فلا هُوَ في الدُنيا مُضيعٌ نصيبَهُ ... ولا عَرَضُ الدنيا عن الدينِ شاغِلُهْ

وهذا نقْدٌ حسَن.

وحكى أبو عثمان الجاحظ قال: طلبتُ علمَ الشعر عند الأصمعيّ فوجدتُه لا يعرفُ إلا غريبَه، فرجعتُ الى الأخفش فوجدته لا يتقنُ إلا إعرابَه، فعطفتُ على أبي عبيدة فرأيته لا ينفُذُ إلا فيما اتّصل بالأخبار وتعلّق بالأيام والأنساب، فلمْ أظفَر بما أردتُ، إلا عند أدباء الكتاب؛ كالحسَن بن وهْب ومحمد بن عبد الملك الزّيات، فلله درُّ أبي عثمان، لقد غاص على سرِّ الشّعر، واستخرجَ أدقَّ من السِّحر، والشاعرُ يُحكَم له على الشاعر ببَيت واحد، والبيتُ يُفضَّل على البيت بكلمة واحدة، ألا ترى الى قول امرئ القيس:

وقوفاً بها صَحْبي عليَّ مطيَّهمْ ... يقولون لا تَهْلِكْ أسىً وتَجمَّلِ

وقول طرفة البيت بجملته، ثم ختمه بقوله: وتجَلَّدِ، وهما شاعران مُفْلِقان، وقدّرنا أنهما قد تواردا، ولم نحْكُم على طرَفَة بالسّرِقة، ودُعينا الى الحُكم بينهُما، وتفضيل أحد البيتَيْن على الآخر، وليس فيهما من الاختلاف سوى التجمّل والتجلُّد. فمن النَقْدِ الحسَن تفضيلُ التجمُّل على التجلّد، والحكم بالبيت لصاحبِه، لأنّ التجمل إبداءُ تحسُّنٍ عن قوة ومادة متصلة منَ المَكِنَة. والتجلّد إبداُ تحسُّنٍ عن ضعفٍ، ومادةٍ متصلةٍ من العجْزِ، وبين اللفظتين بوْنٌ بَعيد. ولو دُعينا الى الحُكم بين لَقيط بن زُرارة ومن حَذا حَذوَه في قوله:

فتىً يشتري حُسْنَ الثّناءِ بمالِه ... ليَبْقى وما أبقيتَ مثلَ المَحامِدِ

وقول الحكميّ:

فتىً يشْتري حُسْنَ الثّناءِ بمالِه ... ويعلمُ أنّ الدائراتِ تَدورُ

وقول الآخر:

فتىً يشتري حسنَ الثناءِ بمالِه ... إذا السَّنةُ الشهْباءُ قلّ قِطارُها." (١)

"قال المنصور: فقلت له: كمْ كان مروانُ أعطاك؟ قال: أغناني غِنى الأبَد، فما أسألُ أحداً بعدَه، قال: فهمَمْتُ بقتله، ثم ذكرْتُ حقّ الاسترسال، وحُرمَةَ الصُحبة، فأطلقْتُه، وبدا لي فأمرتُ بطلبهِ فكأنّ البيداء أبادَتْهُ ورُويَ أنّ يزيدَ بنَ رُوَيْمٍ الشَيْباني، وكان رجلاً مِسْياعاً فأراحَ إبلَهُ ذات ليلةٍ من المَرْعى على أبيه، فقال له أبوه: لمْ تُعَشّها؟ فقال: بَلى قد فعلتُ، فدفعَ أبوه ثوبَه في وجوهِ الإبل فنفّرها وصرفَها الى المرعى وقال: أحسِنْ عَشاءها، فقال الغلام: إني لأحسِبُ غيرَك سيَبيتُ ربَّها. فلما صار الى الموضع الذي يُعَشّي إبلَهُ فيه، مرّ به سِرْحانُ بن أرطأة السّعْدي في مِقْنَبٍ له، فساق الإبلَ وأخذَ الغلامَ فأوثقَهُ شدّاً على بعض تلك الأباعر فرفعَ الغلام عقيرته وأنشد:

يا ويْحَ أمّ لي عليّ كريمةٍ ... فقْدي لَها شجَنٌ من الأشجانِ

إنّ الذي ترْجينَ نفْعَ إيابِه ... سقَطَ العشاءُ به على سِرحانِ

سَقَطَ العشاءُ به على مُتقَمّرٍ ... ثَبْتِ الجَنانِ مُعاودِ التّطْعانِ

فلما سمع سرحانُ بنُ أرطأة شِعرَه قال له: أشاعر؟ قال: نعم، قال: خلّوا عنه، فأطلقَه وردّ عليه إبلَه. وقولهم في المثل: وقعَ العشاءُ به على سِرحان، قيل: السرحانُ هاهُنا الذّئب، وقال قوم: بل هو سرحانُ بنُ معتَّب الغنَويّ، وكان قد أغار على إبلِ نُصَيْحَةَ الأسَديّ، فقال أخوه هزيلةُ بنُ معتَّب:

أبْلِغْ نُصَيحةَ أنّ راعي إبْلهِ ... سقطَ العشاءُ به على سِرْحانِ

---

(١) نضرة الاغريض في نصرة القريض، ص/٤٠

سقَطَ العشاءُ بهِ على مُتَقمِّرٍ ... لمْ يُثْنِهِ خوفٌ من الحدَثانِ

والرواية الصحيحة ما ذكرناه أولاً. ولولا الشعرُ والشاعرُ، لذهبَتِ النفس والأباعرُ.

وقال المفضّلُ الضّبيّ: كنتُ الى جنب إبراهيم بن عبد الله بن حسن بن علي بن أبي طالب رضي الله عنه يوم لقائِه عسكرَ المنصور، فالتفتَ إليّ وقال: يا مفضّل أنشدني شيئاً، فقلت: إنّه يريدُ مني ما أحرِّكُهُ به، فأنشدْته أبياتَ عُوَيْفٍ الفَزاريّ:

أقول لفِتيانٍ كِرامٍ ترَوّحوا ... على الجُرْدِ في أفواهِهنّ الشكائِمُ

قِفوا وَقْفَةً مَنْ يَحْيَ لا يخْزَ بعدها ... ومن يُخْتَرَمْ لا تتّبعْه اللوائِمُ

وما أنت باعَدتَ نفسَك عنهُمُ ... لتَسلمَ منها، آخرَ الدّهر سالِم

فقال: يا مفضَّل أعِدْ. فأعدتُ ثلاثاً، فتمطّى في رَكْبه حتى قلت تقطّعَتْ، وحملَ مرّةً بعد مرة يقتلُ في كل واحدة النفس والعشْرَة الى أن حملَ فلم يعُد. وقيل: جاءَهُ سهمٌ عائر فذبحَه.

وحكَى شُرَحْبيل بنُ معن بن زائدة قال: كنتُ بطريقِ مكةَ فسِرْتُ تحتَ قُبّةِ يحْيى بن خالد، وعديله أبو يوسُف القاضي إذ أقبلَ رجلٌ على نجيب، فأنشدَ شِعْراً لم يرْضَهُ يحيى، وقال له: ألم أنْهَكَ عن قول مثله؟ هلاّ قلتَ كما قال الشاعر:

بَنو مطَرٍ يومَ اللّقاءِ كأنّهمْ ... أسودٌ لها في غِيلِ خفّانَ أشبُلُ

لَهاميمُ في الإسلام سادوا ولم يكُنْ ... لأوّلهم في الجاهليةِ أولُ

همُ يمنعون الجارَ حتى كأنّما ... لجارِهِمُ بينَ السِّماكَيْنِ منزلُ

همُ القومُ إن قالوا أصابوا وإن دُعوا ... أجابوا وإن أَعْطَوا أطابوا وأجزَلوا

ثلاثٌ بأمثالِ الجبالِ حُلومُهمْ ... وأحلامُهمْ منها لدى الرّوعِ أثقَلُ

وما يستطيعُ الفاعِلونَ فَعالَهُم ... وإنْ أحسَنوا في النّابياتِ وأجْمَلوا

فقال أبو يوسف ليحيى: لله درُّ قائله! لمَنْ هذا الشعر؟ فقال يحيى: لمروان بن أبي حفْصَة في والد هذا الفتى، ورمَقَني بطَرْفِه، فالتفتَ أبو يوسف إليّ وقال: من أنت يا فتى؟ فقلت: شُرَحْبيلُ بنُ معن بن زائدة. قال شُرَحْبيل: فوالله ما أعرفُ دخلَ على قلبي سُرور أعظم من سروري بذلك، ولا مرّتْ عليّ ساعةٌ أطيبُ من تلك الساعة.

وقيل لمّا بلغَ علقمَةَ قولُ الأعشى:

تَبيتون في المشتى مِلاءً بُطونُكم ... وجاراتُكم غَرْثَى يبِتْنَ خمائصا." (١)

"فقال له قيس: يا ويلكَ تقول وقد زعَموا. وهذه كلمةٌ لا تُستعمَل إلا عندَ الشكِّ في صِدْق القائل! فجعلها حَشْوةً أفسدَ بها معنى البيت. فلو قال:

ونُبِّئْتُ قيساً ولمْ آتِه ... على نأيِهِ سادَ أهلَ اليمَنْ

لخلَص من ذلك.

وينبغي للشاعر أن يتعفّفَ في شعرِه ولا يستَبْهِرَ بالفواحشِ، ولا يتهكّمَ في الهجاء، فإنّ العلماء ذمّوا من اعتمد ذلك، ومن كان يتعهّرُ ولا يتستّرُ مثل امرئ القيس في قوله:

ومثلِك حُبْلى قد طرَقْتُ ومُرضع ... فألْهَيتُها عن ذي تمائمَ مُحْوِلِ

وينبغي للشاعر أن يستعمل لفظةً لإقامة وزنِ البيت وهي مُفسِدة بمعناها له، وإذا حكَم عليه البيتُ بذلك فالأوْلى إسقاطُه. ألا ترى ذا الرُمّة وقوله:

حَراجيجُ ما تنفكُّ إلا مُناخةً ... على الخَسْفِ أو ترمي بها بلداً قَفْرا

كيف أدخلَ إلا بعد ما تنفك لإقامة وزن البيت فأفسدَه. لأنّ مايزالُ وماينفك في كلامِهم جَحْدٌ وإلا تحقيقٌ، فكيف يجتمعان! ولهذا لو قُلت: مازالَ زيدٌ إلا قائماً، لم يجُزْ.

وينبغي للشاعر أنه إذا رأى الشِّعرَ قد اعتاصَ عليه ومنعَ جانبَه منه أنْ يتركَهُ في تلك الحال ولا يكُدَّ قريحتَه فيه، ولا يكلِّفَ خاطرَهُ اقتحامَ مهاويه. فقلّما يجيءُ الشعر على تلك الحال كما يؤْثِرُ الشاعرُ، ولعلّ في تركِه له حدوثَ معنىً لم يكنْ في الخاطر من قبْلُ، وقد وقعَ لجماعةٍ من الشعراءِ مثلُ ذلك كثيراً.

قيلَ: لما وفدَ ذو الرُمّة على بلال جعلَ يتردّدُ إليه ويحاولُ أن يبتدئَ قصيدةً فيه والشّعرُ يعتاصُ عليه فلا يقدرُ أن يصل إليه، فقال له عجوزٌ كان يُكثر الغُدوَّ والرَّواحَ عليها. وكان جميلاً: قد طالَ تَردادُك يا فتى، أفإلى زوجةٍ سعِدتَ بها، أم الى خُصومةٍ شَقيتَ من أجْلِها، فالتفت ذو الرُمّة الى راويتِهِ وقال: جاء والله ما أريد، ثمّ أنشأ قائلاً:

تقولُ عجوزٌ مَدْرَجي مُتروِّحاً ... على بابِها من عِنْدِ أهلي وغادِيا

الى زوجةٍ بالمصرِ أمْ لخُصومَةٍ ... أراكَ لها بالبصرةِ العامَ ثاوِيا

ومرّ في القصيدة، فكأنّ العجوزَ اقتدَحَتْ بكلامِها زَنْدَ خاطرِه.

---

(١) نضرة الاغريض في نصرة القريض، ص/٥٨

والفصيحُ في اللغة أن يُقال: فلانةٌ زوجُ فلان ولا يقالُ زوجةُ فلان. وقال ابن مناذر قلت:

يَقدحُ الدهرُ في شماريخِ رضوى

ومكثتُ حوْلاً لا أقدرُ على إتمامِه فسمعتُ قائِلاً يقول: هَبّود، فقلت: وما هَبّود؟ قيلَ جبلٌ، فقلت:

ويحطُّ الصّخورَ من هبّود

وفي مثلِ هذه الحكاية ما حدّثَ به أبو الحسن عليُّ بنُ نصْرٍ الكاتب قال: حدّثني زعيمُ المُلك قال: قال لي أبو الحسن الجهرميّ: لمّا عملتُ قطْعَتي التي أصِفُ الدّيكَ فيها، وأوّلها:

يا رُبَّ أفرَقَ قُبْرُ سِ ... يٍّ ليسَ بالجَزِعِ الفَروقِ

علِقَ الدُجى بذيولِهِ ... لمّا تطلّسَ بالبُروقِ

فالنّارُ لونُ لِباسِه ... وسِواهُ منها في حَريق

حُذيَ النُّضار وزيدَ تحْ ... سيناً فتُوّجَ بالعقيقِ

فتخالُهُ خاضَ الأصي ... لَ وبلَّ فرْعاً بالشُروقِ

يمشي بمِهْمازَيْنِ إم ... ما للنّجاةِ أو اللُّحوقِ

سكِرَتْ لحاظُ الناظري ... ه بكأسِ مَفْرِقِه الرّحيق

بقيتُ أياماً أفكّرُ في بسْطِ رجلِه إذا وطِئَ الأرضَ ورفعِها متمَهّلاً أن يضعَها على الأرض، ومازلْتُ أقبِضُ يديَ وأبسطُها متطلّباً المعنى، فقالتْ لي امرأة كانت تراني: أيُّ شيءٍ بك، كأنك تقارعُ أحداً؟ فقلت لها: رفّهتِني وخرجتِ إليّ بغَرضي ثمّ قلت:

مُتشابِهُ الخطَواتِ ينْ ... قُلُهنّ بالمَهْلِ الرفيقِ

رِجْلٌ تُريكَ يدَ المُقا ... رِعِ في مُصافحةِ الطريقِ

وينبغي للشاعر أن يُقارِبَ بين الألفاظِ ولا يُباعِدَ بينها، فهو عيبٌ، كما قيل: إنّ الكُمَيْت أنشد نُصَيْباً قولَه:

وقد رأينا بها حُوراً منَعَّمةً ... بيضاً تكاملَ فيها الدّلُ والشنبُ

فعقدَ نُصَيْبٌ خِنصَرَهُ فقال له الكُمَيْت: ما هذا؟ قال: أعُدُّ غلطَك، **هلاّ قُلتَ** كما قال ذو الرّمّة:." [١]

"على أن ابن حمديس أتى بالمعنى كاملا في بيت واحد، وإدريس اليماني إنما أتى به في بيتين. ولكن نظم إدريس أعلق بالقلب، وأوقع في النفس، وأعذب في السمع.

وقريب من هذا المعنى قول أبي العلاء المعري في اللزوميات:

---

(١) نضرة الاغريض في نصرة القريض، ص/٧٦

لم يكن الدنّ غير نكرٍ ... سلافة الراح عرّفته
كآدمٍ صيغ من ترابٍ ... ونفخة الروح شرفته
وكلاهما تسلق على هذا المعنى، ونقله إلى الثقل والخفة، وإلا فهو هو.
وعلى ذكر الخفة في الخمر والطيران، فما أحلى قول أبي الحسين الفكيك:
بكرٌ خطابٌ إذا ما الماء خالطها ... أبدت لنا زبدا في سورة الغضب
كادت تطير نفارا حين واقعها ... لولا شبابيك ما صاغت من الحبب
نماذج من إنشاء ابن الأثير يدعي فيها السمو
قال: وقد جاءني في الكلام المنثور شيء من هذا الضرب، وسأذكر ههنا منه نبذة. فمن ذلك ما ذكرته في وصف صورة مليحة فقلت: ألبس من الحسن أنضر لباس، وخلق من طينة غير طينة الناس، وكما زاد حسنا فكذلك زاد طيبا ، واتفقت فيه الأهواء حتى صار إلى كل قلب حبيبا ، فلو صافح الورد لتعطرت أوراقه، ولو مر على اللينوفر ليلا لتفتحت أحداقه.
أقول: أي غريب في هذه المعاني، وأي إبداع حتى يثبته ويتعجب له ويروقه.
أما الأول فمأخوذ من قول:
ربيب ملكٍ كأنّ الله صوّره ... مسكا ، وقدّر إنشاء الورى طينا
ولا يخفى أن هذا أمدح وأحسن.
وأما الثاني، فمأخوذ من قول البحتري:
أفرغت في الزجاج من كل قلبٍ ... فهي محبوبةٌ إلى كل نفس
وقول ابن لنكك.
عصرت من دم القلوب فما تب ... صر إلا تعلقت بالقلوب
وأما قوله فلو صافح الورد لتعطرت أوراقه، فأي مزية لهذا الموصوف بهذه الصفة والورد ما زال عطرا ، سواء صافحه زنجي أو غيره، وهذا من باب تحصيل الحاصل. ولو قال: فلو صافح الأثل تضوع منه نشر البان، ولو مر على اللينوفر في الليل لأيقظ طرفه الوسنان لكان أحسن. فإن الورد لو صافحه أبو الأسود الدؤلي أبو عبد الملك بن مروان، لكان طيب العرف، والمدح إنما يكون بأن الإنسان يكسب الطيب ما ليس له طيب ويفيد الحسن ما لم يكن معروفا بحسن.
ألا ترى أنهم عابوا على كثير عزة قوله:

وما روضةٌ بالحزن طيبة الثرى ... يمجّ النّدى جثجاثها وعرارها

بأطيب من أردان عزة موهنا ... وقد أوقدت بالمندل الرطب نارها

وقيل له: لو كانت هذه أمة زنجية ووقود نارها مندل رطب، لطاب ريحها وتعطر ردنها. **وهلا قلت** كما قال امرؤ القيس.

ألم تر أني كلما جئت طارقا ... وجدت لها طيبا وإن لم تطيّب

ولهذا استحسنوا قول القائل:

وريحها أطيب من طيبها ... والطيب فيه المسك والعنبر

فانظر إلى هذا الشاعر لما أثبت أنها تتطيب جعل ريحها أطيب منه.

وبالغ بشار بن برد في قوله:

وإذا أدنيت منها بصلا ... غلب الطيب على ريح البصل

لكن هجن هذا المعنى بذكر البصل.

ويحكى أن بعض الشيعة أنشد أبا مجالد قول السيد الحميري:

أقسم بالله وآياته ... والمرء عمّا قال مسؤول

أنّ عليّ بن أبي طالبٍ ... على الهدى والبر مجبول

ذاك الذي سلّم في ليلةٍ ... عليه ميكالٌ وجبريل

ميكال في ألفٍ وجبريل في ... ألفٍ ويتلوهم سرافيل

في يوم بدرٍ بددا كلهم ... كأنهم طيرٌ أبابيل

فقال له أبو مجالد: يا هذا إن الشاعر لم يمدح صاحبك، وإنما هجاه في موضعين أحدهما أنه زعم أن عليا كرم الله وجهه مجبول على البر والهدى، ومن جبل على أمر لم يمدح عليه، لأنه لم يكسبه بسعيه.

وثانيهما أنه ادعى أن أيد في حروبه بالملائكة، ولا فضيله له حينئذ في الظفر، لأن أبا حية النميري لو أيد بهؤلاء لقهر الأعداء.

ذكر ذلك أبو عمر الزاهد في كتاب الياقوته فثبت بمثل هذا أن لا مدح في قوله: لو صافح الورد لتعطرت أوراقه. ويؤيد هذا أنه تنبه لهذا في السجعة الثانية فقال: ولو مر على اللينوفر ليلا لتفتحت أحداقه فاحترز

باللیل لأنه في النهار یکون مفتوح الأوراق.

ومن طریف ما جاء للشعراء في الدینوفر قول الخبز أرزي:." [1]

"رجع إلى أخبار صاعد اللغوي البغدادي:

حكي (١) أنه دخل على المنصور يوم عيد، وعليه ثياب جدد وخف جديد، فمشى على حافة البركة لازدحام الحاضرين في الصحن، فزلق فسقط في الماء، فضحك المنصور، وأمر بإخراجه، وقد كاد البرد أن يأتي عليه، فخلع عليه، وأدنى مجلسه، وقال له: هل حضرك شيء فقال:

شيئان كانا في الزمان عجيبة ... ضرط ابن وهب ثم وقعة (٢) صاعد فاستبرد ما أتى به فقال أبو مروان الكاتب الجزيري: هلا قلت:

سروري بغرتك المشرقه ... وديمة راحتك المغدقه

ثناني نشوان حتى غرق ... ت في لجة البركة المطبقه

لئن ظل عبدك فيها الغريق ... فجودك من قبلها أغرقه فقال له المنصور: لله درك يا أبا مروان، قسناك بأهل بغداد ففضلتهم، فبمن نقيسك بعد انتهى. وقال في الذخيرة في ترجمة صاعد (٣) : وفد على المنصور نجما من المشرق غرب، ولسانا عن العرب، وأراد المنصور أن يعفي به آثار أبي علي القالي فألفى سيفه كهاما، وسحابه جهاما، من رجل يتكلم بملء فيه، ولا يوثق بكل ما يذره، ولا ما يأتيه، انتهى باختصار.

وأصل صاعد من ديار الموصل، وقال ارتجالا وقد عبث المنصور بترنجان:

لم أدر قبل ترنجان عبثت به ... أن الزمرد أغصان وأوراق

---

(١) انظر الذخيرة ٤ / ١: ٢٣.

(٢) الذخيرة: زلقة.

(٣) الذخيرة ٤ / ١؛ وبدائع البدائه ٢: ٣١.." [2]

"""""""""" صفحة رقم ٢٩١ """"""""

أثاثة ، وحسا بن ثابت ، وحمنة بنت جحش ، وكانوا ممن أفصح بالفاحشة فضربوا حدهم ؛ فقال رجل من المسلمين في ذلك :

---

[1] نصرة الثائر على المثل السائر، ص/٥٤

[2] نفح الطيب من غصن الأندلس الرطيب، ٩٥/٣

لقد ذاق حسا الذي كان أهله . . . وحمنة إذ قالوا هجيرا ومسطح

تعاطوا برجم الغيب زوج نبيهم . . . وسخطة ذي العرش الكريم فأترحوا

وآذوا رسول الله فيها فجللوا . . . مخازي تبقى عمموها وفضحوا

وصبت عليهم محصدات كانها . . . شآبيب قطر من ذرى المزن تسفح

وحكى أبو عمر بن عبد البر في ترجمة مسطح – وهو عوف بن أثاثة بن عباد ابن عبد المطلب بن عبد مناف بن قصي ، وأمه سلمى بنت صخر بن عامر خالة أبو بكر الصديق . قال : وذكر الأموي عن أبيه عن ابن إسحاق قال قال أبو بكر يذكر مسطحا :

يا عوف ويحك هلا قلت عارفة . . . من الكلام ولم تتبع بها طمعا

وأدركتك حميا معشر انف . . . ولم تكن قاطعا يا عوف من قطعا

هلا حربت من الأقوام إذ حسدوا . . . فلا تقول ولو عاينته قذعا

لما رميت حصانا غير مقرفة . . . أمينة الجيب لم نعلم لها خضعا

فيمن رماها وكنتم معشرا أفكا . . . في سيئ القول من لفظ الخنا شرعا

فانزل الله وحيا في براءتها . . . وبين عوف وبين الله ما صنعا

فا أعش أجز عوفا عن مقالته . . . شر الجزاء إذا ألفيته تبعا

ولعل هذا الشعراصح عن أب بكر فيكون قاله قبل نزول قوله تعالى : " ولا يأتل أولو الفضل منكم " الآية . فانه قد صح ان أبا بكر قال عند نزولها : والله اني أحبايغفر الله لي ، ورجع إلى مسطح النفقة التي كان ينفق عليه ، وقال : والله لا انزعها عنه أبدا .." (١)

" ١٤١٠ – الدلو تأتي الغرب المزلة

الغرب : مخرج الماء من الحوض يقول : تأتي الدلو على غير وجهتها وكان يحب أن تأتي الازاء

وقائل هذا المثل بسطام بن قيس أريه في منامه ليلة قتل في صبيحتها فقال له نقيذ : هلا قلت " ثم تعود باديا مبتلة " فتكسر الطيرة عنك ." (٢)

"قيل: ليس في الدعاء مثل أطال الله لك البقاء وأدام لك العلاء. ومثل ذلك: عش ما شئت كما شئت.

---

(١) نهاية الأرب في فنون الأدب ، ٢٩١/١٦

(٢) مجمع الأمثال، ٢٦٩/١

المتنبي:

بقيت بقاء ما تبني فإني ... أراه بقاء يذبل أو أبان

آخر:

فلا زلت الشمس التي في سمائه ... مطالعة الشمس التي في لثامه

ولا زال يجتاز البدور بوجهه ... يعجب من نقصانها وتمامه

عمارة:

فذا الهرش زد في عمره من صلاتنا ... وأعمارنا حتى يطول له العمر

وقد نسب قوم أطال الله بقاءك وجعلني فداءك إلى الإحالة. وقد روي أن أول من خاطب بذلك أمير المؤمنين علي كرم الله وجهه.

التفدية:

ابن بوقة:

أفديك بل أيام عمري كلها ... يفدين أياما عرفتك فيها

وله:

نفسي فداؤكما وقلت في الورى ... للسيد المخدوم نفس الخادم

آخر:

بنفسي أنت لا بأبي فإني ... رأيت الجود بالآباء لؤما

وقال رجل لعمر بن الخطاب رضي الله عنه: جعلني الله فداء نعلك. فقال: إذا يطيل الله هوانك.

يعقوب بن الربيع:

فلو أنني إذ كان وقت حمامه ... أحكم في عمري لشاطرتها عمري

فحل بنا المقدار في ساعة معا ... فماتت ولا أدري ومت ولا تدري

الخوارزمي:

أطال الله أعمار المعالي ... وذاك بأن يطول لك البقاء

ولا زلت تمد إليك كف ... بضاعتها ثناء أو دعاء

وإن رضي الزمان بمثل روحي ... فداء عنك فهي لك الفداء

أبو سعيد الرستمي:

وقاك بنو الدنيا جميعا صروفها ... فإن الجفن من خدم النصل

آخر:

فداؤك مالي فهو منك ومهجتي ... فإنك قد أقررتها في جوانحي

قال إبراهيم الصولي: إن قولهم قدمني الله قبلك مأخوذ من قول الأقرع بن حابس:

إذا ما أتى يوم يفرق بيننا ... بموت فكن أنت الذي تتأخر

وقال منكة الطبيب الهندي ليحيى بن خالد البرمكي: لو أمكنني تخليف الروح عندك لفعلت وهذا يجوز على سبيل الدعاء له.

الدعاء بصبحك الله بخير:

كانت العرب تتحيا في الجاهلية بقولهم:

صبحك الله بخير فاخر ... ولحم طير وشراب خازر

قبل طلوع الشمس للمسافر

صبحك الإفلاح بكل خير ونجاح. صبحك الخير وجنبك الضير وقوى منك الأير. وقال رجل لآخر: كيف أصبحت؟ فقال: بخير. فقال: هلا قلت أحمد الله وأستغفره، فكان أوله شكرا وآخره عبادة. صبحتك الأنعمة بطيبات الأطعمة.

الدعاء بكبت العدا والحساد والأوغاد من شماتتها:

قال أعرابي: أراك الله في عدوك ما يعطفك عليه. وقالت امرأة لرجل: كبت الله كل عدو لك إلا نفسك. وإنما أرادت بذلك قول النبي صلى الله عليه وسلم: أعدى عدوك نفسك التي بين جنبيك، أعاذك الله تعالى مما يقلق قلب الصديق ويضحك سن العدو، وأعاذك الله من خيبة الرجاء وشماتة الأعداء، وزوال النعمة وفجأة النقمة. الصاحب: لا زال أعداؤه في قل وذل وأمر منحل مضمحل.

الخوارزمي:

ولا زالت عداك بكل أرض ... لهم من سوء ظنهم نذير

قصير نهارهم خوف طويل ... بهم، وطويل عمرهم قصير

المتنبي:

وأراك دهرك ما تحاول في العدا ... حتى كأن صروفها الأقدار

الدعاء ببلوغ الأهل:

شاعر:

أنالك ربك ما تأمله ... وحق لك الله ما تسأله

الموسوي:

ظفرت بما اشتهيت من الليالي ... وأعطيت المراد من الأماني

الدعاء بأن جعل الله له النعم وأدامها عليه:

زادك الله كما زادنا بك وأعطاك أكثر مما أعطانا منك. وقال ابن القرية: لا زلت في رحب من البال وثروة من المال، في غبطة وسرور وبعد من المكروه والشرور، أعطاك تعالى حتى ترضى وزادك بعد الرضا، وتوفر لك من سعته ما لا تهتدي لمسألته ولا يحيط قلبك بمعرفته، وجعل ذلك موصولا بالثواب المدخر للمحسنين، أنعم الله عليك بما يعجز عنه شكرك ولا أبلاك بما يضيق عنه صدرك. منحكم الله منحة لا تغار ليست بجداء ولا نكراء ولا ذات داء. جعل الله نعمك هبة مخلدة لا عارية مستردة.

المتنبي:

أتم سعدك من لقاك أوله ... ولا استرد هبات منك معطيها

علي بن الجهم:." (١)

"الرطب:

قال ابن هبيرة: أي لقمة مخلوقة غير مصنوعة وصرف غير ممزوجة أطيب؟ فقال بعضهم: البيضة، وقال بعضهم: التمرة. فقال: **هلا قلتم** رطبة؟ قال المتوكل يوما للفتح: الحلواء أطيب أم الرطب؟ فقال: يد الله أصنع. وقال الثوري: ما أعنف رجلا يبيع ثيابه أيام الرطب فيشتريه بها. ذاكر الرشيد عيسى بن جعفر: أي الرطب أطيب؟ فقال الرشيد: القريتا. وقال عيسى: السكر. فأرسلوا إلى الأصمعي، فسأل الأصمعي الرسول عما دعي له، فقال الرسول: كان كذا، فلما دخل سألاه فقال: هذا لا يخفى أن القريتا أجود، إنا كنا بالبصرة صبيانا نلعب بالنوى، فنجعل نوى القريتا دنانير، ونوى السكر دراهم، فنعطي نواة من قريتا ونأخذ عشرين من سائر النوى! فضحك الرشيد وأمر له بصلة.

العنب:

قيل: أجود العنب ما غلظ أعمده وأخضر عوده وسبط عنقوده. وقال أبو حنيفة الدينوري عن بعض أهل دمشق: إنه وزن حبة عنب مجلوبة من قرية يقال لها قرية العنب، فكان وزنها عشرة دراهم، وإن العنقود

---

(١) محاضرات الأدباء، ١/١٨٢

منها يملأ السلة.

ابن الرومي:

ورازقي مخطف الخصور ... كأنه مخازن البلور

قد ضمنت مسكا إلى السطور ... وفي الأعالي ماء ورد جوري

لم يبق منه وهج الحرور ... إلا ضياء في ظروف نور

لو أنه يبقى على الدهور ... قرط آذان الحسان الحور

الصاحب:

وحبة من العنب ... من المنى متخذه

كأنها لؤلؤة ... في وسطها زمردة

وله:

حسبتها من بعد تمييزي لها ... لؤلؤة قد ثقبت من جانب

الخوخ:

الطيلساني:

وخوخة أعطيتها هشة ... بيضاء مثل اللبن المخض

كأنها كف امرىء شدها ... قبضا لضرب منه أو عض

آخر:

كأنه الزبد إذا ما التوى ... بالعسل الماذي في صحنه

الصنوبري:

كوجنة ألبست خلوقا ... فزال عن بعضها الخلوق

الرمان:

قال النبي صلى الله عليه وسلم: نعم الشيء الرمان! ما من رمانة إلا وفيها حبة من الجنة، من أكلها نورت قلبه وأذهبت عنه الوسواس. وقال أمير المؤمنين رضي الله عنه: كلوا الرمان بشحمه فإنه دباغ المعدة. وقال الواسطي:

رأيت رمانة من فوق دوحتها ... ولونها ببديع الحسن منعوت

فالقشر حق لماض ضم رائحة ... والشحم قطن له والحب ياقوت

أبو طالب المأموني:

حق خليع ناصع دهنه ... مستودع حمر اليواقيت

وله في وصفه عند تفتيته:

الجام أرض وبناني حيا ... تمطر منه بردا أحمرا

ابن شاه:

ورمانة شبهتها إذ رأيتها ... بثدي كعاب أو بحقة مرمر

منمنمة صفراء نضد حولها ... يواقيت حمر في ملاء معصفر

لها قشر عقيان ورأس مشرق ... وأغصان خيري وأوراق عبهري

التين:

كشاجم:

أهلا بتين جاءنا ... مبتسما على طبق

كسفرة مضمومة ... قد جمعت بلا حلق

البحتري:

وتين كأطراف الثدي معسل

كشاجم:

سفر جمعن من الحرير الأصفر

الزبيب:

خطب أعرابي امرأة، فطلب سكرا للنثار فرآه غاليا، فاشترى زبيبا فنثره، وقال:

ولما رأيت السكر العام قد غلا ... وأيقنت أني لا محالة ناكح

نثرت على رأسي زبيبا وصحبتي ... وقلت كلوا كل الحلاوات صالح

بعضهم:

حوى زقين من عسل مصفى ... نسينا عند طيبته الرضابا

وهاب الاغتصاب عليه منا ... فأنشأ فيه تدبيرا عجابا

أرانا فوق عاتقه سنانا ... وأودع بينها خشبا صلابا

وله:

خذ عسلا في زبرجد جعلوا ... له صماخا يصون ما فيه

المأموني:

وذات احمرار صادق اللون خلتها ... أرتنا بأعكان لها شطب النصل

قد انتحلت لونا من النحل ناصعا ... ليعلم ما تحويه من عسل النحل

القشمش:

المأموني:

وقشمش كخرز للنظم لم يثقب

تتلى بها الكأس لما بينهما من نسب

كأنه أوعية يحملن ذوب الضرب

أو لؤلؤ حلي أعلاه بماء الذهب

الطين:." (١)

"وما ذرفت عيناك إلا لتضربي ... بسهميك في أعشار قلب مقتل

فقال: هذا أعرابي قح. فقيل:

أريد لأنسى ذكرها فكأنما ... تمثل لي ليلى بكل سبيل

فقال: ما هذا بشيء ولم يريد أن ينسى ذكرها؟فقيل: قول الأحوص:

إذا قلت: إني مشتف بلقائها ... فحم التلاقي بيننا زادني وجدا

فقال: أحسنت! المتنبي:

وبين الرضا والسخط والقرب والنوى ... مجال لدمع العاشق المترقرق

وهذا اختصار قول الآخر:

وما في الدهر أشقى من محب ... ولو وجد الهوى حلو المذاق

تراه باكيا في كل حين ... مخافة فرقة أو لاشتياق

فيبكي إن نأوا شوقا إليهم ... ويبكي إن دنوا خوف الفراق

فتسخن عينه عند التنائي ... وتسخن عينه عند التلاقي

وقال بعض الكتاب: تفكري في مرارة البين يمنعني التمتع بحلاوة الوصل، وتكره عيني أن تقر بقربك مخافة

---

(١) محاضرات الأدباء، ٢٨٣/١

أن تسخن ببعدك، فلي عند الاجتماع كبد ترجف وعند التلاقي مقلة تكف.

إظهار الشوق في حالة الوصل:

شاعر:

قالوا: ظفرت بمن تهوى فقلت لهم: ... الآن أشرف ما كانت صباباتي

لا عذر للصب إن تهدى جوارحه ... فقد تطعم فوه بالمواتاة

متطبب داؤه الهوى:

أنشد لعروة بن حزام:

جعلت لعراف اليمامة حكمة ... وعراف نجد إن هما شفياني

فما تركا لي رقية يعرفانها ... ولا سقية إلا وقد سقياني

فقالا: شفاك الله!والله مالنا ... بما ضمنت منك الضلوع يدان

ديك الجن:

جس الطبيب يدي جهلا فقلت له ... إن المحبة في قلبي فخل يدي

آخر:

وقالوا: به من أعين الجن نظرة ... ولو صدقوا قالوا: به نظرة الأنس

آخر:

قال الطبيب لأهلي حين أبصرني: ... هذا فتاكم وحق الله مسحور!

فقلت: ويحك قد قاربت في صفتي ... وجه **الصواب!فهلا قلت**: مهجور!

فقال: ما لي بعلم الغيب معرفة ... فقلت: إن دليل الحب مشهور

فيض الدموع وأنفاس مصعدة ... وضربه في الحشا والقلب مأسور

افتقاد الصبر في الهوى:

الصنوبري:

وما صبري إمامة عنك إلا ... كصبر الحوت عن ماء الفرات

أحمد بن أبي فنن:

لئن ظل من وجده مثريا ... لقد ظل من صبره مفلسا

وقال:

لم أقبل الصحة بالشكر ... عبثت بالحب ولم أدر
حتى إذا باشرت أهوله ... وصرت مغلوبا على أمري
عذت بصبر فوجدت الهوى ... قد غلب الحب على صبري
متصبر كرها
أبو العتاهية:
صبرت ولا والله ما لي جلادة ... على الصبر ولكني صبرت على الرغم
استقباح الصبر في الهوى:
أبو تمام:
الصبر أجمل غير أن تلذذا ... بالحب أحرى أن يكون جميلا
أتظنني اجد السبيل إلى العزا؟ ... وجد الحمام إذا إلي سبيلا
عمر بن أبي ربيعة:
وإن كثير الحزن ما لم أرد به ... حياض المنايا بعده لقليل
آخر:
الصبر إلا في هواك جميل
معتبة من لم يضنه الهوى:
روي أن رجلا مر ببشار وهو مستلق على قفاه بدهليزه كأنه فيل فقال: يا أبا معاذ إنك تقول:
إن في بردي جسما باليا ... لو توكأت عليه لإنهدم
وإنك لو أرسل الله الريح التي أهلكت عادا عليك ما زعزعتك!ونحوه وإن لم يكن من بابه أن أعرابيا مر برجل فقال: من هذا؟فقيل: عابد!فرأى رقبة غليظة وكدنة متناهية فقال: إن له رقبة ما أرى العبادة وقصتها. ونحوه رأت أعرابية رجلا بض البدن فقالت: أرى وجها لم يؤثر فيه وضوء الصلاة.
الناحل الجسم في الهوى:
بعضهم:
سلبت عظامي لحمها فتركتها ... مجردة تضحي إليك وتخصر
وأخليتها من مخها فكانها ... قوارير في أجفانها الريح تصفر
المتنبي:

فبلحظها نكرت قناتي راحتي ... ضعفا وأنكر خاتماي الخنصرا

آخر:

خذي بيدي ثم انهضي بي تبيني ... بي الضر إلا أنني أتستر." (١)

"رؤي الجراح بن عبد الله وقد لبس درعين في بعض الحروب. فأكثر ناظره النظر إليه فقال له: والله يا هذا ما أقي بدني وإنما أقي صبري. فأخبر بذلك سعيد بن عمرو، وكان من فرسان الشام، فقال: صدق لأن لامة الإنسان حظيرة نفسه. عوتب يزيد بن مزيد في إحكامه الدرع فقال: إن الله تعالى مع قضائه الأمور المحتمة أمر بالحذر، وذكر في صنعة اللبوس وكان صلى الله عليه وسلم والى يوم أحد بين درعين.

أنشد كثير عبد الملك:

على ابن أبي العاص دلاص حصينة ... أجاد المسدى سردها فأذالها

فقال له: هلا قلت كما قال الأعشى:

وإذا تكون كتيبة ملمومة ... خرساء تعشى من يريد نصالها

كنت المقدم غير لابس جنة ... بالسيف تضرب معلما أبطالها

فقال كثير: ذاك وصفه بالجهل والتهور وأنا وصفتك بالحزم.

البحتري:

تراه في الأمن في درع مضاعفة ... لا يأمن الدهر أن يدعى على عجل

قلة غناء الدرع عند حضور الأجل:

سئل ابن الحسين: في أي الجنن تحب أن تلقى عدوك؟فقال: في أجل مستأخر، وقيل لبعضهم: أي الجنن أوقى؟قال: العافية. وقيل لآخر: لو احترست، فقال: كفى بالأجل حارسا.

وصف الدروع:

شاعر:

كسيل الأتى على الحديد

آخر:

ومفاضة كالنهي ينسجه الصبا

آخر:

---

(١) محاضرات الأدباء، ١/٣٦٤

كأن قتيرها حدق الجراد

المتنبي:

يخط فيها العوالي ليس ينفذها ... كأن كل سنان فوقها قلم

مزرد:

ومنسوجة فضفاضة تبعية ... وآها القتير تجتويها المعابل

ويستحسن لابن المعتز:

كأنها ماء عليه جرى ... حتى إذا ما غاب فيه جمد

كلثوم:

كأن سنا الماذي فوق متونهم ... مواقد نار لم تشب بدخان

المستغني بجلادته عن التقنع والتدرع:

أبو تمام:

إذا رأوا للمنايا عارضا لبسوا ... من اليقين دروعا ما لها زرد

مسلمة:

على درع تلين المرهفات له ... من الشجاعة لا من نسج داود

إن الذي صور الأشياء صورني ... نارا من اليأس في بحر من الجود

وصف المغتفر والمغفر:

بشار:

كأن سنا قوانسهم ضرام ... مرته الريح في أعلى يفاع

أبو تمام:

كأن نعام الدو باض عليهم

وله:

مثل النجوم تضيء إلا أنهم ... قد قلنسوا من بيضهم بنجوم

أبو قيس:

قد حصت البيضة رأسي فما ... أطعم نوما غير تهجاع

القسي:

دخل أمير المؤمنين علي رضي الله عنه على النبي، صلى الله عليه وسلم، متقلدا قوسا عربية فقال: هكذا جاءني جبريل عليه السلام اللهم من استطعمك بها فأطعمه، ومن استنصرك بها فانصره، ومن استرزقك بها فارزقه. وقال النبي صلى الله عليه وسلم: ما مد الناس أيديهم إلى شيء من السلاح وللقوس فضل عليه.
وقيل في وصفه: طروح مروح تعجل الظبي ان يروح.
أعرابي في وصف قوس رمى عنها ذئبا:
وفي شمالي سمحة من النشم ... يفج في الكف إذا الرامي اهتزم
- وتهزم الفارس في أخرى النعم وقال آخر:
صفراء تبع خطموها بوتر ... لام ممر مثل حلقوم النغر
- حدب ظباها أسهم مثل الشرر آخر:
ومقابلا ضلع الظباة كأنها ... جمر بمهلكة تشب لمصطلي
نحفا بذلت لها حوافي ناهض ... حشر القوائم كاللفاع الأكحل
وإذا تسل تخشخشت أرياشها ... خش الجنوب بيابس من أسحل
النحف: النصال العراض. الأكحل: الذي يضرب لونه إلى الغبرة.
المجيد من الرماة:
قيل: خرج بهرام إلى الصيد ومعه جارية، فعرض له ظبي فسألته الجارية أن يجمع ظلف الظبي وأذنه بنشابة واحدة، فرمى أصل أذن الظبي ببندقة فأهوى الظبي بيده إلى أذنه ليحتك، فرماه بنشابة فوصل ظلفه بأذنه؛وهذا إن كان صحيحا فعجيب.
امرؤ القيس:
فهو لا تنمى رميته ... ما له لا عد من نفره
إسماعيل بن علي:
إذا تمطى قائما ثم انثنى ... ومدها أحسن مد وانثنى
أرسل منها نافذا مسننا ... سيان منه ما نأى وما دنا
- يسوق أسباب النحوس والفنا وقد أوغل المتنبي في قوله:." (١)

(١) محاضرات الأدباء، ١/٣٩٣

"قال ابن عباس: ما انتفعت بشيء بعده صلى الله عليه وسلم كانتفاعي بما كتب إلي أمير المؤمنين: أما بعد فإن المرء يسره درك ما لم يكن ليفوته، ويسؤوه فوت ما لم يكن ليدركه، فليكن سرورك بما نلت من آخرتك وأسفك على ما فاتك منها، وليكن همك فيما بعد الموت والسلام. وقيل: من كان بالآخرة اشتغاله حسنت في الدنيا حاله. وقال زيد بن علي بن الحسين رضي الله عنهم : اطلب ما يعنيك ودع ما لا يعنيك ففي تركه درك ما يعنيك، فإنما تقدم على ما قدمت ولا تقدم على ما أخرت، فآثر ما تلقاه غدا على ما لا تلقاه أبدا. وقيل: الدنيا والآخرة في قلب المؤمن ككفتي الميزان إذا رجحت هذه خفت هذه. وقال يحيى بن معاذ: الناس ثلاثة: رجل يشغله معاده عن معاشه وتلك درجة العابدين، ورجل يشغله معاشه عن معاده وتلك درجة الهالكين، ومشتغل بهما وهي درجة المخاطرين. وقيل لعبد الله بن إبراهيم: من أسخى الناس؟قال: من بذل دنياه في صلاح دينه. وقال صلى الله عليه وسلم: الكيس من دان نفسه وعمل لما بعد الموت، والعاجز من اتبع نفسه هواها وتمنى على الله الأماني. وقال رجل: من جعل همه في الله هما واحد جعل الله له من كل هم فرجا، ومن كل ضيق مخرجا، وجعل الغنى في قلبه وأتته الدنيا راغمة، ومن شتت عليه همه شتت الله عليه ضيعته وجعل الفقر بين عينيه، ولم يأته من الدنيا إلا ما كتب الله له ثم لم يبالي في أي واد هلك.

الحث على مراعاة الدين والدنيا ومدح فاعل ذلك:

قال النبي صلى الله عليه وسلم: ليس خيركم من ترك دنياه لآخرته، ولا من ترك آخرته لدنياه، ولكن من أخذ منهما جميعا. وكان محمد بن علي يقول: اللهم أعني على الدنيا بالغنى وعلى الآخرة بالتقوى. وقال بعض العلماء: لست آمركم بترك الدنيا فترك الدنيا فضيلة وترك الذنب فريضة، وأنت إلى إقامة الفرائض أحوج منك إلى اكتساب الفضائل. وقيل لعمر بن عبد العزيز: لم لا تنام؟قال: إن نمت بالليل أضعت نفسي، وإن نمت بالنهار أضعت الرعية. وقالت امرأة:

ولله مني جانب لا أضيعه ... وللهو مني والخلاعة جانب

وقال ابن أبي حفصة لعمارة، أنشدت المأمون قولي:

أضحى إمام الهدى المأمون مشتغلا ... بالدين والناس بالدنيا مشاغيل

فلم يهتم لذلك فقال عمارة: ما زدت على أن صيرته عجوزا معتكفة في محرابها. فمن لأمور **المسلمين؟هلا قلت** كجرير:

فلا هو في الدنيا مضيع نصيبه ... ولا غرض الدنيا عن الدين شاغله

احتمال المضرة في العاجل رجاء المسرة في الآجل:

قال صلى الله عليه وسلم: لن تنالوا ما تحبون إلا بالصبر على ما تكرهون، ولا تبلغون ما تهوون إلا بترك ما تشتهون. وقال عليه الصلاة والسلام: حفت الجنة بالمكاره، وحفت النار بالشهوات، احتمل مضرة يومك لمسرة غدك، العاقل يحتمل الضر في دار الفناء ايقانا بالنفع في دار البقاء. ولما تاب عتبة الغلام كان لا يتهنأ بطعام ولا شراب فقالت له أمه: ارفق بنفسك فقال: الرفق أطلب لها.

الحث على حفظ النفس من النار:

نظر أبو هريرة إلى رجل وضيء فقال: إني أرى لك قدمين لطيفتين فابتغ لهما موقفا صالحا يوم القيامة. وقال رجل لحكيم: أوصني، فقال: إن استطعت أن لا تسيء إلى من تحب فافعل، فقال: وهل يسيء المرء إلى من يحب؟قال: نعم نفسك إن عصيت الله. وقيل: المغبون من رأى الدنيا بحذافيرها لبدنه ثمنا. وقيل: كل قتيل يودى إلا قتيل نفسه.

النهي عن التهافت في العبادة:

قال صلى الله عليه وسلم: إن الدين متين فأوغلوا فيه برفق فإن المنبت لا أرضا قطع ولا ظهرا أبقى. وقال ابن مسعود رضي الله عنه: استبق نفسك ولا تكرهها فإنك إن أكرهت القلب على شيء عمي. وقال صلى الله عليه وسلم: إن الله بعثني بالحنيفية السمحة ولم يبعثني بالرهبانية، فمن رغب عن سنتي فليس مني وقال المرعشي: من شغله الفرض عن الفضل فهو معذور، ومن شغله الفضل عن الفرض فمغرور.

التوبة: ." (١)

"ضرطت فلطمت عين زوجها. من يظفر من وتد إلى وتد يدخل أحدهما في استه. من أكل على مائدتين أحتتف المنخل جديد سبعة أيام. من كان له دهن دهن استه. من لم يقاوم الحمار تعلق بالأكاف. كل ما في القدر تخرجه المغرفة، من كان دليله البوم كان مأواه الخراب. من كان طباخه الجعران ما عسى أن تكون الألوان. الخصي ابن مائة سنة واسته ابنة ستين. إذا بطر الحائك اشترى بخبزه رمانا. قامت البنت تعلم الأم النيك. من استحى من ابنة عمه لم يولد منها. لا يشعر الشبعان ما يقاسيه الجائع. ماش خيرا من لاش. إذا كان بولك صحيحا فارم به وجه الطبيب. البحر ملآن والكلب يلحس بلسانه. من عبد الله في خلق الله. شيء لا يشبه صاحبه فهو سرقة. ليس كل من سود بيته يقول أنا حداد، ولا كل من دمعت عيناه يقول أنا طباخ. أحوج ما تكون إلى اليهودي يقول اليوم السبت. تذاكر عاميان الأطعمة فقال أحدهما:

---

(١) محاضرات الأدباء، ٤٩٣/١

السمك أحب إلي من اللحم. فقال الآخر: شجة يشجني القصاب خير من قبلة يقبلني السماك.

ولهم أمثال بإزاء أمثال:

يقولون: المولى يرضى والعبد يشق استه، بإزاء السيد يعطى والعبد يألم، لا يعرف مفساه من محساه بإزاء لا يعرف قبيلا من دبير لا في حرها ولا في استها، بإزاء لا في العير ولا في النفير. بالكلمة اللينة تخرج الحية من جحرها، بإزاء لطف الكلام يخدع الكرام. هو يضرط من است واسع بإزاء هو يغرف من بحر. قدم خيرك ثم ايرك، بإزاء قدم خيرا تجده، الساجور خير من الكلب، بإزاء الجل خير من الفرس. تبخرنا ففسونا فلا لنا ولا علينا، بإزاء ما ربحنا ولا خسرنا.

ومما يضاده:

لا تفعل الخير لا يصيبك الشر، بإزاء افعل الخير ودعه. لا يكون بعد الظمأ إلا موت مريح بإزاء غمرات ثم ينجلين. النسيئة نسيان والتقاضي هذيان، بإزاء القرض فرض. الجماعة مجاعة بإزاء طعام الاثنين يكفي الأربعة، ويد الله مع الجماعة.

ما كره من الكلام:

قال النبي صلى الله عليه وسلم: لا يقل أحدكم خبثت نفسي ولكن ليقل قست، وكأنه كره أن ينسب الخبث إلى نفسه. وقال أيضا: لا يقولن المملوك ربي وربتي ولكن سيدي وسيدتي. وقال أيضا: لا تسبوا الدهر فإن الله هو الدهر. قال عبد الرحمن بن مهدي: عنى قولهم: وما يهلكنا إلا الدهر. ونهى عليه السلام أن يقال قوس قزح. وقال: قولوا قوس الله. فإن قزح شيطان كانوا ينسبون إليه هذا التلون أيام الربيع. عن ابن عمر ومجاهد أنهما كرها أن يقال استأثر الله بفلان بل يقال مات. وكرهوا أن يقول قراءة فلان وسنة أبي بكر وعمر. وكره مجاهد مسيجد ومصيحف. وقال عمر رضي الله عنه: لا يقول أحدكم أهريق ماء ولكن ليقل أبول. وسأل عمر رجلا شيئا فقال: الله أعلم فقال عمر: قد خزينا إن كنا لا نعلم أن الله أعلم. إذا سئل أحدكم عن شيء إذا كان لا يعلمه قال لا علم لي بذلك. وسمع عمر رضي الله عنه رجلا يقول: اجمعني من الأقلين. فقال: عليك من الدعاء بما يعرف. وكره عمر بن عبد العزيز قول الرجل: ضعه في إبطك. فقال: هلا قلت تحت يدك. قال الحجاج لأم عبد الرحمن بن الأشعث: عمدت إلى مال الله فجعلته تحت ذيلك. فقال الغلام فوضعته تحت استك فزجره تفاديا من القذع والرفث. وقال مسعود: لا تسموا العنب كرما فإن الكرم هو الرجل المسلم. سمع الحسن رجلا يقول: طلع سهيل فبرد الليل. فقال إن سهيلا لم يأت ببرد. وقال ابن عباس: لا تقولوا والذي خاتمه على فمي إنما يختم الله على فم الكافر. وكره أن

يقال انصرفوا عن الصلاة. وقال قولوا: قد قضوا الصلاة. وكره مجاهد أن يقال: دخل رمضان. قال: قولوا دخل شهر رمضان. وكره أن يقال: ضرة، بل يقال : جارة، ويقول لا تذهب من رزقها بشيء.
حكايات متفرقة من أبواب مختلفة:." (١)

"""""""" صفحة رقم ١٧٠ """""""

قالوا : خراسان أقصى ما تحاوله ، . . . ودون ذاك ، فقد جزنا خراسانا . ما أقدر الله أن يدني بعزته . . . سكان دجلة من سكان جيحانا . عينا أظن أصابتنا ، فلا نظرت ، . . . وعذبت بصنوف الهجر ألوانا . متى يكون الذي أرجو وآمله ، . . . أما الذي كنت أخشاه فقد كانا . فخرج المأمون من موضعه حتى وقف على الخيمة ، وعلمها ، فلما كان من الغد وجه فأحضر صاحب الخيمة ، وهو شاب ، فسأله عن اسمه ، فقال العباس بن الأحنف . قال : أنت الذي كنت تقول : متى يكون الذي أرجو وآمله ، . . . أما الذي كنت أخشاه فقد كانا . قال : نعم . قال : ما شأنك ؟ قال : يا أمير المؤمنين تزوجت ابنة عم لي ، فنادى مناديك يوم أسبوعي في الرحيل إلى خراسان ، فخرجت ، فأعطاه رزق سنة ، ورده إلى بغداد ، وقال : أقم إلى أن تنفقها ، فإذا نفدت رجعت . مهجور لا مسحور أنبأنا أبو سعيد مسعود بن ناصر السخبري ، وقد قدم علينا بغداد ، قال : أنبأنا أبو القاسم بن عمر ببغداد قال : أنشدنا أبو علي الحسن بن عبد الله الزنجاني لبعضهم : قال الطبيب لأهلي حين أبصرني : . . . هذا فتاكم ، وحق الله ، مسحور . فقلت : ويحك قد قاربت في صفتي . . . عين الصواب ، **فهلا قلت** : مهجور .." (٢)

"""""""" صفحة رقم ٨٩ """""""

قال جرير : أنا قلته . قالت : فما أحسنت ولا أجملت ، ولا صنعت صنيع الحر الكريم ، لا ستر الله عليك كما هتكت سترك وسترها ، ما أنت بكلف ولا شريف حين رددتها بعد هدوء العين ، وقد تجشمت إليك هول الليل . **هلا قلت** : طرقتك صائدة القلوب فمرحبا . . . نفسي فداؤك فادخلي بسلام خذ هذه الخمسمائة درهم ، فاستعن بها في سفرك . ثم انصرفت إلى مولاتها وقد أفحمتنا ، وكل واحد من الباقين يتوقع ما يخجله ، ثم خرجت فقالت : أيكم الذي يقول : ألا حبذا البيت الذي أنا هاجره . . . فلا أنا ناسيه ، ولا أنا ذاكره فبورك من بيت وطال نعيمه . . . ولا زال مغشيا وخلد عامره هو البيت بيت الطول والفضل دائما . . . وأسعد ربي جد من هو زائره به كل موشي الذراعين يرتعي . . . أصول الخزامى ما تيقن

---

(١) محاضرات الأدباء، ٢/١٤٠

(٢) مصارع العشاق، ١/١٧٠

طائره هما دلتاني من ثمانين قامة . . . كما انقض باز أقتم الريش كاسره فلما استوت رجلاي في الأرض قالتا : . . . أحي نرجي أم قتيل نحاذره فأصبحت في أهل وأصبح قصرها . . . مغلقة أبوابه ودساكره." (١)

"المؤمل:

شَوْقاً إلى قُطُفِ الخُطا ... حورِ العيونِ كَواعبِ

تَيَّمْنَني بأَنامِلٍ ... ومضاحكٍ وحواجبِ

ربيعة الرقي:

مَشيْنَ تأوداً خلفي رُوْيداً ... كَمِثْلِ هَجائنٍ أَقْبَلْنَ حُلاّ

وجَرَّدْن البُرودَ مُرفَّلاتٍ ... على إِثْر الفتى حتى اضْمَحلاّ

ذو الرمة:

إذا مَشَيْنَ مِشْيةٌ تأَوُّدا

هزَّ القنا لانَ وما تَأوَّدا

يَرْكُضْن رَيْطَ اليمنِ الْمُعَضَّدا

آخر:

يَمشينَ مشيَ قطا البِطاحِ تَأَوُّداً ... قُبَّ البُطونِ رواجِحَ الأَكفالِ

فَكأَنَّهنَّ إذا أردْنَ زِيارَتي ... يَقْلَعنَ أرجلَهُنَّ من أَوْحالِ

آخر:

قِصارُ الخُطا يمشينَ هوْناً كأَنَّما ... دَبيبُ القَطا بل هنَّ منهن أَوْجَلُ

إِذا نَهضت أَعجازُها حَرجت بها ... بِمُنْبَهِراتٍ غيرَ أَنْ لا تَخَزَّلُ

فلا عيبَ فيها غَيرَ أَنَّ سريعَها ... قَطوفٌ، وأَلا شيءَ منهنَّ أَكسلُ

وأما قول كثير:

عَنَيْتُ قصيراتِ الحِجالِ ولم أَرِدْ ... قِصارَ الخُطا شَرُّ النِساء البَحاتِرُ

فليس من هذا القبيل.

وبعد فلا شيء إلا وله مدح وذم. ألا ترى أن الأعشى يقول:

وإِذا تَجيءُ كتيبةٌ مَلْمومةٌ ... شَهْباءُ يَخْشى الذائدون نِهالَها

---

(١) مصارع العشاق، ٨٩/٢

كُنْتَ المُقَدَّمَ غيرَ لابِسِ جُنَّةٍ ... بالسيفِ تَضْرِبُ مُعْلِماً أَبطالَها

ثم قال الغساني:

يَغْشى السيوفَ بوجهه وبنحره ... ويُقيم هامَته مُقامَ المِغْفَرِ

ما إن يُريدُ اذا الرماحُ شَجَرْنَه ... دِرعاً سوى سِربالِ طيبِ العُنْصُرِ

فتمدح بخوض الحرب متجرداً من الجبن بسالة.

وأخبرني أبو الفرج الأصفهاني، وكان عنده رواية ديوان كثير، أن كثيراً أنشد عبد الملك بن مروان:

عَلى ابنِ أَبي العاص دِلاصٌ حَصينَةٌ ... أَجادَ المُسدّي سَرْدَها وأَذَالَها

يَؤُودُ ضعيفَ القوم حملُ قَتِيرِها ... ويَسْتَضِلْعُ القرمُ الأَشمُّ احتمالَها

فقال عبد الملك: **هلا قلت** كما قال الأعشى!؟ فقال كثير: وصفتك بالحزم، ووصف صاحبه بالخرق.

وقرأت في الشذور من أخبار أبي تمام، أنه أنشد عبد الله بن طاهر قوله:

وقَلْقَلَ نأْيٌ من خُراسان جَأْشَها ... فقلتُ: اطمئني. أَنضَرُ الروْضِ عازِبُهْ

فقال عبد الله بن طاهر: جعلتني مجهولاً غير معلم. ولم يلغني ما قال أبو تمام في الجواب.

ابن عائشة:

هيفُ الخُصور قواصِدُ النَبْلِ ... قَتَّلْننا بِلواحِظٍ نُجْلِ

فَكأَنَّهُنَّ إِذا أَرَدْنَ خُطاً ... يَقلعْن أَرْجُلَهنَّ من وَحْلِ

ذو الرمة:

إِذا الخَزُّ تحت الحَضْرَميّاتِ لُثْنَهُ ... بِمُرتَجَّة الأَردافِ مِثلِ القَصائمِ

لحفن الحَصى أنيارَه ثم خُضْنَهُ ... نُهوضَ الهِجانِ المؤعِثاتِ الجَواشِمِ

رُويداً كما اهتزَّتْ رِماحٌ تَسَفَّهَتْ ... أَعالِيَها مَرُّ الرِياح النَّواسِمِ

ابن ميادة:

مُنَعَّمةُ الأَطراف هِيفٌ خُصورُها ... كواعبُ تمشي مِشْيةَ الخيلِ في الوَحْلِ

وأَعناقُها أَعْناقُ غِزلانِ عالجٍ ... وأَعيُنُها من أَعين البَقَرِ النُجْلِ

وأَثلاثُها السُفلى بُرادِيُّ ساحلٍ ... وأَثلاثُها الوُسطى نقاً من نقا الرملِ

وأَثلاثُها العُليا غُصونٌ فُروعُها ... عَناقِيدُ تُغْذى بالدِّهانِ وبالغِسْلِ

الأَشجع:

وجاريةٍ لم تسرقِ الشمسُ نظرةً ... إليها ولم يَعْبَثْ بأَيامها الدهرُ

وماجَتْ كموْج الماء بينِ ثِيابِها ... يَجُورُ بها شَطرٌ ويعدِلُها شطرُ

الباب الرابع والعشرون

الملابس وألوانها

أحمد بن أبي فنن:

رَأيتُكِ في السوادِ فقلتُ: بدرٌ ... بَدا في ظُلمةِ الليلِ البهيمِ

وأَلْقيتِ السوادَ فقلتُ: شمسٌ ... مَحتْ بشُعاعها ضوءَ النجومِ

كشاجم في الأزرق:

أقبلتْ في غِلالةٍ زرقاءٍ ... زُرقةً لُقِّبتْ بجريِ الماءِ

فَتوهَّمتُ في الغِلالةِ منها ... جسدَ النور في أديمِ الهواءِ

تلك بدرٌ، وإنَّ أحسنَ لونٍ ... طَلَع البدرُ فيه، لونُ السماءِ

المهلبي:." (١)

"واحدةٌ لم يُحطْ بقيمتها ... وأختها دونَ قيمةِ الصدفهْ

النّدُّ

النّدُّ مصنوع كالزجاج غير مخلوق. وهو العود المُطرى بالمسك والعنبر والبان. وفيه وجهان: أحدهما أنه فعل ماض من ندد، مثل مرر فجعلوه اسماً كأنه ندَّ عن جملة الطيب. أي شذَّ وتفرَّق. وقالوا: طيرٌ يناديد وأناديد، أي متفرقة. والوجه الثاني مصدر بمعنى المفعول. وإن شئت جعلته فعَلاً متحركة العين: ندَداً بمعنى مندود به أي مُشهر مُسمع بصفته. يقال: ندَّدت الرجل، أي شهرت به، كالكرع وهو ماء السماء، بمعنى مكروع فيه، وكالجلد بمعنى المجلود، والنَّفض والقبض بمعنى المنفوض والمقبوض. وإن شئت جعلته فعْلاً بتسكين العين بمعنى المفعول؛ تقول: هذا درهم ضرب، أي مضروب، وهذا وزن سبعة، أي موزون سبعة.

الغالية

وهي مسك وعنبر يعجنان بالبان. وقيل: إن معاوية بن أبي سفيان شمَّها من عبد الله بن جعفر بن أبي طالب فوصفها له فقال: هذه غالية. وي‍قال إن مالك بن أسماء بن خارجة شم من أخته هند بنت أسماء بن خارجة رائحة غالية واستطابها، فقال: علِّميني كيف تعملين طيبك؟ فقالت: لا أفعل هذا. تريد أن تعمله

---

(١) المحب والمحبوب والمشموم والمشروب، ص/٣٦

جواريك. هو لك عندي متى ما أردته. ثمَّ قالت: ما تعلمته إلاَّ من شعرك حين وصفته فقلت:

أطيبُ الطيبِ طيبُ أُمِّ أبانٍ ... فأرُ مسكٍ بعنبر مسحوقُ

خلَطتهُ بعودها وببانٍ ... فهو أحوى على اليدينِ سريقُ

ويقال: تغللت بالغالية أي جعلتها في أصول الشَّعر من الغلل وهو الماء الجاري يتغلل في أصول الأشجار. وتغلَّيت طليت بها الجلد من الغَيل وهو الماء يجري على وجه الأرض. ويقال: تضمَّخت بالطيب وتنغَّمت به واغتسلتُ به: جعلته كالغسل. قال الفرزدق:

وإنّي من قومٍ يكونُ غسولُهم ... قِرى فأرةِ الداريّ يُضربُ بالغسلِ

قال أبو عبيدة: تلغَّمت المرأة بالطيب إذا جعلته على ملاغمها وهي ما حول الفم. قال الفرزدق:

سقتْها خروقٌ في الملاطمِ لم تكنْ ... عِلاطاً ولا مخبوطةً في الملاغمِ

قال الأصمعي: قالت العرب للمخبَّل: ما شِعرك إلاَّ علاط وخباط.

وقد ارتقنت ورقنت، وتردَّعت، واجتسدت. وتقول: تبخَّرت، واكتبيتُ وتعطَّرت ووجدتُ ريَّا الطيب، وحمَرته، وفوغته، وفغمته. وقد تضوَّع وسطع. وهو النَّشر والأرَج والعرف والبنَّة.

قال الراجز:

ترعى الخُزامى هَنَّةً وهَنَّةً ... في روضةٍ مُعشبةٍ مُغنَّهْ

فهيَ إذا راحتْ عَشِيَّهُنَّهْ ... شممتَ من أرواحهنَّ بَنَّهْ

وأنشد سلمة:

أتاني عنْ أبي أنسٍ وعيدٌ ... ومعصوبٌ به خبَّ الركابُ

وعيدٌ تخدجُ الآرامُ منهُ ... ويكرهُ بنَّةَ الغنمِ الذئابُ

وأنشد:

وإذا الدرُّزانَ حُسنَ وجوهٍ ... كانَ للدرِّ حسنُ وجهكِ زَيْنا

وتزيدينَ أطيبَ الطيبِ طيباً ... إنْ تَمَسّيه أين مثلُكِ أينا

وأخبرني أبو الفرج الأصبهاني بإسناده، وكان عنده راوية ديوان كثيّر أن كثيّراً خرج من عند عبد الملك بن مروان، وعليه مِطرف، فاعترضته عجوز في الطريق اقتبست ناراً في رَوثةٍ، فتأفف كثيّر في وجهها، فقالت: من أنت؟ فقال: كثيّر عزة. فقالت: أنت القائل في عزّة:

فما روضةٌ زهراءُ طيبة الثَّرى ... يمجُّ النَّدى جثجاثها وعَرارها

بأطيبَ من أردانِ عزَّةَ موهناً ... وقدْ أُوقدتْ بالمندلِ الرطب نارُها

فقال كثيّر: نعم. فقالت: لو وُضع المجمر اللَّدن على هذه الرَّوثة لطيَّب رائحتها. **هلاّ قلت** كما قال امرؤ القيس:

ألمْ ترَياني كلَّما جئتُ طارقاً ... وجدتُ بها طيباً وإنْ لمْ تطيَّبِ

فناولها المطرف، وقال لها: استُري عني هذا.

آخر:

عجبتُ لمن يُطيِّبني بمسكٍ ... وبي يتطيَّبُ المسكُ الفَتيتُ

النامي:

وطيبٍ قد أخلَّ بكل طيبٍ ... يُحيّينا برائحةِ الحبيبِ

يظَل الذَّيلُ يستُره ولكنْ ... تنمُّ عليه أزرارُ الجيوبِ

إذا ما شمَّ أنفٌ حنَّ قلبٌ ... كأنَّ الأنفَ جاسوسُ القلوبِ

آخر:

أجِلْ عيْنيك في عيني تراها ... مُشرَّبةً نَدى وردِ الخدودِ

ويقال: صاكَ به الطيبُ، وعبق به، وردع به، وعتك به.

قال:

فبتُّ فيهِ معانِقاً صنَماً ... يرشحُ مِسكاً وعنبراً وعبقا." (١)

"كأنك لم تشهد لقيطا وحاجبا ... وعمرو بن عمرو إذ دعوا: يال دارم

ولم تشهد الجونين والشعب ذا الصفا ... وشدات قيس يوم دير الجماجم

الجونان: معاوية وحسان ابنا الجون الكنديان، أسرا في ذلك اليوم، فقتل حسان، وفودي معاوية بسبب يطول ذكره. والشعب: شعب جبلة.

وقوله:

وشدات قيس يوم دير الجماجم

هذا في الإسلام، يعني وقعة الحجاج بن يوسف بن الحكم بن أبي عقيل الثقفي بعبد الرحمن بن محمد بن الأشعث بن قيس بن معد يكرب الكندي بدير الجماجم.

---

(١) المحب والمحبوب والمشموم والمشروب، ص/٩١

وقوله:

وقد مات بسطام بن قيس بن خالد

يعني الشيباني، وهو فارس بكر بن وائل وابن سيدها، وقتل بالحسن وهو جبل قتله عاصم بن خليفة الضبي، وكان عاصم بن خليفة أسلم في أيام عثمان رحمه الله، فكان يقف ببابه فيستأذن عليه، فيقول عاصم بن خليفة الضبي: قاتل بسطام بن قيس بالباب قال أبو الحسن: الوجه عندي في " بسطام " ألا ينصرف لأنه أعجمي وكان سبب قتله إياه أن بسطاما أغار على بني ضبة، وكان معه حاز يحزو له قال أبو الحسن: " حاز " بالزاي أي زاجر فقال له بسطام: إني سمعت قائلا يقول:

الدلو تأتي الغرب المزله

فقال الحازي: فهلا قلت:

ثم تعود بادنا مبتله

قال: ما قلت فاكتسح إبلهم، فتنادوا واتبعوه، ونظرت أم عاصم إليه، وهو يقع حديدة له أي يحدها، والميقعة: المطرقة فقالت له: ما تصنع بهذه وكان عاصم مضعوفا فقال لها: أقتل بها بسطام بن قيس، فنهرته، وقالت: است أمك أضيق من ذلك فنظر إلى فرس لعمه موثقة إلى شجرة فاعروراها أي ركبها عريا ثم أقبل بها كالريح، فنظر بسطام إلى الخيل قد لحقته، فجعل يطعن الإبل في أعجازها، فصاحت به بنو ضبة: يا بسطام، ما هذا السفه دعها، إما لنا وإما لك، وانحط عليه عاصم، فطعنه فرمى به على الألاءة وهي شجرة ليست بعظيمة، وكان بسطام نصرانيا، وكان مقتله بعد مبعث النبي صلى الله عليه وسلم فأراد أخوه الرجوع إلى القوم، فصاح به بسطام : أنا حنيف إن رجعت، ففي ذلك يقول ابن غنمة الضبي وكان في بني شيبان:

فخر على الألاءه لم يوسد ... كأن جبينه سيف صقيل

ولما قتل بسطام لم يبق في بكر بن وائل بيت إلا هجم أي هدم.

وقوله:

ومات أبو غسان شيخ اللهازم

يعني مالك بن مسمع بن شيبان بن شهاب، أحد بني قيس بن ثعلبة، وإليه تنسب المسامعة. وكان سيد بكر بن وائل في الإسلام، وهو الذي قال لعبيد الله بن زياد بن ظبيان، أحد بني تيم اللآت بن ثعلبة وكان حين حدث أمر مسعود بن عمرو المعني من الأزد فلم يعلمه به، فقال له عبيد الله وهو أحد فتاك

العرب، وهو قابل مصعب بن الزبير: أيكون مثل هذا الحدث ولا تعلمني به لهممت أن أضرم دارك عليك نارا فقال له مالك: اسكت أبا مطر، فوالله إن في كنانتي سهم أنا أوثق به مني بك، فقال له عبيد الله: أو أنا في كنانتك فوالله لو قمت فيها لطلتها، ولو قعدت فيها لخرقتها، فقال له مالك وأعجبه ما سمع منه: أكثر الله في العشيرة مثلك قال: لقد سألت ربك شططا وفي مالك بن مسمع يقال:

إذا ما خشينا من أمير ظلامة ... دعونا أبا غسان يوما فعسكرا

قوله: " وقد مات خيراهم " ، تثنية كقولك: مات أحمراهم، ولم يخرج مخرج النعت، ألا ترى أنك تقول: هذا أحمر القوم إذا أردت: هذا الأحمر الذي للقوم، فإذا أردت الذي يفضلهم في باب الحمرة قلت: هذا أشدهم حمرة، ولم تقل: هذا أحمرهم، وكذلك خيراهم، وإنما أردت هذا خيرهم ثم ثنيت، أي هذا الخير الذي هو فيهم.

وقوله: " عشية بانا " ، مردود على قوله: " خيراهم " .

وقوله: " رهط كعب وحاتم " ، إنما خفضت " رهطا " لأنه بدل من " هم " التي أضفت إليها " الخيرين " والتقدير: وقد مات خيرا رهط كعب وحاتم، فلم يهلكاهم عشية بانا.." (١)

"نقد كثير للشعراء

وحدثت أنعمر بن عبد الله بن أبي ربيعة أتى المدينة فأقام بها، ففي ذلك يقول:

يا خليلي قد مللت ثوائي ... بالمصلى وقد شنئت البقيعا

فلما أراد الشخوص شخص معه الأحوص بن محمد؛ فلما نزلا ودان صار إليهما نصيب، فمضى الأحوص لبعض حاجته، فرجع إلى صاحبيه، فقال: إني رأيت كثيرا بموضع كذا، فقال عمر: فابعثوا إليه ليصير إلينا، فقال الأحوص: أهو يصير إليكم؟ هو والله أعظم كبرا من ذلك؛ قال: فذا نصير إليه، فصاروا إليه، وهو جالس على جلد كبش، فوالله ما رفع منهم أحدا ولا القرشي. ثم أقبل على القرشي، فقال: يا أخا قريش، والله لقد قلت فأحسنت في كثير من شعرك، ولكن خبرني عن قولك:

قالت لها أختها تعاتبها ... لا تفسدن الطواف في عمر ا

قومي تصدي له ليبصرنا ... ثم اغمزيه يا أخت في خفر

قالت لها: قد غمزته فأبى ... ثم اسبطرت تشتد في أثري

---

(١) الكامل في اللغة والأدب، /

والله لو قد قلت هذا في هرة أهلك ما عدا، أردت أن تنسب بها فنسبت بنفسك، أهكذا يقال للمرأة! إنما توصف بالخفر، وأنها مطلوبة ممتنعة، هلا قلت كما قال هذا؟ وضرب بيده على كتف الأحوص:

أدور ولولا أن رى أم جعفر ... بابياتكم ما درت حيث أدور

وما كنت زوارا ولكن ذا الهوى ... إذا لم يزر لا بعد أن سيزور

لقد منعت معروفها أم جعفر ... وإني إلى معروفها لفقير

قال: فامتلأ الأحوص سرورا، ثم أقبل عليه فقال: يا أحوص، خبرني عن قولك:

فأن تصلي أصلك وإن تعودي ... لهر بعد وصلك لا أبالي

١ زيادات ر: "كذا وقعت الرواية" "لاتفسدن" على النهى، والصحيح: "لتفسدن" على القسم، كأنها قالت: "والله لتفسدن".." [(١)]

"أما والله لو كنت من فحول الشعراء لباليت؛ هلا قلت مثل ما قال هذا؟ وضرب بيده على جنب نصيب:

بزينب ألمم قبل أن يظعن الركب ... وقل إن تملينا فما ملك القلب

قال: فانتفخ نصيب، ثم أقبل عليه فقال له: ولكن أخبرني عن قولك يا أسود:

أهيم بدعد ما حييت وإن أمت ... فواحزاني من ذا يهيم بها بعدي

كأنك اغتممت ألا يفعل بها بعدك؛ ولا يكني، فقال بعضهم لبض: قوموا فقد استوت القرفة. وهي لعبة على خطوط، فاستواؤها انقضاؤها.

قال أبو الحسن: الطبن هي السدر، فإذا زيد في خطوطه سمته العرب: القرفة، وتسميه العامة السدر.." [(٢)]

"في نقد الشعر

وحدثت أن الكميت بن زيد أنشد نصيبا فاستمع له، فكان فيما أنشده:

وقد رأينا بها حورا منعمة ... بيضا تكامل فيها الدل والشنب١

فثنى نصيب خنصره، فقال له الكميت: ما تصنع؟ فقال: أحصي خطأك، تباعدت في قولك: "تكمل فيها الدل والشنب".

---

(١) الكامل في اللغة والأدب، ٢/١١٦

(٢) الكامل في اللغة والأدب، ٢/١١٧

هلا قلت كما قال ذو الرمة:

لمياء في شفتيها حوة لعس ... وفي اللثاث وفي أنيابها شنب

ثم أنشده في أخرى:

كأن الغطامط من جريها ... أراجيز أسلم تهجو غفارا ٢

فقال له: نصيب: ما هجت أسلم غفارا قط، فاستحيا الكميت فسكت.

قال أبو العباس: والذي عابه نصيب من قوله: "تكامل فيها الدل والشنب".

قبيح جدا، وذلك أن الكلام لم يجر على نظم، ولا وقع إلى جانب الكلمة ما يشاكلها، وأول ما يحتاج إليه القول أن ينظم على نسق، وأن يوضع على رسم المشكلة.

وخبرت أن عمر بن لجإ قال لابن عم له: أنا أشعر منك، قال له، وكيف؟ قال: لأني أقول البيت وأخاه، وانت تقول البيت وابن عمه.

١ الشنب: عذوبة الأسنان ورقتها.

٢ الغطامط: اضطراب موج البحر، وفي زيادات ر: "وقعت الرواية" "من جريها"، وصوابه: "من غلبها"؛ لأنه يصف قدرا فيه لحم، فشبه غليان القدر وارتفاع اللحم فيه بالموج الذي يرتفع"..". (١)

""اللهم إن لم تهد عامرا فاكفنيه". وقال عامر لأربد: قد شغلته عنك مرارا فألا ضربته! قال: أربد: أردت ذلك مرتين فاعترض لي في إحداهما حائط من حديد، ثم رأيتك الثانية بيني وبينه، أفأقتلك! فلم يصل واحد منهما إلى منزله، أما عامر فغد في ديار بني سلول بن صعصة، فجعل يقول: أغدة كغدة البعير وموتا في بيت سلولية! وأما أربد فارتفعت له سحابة فرمته بصاعقة فأحرقته، وكان أخا لبيد لأمه، فقال يرثيه:

أحشى على أربد الحتوف ولا ... أرهب نوء السماك والأسد

ما إن تعري المنون من أحد ... لا والد مشفق ولا ولد

فجعني الرعد والصواعق بالق ... ارس يوم الكريهة النجد١

يا عين هلا بكيت أربد إذ ... قمنا وقام العدو في كبد٢

وقال أيضا:

ذهب الذين يعاش في أكنافهم ... وبقيت في خلف كجلد الأجرب

يتحدثون مخانة وملاذة ... ويعاب قائلهم وإن لم يشغب

---

(١) الكامل في اللغة والأدب، ١١٩/٢

يا أربد الخير الكريم جدوده ... غادرتني أمشي بقرن أعضب

إن الرزيئة لا رزيئة مثلها ... فقدان كل أخ كضوء الكوكب

قوله: في خلف يقال: هو خلف فلان لمن يخلفه من رهطه، وهؤلاء خلف فلان؛ إذا قاموا مقامه من غير أهله، وقلما يستعمل خلف إلا في الشر، وأصله ما ذكرنا. والمخانة: مصدر من الخيانة. والملوذ: الذي لا يصدق في مودته، يقال: رجل ملوذ وملذان، وملاذة مصدره. والأعضب: المقطوع. وفي الحديث: "لا يضحى بعضباء".

ويروى أن رجلا قال لمعن بن زائدة في مرضه: لولا ما من الله به من بقائك، لكنا كما قال لبيد:

ذهب الذين يعاش في أكنافهم ... وبقيت في خلف كجلد الأجر

فقال له معن: إنما تذكر أني سدت حين ذهب الناس؛ **هلا قلت** كما قال نهار بن توسعة:

قلدته عرى الأمور نزار ... قبل أن تهلك السراة البحور

ثم نرجع إلى ذكر المراثي:

١ النجدة: البطل الشجاع.

٢ الكبد: الجهد والمشقة.." (١)

""""""""" صفحة رقم ٢٨٣ """"""""

وقيل لأعرابي : من أبلغ الناس : قال : أقلهم لفظا ، وأحسنهم بديهة .

قال الإمام فخر الدين الرازي في حد البلاغة : إنها بلوغ الرجل بعبارته . كنه ما يقول في قلبه ، مع الاحتراز عن الإيجاز المخل والتطويل الممل .

قال فيلسوف : كما أن الآنية تمتحن بأطنانها فيعرف صحيحها ومكسورها فكذلك الإنسان يعرف حاله بمنطقه .

مر رجل على أبي بكر ومعه ثوب فقال له أبو بكر : أتبيعه ؟ فقال : لا يرحمك الله ، فقال أبو بكر : لو تستقيمون لقومت ألسنتكم ، **هلا قلت** لا ويرحمك الله ؟ .

قال كاتب الأحرف : إعتراض أبي بكر غير وارد على ذلك الرجل لاحتمال أن يكون قصده من قوله : لا يرحمك الله معنى غير محتاج إلى الواو فتأمل .

وحكي أن المأمون سأل يحيى بن أكثم عن شيء . فقال : لا وأيد الله أيد الأمير فقال المأمون : ما أظرف

---

(١) الكامل في اللغة والأدب، ٢٨/٤

هذا الواو وما أحسنها في موضعها .
وكان الصاحب يقول هذا الواو أحسن من واوات الأصداغ . قالت الأشاعرة : شكر المنعم ليس بواجب أصلا ، ومثلوها بتمثيل ، فقالوا : وما مثله إلا كمثل الفقير حضر مائدة ملك عظيم يملك البلاد شرقا وغربا يعم البلاد وهبا ونهبا فتصدق عليه بقلمة خبز ، فطفق يذكره في المجامع ، ويشكره عليها بتحريك أنملته دائما لأجله ، فإنه يعد استهزاء بالملك ، فكذا هنا ، بل اللقمة بالنسبة إلى الملك وما يملكه أكثر مما أنعم الله به على العبد بالنسبة إلى الله وشكر العبد في قلتها أقل قدرا في جنب الله من شكر الفقير بتحريك أصبعه . وأتت المعتزلة بتمثيل آخر أحسن منه ، فقالوا التمثيل المناسب للحال أن يقال : إذا كان في زاوية الخمول وهاوية الذهول رجل أخرس اللسان ، مشلول اليدين والرجلين ، فاقد السمع والبصر ، بل لجميع الحواس الظاهرة والمشاعر الباطنة ، فأخرجه الملك من تلك الهاوية ، وتلطف عليه بإطلاق لسانه وإزالة شلل أعضائه ، ووهب له الحواس لجلب المنافع ودفع المضار ورفع رتبته وكرمه على كثير من أتباعه وخدمه ، ثم إن ذلك الرجل بعد وصول تلك النعم الجليلة إليه ، وفيضان تلك التكريمات عليه ، طوى عن شكر ذلك الملك كشحا وضرب عنه صفحا ولم يظهر منه ما ينبيء عن الإشعار بشيء من تلك النعم أصلا ، بل كان حاله قبلها كحاله بعدها من غير فرق بين وجودها وعدمها فلا ريب أنه مذموم بكل لسان ومستحق للإهانة والخذلان .
وحكي أن بعضهم دخل على عدوه من النصارى فقال له : أطال الله بقائك ، وأقر عينك ، وجعل يومي قبل يومك ، والله إنه يسرني ما يسرك ، فأحسن إليه وأجازه على دعائه وأمر له بصلة ولم يعرف لحن كلامه ، فإنه كان دعا عليه ؛ لأن معنى أطال الله بقائك لوقوع المنفعة للمسلمين به لأداء الجزية ، وأقر عينك : معناه سكن الله حركتها فإذا سكنت ،." (١)

"""""""""" صفحة رقم ٢٤٩ """""""""

بسم الله الرحمن الرحيم
قال سيد المرسلين ، وأشرف الأولين والآخرين صلوات الله عليه وآله أجمعين في خطبة خطبها وهو على ناقته العضباء .
أيها الناس كأن الموت فيها على غيرنا كتب ، وكأن الحق على غيرنا وجب ، وكأن الذي يشيع من الأموات سفر عما قليل إلينا راجعون ، نبوئهم أجداثهم ، ونأكل تراثهم كأنا مخلدون بعدهم قد نسينا كل واعظة ،

---

(١) الكشكول . ، ٢٨٣/١

وأمنا كل حائجة ، طوبى لمن أنفق ما اكتسبه من غير معصية ، وجالس أهل الفقه والحكمة ، وخالف أهل الذل والمسكنة ، طوبى لمن ذلت نفسه ، وحسنت خليقته ، وصلحت سريرته ، وعزل عن الناس شره ، طوبى لمن أنفق الفضل من ماله ، وأمسك الفضل من قوله ، ووسعته السنة ، ولم تستهوه البدعة .

قيل الإعرابية : ما الذل ؟ قلت : وقوف الشريف بباب الدنئ ثم لا يؤذن له . قيل وما الشرف ؟ قالت : عقد المنن في أعناق الرجال .

قيل لإياس القاضي : لا عيب فيك إلا أنك تعجل في القضاء من غير ترو فيما تحكم به ، فرفع كفه وقال : كم إصبعا ؟ فقالوا خمسة ، قال : عجلتم ، **هلا قلتم** واحد ، اثنان ، ثلاثة أربعة ، خمسة فقالوا : لا نعد ما عرفناه ، فقال : أنا لا أؤخر ما تبين لي الحكم فيه

قال رجل للأعمش : إنك تحب الدراهم ، فقال إنما أحب الاستغناء عن السؤال .

من كلام بعض العارفين : الأخ الصالح خير لك من نفسك ؛ لتن النفس أمارة بالسوء ، والأخ الصالح لا يأمرك إلا بالخير .

قيل لأمير المؤمنين علي عليه السلام – وهو على بغلة له ، وهو في بعض." [1]

""""""""" صفحة رقم ١٨٣ """""""

سهكين من صدإ الحديد كأنهم . . . تحت السنور جنة البقار

وقال مسلم بن الوليد يمدح بعض آل المهلب :

تراه في الأمن في درع مضاعفة . . . لا يأمن الدهر أن يأتي على عجل

فجعله ملتزما للبسها وغير عار منها . وقال الأعشى فذهب مذهب الأول :

وإذا تجئ كتيبة ملمومة . . . خرساء يغشى الذائدون نهالها

كنت المقدم غير لابس جنة . . . بالسيف تضرب معلما أبطالها

وعلمت أن النفس تلقى حتفها . . . ما كان خالقها المليك قضى لها

يمدح بهذا الشعر قيس بن معدي كرب الكندي . ولما أنشد كثير عبد الملك بن مروان قوله :

على ابن العاصي دلاص حصينة . . . أجاد المسدي سردها وأذالها

' يؤود ضئيل القوم حمل قتيرها . . . ويستضلع القرم الأشم احتمالها '

قال له عبد اللملك : **هلا قلت** كما قال الأعشى ؟

---

(١) الكشكول . ، ٢٤٩/٢

كنت المقدم غير لابس جنة

فقال له كثير : كلا . إن الأعشى وصف صاحبه بالخرق ووصفتك بالحزم . وكان لرسول الله (صلى الله عليه وسلم) درع إذا علقت بزرافينها شمرت وإذا أرسلت مست الأرض ، وكان لا يشاهد الحروب إلا بها ، وقد ظاهر في بعض تلك المواطن بين درعين وذلك يوم." (١)

""""""""" صفحة رقم ٣١٠ """""""

ختم الحب لها في عنقي . . . موضع الخاتم من أهل الذمم

خففي عنا قليلا واعلمي . . . أننا يا هند من لحم ودم

ويروى أن مروان ابن أبي حفصة قال قلت لبشار وقد أنشدني هذا الشعر : هلا قلت خرست بالصمت عن لا ونعم فقال لي : لو كنت في عقلك لقلته أتطير على من أحبه بالخرس ؟ وسأل بعض الرواة أبا عمر وابن العلاء من أبدع الناس بيتا ؟ قال الذي يقول :

لم يطل ليلي ولكن لم أنم . . . ونفي عني الكرى طيف ألم

قلت : فمن أمدح الناس ؟ قال الذي يقول :

لمست بكفي كفه أبتغي الغنى . . . ولم أدر أن الجود من كفه يعدى فلا أنا منه ما أفاد ذوو الغنى . . . أفدت وأعداني فأتلفت ما عندي

قال : فمن أهجى الناس ؟ قال الذي يقول :

رأيت السهيلين استوى الجود فيهما . . . على بعد ذا من ذاك في حكم حاكم

سهيل بن عثمان يجود بما له . . . كما جاد بالوجعا سهيل بن حاتم

وهذه كلها لبشار على اختلاف في بيتي المدح فإنها قد رويت لابن الخياط في المهدي .

وأنشد أبو علي ' ١ - ١٠١ ، ١٠٠ ' لبشار أيضا :." (٢)

""""""""" صفحة رقم ٨٥٧ """""""

ع يريد رؤبة أنه نهشل بن دارم بن مالك بن حنظلة ، وإنما أراد أبو النجم مالك بن ضبيعة بن قيس ثعلبة بن عكابة بن صعب بن علي ، يريد بين بلاد بكر وبلاد بني تميم . وصلة الشطر :

الحمد لله الوهوب المجزل . . . أعطى فلم يبخل ولم يبخل

---

(١) اللآلي في شرح أمالي القالي ـ موافقا للمطبوع، ١/١٨٣

(٢) اللآلي في شرح أمالي القالي ـ موافقا للمطبوع، ١/٣١٠

كوم الرى من خول المخول . . . تبقلت من أول التبقل

يقول : رعت هذه المواضع لعزها كما قال امرؤ القيس :

تحاماه أطراف الرماح تحاميا . . . وجاد عليه كل أسحم هطال

قال أبو عمرو الشيباني : قيل لأبي النجم **هلا قلت** : بين رماحي دارم ونهشل قال : لقد ضيقت عليها المرعى إذن .

وأنشد أبو علي للمخبل :

إذا أنت عاديت الرجال فلاقهم . . . وعرضك عن غب الأمور سليم

ع المخبل لقب وهو ربيعة بن مالك بن ربيعة بن عوف أحد بنى أنف الناقة ، واسمه جعفر بن قريع بن عوف بن كعب بن سعد بن زيد مناة بن تميم ، هذا قول محمد بن حبيب . وقال ابن الكلبي : اسم المخبل الربيع بن ربيعة بن عوف ، وقال ابن دأب : اسمه كعب بن ربيعة بن عوف ، يكنى أبا يزيد ، وهو شاعر مخضرم فحل ، وهو الذي عنى الفرزدق بقوله :

وهب القصائد لي النوابغ كلهم . . . وابو يزيد وذو القروح وجرول

وقوله : وعرضك عن غب الأعور سليم يعني عاقبة السوء وما يؤول مثلبة على صاحبه." (١)

"خطر لي الآن كلام فأردت أن أنبه عليه " و " على طرف منه فإن شرحه يطيل وذلك أنا بعد وفاة الأستاذ المحقق السني أبي عبد الله بن ناصر رضي الله عنه لم نزل نسعى في نفع الناس بتعليم ما يحتاجون من دينهم وما يحتاجون من أوراد النوافل والأذكار التي يتزودون بها لمعادهم ويتحببون بها ويتقربون إلى ربهم عاملين في ذلك على وجه المؤاخاة والمعاونة على البر والنصيحة، على وجه المشيخة، وعلى وجه التعليم والإرشاد لا على وجه التربية، ثم أنه جرى من ذلك ما عادته أن يجري من كلام منكر أو متنصح، فأخبرني بعض أصحابي أنه جرى كلام بينه وبين " بعض " القضاة المتصدرين للدرس فتكلم له القاضي في شأني وقال له على وجه النصيحة فيما زعم: ما ألجأ فلاناً إلى تلقين الأوراد؟ فهل رأيتم مريداً بشروط الإرادة قط؟ فلما حدثني بذلك قلت له: **هلا قلت** له: أما أنا لم نرَ مريداً كذلك " فهو كذلك " وكيف نراه إلاّ أن يتداركنا الله برحمته؟ وقد كان الشيخ أبو العباس زروق يحكي عن شيخه أبي العباس أحمد ابن عقبة الخضرمي رضي الله عنهما أنه كان يقول " لهم " : لو فتشتم من أقصى مشارق الأرض إلى أقصى مغاربها على مريد صادق في أحواله لم تجدوه فكيف بالعارف الكامل؟ ومع ذلك فانتقاص الزمان وانتقاص أهله لا

---

(١) اللآلي في شرح أمالي القالي ـ موافقا للمطبوع، ٢/٨٥٧

يوجب انقطاع الدين ولا ارتفاع النصيحة، فإن هذا النقص سارٍ في الدين وفي العقول وفي الأقوات وفي الإمامة الكبرى والصغرى وفي النصيحة وغير ذلك، وهو قضاء جار أخبر به الصادق المصدوق صلى الله عليه وسلم قبل كونه في الأحاديث الكثيرة، وإليه يشير القائل:

هذا الزمان الذي كنا نحاذره ... في قول كعب وفي قول ابن مسعود

إن دام هذا ولم يحدث له غير ... لم يبك ميت ولم يفرح بمولود

هذا ويا ليته دام، فإنه لا يزيد الأمر إلاّ شدة والخير إلاّ إدباراً حتى ينقرض انقراضاً غير أن المعتبر في كل زمان ما هو فيه، وحكم الله تعالى جار في كل بحسب حاله، والدين مستمر، والحق ظاهر حتى يأتي أمر الله.

ثم يلزمك أيها الناصح في هذا مثل ما يلزمنا، وما كان جوابك هو جوابنا، فإنك تصدرت للتعليم فهل رأيت بعينيك متعلماً على شروط التعليم المعتبرة؟ أو هل رأيت في نفسك شروط المعلم؟ " فلا بد أن تعرض على نفسك شروط المعلم " وعلى من يجلس إليك شروط المتعلم، فإن تجد ذلك صحيحاً ظاهراً أو باطناً فتصدر، وإن وجدته مختلاً فكيف يحل لك أن تتصدر، وارتفاع الشرط يوجب ارتفاع المشروط، وقد قال صلى الله عليه وسلم: " لا تُؤْتُوا الحِكْمَةَ غَيْرَ أَهْلِهَا فَتَظْلمُوها " فإن أجاب بأنه ارتكب أخف الضررين أو أن العلم أمنع جانباً من أن يصل إلى غير أهله أو نحو ذلك فهو جوابنا بعينه، والله الموفق المسئول أن يتجاوز عنّا بعفوه ويتغمدنا برحمته إنه ولي ذلك والقادر عليه.

لله الأمر من قبل ومن بعد

باب في

ملح من الأدب

رأيت أن ألم بملح من الأدب تثميناً للكتاب، وامتناعاً لذوي الألباب، فإن النفس ملول والأذن مجاجة، وفي التلون والانتقال تطييب لها وتنشيط كما قيل:

لا يصلح النفس إن كانت مدبرة ... إلاّ التنقل من حال إلى حال

وذلك كله مما يصلح للمحاضرات ويوافق شرط الكتاب، ويعد من الآداب.

وقد قال الحسن بن سهل: الآداب عشرة: ثلاثة شهرجانية وهي ضرب العود، ولعب الشطرنج، والصوالج، وثلاثة أنوشروانية، وهي: الطب، والهندسة، والفروسية، وثلاثة عربية، وهي: الشعر والنسب وأيام الناس، والعاشرة مقطعات الحديث والسمر وما يتعاطاه الناس بينهم في المجالس، وهذا عام.

وقال ابن مسعود رضي الله عنه: القلوب تمل كما تمل الأبدان فابتغوا لها طرائف الحكمة.
وقال أبو الدرداء رضي الله عنه: إني لأستجم نفسي من الباطل ليكون أقوى لها على الحق، وقال الشاعر:
عجباً ممن تناهت حاله ... وكفاه الله ذلات الطلب
كيف لا يقسم شطري عمره ... بين حالين نعيم وأدب
مرة جداً وأخرى لعباً ... فإذا ما غسق الليل انتصب
فقضى الدنيا نهاراً حقه ... وقضى لله ليلاً ما يجب." (١)

"ش: الذي ذكره أبو عبيد، وابن الأعرابي، وغيرهما أن التي أريت في منامها حيية بنت رياح الغنوية، وأن زوجها جعفر بن كلاب، قال لها: إنه عاد فقولي: إلى تمام الخير، وفيه فولدت ثلاثة، وكلهم به علامة، فابتكرت بخالد الأصبغ، وكانت به شامة بيضاء في مقدم رأسه. قال أبو عبيدة: فكان يصبغها. وثنت بمالك الطيان كان طاوي البطن، وهو الأخرم، ولد ملتصق إبهام الرجل بأنفه، فقطع بحديدة، وثلثت بربيعة الأحوض، وكان صغير العينين، كأنهما مخيطتان، وأما فاطمة بنت الخرشف فمع أن هذا الخبر في غيرها، فانها ولدت من زياد العبسي سبعة منهم الكملة، وهم أربعة: الربيع الكامل مخصوصا بهذا الاسم، وعمارة الوهاب، وأنس الفوارس، ويقال أنس الخير، وقيس الحافاظ، وثلاثة سواهم، وهم: الحارث، وعمر، ويزيد، بنو زياد.
وقوله " ٣,١١٥,١٣٠ " وقتل بالحبس وهو حبل.
ط: في بعض النسخ بحاء غير معجمة، وباء ساكنة، وفي جمهور النسخ ج بل وليس بشئ، وإنما الصواب بحاء غير معجمة، وباء ساكنة، وهو المستطيل من الرمل،وكذا قال " ٤٤:ب " الرياش في " الحماس " الحسن نقا بالدهناء، وقد رد بن حمزة قوله جبل، وزعم: أن أبا العباس صحفة، وإنما هو حبل، وزعم أيضا: أن أبا العباس غلط في قوله: الحسن رمل، وإنما هو شجر، وعلي بن حمزة هو المخطئ في هذا، لأن أبا رياش قال: هما نقوان، يقال لأحدهما الحسن، والأخر الحسين، ويدل عليه قول الآخر " الوافر " :
ويوم شقيقة الحسنين لاقت ... بنو شيبان آجالا قصارا
وعلى قوله " ٣,١١٥,١٣٠٤٥٤ " قتل حسان، وفودي معاوية.
ط: الأمر بالعكس، مما ذكره أبو العباس، إنما المقتول معاوية، وكان عوف بن الأحوص أسره، وجز ناصيته، وأعتقه على الثواب، فقتله قيس ابن زهير، فطالب عوف بني عبس، وكان طفيل بن مالك أسر حسان.

---

(١) المحاضرات في اللغة والأدب، ص/٩٨

فرغب إليه بنو عبس، فوهبه لهم، فدفعوه إلى عوف، عوضا من معاوية، فجز عوف ناصيته، وأطلقه، ولم يفاده فسمى عوف الجزاز، وهذا ممانبه عليه علي بن حمزة.

وقوله " ٣،١٣١٤٧ " قال أبو الحسن حاز بالزاى أي زاجز.

ش: " عن " أبي الحسن: قال ابن دريد، في عجمة هذا الاسم قال: بسطام ليس من كلام العرب، وإنما سمى ابن قيس بن مسعود، بسطاما، باسم ملك من ملوك فارس، كما سموا قابوس.

وعلى قوله " ٣،١٣٠٤٧ " الدلو تأتي الغرب المزلة.

ط: ذكر غيره أن بسطاما، رأى في منامه قائلا يقول: الدلو تأتى الغرب المزلة، فقصها على أصحابه، فقال له نقيد: هلا قلت: ثم تعود بادنا، مبتلة فنفرط عنك النحوس، ووجل منها نقيد، وهو دليل، كان له من بني أسد " ٤٥:ألف " قال أبو بكر: الغرب مخرج الماء من الحوض، يقول فالدلو تأتي على غير وجهها، وإنما سبيل الدلو أن تفرغ في الإناء، فيريد أنك تقصد غير مقصد.

وقوله " ٣،١٣١٤٨ " ما هذا السفه.

ط: ذكر غيره أن مالك بن المنتفق الضبي، كانت الإبل له، قال بسطام: ما هذا السفه: قال:

البث قليلا يلحق الداريون،

ذوو الجباب البدن المكفيون، سوف ترى إن حضروا ما يعنون،

وقوله " ٣،١٣١٤٨ " وكان في بني شيبان.

ط: قيل كان فيهم أسيرا، قيل: وكان مجاورا لهم.

وقول القائل " ٣،١٣١٥١ " إذا ما خشينا من أمير ظلامة.

ط: بعده: " من الطويل " :

ترى الناس أفواجا إلى باب داره ... إذا شاء جاءوا دار عين وحسرا

وهذا الشعر لعديل بن الفرج، قال الرياش عن العتبى: حمل زياد إلى معاوية مالا من البصرة، ففزعت تميم، والأزد، إلى مالك ابن مسمع، وكان مكانه من ربيعة، كمكان كليب في حياته، فقالوا: أيحصل المال، ونبقى بلا عطاء فركب مالك في ربيعة، ورد المال، وضرب فسطاطه بالمربد، ووفى الناس عطاءهم ثم قال: إن شئتم أن تحملوا الآن فاحملوا، وفعل ذلك أيضا بحمزة بن عبد الله بن الزبير، وقد حمل مالا من البصرة إلى أبيه، فقال العديل بن الفرخ ذلك الشعر المذكور.

وقوله " ٣،١٣١٥٢ " ورهط كعب وحاتم.

ط: كعب بن مامة الإيادي، هو جار أبي دواد، الذي ضرب به المثل، فقال فيه الشاعر " الوافر " :
أطوف ما أطوف ثم آوى ... إلى جار كجار أبي دواد." (١)
"والله لو لا خصلة ارقبها ... لقل في الدنيا لما بي لبثي
الشعر لإبراهيم وله فيه لحنان أحدهما ثقيل أول عن أبي العنبس والآخر هزج بالبنصر عن عمرو وفيه لعريب ثقيل أول آخر وذكر حبش أن فيه لإبن جامع هزجاً بالوسطى.
وذكر هرون بن الزيات أن حماد دثه عن أبيه أن ثعلباً هذا كان مملوكاً لإبراهيم فقال هذه الأبيات في خنث جارية جزه بن مغول الموصلي وكانت مغنية محسنة وخاطب ثعلباً فيها مستخيراً له.
وذكر هرون بن محمد بن عبد الملك أن حماد بن إسحق حدثه عن أبيه أنه قال في خنث جارية جزه بن مغول الموصلي وخاطب في شعره غلاماً يقال له ثعلب وكانت خنث مغنية محسنة وكانت تعرف بذات الخال.
قال:
ثعلب يا هذا الكثير الخبث ... بالله ألا قلت لي عن خنث
وذكر الأبيات قال له أيضاً:
أيد لذات الخال يا ثعلب ... قول أمريء في حبه لا يكذب
إني أقول الحق فأستيقني ... كل أمريء في حبه يلعب
الشعر والغناء لإبراهيم ه فيه لحنان رمل وخفيف ثقيل عن إبن المكي ومنها:
جزى الله خيراً من كلفت بحبه ... وليس به إلا المموه من حسبي
وقالوا قلوب العاشقين رقيقة ... فما بال ذات الخال قاسية القلب
وقالوا لها هذا محبك معرضاً ... فقالت أرى إعراضه أيسر الخطب
فما هو إلا نظرة بتبسم ... قتنشب رجلاه ويسقط للجنب
ومنها:
إن لم يكن حب ذات الخال عناني ... إذاً فحولّت في مسك إبن زيدان
فإن هذي يمين ما حلفت بها ... إلا على الحق في سري وإعلاني
الشعر والغناء لإبراهيم هزج بالبنصر ومنها:

---

(١) القرط على الكامل، ص/١٠٠

لقد أخلو ذات الخا ... ل والحراس قد هجعوا

فمن يبصر أبا الخطا ... ب يطلبها ويتبع

ألا لن تر محزوناً ... يتيم صبره الجزع

وقارعني ففزت بها ... وحازتها لي القرع

غناء إبراهيم من رواية تدل عنه ولم يذكر طريقته.

قال علي بن محمد الهشامي: حدثني حدّي يعني إبن حمدون قال: حدثني مخارق قال: كنت عند إبراهيم الموصلي ومعي إبن زيدان صاحب البرامكة وإبراهيم يلاعبه بالشطرنج فدخل علينا إسحق فقال له أبوه: ما أفدت اليوم فقال أعظم فائدة، سألني رجل ما أفخم كلمة في الفم فقلت له لا إله إلا الله، فقال له أبوه إبراهيم: أخطأت هلا قلت دنيا وديناً، فأخذ إبن زيدان الشاه فضرب به رأس إبراهيم وقال: يا زنديق أتكفر بحضرتي، فأمر إبراهيم غلمانه فضربوا إبن زيدان ضرباً شديداً، فأنصرف من ساعته إلى جعفر بن يحيى فحدثه بخبره قال: وعلم إبراهيم أنه قد أخطأ وجنى فركب إلى الفضل بن يحيى فأستجار به فأستوهبه الفضل من جعفر فوهبه له، فأنصرف وهو يقول:

إن لم يكن حب ذات الخال عناني ... إذاً فحولت من مسك إبن زيدان

فإن هذين يميني ما حلفت بها ... إلا على الصدق في سري وإعلاني

قال وله في هذين البيتين صنعة وهي هزج ومنها:

من يرحم مجنوناً ... بذات الخال مفتونا

أبى فيها فما بلو ... وكل الناس بلونا

فقد أودى به السقم ... وقد أصبح مجنونا

فإن دام عرى هذا ... ثوى في اللحد مدفونا

الشعر والغناء لإبراهيم خفيف ثقيل عن الهشامي ومنها:

لذات الخال أرقني ... خيال بات يلثمني

بكى وجرى له دمع ... ما بالقلب من حزن

فلا أنساه أو أنسى ... إذا أدرجت في كفني

الشعر والغناء لإبراهيم خفيف رمل بالوسطى عن الهشامي ومنها: قال:

هل علمت اليوم يا عاصم ... يا خير خدين

أن ذات الخال تأتيني ... على رغم قرين

لا تلمني إن ذات الخا ... ل دنياي وديني

وأبي حنص خليلي ... ووزيري وأميني

بحت لا أكتمه شيئاً ... من الداء الدفين

إن بي من حب ذا ... ت الخال شيئاً كالجنون

فيه لإبراهيم هزج بالوسطى عن إبن المكي ومنها: قال:." [1]

" وأكثرت يعني كلاما وصوابا قال يا بني ما رأيت موعوظا أحق بأن يكون واعظا منك وقال الشعبي كنت أحدث عبد الملك بن مروان وهو يأكل فيحبس اللقمة فأقول أجزها أصلحك الله فإن الحديث من وراء ذلك فيقول والله لحديثك أحب إلي منها وقال ابن عيينة الصمت منام العلم والنطق يقظته ولا منام إلا بتيقظ ولا يقظة إلا بمنام قال ابن المبارك

(وهذا اللسان بريد الفؤاد ... يدل الرجال على عقله)

ومر رجل بأبي بكر الصديق رضي الله تعالى عنه ومعه ثوب فقال له ابو بكر رضي الله عنه أتبيعه فقال لا رحمك الله فقال أبو بكر لو تستقيمون لقومت ألسنتكم **هلا قلت** لا ورحمك الله

ومنه ما حكي أن المأمون سأل يحيى بن اكثم عن شيء فقال لا وأيد الله أمير المؤمنين فقال المأمون ما أظرف هذه الواو وأحسن موقعها وكان الصاحب يقول هذه الواو أحسن من واوات الأصداغ ويقال اللسان سبع صغير الجرم عظيم الجرم وقال بعضهم شعرا

(سحبان يقصر عن بحور بيانه ... عجزا ويغرق منه تحت عباب)

(وكذاك قس ناطق بعكاظه ... يعيا لديه بحجة وجواب)

وقيل أنه حج مع ابن المنكدر شابان فكانا إذا رأيا امرأة جميلة قالا قد أبرقنا وهما يظنان أن ابن المنكدر لا يفطن فرأيا قبة فيها امرأة فقالا بارقة وكانت قبيحة فقال ابن المنكدر بل صاعقة وكان أصحاب أبي علي الثقفي إذا رأوا امرأة جميلة يقولون حجة فعرضت لهم قبيحة فقالوا داحضة وكتب إبراهيم بن المهدي إياك والتتبع لو حشي الكلام طمعا في نيل البلاغة فإن ذلك العناء الأكبر وعليك بما سهل مع

---

(١) المرقصات والمطربات، ص/٤٧

تجنبك الألفاظ السفل ويقال القول على حسب همة القائل يقع والسيف بقدر عضد الضارب يقطع وقال الأحنف سمعت كلام أبي بكر حتى مضي وكلام عمر حتى ." (١)

" وقال يا أبا الحسن قم فاجلس مع خصمك فتناظرا وانصرف الرجل ورجع علي إلى مجلسه فتبين لعمر التغير في وجه علي فقال يا أبا الحسن مالي أراك متغيرا أكرهت ما كان قال نعم قال وما ذاك قال كنيتني بحضرة خصمي **هلا قلت** يا علي قم فاجلس مع خصمك فأخذ عمر برأس علي رضي الله عنهما فقبله بين عينيه ثم قال بأبي أنتم بكم هدانا الله وبكم أخرجنا من الظلمات إلى النور

وعن أبي حنيفة رضي الله عنه القاضي كالغريق في البحربي الأخضر إلى متى يسبح وإن كان سابحا وأراد عمر بن هبيرة أن يولي ابا حنيفة القضاء فأبي فحلف ليضربنه بالسياط وليسجننه فضربه حتى انتفخ وجه أبي حنيفة ورأسه من الضرب فقال الضرب بالسياط في الدنيا أهون علي من الضرب بمقامع الحديد في الآخرة وعن عبد الملك بن عمير عن رجل من اهل اليمن قال اقبل سيل باليمن في خلافة أبي بكر الصديق رضي الله عنه فكشف عن باب مغلق فظنناه كنزا فكتبنا الى ابي بكر رضي الله تعالى عنه فكتب إلينا لا تحركوه حتى يقدم إليكم كتابي ثم فتح فإذا برجل على سرير عليه سبعون حلة منسوجة بالذهب وفي يده اليمنى لوح مكتوب فيه هذان البيتان

(إذا خان الأمير وكاتباه ... وقاضي الارض داهن في القضاء)

(فويل ثم ويل ويل ... لقاضي الأرض من قاضي السماء)

و إذا عند رأسه سيف أشد خضرة من البقلة مكتوب عليه هذا سيف عاد بن إرم عن ابن أبي أوفي عن النبي أنه قال إن الله مع القاضي ما لم يجر فإذا جار بريء الله منه ولزمه الشيطان وقال محمد بن حريث بلغنى أن نصر بن علي راودوه على القضاء بالبصرة واجتمع الناس إليه فكان لا يجبهم فلما ألحوا عليه دخل بيته ونام على ظهره وألقى ملاءة على وجهه وقال اللهم ان كنت تعلم أني لهذا الأمر كاره فاقبضني اليك فقبض وعن أنس رضي الله عنه عن النبي القضاة جسور للناس يمرون على ظهورهم يوم القيامة وقال حفص بن غياث لرجل كان يسأله عن مسائل القضاء لعلك تريد أن تكون قاضيا لأن يدخل ." (٢)

" كاتبه إن القاضي يقول لك جاء شهودك معك قالت نعم **هلا قلت** مثل ما قال كاتبك كبرسنك وقل عقلك وعظمت لحيتك حتى غطت على لبك ما رأيت ميتا يقضي بين الأحياء غيرك وقيل المضروب

---

(١) المستطرف، ٩٨/١

(٢) المستطرف، ٢٢٠/١

بهم المثل في الجهل وتحريف الأحكام قاضي مني وقاضي كسكر وقاضي أيدج وهو الذي قال فيه ابو إسحاق الصابي

(يا رب علج أعلج ... مثل البعير الأهوج)

(رأيته مطلعا ... من خلف باب مرتج)

(وخلفه عذيبة ... تذهب طورا وتجي)

(فقلت من هذا ترى ... فقيل قاضي أيدج)

وقاضي شلبة وهو الذي قال فيه أبو الحسن الجوهرى

(رأيت رأسا كدبه ... ولحية كالمذبة)

(فقلت من أنت قل لي ... فقال قاضي شلبه)

وتقدمت امطرأة جميلة إلى الشعبي فادعت عنده فقضى لها فقال هذيل الأشجعي

(فتن الشعبي لما ... رفع الطرف إليها)

(فتنته ببنان ... كيف رؤيا معصميها)

(ومشت مشيا رويدا ... ثم هزت منكبيها)

(فقضي جورا على الخصم ... ولم يقض عليها)

فتناشدها الناس وتداولوها حتى بلغت الشعبي فضرب الأشجعي ثلاثين سوطا ." (١)

"وأقبل المنصور يوماً راكباً والفرج بن فضالة جالس عند باب الذهب فقام الناس إليه ولم يقم فاستشاط المنصور غيظاً وغضباً ودعا به فقال : ما منعك من القيام مع الناس حين رأيتني قال : خفت أن يسألني الله تعالى لم فعلت ويسألك عنه لم رضيت وقد كرهه رسول الله صلى الله عليه وسلم .

فسكن غضبه وقر به وقضى حوائجه .

يحيى بن أكثم قال : إني عند المأمون يوماً حتى أتي برجل ترعد فرائصه فلما مثل بين يديه قال له المأمون : كفرت نعمتي ولم تشكر معروفي قال له : يا أمير المؤمنين وأين يقع شكري في جنب ما أنعم الله بك علي فنظر المأمون إلي وقال متمثلاً : فلو كان يستغني عن الشكر ماجد لكثرة مال أو علو مكان لما ندب الله العباد لشكره فقال اشكروا لي أيها الثقلان ثم التفت إلى الرجل فقال له : هلا قلت كما قال أصرم بن حميد : رشحت حمدي حتى إنني رجل كلي بكل ثناء فيك مشتغل خولت شكري ما خولت من نعم فحر

---

(١) المستطرف، ١/٢٢٢

شكري لما خولتني خول الاستعطاف والاعتراف لما سخط المهدي على يعقوب بن داود قال له : يا يعقوب قال : لبيك يا أمير المؤمنين تلبية مكروب لموجدتك قال : ألم أرفع من قدرك إذ كنت وضيعاً وأبعد من ذكرك إذا كنت خاملاً وألبسك من نعمتي ما لم أجد بها يدين من الشكر فكيف رأيت الله أظهر عليك ورد إليك مني قال : إن كان ذلك بعلمك يا أمير المؤمنين فتصديق معترف منيب وإن كان مما استخرجته دفائن الباغين فعائذ بفضلك فقال : والله لولا الحنث في دمك بما تقدم لك لألبستك منه قميصاً لا تشد عليه زراً ثم أمر به إلى الحبس .

فتولى وهو يقول : الوفاء يا أمير المؤمنين كرم والمودة رحم وأنت بها جدير .." (١)

"فاسْأَلْ قُفَيْرَةَ بالمَرُّوت هَلْ شَهدَتْعَسْبَ الحُطَيْئة بَيْنَ الكِسْرِ والنَّضَدِ

أَمْ كان في غالبٍ شعْرٌ فَيُشْبِهَهُ ... شِعْرُ ابْنِهِ فَيَنَالَ الشِّعْرَ من صَدَدِ

جاءَتْ به نُطْفَةً من شرِّ ماءٍ صَرىً ... سيقَتْ إِلى شَرِّ وادٍ شُقَّ في جَدَدِ

لا تَأْمَنَنَّ تَميميًّا على جَسَدٍ ... قد مات، ما لم تُزايَلْ أَعْظُمُ الجَسَدِ

وقال أيضاً:

لَقَدْ زَادني حُبّاً لنَفْسِيَ أَنَّني ... بَغيضُ إلى كُلِّ امْرِئٍ غَيْر طائلِ

إذا ما رآني قَطَّعَ الطَّرْفَ دُونَهُ ... ودُونِيَ فعْلَ العارف المُتَجَاهِلِ

مَلأْتُ عليه الأَرضَ حتى كأَنَّها ... من الضِّيقِ في عَيْنَيْهِ كِفَّةُ حابلِ

وإني شَقيٌّ باللِّئَامِ ولا تَرَى ... شقيّاً بِهِمْ إلاَّ كَريمَ الشَّمائلِ

وقال:

فيا ربِّ لا تَجْعَلْ وَفَاتِيَ إنْ دَنَتْ ... على شَرْجَعٍ يُعْلى بدُكْنِ المَطَارِفِ

ولكنْ أ ◌ِحِنْ يَوْمِي شَهيداً وعُصْبَةً ... يُصَابُونَ في فَجٍّ منَ الأَرض خائِفِ

عَصَائِبُ من شَتَّى يُؤَلِّفُ بَيْنَهُمْ ... هُدَى الله نَزَّالُونَ عِنْد المَوَاقفِ

إذا فارَقُوا دُنْيَاهُمُ فارَقُوا الأَذَى ... وصارُوا إِلى مَوْعُودِ ما في المَصَاحِف

فأُقْتَلَ قَعْصاً ثُمَّ يُرْمى بأَعْظُمي ... كضِغْث الخَلابَيْنَ الرِّيَاحِ العَواصف

ويُصْبِحَ لَحْمِي بَطْنَ طَيْرٍ مَقيلُهُ ... دُوَيْنَ السَّمَاءِ في نُسُورٍ عَوَائفِ

وكان يرى رأى الخوارج.

---

(١) العقد الفريد، ص/٣٠٩

وقال:

لَقَدْ شَقيتُ شَقَاءً لا انْقطَاعَ له ... إنْ لم أَفُزْ فَوْزَةً تُنْجِي منَ النَّارِ

والنارُ لم يَنْجُ من رَوْعاتِها أَحَدٌ ... إلاَّ المُنِيبُ بقلْبِ المُخْلِص الشَّارِي

أَو الَّذي سَبَقَتْ من قبْلِ مَوْلِدِه ... له السَّعَادَةُ منْ خَلاَّقِهَا البارِي

وكان الأصمعي يستجيد قوله في صفة الظليم:

مُجْتابُ شَمْلةِ بُرْجُدٍ لِسَرَاته ... قَدَراً، وَأَسْلَمَ ما سِوَاهُ البُرْجُدُ

ويستجيد قوله في صفة الثور:

يَبْدُو وتُضْمِرُهُ البِلادُ كأَنَّه ... سَيْفٌ على شَرَفٍ يُسَلُّ ويُغْمَدُ

العجاج الراجز

هو عبد الله بن رؤبة، من بني مالك بن سعد بن زيد مناة ابن تميم. وكان يكنى أبا الشعثاء، والشعثاء ابنته، وكان لقى أبا هريرة وسمع منه أحاديث.

قال العجاج قال لي أبو هريرة ممن أنت؟ قلت من أهل العراق، قال يوشك أن تأتيك بقعان الشام فيأخذوا صدقتك، فإذا أتوك فتلقهم بها، فإذا دخلوها فكن في أقاصيها وخل عنهم وعنها، وإياك وأن تسبهم، فإنك إن سببتهم ذهب أجرك وأخذوا صدقتك، وإن صبرت جاءت في ميزانك يوم القيامة.

وقال سليمان بن عبد الملك للعجاج إنك لا تحسن الهجاء، فقال إن لنا أحلاماً تمنعنا من أن تظلم، وأحساباً تمنعنا من أن نظلم، وهل رأيت بانياً لا يحسن أن يهدم؟ وإنما سمى العجاج بقوله:

حتى يعج عندها من عجعجا

قال وقلت هذه الأجوزة في ليلة واحدة، وانثالت علي انثيالاً.

وسمعه رجل من بني الحرماز ينشد:

كأَنَّ تَحْتِي كُنْدُراً كُنَادِرا ... تَرَى بِلِيتَيْ عُنْقِه مَزَارِرَا

منَ الكِدَام جالباً وجادِرَا

فقال تركته فرداً بلا أتن، **هلا قلت:**

في عانَةٍ يَقْسِرُها المَقَاسِرَا ... بصُلْبِ رَهْبَى تَجْمَعُ الضَّرائِرَا

حَوْلاً وأُخْرى تَحْمِلُ النَّعائِرَا؟

ومما أخذ عليه قوله:

كَأَنَّ عَيْنَيْهِ منَ الغُؤور ... قَلْتانِ في لَحْدِ صَفاً مَنْقُور

أَذاك أو حَوْجَلتَا قارُورِ ... صَيَّرَتْنَا بالنَّضْحِ والتصْبِيرِ

صَلاصِلَ الزَّيتِ إِلى الشُّطُورِ

الحوجلتان القارورتان، وجعل الزجاج ينضح ويرشح.

وولد العجاج رؤبة والقطامى.

رؤبة بن العجاج." (١)

"""""""""" صفحة رقم ١٢٥ """""""""

وما روضة بالحزن طيبة الثرى . . . يمج الندى جثجاثها وعرارها

يا طيب من أردان عزة موهنا . . . إذا أرقدت بالمندل الرطب نارها

قال نعم قالت ويحك إذا أوقد المندل الرطب على هذه الروضة أو بخرت به أمك العجوز الشناء كانت كذلك **فهلا قلت** كما قال امرؤ القيس بن حجر الكندي :

ألم ترياني كلما جئت زائرا . . . وجدت بها طيبا وإن لم تطيب

فناولها مطرف خز كان معه وقال استري علي ذلك وهذه الحكاية نقلها قاضي القضاة شمس الدين بن خلكان في تاريخه ، ثم قال إن بعض مشايخ الأدب قال ليس على كثير شيء فإن قوله إذا أوقدت بالمندل الرطب نارها نعت للروضة المذكورة انتهى وهذا جيد لو لم يطلب كثير من العجوز الستر فإنه عرفنا أنه ما أراد إلا المعنى المعترض فيكون هذا تصحيحا لإثبات قصده ، وتوفي كثير سنة خمس ومائة في اليوم الذي مات فيه عكرمة مولى ابن عباس وقبر في مقابر المدينة وله في عزة أشعار كثيره من محاسنها قوله :

يقولون سوداء العيون مريضة . . . فأقبلت من أهلي إليها أعودها

فوالله ما أدري إذا أنا جئتها . . . أأبرئها من دائها أم أزيدها

إذا جئتها وسط النساء منحتها . . . صدودا كان النفس ليس تريدها

ولي نظرة بعد الصدود من الجوى . . . كنظرة ثكلى قد أصيب وحيدها." (٢)

"""""""""" صفحة رقم ٢٦٦ """""""""

وانطلقوا فطرقوا الباب فخرجت جارية ظريفة فبلغها كل السلام فدخلت ثم عادت فقالت أيكم القائل .

---

(١) الشعر والشعراء، ص/١٢٨

(٢) تزيين الأسواق في أخبار العشاق، ١٢٥/١

سرت الهموم فبتن غير نيام . . . وأخوا الهموم يروم كل مرام

درست معالمها الرواسم بعدنا . . . وسجال كل مجلجل سجام

ذم المنازل بعد منزلة اللوى . . . والعيش بعد أولئك الأيام

طرقتك صائدة القلوب وليس ذا . . . حين الزيارة فارجعي بسلام

يجري السواك على أغر كأنه . . . برد تحدر من متون غمام

لو كنت صادقة بما حدثتنا . . . لوصلت ذاك وكان غير تمام قال جرير أنا قلته قالت فما أحسنت ولا أجملت ولا صنعت صنع الحر الكريم لا ستر الله عليك كما هتكت سترك وسترها ما أنت بكلف ولا شريف حين رددتها وقد تجشمت إليك هول الليل **هلا قلت** :

طرقتك صائدة القلوب فمرحبا . . . نفسي فداؤك فادخلي بسلام

خذ هذه الخمسمائة درهم فاستعن بها في سفرك ثم انصرفت إلى مولاتها وقد أفحمتنا وكل من الباقين يتوقع ما يخجله ثم خرجت فقالت أيكم القائل :

ألا حبذا البيت الذي أنا هاجره . . . فلا أنا ناسيه ولا أنا ذاكره

فبورك من بيت وطال نعيمه . . . ولا زال مغشيا وخلد عامره

هو البيت بيت الطول والفضل دائما . . . وأسعد ربي جد من هو حاذره

به كل موشي الذراعين يرتعي . . . أصول الخزامى ما ينفر طائره

هما دلياني من ثمانين قامة . . . كما أنقض باز أقتم الريش كاسره." (١)

"تاريخ آداب العرب مصطفى صادق الرافعي الصفحة : ٧٨

قال ابن جني: "سألت مرة الشجري وهو أعرابي من عقيل كانوا يرجعون إليه في اللغة ومعه ابن عم له دونه في الفصاحة، وكان اسمه غصنا فقلت لهما: كيف تحقران حمراء؟ فقالا: حميراء. وواليت من ذلك أحجرفا وهما يجيئان بالصواب، ثم دسست في ذلك علباء، فقال غصن: عليباء، وتبعه الشجري، فلما هم بفتح الباء تراجع كالمذعور ثم قال: آه علبي...".

وقال في موضع آخر من (الخصائص): سألته يوما يعني الشجري كيف تجمع دكانا؟ فقال دكاكين. قلت: فسرحانا؟ قال سراحين... قلت: فعثمان؟ قال عثمانون، فقلت له: **هلا قلت** عثامين؟ قال: أيش عثامت؟ أرأيت إنسانا يتكلم بما ليس من لغته؟ كذلك نقل عن أبي حاتم سهل بن محمد السجستاني (توفي سنة

---

(١) تزيين الأسواق في أخبار العشاق، ٢/٢٦٦

٢٥٥) في كتابه الكبير في القراءات، قال: "قرأ علي أعرابي بالحرم: (طيبي لهم وحسن مآب) فقلت له: طوبى... فقال: طيبى، فأعدت فقلت: طوبى، فقال: طيبى، فلما طال علي قلت: طوطو... فقال: طي طي... وهكذا نبا طبع الأعرابي إلا عن لحن قومه وإن كان غيره أفصح منه، ولم يؤثر فيه التلقين، ولا ثنى طبعه هز ولا تمرين! على أن طبع العربي قد يجذبه إذا توهم القياس، ومن ذلك ما رواه صاحب الأغاني أن عمارة بن عقيل الشاعر (في القرن الثالث وهو الذي يقال إن الفصاحة ختمت به في شعراء المحدثين) أنشد قصيدة له جاء فيها (الأرياح والأمطار) فقال له أبو حاتم السجستاني: هذا لا يجوز، إنما هو الأرواح، فقال: لقد جذبني إليها طبيعي...أما تسمع قولهم رياح؟ فقال له أبو حاتم: هذا خلاف ذلك! قال: صدقت! ورجع إلى الصحيح. وقبله كان الفرزدق يلحن، وكان عبد بن يزيد الحضرمي البصري مغرى باعتراضه ونسبته إلى اللحن الحضري، حتى هجاه بقوله: [الطويل] فلو كان عبد الله مولى هجوته ولكن عبد الله مولى المواليا!

." (١)

"ولا تسامح بغيضاً في معاشرة ... فقلما تسع الدنيا بغيضين

وقوله:

وإذا الديار تنكرت حالاتها ... فدع الديار وأسرع التحويلا

ليس المقام عليك حتماً واجباً ... في بلدة تدع العزيز ذليلا

لا يرتضى حر بمنزل ذلة ... لو لم يجد في الخافقين مقيلا

بسم الله الرحمن الرحيم

صلى الله على سيدنا محمد

أما بعد حمد الله والصلاة على سيدنا محمد نبيه وآله وصحبه، فهذا:

الكتاب الثامن من الكتب التي يحتوي عليها

كتاب المملكة الإشبيلية وهو

كتاب بغية الظريف في حلى جزيرة طريف

ليست بجزيرة، وإنما هي مدينة صغيرة أمامها جزيرة في البحر، نزل بها طريف مولى بني أمية أول فتح الأندلس، فنسبت له. وأهلها من كرام الناس وأحسنهم إقبالاً على الغريب.

---

(١) تاريخ الأدب العربي للرافعي، /

كثير الطريفي

شاعر أدركه والدي، وأنشدني له:

سلام على أطلالهم بعد بينهم ... فكيف بها لو أنهم في جنابها

مررت بها أرتاد منها مرورهم ... عليها وأستشفي بلثم ترابها

وخاطبت٥١ حين استقلوا فلم تبن ... ولا سمحت لحظاً برد جوابها

بسم الله الرحمن الرحيم

صلى الله على سيدنا محمد

أما بعد حمد الله والصلاة على سيدنا محمد نبيه وآله وصحبه، فهذا:

الكتاب التاسع

من الكتب التي يشتمل عليها

كتاب المملكة الإشبيلية وهو

كتاب الحلة الحمراء في حلى الجزيرة الخضراء

من كتاب الرازي: مدينة الجزيرة الخضراء، من أرشق المدن وأطيبها، وأرفقها بأهلها، و أجمعها لخير البر والبحر، وقرب المنافع من كل جهة، توسطت مدن السواحل وأشرفت بسورها على البحر، ومرساها أحسن المراسي للجواز، وأرضها أرض زرع وضرع ونتاج.

قال ابن سعيد: لما رجعت إشبيلية إلى ابن هود ولي على الجزيرة الخضراء والدي فأقمنا بها مدة في عيش يجب ذكره والحنين إليه، وفيها أقول:

رعى الله أياماً إذا سر غيرها ... فإن سروري بعدها متكلف

وعند ما يخرج الإنسان من بابها، يجد المياه الجارية والبساتين النضرة، ونهرها يعرف بوادي العسل، سمي بذلك لحلاوته، وعليه موضع سهل، عليه حاجب مشرف على النهر والبحر في نهاية من الحسن، يعرف بالحاجبية.

ومن متنزهاتها النقا. ومقابرها حسنة، في نهاية من الأخذ بالقلوب والفرجة. وولاتها تتردد عليها من إشبيلية.

السلك

من كتاب أردية الشباب

أبو مروان عبد الملك بن إدريس الجزيري

كاتب المنصور بن أبي عامر ثم ولده المظفر، ذكره صاحب الذخيرة والمسهب، وكلاهما عظم محله، وذكرا: أنه كان يشبه بمحمد بن عبد الملك الزيات في البلاغة والعبقرية. وسجنه المنصور، ثم عفا عنه، وكتب له، وقد أتبع العفو بإحسان:

عجبت من عفو أبي عامر ... لا بد أن تتبعه منه

كذلك الله إذا ما عفا ... عن عبده أدخله الجنة

فاستحسن ذلك، وصرفه إلى حاله، ثم كتب بعده للمظفر، فلما قتل صهره ابن سعيد اتهمه، فسجنه في برج من طرطوشة، ثم قتله هنالك. ودخل صاعد البغدادي على المنصور في ويوم عيد، فازدحم على حافة الصهريج، فسقط في الماء، فضحك المنصور، وأمر بإخراجه، وخلع عليه، وقال له: هل حضرك شيء؟ فقال: شيئان كانا في الزمان. فاستبردوا ما أتى به فقال الجزيري: هلا قلت:

سروري بغرتك المشرقة ... وديمة راحتك المغدقه

ثناني نشوان حتى غرق ... ت في لجة البركة المطبقة

لئن ظل عبدك فيها الغريق ... فجودك من قبلها أغرقه

فقال المنصور : لله درك يا أبا مروان قسناك بأهل بغداد ففضلتهم، فبمن تقاس بعد؟ وأنهضه يومئذ للشرطة.

وشرب ليلة مع المنصور فكان ما أوجب أن ارتجل:

أرى بدر السماء يلوح حيناً ... فيبدو ثم يلتحف السحابا

وذلك أنه لما تبدى ... وأبصر وجهك استحيا وغابا

وله في اعتقاله القصيدة المشهورة الطويلة التي يوصى بها ولده؟ منها:

وبضمر الأقلام يبلغ أهلها ... ما ليس يبلغ بالجياد الضمر

؟ومن كتاب الياقوت

أبو عمر أحمد بن النسره." (١)

"تخطّ فيها العوالي ليس تنفُذُها ... كأنّ كلّ سنانٍ فوقها قلَمُ

فزعم أنه أخطأ في وصْفِ دِرْعِ عدوِّه بالحصانة، وأسِنة أصحابه بالكَلال. ومن كان هذا قدرُ معرفته، ونهاية علمه فمناظرتُه في تصحيح المعاني وإقامة الأغراض عَناء لا يُجدي، وتعبٌ لا ينفَع؛ كأنه لم يسمع ما شحَنَت به العربُ أشعارَها من وصف ركْضِ المنهزم، وإسراع الهارب، وتقصير الطّالب، وقولهم: إنّ الذي

---

(١) المغرب في حلى المغرب، ص/٧٨

نجّى فلاناً كرمُ فرسه، والذي ثبطني عنه سرعةُ طِرْفه، ولم يعلم أنّ مذاهبَ العرب المحمودة عندهم، الممدوحَ بها شجعانهم التفضلُ عند اللقاء، وترك التحصن في الحرب، وأنهم يرون الاستظهار بالجنَن ضرباً من الجبن، وكثرة الاحتفال والتأهّب دليلاً على الوهن، ولم يسمع قول الأعشى:

وإذا تكون كتيبة ملموسة ... خرساء يخشى الدارعون نِزالَها

كنت المقدَّمَ غير لابس جُنّة ... بالسيف تضرب معلماً أبطالها

ولما أنشد كثيّر عبدَ الملك بن مروان:

على ابن أبي العاصي دِلاصٌ حصينةٌ ... أجاد المسدّي سرْدَها وأذالَها

قال له عبد الملك: وصفتني بالجُبن! **هلاّ قلت** كما قال الأعشى، وذكر البيتين المتقدمين: فقال: وصفْتُك بالحزْم ووصَفه بالخُرْق. وأنشد الأصمعي قول مزَرّد بن ضِرار:

ومسفوحةٌ فضْفاضةٌ تُبّعيّةٌ ... وآها القَتيرُ تجتَويها المعابِلُ

دِلاصٌ كظهْر النّونِ لا يستطيعُها ... سِنانٌ ولا تلك الحِظاءُ الدّواخلُ

موشّحٌ بيضاءُ دانٍ حبيكُها ... لها حلَقٌ بعد الأناملِ فاضِلُ

قال الأصمعي: لئِنْ كان أجاد في وصْف الدِّرْع لقد عاب لابسها؛ لأن فرسان العرب المذكورين لا يحفلون بسبوغ الدروع وحصانتها؛ وأنشد:

الدِّرعُ لا أبغي لها ثروة ... كل امرئ مستودع ماله

ويروي غيره: لا أبغي لها نثرة هكذا الأصمعي ينشده ويقول في معناه: كل من قدر عليه شيء أصابه. وأنشد أيضاً بيتي الأعشى اللذين ذكرناهما. فهذا مذهبُ العرب: وقد قال الكلْحَبة العُرَني – لما فاته حَزيمة بن طارق التّغلبي:

فأدرَك إبقاءَ العَرادَة ظَلْعُها ... وقد ترَكَتْني من حزيمة إصْبَعا

فاعتذر إذ فاته حَزيمة بظَلْع فرسه، وإنما يد تقصيرها لا امتلاءها الماء؛ ألا تراه يقول:

ونادى مُنادي القوم أن قد أتيتُم ... وقد شربَتْ ماءَ المَزادَةِ أجْمَعا

وقال سلَمة بن الخُرْشُب يذكر هرَب عامر بن الطفيل وأنه نجا بسرعة فرسَه:

نجَوْتَ بنصْلِ السيفِ لا غِمدَ فوقَه ... وسرْجٍ على ظهْرِ الرحالة قاتر

فأثْنِ عليها بالذي هي أهلُه ... ولا تكْفُرَنْها، لا فلاحَ لكافر

فلو أنّها تجري على الأرض أدركتْ ... ولكنها تهْفو بتمثالِ طائرِ

وقال أوس بن حجر يذكر هرَب طفيل بن مالك يوم السوبان:

تقبل من خيفانة جرشعية ... سليلة معروق الأباجل جرشع

ولو أدركته الخيل شال برجله ... كما شال يوم الخال كعب بن أصمع

في شعر كثير يكاد يفوتُ الجمع، ولا يأتي عليه العدَّ؛ كل يحيل الأعداءَ بالسّبْق والنجاء، وينسُب خيلَه الى التقصير ولا يرى ذلك عيباً، ولا يعده نقصاً، ولم ينقم ناقِم، ولم يعِبه به عائب.

وقد قالت العرب في معنى أبي الطيب بعينه. قال شريخ بن قرواش العبسي:

عشيةَ نازلت الفوارس عنده ... وزلّ سناني عن شريح بن مسهر

وأقسمُ لولا درعه لتركته ... عليه عواف من ضباع وأنْسر

وقال ورْقاء بن زهير في هذا المعنى لما ضرب خالد بن جعفر وهو بارك على زهير بن جَذيمة:

فشلّت يَميني يومَ أضرِبُ خالداً ... ويمنعُه منّي الحديدُ المُظاهَرُ

فهو إنما دعا على يمينه بالشلل تأسّفاً، ولم يذمَّ سيفه ولم يذكر نُبوّه، ولا نعاه عليه ناعٍ من أعدائه، كما نُعِي على الفرزدق نُبوّ سيفه على عنق العلْج الخراساني، ولو كانت فيه وصْمَة أو لحق سيف ورْقاء منه مَعابة لما جعله الفرزدق عُذْراً يحسّنُ به فعلَه، وحجّةً يناضِلُ بها خصْمَه فيقول:

فسيف بني عبس وقد ضرَبوا به ... نبا بيَديْ ورْقاء عن رأسِ خالدِ." (١)

"قالت: مر «٥٦» فى قصيدتك، فقال:

و ما «٥٧» روضة بالحزن طيّبة الثّرى يمجّ الندى جثجاثها و عرارها «٥٨»

لها «٥٩» أرج بعد الهدوء كأنما تلاقت به عطّارة و تجارها

بأطيب من أردان عزّة موهنا و قد أوقدت «٦٠» بالمجمر «٦١» اللّدن نارها

فقالت: فضّ اللّه فاك، و اللّه لو فعل هذا بزنجية لطاب ريحها، و لامرؤ القيس ابن حجر كان أحسن وصفا لصاحبته منك حيث يقول «٦٢»:

خليليّ مرّا بى على أم جندب لنقضى «٦٣» لبانات الفؤاد المعذّب

أ لم تر أنى كلما جئت طارقا وجدت بها طيبا و إن لم تطيّب

و حدثنا أبو عبد اللّه إبراهيم بن محمد بن عرفة، قال: حدثنا عبيد اللّه بن إسحاق بن سلام، عن رجاله، قال: مدح كثّير بعض ملوك بنى مروان، فخرج و معه الجائزة و عليه الخلع فتلقّته سوداء، فقالت له: أأنت

---

(١) الوساطة بين المتنبي وخصومه، ص/١١١

كثير عزّة؟ قال: نعم. قالت: تبّا لك! أتعرّف بامرأة؟ قال: و ما يضيرنى من ذاك؟ فو اللّه لقد رفع اللّه بها ذكرى، و نشر فيها شعرى، و أغزر بحرى. قالت: أفلست القائل: فما روضة بالحزن و ذكرت الأبيات الثلاثة. ثم قالت: لو أوقدت بالمجمر اللدن نار زنجية لطاب ريحها؛ **هلا قلت** كما قال سيدك [٧٣] امرؤ القيس:

خليليّ مرّا بى على أمّ جندب و ذكر البيتين.

الموشح، ص: ٢٠١

فانصرف كثير، و هو يقول:

الحقّ أبلج لا يخيل «٦٤» سبيله و الحقّ يعرفه ذوو الأحلام

و حدثنى محمد بن إبراهيم، قال: حدثنا أحمد بن أبى خيثمة، عن سليمان بن أبى شيخ، عن عوانة بن الحكم؛ و ذكر مقتل أمير المؤمنين على بن أبى طالب صلوات اللّه عليه، و أمر قطام و عبد الرحمن بن ملجم، و تزويجها إياه ليقتل أمير المؤمنين عليّا عليه السلام، فبلغ كثّيرا ذلك، فقال: لآتينّها. فأتاها، فقالت قطام لكثير: تسمع بالمعيدى خير من أن تراه. فقال كثير «٦٥»:

رأت رجلا أودى السّقام «٦٦» بجسمه فلم يبق إلا منطق و جناجن «٦٧»

فإن أك معروق العظام فإننى إذا ما وزنت القوم «٦٨» بالقوم وازن." (١)

"ثم أراد الانصراف، فقال له الأحوص: أشيّعك. و خرج معه حتى نزلا ودّان، و بها منزل نصيب، فعارضهما و صار معهما، حتى إذا نزلوا الجحفة أو عسفان خرج الأحوص لحاجة له فرأى كثيّرا، فرجع فأخبرهما، فقال عمر: ابعثوا إليه ليصير إلينا. فقال الأحوص: أهو يصير إليك؟ هو و اللّه أعظم كبرا من ذلك و أتيه. قال: فإذا نصير إليه.

فصاروا إليه، فوجدوه جالسا على فروة، فو اللّه ما رفع منهم أحدا، و لا أوسع لعمر بن أبى ربيعة، قال: فجلسوا إليه فتحدثوا قليلا، ثم أقبل على ابن أبى ربيعة فقال: يا عمر- و قال بعضهم: يا أخا قريش- و اللّه و اللّه لقد قلت فأحسنت فى كثير من شعرك، و لكنك تخطئ الطريق، تشبب بها ثم تدعها و تشبب بنفسك، اخبرنى عن قولك «٢٩»:

قالت لترب لها تحدثها «٣٠» لتفسدنّ الطواف فى عمر

و يروى:

---

(١) الموشح، ص/١٢١

قالت لأخت لها تعاتبها لتفسدنّ ......

قومی تصدّی له لیبصرنا ثم اغمزیه یا أخت فی خفر

و یروی:

قالت تصدّی له لیعرفنا ....

قالت لها قد غمزته فأبی ثم اسبطرّت تشتدّ «۳۱» فی أثری

الموشح، ص: ۲۱۴

أردت أن تنسب بها فنسبت بنفسك، و اللّه لو وصفت بهذا هرّة أهلك- أو قال منزلك- كنت قد أسأت صفتها. أهكذا یقال للمرأة؟ إنما توصف بالخفر، و أنها مطلوبة ممنّعة؛ **هلا قلت** كما قال هذا- و ضرب بیده علی كتف الأحوص:

لقد منعت معروفها أمّ جعفر و إنی إلی معروفها لفقیر

و قد أنكروا عند اعتراف زیارتی و قد وغرت فیها علیّ صدور [۷۹]

أزور و لو لا أن أری أمّ جعفر بأبیاتكم ما زرت حیث أزور

قال ثعلب: «أدور»؛ و هی الروایة، و هكذا رواه المبرد. و قل فی آخره: ما درت حیث أدور.

أزور علی أن لیس ینفكّ كلما أتیت عدوّ بالبنان یشیر

و ما كنت زوّارا و لكن ذا الهوی إذا لم یزر لابد أن سیزور

هكذا و اللّه یكون الشعر وصفة النساء. فارتاح الأحوص و امتلأ سرورا و انكسر عمر.

ثم أقبل علی الأحوص، فقال: و أنت یا أحوص، أخبرنی عن قولك «۳۲»:." (۱)

"فإن تصلی أصلك و إن تبینی «۳۳» بصرمك «۳۴» قبل وصلك لا أبالی

و إنی للمودّة ذو حفاظ أواصل من یهشّ إلی وصالی

و أقطع حبل ذی ملق كذوب سریع فی الخطوب إلی انتقال

ویلك! أهكذا یقول الفحول؟ أما و اللّه لو كنت فحلا ما قلت هذا لها- و قال بعضهم: أما و اللّه لو كنت من فحول الشعراء لبالیت؛ **هلا قلت** كما قال هذا الأسود- و ضرب بیده علی جنب نصیب «۳۵»:

الموشح، ص: ۲۱۵

بزینب ألمم قبل أن یرحل «۳۶» الركب و قل إن تملّینا فما ملّك القلب

---

(۱) الموشح، ص/۱۳۰

و قل إنّ قرب الدار يطلبه العدى قديما و نأى الدار يطلبه القرب
و قل إن أنل بالحب منك مودّة فما فوق ما لا قيت من حبكم حب
و قل فى تجنّيها لك الذنب، إنما عتابك من عاتبت فيما له ذنب
قال: فانتفخ نصيب، و انكسر الأحوص.
قال: ثم أقبل على نصيب فقال: و لكن أخبرنى عن قولك يابن السوداء «٣٧»:
أهيم بدعد ما حييت فإن أمت فواحزنى من ذايهيم بها بعدى
و دعد مشوب الدّل توليك شيمة لشكّ فلا قربى بدعد و لا بعدى
كأنك اغتممت ألّا يفعل بها بعدك- كذا لا يكنى- و قال بعضهم فى روايته: أيهمّك من ينكحها بعدك، و الرجال أكثر مما تظن.
فقال بعض القوم لبعض: انهضوا فقد استوت القرقة «٣٨». فلما خرجوا من عنده قال عمر: هذا أخبث مدخول عليه فى العرب.
قال المبرد: القرقة لعبة يلعب بها على خطوط فاستواؤها انقضاؤها، و هى تسمى الطّبن «٣٩»، و العامة تسميها السّدّر «٤٠».:
حدثنى أحمد بن محمد الجوهرى، عن العنزى، قال: حدثنا أحمد بن الهيثم بن فراس السامى، قال: حدثنا أبو عمر حفص بن عمر، قال: حدثنا لقيط بن بكير المحاربى، قال: قدم البعيث على مسلمة بن عبد الملك، و ذكر حديثا، قا فى آخره: ثم قال مسمة للبعيث: حدثنى من أشعر العرب. قال: أعيار «٤١» تركتها بالصمّان من بنى
الموشح، ص: ٢١٦." (١)

"قال: فاجتمع الناس يسمعون، و ذلك بالمربد، فمر الفرزدق فوقف يستمع، و ذو الرمة ينظر إليه حتى فرغ، فقال: كيف تسمع يا أبا فراس؟ قال: ما أحسن ما قلت! قال: فمالى لا أعدّ مع الفحول؟ قال: قصّر بك عن ذاك بكاؤك فى الدّمن، و نعتك أبوال العظاء و البقر، و إيثارك وصف ناقتك و ديمومتك. ثم ارتحل الفرزدق، فقال:
و ديمومة لو ذو الرميمة رامها ..

---

(١) الموشح، ص/١٣١

و ذكر البيتين.

فقال ذو الرمة: نشدتك باللّه يا أبا فراس أن تزيد. فقال: هما بيتان لا أزيد عليهما «١٦».

الموشح، ص: ٢٢٧

حدثنى محمد بن إبراهيم، قال: حدثنا أحمد بن أحمد بن أبى خيثمة، عن محمد بن سلام، قال: أخبرنى عبد الملك الباهلى، قال: قال ذو الرمة: قلت الرجز، فلما رأيتنى لا أقع من الرجلين أخذت فى القصيد و تركته- يعنى العجاج و رؤبة.

و أخبرنى أبو عبد اللّه الحكيمى، قال: أخبرنا أحمد بن يحيى النحوى، قال: قال أبو عبيدة، قال منتجع بن نبهان: قلنا ںذى الرمة: يا أبا الحارث، بدأت و أنت تقول الرّجز ثم تركته. فقال: إنى رأيتنى لا أقع من هذين الرجلين موقعا، فعوّلت على الشعر. قال أبو عدنان: فقلت لأبى عبيدة: من يعنى بالرجلين؟ قال: و اللّه ما سألت، و ما خفى علىّ؛ إنه يعنى العجاج و ابنه. قال: كان لذى الرمة رجز فلما خشى أن يعرّه عاد إلى القصيد.

حدثنا أبو بكر الجرجانى، قال: حدثنا المبرد قال: حدثنا التوّزى، قال: أنشد ذو الرمة قصيدته فى بلال بن أبى بردة، فلما بلغ قوله «١٧»:

إذا ابن أبى موسى بلالا ١»

بلغته

فقام بفأس بين وصليك جازر

قال له عبد اللّه بن محمد بن وكيع: هلّا قلت كما قال سيدك الفرزدق:

قد استبطات ناجية ذمولا و إنّ الهمّ بى و بها لسام «١٩»

إلام تلفّتين و أنت تحتى و خير الناس كلّهم أمامى

متى تأت الرّصافة تستريحى من التصدير و الدّبر الدّوامى «٢٠»." (١)

"و أخبرنى محمد بن يحيى الصولى، قال: حدثنى محمد بن الرياشى، قال: حدثنى أبو حاتم، و أبى عبيدة؛ عن أبى عمرو بن العلاء- أنه لقى ذا الرمة، فقال: أنشدنى «ما بال عينك»، فأنشده؛ فلما انتهى إلى قوله «٣١»:

تصغى إذا شدها بالكور جانحة حتى إذا ما استوى فى غرزها تثب

---

(١) الموشح، ص/١٤٠

فقال أبو عمرو: ما قاله عمّك الراعى أحسن مما قلت:

و هى إذا قام فى غرزها كمثل السفينة أو أوقر

و لا تعجل المرء قبل الورو ك و هى بركبته أبصر

فقال ذو الرمة: إنّ الراعى وصف ناقة ملك. و أنا أصف ناقة سوقة.

قال الصولى: و يروى أنّ أعرابيا سمع ذا الرمة ينشد هذا البيت، فقال: سقط و اللّه الرجل.

قوله: تصغى: تميل رأسها كأنها تستمع؛ أى هى مؤدبة ليست بنفور و لا ضجور.

و الغرز للناقة بمنزلة الركاب للدابة؛ و هى نسع مضفور. و الكور: الرحل.

و أخبرنا إبراهيم بن محمد بن عرفة، قال: سمعت أبا العباس المبرد يقلو: مدح ذو الرمة بلال بن أبى بردة، ثم خرج من عنده فجعل ينشد الناس فأنشدهم:

ما بال عينك منها الماء ينسكب

الموشح، ص: ٢٣٠

حتى بلغ إلى قوله: تصغى إذا شدها ... البيت؛ فقال له قائل: أسأت؛ إذا وضع رجله فى غرزها فوثبت رمت به فدقّت عنقه، هلا قلت كما قال الراعى:

و لا تعجل المرء قبل الورا ك و هى بركبته أبصر

فقال ذو الرّمة: إنه وصف ناقة ملك، و وصفت ناقة سوقة.

روى أحمد بن أبى طاهر، عن أبى الحسن الطوسى، عن إسماعيل بن عبيد اللّه، عن خالد بن كلثوم، قال: كان ذو الرّمة صاحب تشبيب بالنساء، و أوصاف، و بكاء على الديار، فإذا صار إلى المدح و الهجاء أكدى «٣٢» و لم يصنع شيئا.

و أخبرنى أبو عبد اللّه الحكيمى، قال: أخبرنا أبو العباس ثعلب، قال: قال أبو عبيدة: كان ذو الرّمة إذا أخذ فى النسيب و نعت فهو مثل جرير، و ليس وراء ذلك شى ء.

فقيل له: ما تشبه شعره إلا بوجوه ليست لها أقفاء، و صدور ليست لها أعجاز. فقال:

كذا هو.." (١)

"فمعناه وجدنا هذه اللفظة مكتوبة؛ فقوله: أحقّ الخيل ابتداء، و المعار خبره. و مثل هذا قرأت: «الحمد للّه رب العالمين»؛ إنما حكيت ما قرأت.

---

(١) الموشح، ص/١٤٢

و أخبرنى محمد بن يحيى، قال: حدثنا محمد بن الحسن البلعىّ، قال: حدثنا أبو حاتم، عن أبى عبيدة، قال: لما أنشد ذو الرّمة بلالا مدحه، فبلغ قوله:

رأيت الناس ينتجعون غيثا ... البيت.

قال بلال: يا غلام؛ اعلف ناقته، فإنه لا يحسن أن يمدح.

الموشح، ص: ٢٣٣

فلما خرج قال له أبو عمرو- و كان حاضرا: هلا قلت له: إنما عنيت بانتجاع الناقة صاحبها، كما قال اللّه عز و جل «٤٠» «و اسأل القرية التى كنّا فيها»؛ يريد أهلها، و هلّا أنشدته قول الحارثى:

وقفت على الدّيار فكلمتنى فما ملكت مدامعها القلوص

يريد صاحبها.

فقال له ذو الرّمة: يا أبا عمرو، أنت مفرد فى علمك، و أنا فى علمى و شعرى ذو أشباه.

حدثنى أحمد بن محمد الجوهرى، و أحمد بن إبراهيم الجمّال، قالا: حدثنا الحسن بن عليل العنزى، قال: حدثنا يزيد بن محمد بن المهلب بن المغيرة بن حبيب بن المهلب بن أبى صفرة، قال: حدثنا عبد الصمد بن المعذّل، عن أبيه، عن جده غيلان بن الحكم، قال: قدم علينا ذو الرّمة الكوفة، فوقف راحلته بالكناسة ينشدنا قصيدته الحائية، فلما بلغ إلى هذا البيت «٤١»:

إذا غيّر النأى المحبين لم يكد رسيس «٤٢» الهوى من حبّ ميّة يبرح

فقال له ابن شبرمة: يا ذا الرّمة؛ أراه قد برح. ففكر ساعة، ثم قال:

إذا غيّر النأى المحبين لم أجد رسيس الهوى من حبّ ميّة يبرح

قال: فرجعت إلى أبى الحكم بن البخترى بن المختار فأخبرته الخبر، فقال: أخطأ ابن شبرمة حيث أنكر عليه، و أخطأ ذو الرّمة حيث رجع إلى قوله؛ إنما هذا كقول اللّه عز و جل «٤٣»: «أو كظلمات فى بحر لجّىّ يغشاه موج من فوقه موج من فوقه سحاب، ظلمات بعضها فوق بعض [٨٩] إذا أخرج يده لم يكد يراها»؛ أى لم يرها و لم يكد.

أخبرنى محمد بن العباس، قال: حدثنا محمد بن يزيد النحوى، قال: حدثنا." (١)

"و أخبرنى محمد بن أبى الأزهر، قال: حدثنا محمد بن يزيد النحوى، قال: حدثت أن الكميت بن زيد أنشد نصيبا فاستمع له فكان فيما أنشده:

---

(١) الموشح، ص/١٤٥

و قد رأينا بها حورا منعّمة بيضا تكامل فيها الدّلّ و الشنب

فثنى نصيب خنصره. فقال له الكميت: ما تصنع؟ قال: أحصى خطأك، تباعدت فى قولك: «تكامل فيها الدّلّ و الشنب»؛ **هلّا قلت** كما قال ذو الرمة:

لمياء فى شفتيها حوّة لعس .. البيت.

ثم أنشده فى أخرى:

كأنّ الغطامط من جريها «٣٣» أراجيز أسلم تهجو غفارا

فقال له نصيب: ما هجت أسلم غفارا. فاستحيى الكميت و سكت. قال: و هما من قبيلة واحدة.

الموشح، ص: ٢٥١

قال المبرد: و الذى عابه نصيب به قوله: «تكامل فيها الدّلّ و الشنب» قبيح جدا، و ذلك أنّ الكلام لم يجر على نظم، و لا وقع إلى جانب الكلمة ما يشاكلها؛ و أول ما يحتاج اليه القول أن ينظم على نسق، و أن يوضع على رسم المشاكلة.

و حدثنى على بن عبد الرحمن، قال: أخبرنى يحيى بن على المنجم، عن أبيه، عن إسحاق الموصلى، قال: أنشد الكميت ذا الرّمة و هما فى الحمام، فجعل ذو الرمة يعقد، فقال له الكميت: ما هذا الذى تعقد؟ قال: أحسب خطأك، أخبرنى عن قولك:

أم هل ظعائن بالخلصاء رابعة و إن تكامل فيها الأنس و الشّنب

ما الأنس من الشنب؟ ألا قلت كما قلت: «لمياء فى شفتيها ...» البيت.

حدثنى إبراهيم بن محمد العطار، عن الحسن بن عليل العنزى، قال: حدثنا أبو الحسن اليزيدى، قال: حدثنا محمد بن سلام، قال: بلغنى عن الأصمعى أنه قال: لم يتعلّق على بشّار بشى ء و تعلق على الكميت؛ أى أخطأ.

حدثنى على بن أبى عبد اللّه الفارسى، قال: أخبرنى أبى، عن عيسى بن إسماعيل العتكى، قال: قال لى محمد بن العجاج، قال بشار: ما كان الكميت شاعرا. قيل له:

كيف و هو يقول:

أنصف امرئ من نصف حىّ يسبّنى لعمرى لقد لا لقيت خطبا من الخطب

هنيئا لكلب إنّ كلبا تسبّني و إني لم أردد جوابا على كلب

لقد بلغت كلب بسبّي حظوة كفتها قديمات الفضائح و الوصب [٩٧]." (١)

" كان النساء المتظرفات يدخلن إلى بشار في كل جمعة يومين فيجتمعن عنده ويسمعن من شعره فسمع كلام امرأة منهن فعلقها قلبه وراسلها يسألها أن تواصله فقالت لرسوله وأي معنى فيك لي أو لك في وأنت أعمى لا تراني فتعرف حسني ومقداره وأنت قبيح الوجه فلا حظ لي فيك فليت شعري لأي شيء تطلب وصال مثلي وجعلت تهزأ به في المخاطبة فأدى الرسول الرسالة فقال له عد إليها فقل لها

(أيري له فضل على آيارهم ... وإذا أشظ سجدن غير أوابي)

(تلقاه بعد ثلاث عشرة قائما ... فعل المؤذن شك يوم سحاب)

(وكأن هامة رأسه بطيخة ... حملت إلى ملك بدجلة جابي)

أخبرني علي بن صالح بن الهيثم قال حدثنا أبو هفان قال أخبرني أحمد بن عبد الأعلى الشيباني عن أبيه قال

قال مروان لبشار لما أنشده هذا البيت

(وإذا قلت لها جودي لنا ... خرجت بالصمت من لا ونعم)

جعلني الله فداءك يا أبا معاذ هلا قلت خرست بالصمت قال إذا أنا في عقلك فض الله فاك أأتطير على من أحب بالخرس

خالد البرمكي يجيزه على مدحه

نسخت من كتاب هارون بن علي بن يحيى حدثني بعض أصحابنا قال ." (٢)

" جرير فأتاه رسول بشر بن مروان فدفع إليه كتابه وقال له إنه قد أمرني أن أوصله إليك ولا أبرح حتى تجيب عن الشعر في يومك إن لقيتك نهارا أو ليلتك إن لقيتك ليلا وأخرج إليه كتاب بشر وقد نسخ له القصيدة وأمره بأن يجيب عنها فأخذها ومكث ليلته يجتهد أن يقول شيئا فلا يمكنه فهتف به صاحبه من الجن من زاوية البيت فقال له أزعمت أنك تقول الشعر ما هو إلا أن غبت عنك ليلة حتى لم تحسن أن تقول شيئا فهلا قلت

(يا بشر حق لوجهك التبشير ... هلا قضيت لنا وأنت أمير)

---

(١) الموشح، ص/١٥٨

(٢) الأغاني، ١٩٨/٣

فقال له جرير حسبك كفيتك قال وسمع قائلا يقول لآخر قد أنار الصبح فقال جرير

(يا صاحبي هل الصباح منير ... أم هل للوم عواذلي تفتير)

إلى أن فرغ منها وفيها يقول

(قد كان حقك أن تقول لبارق ... يا آل بارق فيم سب جرير)

(يعطى النساء مهورهن كرامة ... ونساء بارق ما لهن مهور)

فأخذها الرسول ومضى بها إلى بشر فقرئت بالعراق وأفحم سراقة فلم ينطق بعدها بشيء من مناقضته

مناقضة بينه وبين عمر بن لجأ

أخبرني أبو خليفة قال حدثني محمد بن سلام قال حدثني أبو يحيى الضبي قال ." (١)

" أملكه القول حتى غنيته

(غيضن من عبراتهن وقلن لي ... ماذا لقيت من الهوى ولقينا)

فقال مهلا **مهلا قلت** لا والله إلا بذاك الذي فيه تمر عجوة من صدقة عمر فقال هو لك فخرجت عليهم به وأنا أخطر فقالوا مه فقلت أطربت الشيخ حتى أعطاني هذا وقال مرة أخرى حتى فرض لي هذا قال ووالله ما فعل وإنما كان فدية لأصمت وأخذت منهم الجعل

أخبرني يحيى بن علي بن يحيى المنجم قال حدثت عن حماد بن إسحاق قال حدثني علويه الأعسر قال

أتيت أباك في داره هذه يوما وقد بنى إيوانها وسائرها خراب فجلسنا على تل من تراب فغناني لحنه في

(غيضن من عبراتهن وقلن لي ... ماذا لقيت من الهوى ولقينا)

فسألته أن يعيده علي ففعل وأتانا رسول أبيه بطبق رطب فقال للرسول قل له سأرسل إليك برطب أطيب من الرطب الذي بعثت به إلي فأبلغه الرسول ذلك فقال له ومن عنده فأخبره أنني عنده فقال ما أخلقه أن يكون قد أتاني بآبدة أتانا رسوله بعد ساعة فقال ما آن لرطبكم أن يأتينا فأرسلني إليه وقد أخذت الصوت فغنيته إياه فقال أجاد والله أألام على هذا وحبه والله لو لم يكن بيني وبينه قرابة لأحببته فكيف وهو ابني

صوت

---

(١) الأغاني، ٧٤/٨

(ألست ترى يا ضب بالله أنني ... مصاحبة نحو المدينة اركبا) ." [1]

" صوت

(إذا لم يكن حب ذات الخال عناني ... إذن فحولت في مسك ابن زيدان)

(فإن هذي يمين ما حلفت بها ... إلا على الحق في سري وإعلاني)

الشعر والغناء لإبراهيم - هزج - بالبنصر

ومنها

صوت

(لقد أخلو بذات الخال ... والحراس قد هجعوا)

(فمن يبصر أبا الخطاب ... يطلبها ويتبع)

(ألا لم تر محزونا ... تسنم صبره الجزع)

(وقارعني ففزت بها ... وحازتها لي القرع)

غناه إبراهيم من رواية بذل عنه ولم تذكر طريقته

إبراهيم الموصلي وذات الخال

قال علي بن محمد الهشامي حدثني جدي يعني ابن حمدون قال حدثني مخارق قال

كنت عند إبراهيم الموصلي ومعي ابن زيدان صاحب البرامكة وإبراهيم يلاعبه بالشطرنج فدخل علينا إسحاق فقال له أبوه ما أفدت اليوم فقال أعظم فائدة سألني رجل ما أفخم كلمة في الفم فقلت لا إله إلا الله فقال له أبوه إبراهيم أخطأت **هلا قلت** دنيا ودينا فأخذ ابن زيدان الشاه فضرب به رأس إبراهيم وقال له يا زنديق أتكفر بحضرتي فأمر إبراهيم غلمانه فضربوا ابن زيدان ضربا شديدا فانصرف من ساعته إلى جعفر بن يحيى ." [2]

" والقوس ثم قال ارتدف خلفي وعرف أني الرجل الذي شربت اللبن عنده فقال كيف ظنك بي قلت أسوأ ظن قال وكيف قلت لما قليت من تعب ليلتك وقد أظفرك الله بي فقال أترانا كنا نهيجك وقد بت تنادم **مهلهلا قلت** أزيد الخيل أنت قال نعم أنا زيد الخيل فقلت كن خير آخذ فقال ليس عليك بأس

---

(١) الأغاني، ٣٤٦/١٦

(٢) الأغاني، ٣٧٧/١٦

فمضى إلى موضعه الذي كان فيه ثم قال أما لو كانت هذه الإبل لي لسلمتها إليك ولكنها ليست مهلهل فأقم علي فإني على شرف غارة

فأقمت أياما ثم أغار على بني نمير بالملح فأصاب مائة بعير فقال هذه أحب إليك أم تلك قلت هذه قال دونكها وبعث معي خفراء من ماء إلى ماء حتى وردوا بي الحيرة فلقيني نبطي فقال لي يا أعرابي أيسرك أن لك بإبلك بستانا من هذه البساتين قلت وكيف ذاك قال هذا قرب مخرج نبي يخرج فيملك هذه الأرض ويحول بين أربابها وبينها حتى إن أحدهم ليبتاع البستان من هذه البساتين بثمن بعير

قال فاحتملت بأهلي حتى انتهيت إلى موضع الشيطين فبينما نحن في الشيطين على ماء لنا وقد كان الحوفزان بن شريك أغار على بني تميم فجاءنا رسول الله فأسلمنا وما مضت الأيام حتى شريت بثمن بعير من إبلي بستانا بالحيرة فقال في يوم الملح زيد الخيل

(ويوم الملح ملح بني نمير ... أصابتكم بأظفار وناب)

أخبرني محمد بن الحسن بن دريد قال أخبرني عمي عن ابن الكلبي ." [1]

" قال فقلت له **فهلا قلت** فعولان فقال لو قلت سبحان الله والحمد لله ولا إله إلا الله والله أكبر كان خيرا لك أي أنك أردت القدر وأراد ذو الرمة كونا فعولين بالألباب وأراد عنبسة وعينان فعولان

وروى هذا الخبر ابن الزيات عن محمد بن عبادة عن الأصمعي عن العلاء بن أسلم فذكر مثله

وحكي أن إسحاق بن سويد المعارض له قال وأخبرني الأخفش قال حدثني محمد بن يزيد النحوي قال حدثني عبد الصمد بن المعذل قال حدثني أبي عن أبيه قال

قدم ذو الرمة الكوفة فوقف ينشد الناس بالكناسة قصيدته الحائية حتى أتى على قوله

(إذا غير النأي المحبين لم يكد ... رسيس الهوى من حب مية يبرح)

فناداه ابن شبرمة يا غيلان أراه قد برح فشنق ناقته وجعل يتأخر بها ويفكر ثم عاد فأنشد قوله

(إذا غير النأي المحبين لم أجد ...)

قال فلما انصرفت حدثت أبي فقال أخطأ ابن شبرمة حين أنكر على ذي الرمة ما أنشد وأخطأ ذو الرمة حين غير شعره لقول ابن شبرمة إنما هذا مثل قول الله عز و جل (ظلمات بعضها فوق بعض إذا أخرج يده لم يكد يراها) وإنما معناه لم يرها ولم يكد ." [2]

---

(١) الأغاني، ١٧/٢٥٧

(٢) الأغاني، ١٨/٣٩

" بك من رجل لم يصب دما ولا مالا فقال سعيد قد أجرتك إن لم تكن أصبت دما ولا مالا فمن أنت قال أنا همام بن غالب بن صعصعة وقد أثنيت على الأمير فإن رأى أن يأذن لي لأسمعه ثنائي فعل قال هات فأنشده قصيدته التي يقول فيها

(عليك بني أمية فاستجرهم ... وخذ منهم لما تخشى حبالا)

(فإن بني أمية من قريش ... بنوا لبيوتهم عمدا طوالا)

حتى انتهى إلى قوله

(ترى الغر الجحاجح من قريش ... إذا ما الخطب في الحدثان عالا)

وحرم عمرو بن هند على المتلمس حب العراق فقال

(بني عم النبي ورهط عمرو ... وعثمان الألى عظموا فعالا)

(قياما ينظرون إلى سعيد ... كأنهم يرون به هلالا)

قوله ورهط عمرو يريد بني هاشم

واسم هاشم عمرو بن عبد مناف

فقال مروان وكان إلى جانب سعيد يا فرزدق **فهلا قلت** قعودا قال لا والله إلا قائما على رجليك يا أبا عبد الملك فحقدها مروان وقال كعب بن جعيل هذه والله الرؤيا التي رأيتها البارحة قال سعيد وما رأيت قال رأيت كأني في سكك المدينة فإذا أنا بابن قترة

أراد أن يتناولني فاتقيته

وقام الحطيئة فشق ما بين رجلين حتى تجاوزهما إلى الفرزدق فقال ." (١)

"وسمعتُ الفرغانيّ يقول: لولا أني لا أعرف في جميع المذاهب أقوى من مذهب المعتزلة لَناديتُ على أصحابي بمخازيهم التي يشتملون عليها ويُجاهرون بها، في الأسواق والشوارع، بل في المَحاضِر المشهورة والمنابر الرفيعة، ولكن لهم حُرمة الدعوى وذمام النّسب إلى المقالة، ورجاءٌ في الإقلاع والتّوبة، فإن اليأس غير غالب ما دامت الاستطاعة موجودة، والنُّزوع ممكناً، والتّلافي مظنوناً.

ذاك حديث ابن عباد، وهذا حديث شيخه وإمامه ومُرشده بزعمه، وهو المرشد والهادي لمن أخذ عنه واقتدى به. يا قوم! أين يُذهب بكم؟! ما هذا العَمَى الذي قد غلب عليكم، والهوى الذي قد أصمّ آذانكم وأعمى أبصاركم؟ وماهذا الأمر الذي قد حال دون العيان، وطمس وجه الرُّشد، وقلب أثر الحسّ؟ أَ ليس

---

(١) الأغاني، ٢٣٤/٢٤

هذا القائل في مُجونه وتلعُّبه بدينه:

مِن عَملِي مِن عَملِي ... نيكُ الرّجال البُزَّل

وإنما أَنِيكُهم ... لأنّني مُعتَزِلي

تلميذُ شيخٍ فاضلٍ ... مُلقَّبٍ بالجُعَل

أَ فهكذا يكون من كان عماد الدّين، وناصر الإسلام والمسلمين؟ الويل له، ثم الويل لمن يتولاّه وينصره.

قال يوماً لابن فشيشا صاحب مَصْطَبَةِ المُكْدين بالريّ:

لا تُبطئَنَّ عن اللذات إن حضَرت ... لكن تَبَنَّك ولا تحفل بتأنيب

ولا تَزُقّ إذا ما نِلتَ ذاك وبت ... مع شَوْزَرٍ وافر الأَرداف محبوب

فالصَّمْي والمَتْرمن بعد القُشام به ... طيبُ الحياة فلا تعدِل عن الطيب

خذ في القُشام وخذ في الصَّمي بالكوب ... فالدَّهر يمزج تكسيحاً بتهريب

أَ فهذا كلام من يدعو إلى الله، ويُحبُّ أن يُستجاب له، ويُجرى على طريقته، ويكون ذريعةً بين الله والعبد؟ هذا – عافاك الله – باللعنة الأولى، وبالبراءة منه ومن أصحابه أحقّ. ما أقلّ حياء هؤلاء وأشدّ تكاذبهم ومكابرتهم! وإذا ضربت عن باب الدّين، ورجعت إلى الكفاية التي زعم أنه بها تكفّى، وأنه كافي الكُفاة، وأنه واحد الدنيا.

هل كان يعرف من الحساب باباً؟ هل عقد جماعة؟ هل عُقدت له فتكلم عليها؟ هل قرأ مؤامرة؟ هل عرف منها حدٍ؟ هل أمكنه أن يحتجّ على عامل أو يناظر ناظراً؟ أو يُخاطب مُشرفاً، أو يرسم في العمل رسماً، أو يُجيب عن كتابٍ واحد في العمالة؟ وفيما يتعلق بأبواب النظر في العمارة، هل ناظر خائناً مُتقطِعاً، أو استدرك مالاً مُختلساً؟ هل فصل حكُومة بين كاتبين، أو قطع خصومة يبين جُنديين؟ هل رأينا ثَمَّ إلاّ الرَّقاعة والتدفق، والجنون والهذيان، والتَّسايل والتمايل، والبقبقة والطقطقة، والقرقرة والبربرة؟ إلا أنه غُلط فيه ووُثق به، ووُكل إليه الرأي، ولك يؤذن لأحدٍ في تحريكه بكلمة، ولا في مضادّته بحرف، حتى تمّ له ذلك كله بأسهل وجه مع الجوّ المُواتي والأمر المُنقاد، وحُب أن يعتقد أن ذاك عن كفاية في الصناعة وحِذقٍ في العمل، وسعة علمٍ بالكتابة الدّيوانية والرّسوم الخراجية.

وسُئِل يوماً عن قول الشاعر:

سَقَوني النَّسْيَ ثم تكَنَّفُوني ... عُداةَ الله مِن كَذِبٍ وزُورِ

فقال: الخمر تسمّى نسْيا.

فقيل له: ولم؟ فقال: ليس للأسماء علل.

فلما خلوت بالزعفراني الشاعر قال لي: أخطأ، فإن الأسماء ضرب منها مُبتدأ، فالغرض فيه اختصاص العين به ليقع التمييز بينه وبين غيره، وضرب آخر يؤخذ من أصل الفعل وهو الذي سمي مُشتقّاً لتكون فيه دلالتان: دلالة كدلالة الأول في اختصاص العين، ودلالة على النعت.

والنَّسي في أسماء الخمر من الضرب الثاني، لأن الخمر تنسأ العقل أي تؤخّره، وقال: هذا قاله بعض العلماء.

فقلتُ له: **هلاّ قُلت** هذا في المجلس؟ فقال: لو قلت هناك لما وجدتني عندك قاعداً مطمئناً.

قلتُ: صدقتَ، الرجل حسُود.

فقال: ولربّه كَنود، ولآياته عَنيد، كأنه من اليهود، أو من بقية ثمود.

ولقد غضب يوماً م شيء رواه المِصريّ، وحجبه أياماً؛ وذلك أنه روى أن امرأةً جاءت إلى النبي صلى الله عليه وسلّم فيما رواه عبد الله بت عمرو بن العاص، فقالت: يا رسول الله إن ابني هذا كان بطني له وِعاءً، وحجري له حِواء، وثديي سِقاء، وزَعَم أبوه أنه ينزعه مني.." (١)

"فقال: خروجك من دعواك في فعلٍ يدلنا على قيامك بالحجّة في فعيل، ولكننا لا نأذن في اقتصاصك، ولا نهبُ آذاننا لكلامك، ولم يَفِ ما أتيتَ به بجُرأتك في مجلسنا وتبسّطك بحضرتنا.

وسألني عن أبي حامد المرورُّوذِي. فوصفتُ له نباهته وتقدّمه وحفظه وبيانه.

فقال: ما تحفظ عنه؟ قلت: أشياء مختلفة، فإنه أقام عندنا ببغداذ في آخر أيامه سنتين، ولقد رأيته في مجلس أبي الفرج محمد بن العباس في أيام وزارته، بعد أبي الفضل العباس بن الحسين، وهو يتدفّق بالكلام مع ابن طَرارَة.

فلما انتهى قال له أبو الحسن إسحاق الطبري: ارسُم لنا كلاماً خفيفاً في الدّليل، والحُجّة، والبُرهان، والبيان، والقِياس، والعِلّة، والحُكم، والاسم، والفِعل، والحَرف، والنَّصّ، والظاهر، والباطِن، والتأْويل، والتفسير، والفحْوَى، والاستحسان، والتّقليد، والاقتداء، والإجماع، والأَصل، والفَرْع، والوُجُوب، والجواز.

فاندفع فقال: الدّليل: ما سلكَكَ إلى المطلوب.

والحجّة: ما وثّقك من نفسك.

والبيان: ما انكشف به الملْتَمس.

---

(١) أخلاق الوزيرين، ص/٤٣

والقياس: ما أعارك شِبهه من غيره، أو استعار شبه غيره من نفسه.

والعلّةُ: ما اقتضى أبداً حكماً باللّزوم.

والحكم: ما وجَب بالعلّة.

والاسم: ما صحّت به الإشارة إلى مُشارٍ إليه.

والفِعل: ما شاعَ في الزّمان.

والحرف: ما ائتلف به اللفظ.

والنّص: ما أغنى بنفسه لاستقلاله.

والظاهر: ما سبق إلى النّفس بلا جالب.

والباطن: ما غِيضَ عليه بالتّفسير.

والتأويل: الجهة المتباعدة عن المراد، ومع ذلك فهي مشمولة تارةً بالقصد، وتارةً بغير القصد.

والفَحْوى: الجهة القريبة.

والتفسير: عبارة عن عبارة على طريق الخلافة.

والاستحسان: القول الأَوْلَى والأشبه في ظاهر الحال.

والتقليد: قبول بلا بيان.

والاقتداء: سلوك مع عالم سالف.

والإجماع: اتّفاق الآراء الكثيرة.

والأصل: ما لم ينظر إلى ما قبله، لأنه بنفسه قبل غيره.

والفرعُ: ما انشعب عن الأول والوجوب: ما لم يَسَع الإضراب عنه.

والجواز: ما وقف بين الواجب وبين غير الواجب.

وكاد لا يسكت.

فقال له أبو الفرج: ما كان أبو محمد المهلبي يُثني عليك جُزافاً، ولا يشغف بك على طريق الهوى.

فقال لي: كيف حفظت هذا؟ قلت: كنّا جماعةً نتعاون على ذلك، ونرسم في ألواح.

فقال لي: إني لشديد الحَسرة على فوْت لقائه، ومما يزيدني عجباً به أنه كان على مذهب أصحابنا، ولو نصر في الأحكام مذهب أبي حنيفة لكان قدوة لأهل زمانه.

وقال له بعض الغرباء: إذا قلت عشي الرجل كما تقول: عمي الرجل، وتقول: يعشَى كما تقول يعمى، وقلت

أعشى كما تقول: أعمى، **فهلاّ قلت**: امرأة عشْياء كما قلت عَمياء، ولك مع ذلك شفةٌ لَمْيَاء وفاه ظَمْياء؟

قال: فهكذا أقول.

قال له: قد خالفت العلماء، لأنهم نُّصوا عَشْواء كما قالوا: ناقةٌ عشواء.

فقال: في هذا نظر.

وأخطأ. وأي نظر في المسموع؟ وحدثني م‍حمد بن المُرزبان قال: كنا بين يديه ليلة فنعس، وأخذ إنسان يقرأ " والصَّافات " ، فاتّفق أن بعض هؤلاء الأجلاف من أهل ما وراء النهر نعس أيضاً، وضرط ضرطةً منكرة، فانتبه وقال: يا أصحابنا نمنا على " الصّافّات " ، وانتبهنا على " المُرْسَلات " .

هذا من ملاحاته.

وحدثني أيضاً قال: انفلتت ليلة أُخرى ضرطةٌ من بعض الحاضرين، وهو في الجدل، فقال على حدَّته وجنونه: "كانت بَيْعةَ أبي بَكر " ، خُذوا فيما أنتم فيه، يعني "كانت فَلتةً " لأنه قيل في بيعة أبي بكر " كانت فَلْتة " .

أَ فهذا من المجون المستطاب؟ أو من جنس ما يجب أن يكون مَحكياً عن الرؤساء الدَّيّانين والكُبراء المستبصرين، والذين يدّعون لأنفسهم الفضل والمروة والديانة، واحتقار الناس؟ وقال له ابن ثابت الحوي يوماً: أنا آكل التّمر على أنه كان مرة رُطباً، يتملّح معه، أي أميلُ إلى الحدث وإن بقل وجهه، لأنه قد كان مرةً أمرَد.

فقال له: فكُل الخَرا على أنه مرةً كان هَريسةً.

وسمعته يُنشد في الشاعر الملقّب بالمشوق:

ودَيُّوثٍ يقال له المَشُوق ... لَه من عِرسه كَسْبٌ وسوقُ

فكَم خيْرٍ يُساق إِليهِ منها ... وكم أيرِ إلى حِرِها يَسُوقُ

وكان يُنشد في شيخ كاتب من أهل جُرجَان:

جزِعتُ من أَمرٍ فظيع قد حَدثْ." (١)

"واعلم أن قولهم: الفاسق والزاني موضوع موضع: الذي فسق وزنى والألف واللام فيه بمعنى الذي، وهذا لأن الفعل لما لم يكن موضوعاً للتخصيص، بل كان موضوعاً لأن يكون خبراً مفيداً لا غير، امتنع مما يكون وروده للتخصيص كالإضافة والألف واللام، لكنهم كما جعلوه، أعني الفعل، من تمام الذي أحبوا أن

---

(١) أخلاق الوزيرين، ص/٤٥

يتناوله التخصيص أيضاً فنقلوه إلى اسم الفاعل، ونووا بالألف واللام فيه، وإن كان مجيئه في أصل الكلام التخصيص فقط، عنى الذي كان يحتمله الفعل في صلة الذي ليتم الألف واللام باسم الفاعل كما تم ذلك الفعل.

فكما أن الذي إذا لم يقترن به ما يخصصه بواحد بعينه، انصرف إلى الجنس، فيدل على استغراقه وشموله ما يدل في اسم الجنس لا فصل بينهما، ويقرب أمره تضمنه لمعنى الجزاء، حتَّى صار يجاب بما يجاب به الجزاء من الفاء. فكما أن الجزاء بالإبهام الذي صار حكم الاسم المستعمل فيه ما بيناه ودللنا عليه، وهو: من، وما، كذلك حكم اسم الفاعل والمفعول، بدلالة أن قوله تعالى:)السارق والسارقة فاقطعوا أيديهما(، بمثابة قوله لو قال: من سرق فاقطعوا يده.

وقد حكى أبو العباس المازني، أن اسم الفاعل يدخله الألف واللام مفيداً للتعريف فقط، يكون دخوله عليه كدخوله على اسم الجنس، إذا قلت: الرجل، وهذا وإن كان خلافاً من أصحابنا، فلا مدخل له فيما نحن فيه. فإن قيل: أراك تدير كلامك في الألف واللام على أن له موضعين: أحدهما تعريف العهد، والثاني تعريف الجنس، وأنت قد تقول: هذا الرجل فعل كذا أو كذا من غير أن يكون بينك وبين المخاطب عهد فيه.

فإذا كنت بقوله ولا عهد، ومن الظاهر أن قولك: هذا الرجل ليس يراد به الجنس، فهلا قلت: إن له موضعاً ثالثاً، وهو قولك: هذا الرجل، وتلك المرأة، وأنت تشير إلى حاضرين أحدهما بالبعد، والآخر بالقرب. قلت: إن الرجل والمرأة نقلهما ما صحبهما من اسم الإشارة إلى الحاضر، وهما في الأصل للجنس، ولا يمتنع ما يكون للجنس أن يقترن به ما يجعله لواحد من الجنس، لأن اسم الجنس ينتظم الواحد إلى ما لا نهاية، فاعلمه.

ومن هذا القبيل قولهم: نعم الرجل زيدٌ، وحبَّذا زيد لأن ذا كالرجل، والرجل اسم جنس، والمعنى: زيد محمود في قبيله، إلاّ أنه ليس بمستغرق، بدلالة أنه ثني وجمع، فقيل: نعم الرجلان الزيدان، نعم الرجال الزيدون، ولو كان مستغرقاً لما صح تثنيته، وليس قول القائل: زيد محمود في الرجال، وإذا صاروا رجلاً رجلاً بصواب. ولا قول: إنه لواحد بعينه بصواب، لأن وقوع رجل موقع أحد حتَّى يكون متناولاً لآحاد الجنس على طريق البدل، إنما يكون في النكرة، فأما إذا تعرف فإنه لا يفيد الاتحاد، ولهذا لم نقل: كل الرجل، ولا: كل الإنسان، وقد مضت الدلالة على ذلك.

ولا يجوز أن تكون لواحد بعينه، لأنه لو كان كذلك لما امتنع ما يفيد الاختصاص من الأعلام وغيرها من

وقوعه موقعه، لتساويها كلها في إفادتها واحداً بعينه. وفي امتناع ذلك دلالة على أنه للجنس لا للواحد بعينه.

فإن قيل: فالرجل من قولك: نعم الرجل على أي وجه توجهه إذا لم تجعله مستغرقاً، قلت إن المادح كأنه عرف زيداً وأضرابه أو عرفه وقبيله الذي هو منه فأراد أن يتناوله المدح وهو مفضل عليهم، فاستعار لفظ الجنس لبعضهم، وصار تثنيته وجمعه له يدل على مراده، لأنه لما ذهب بالرجل إلى أن يكون مقصوراً على أضرابه أو قبيله الذي هو منه، صار مخصوصاً أو واقفاً على عدد، فصار يحتمل التثنية والجمع. فكأنّا إذا قلنا: نعم الرجلان الزيدان، قلنا: الزيدان محمودان في قبيلهما، وكل قبيل من القبيلين مخالف للآخر، ولو كان في وجه واحد، لأن تماثل شيئين كل واحد منهما للآخر من كل وجه، فاسد غير جائز.

وقد عرف من أصول اللغة وقول أصحابنا النحويين: أن أسماء الأجناس تثنى وتجمع إذا اختلفت، وقد حمل قوله تعالى:)بل يداهُ مبسوطتان(على أنه تثنية الجنس، كأنه جنسان من النعمة، نعمة الدنيا والآخرة، أو نعمة الدين والدنيا. ومن هذا القبيل قولهم: قلَّ رجل يقول ذاك، وأقل رجل يقول ذاك.." [(١)]

"أُم بَنَاتٍ عَدَّها صانِعُها ... سِتّينَ في كِنَانَةٍ ممَّا بَرَى

ذاتَ رُؤُوسٍ كالمَصابِيح لهَا ... أَسَافِلٌ مِثْلُ عَرَاقِيبِ القَطَا

ولابن طَبَاطَبَا:

مَضى عليٌّ نحْوَ ميْدَانِه ... فِي فِتْيَةٍ رَاحَ بِهِمْ للنِّضالْ

يا حُسْنَه والقَوْسُ في كَفِّه ... كالمُشْتَرِي أَشْرَقَ عنْد الهِلاَلْ

وللحَلَبيّ في رامٍ:

وقالُوا ذاك أَرْمى مَنْ رَأَيْنا ... فقُلْتُ رَأَيْتُم الغَرَضَ القَرِيبَا

وهل يُخْطِي بأَسْهُمِه الرَّمَايَا ... ومَا يُخْطِي بمَا ظَنَّ الغُيُوبّا

يُصِيب ببَعْضِها أَفْوَاق بعْضٍ ... فلَوْلاَ الكَسْرُ لاتَّصَلتْ قَضِيبَا

بكُلِّ مُقوَّمٍ لمْ يَعْصِ أَمْراً ... له حتَّى ظَنَنّاهُ لَبِيبَا

يُرْيِكَ النَّزْعُ بَيْنَ الفُوقِ منه ... وبَيْن رَمِيَّةِ الهَدَفِ اللَّهِيبَا

في الدُّروع

لمزَرِّدٍ:

---

(١) أمالي المرزوقي، ص/٤١

ومَسْفُوحةٍ فَضْفَاضةٍ تُبَّعِيَّةٍ ... وَآهَا القَتِيرُ تَجتَوِيها المَعَابِلُ

دِلَاص كظهْرِ النُّونِ لا يَستطيعُها ... سِنَانٌ ولا تِلْكَ الحِظَاءُ الدَّوَاخِلُ

مُوَشَّحَة بَيْضاء دَانٍ حَبِيكُهَا ... لهَا حَلَقٌ بين الأَنَامِلِ فاضِلُ

مُشهَّرَة تُحْنَى الأَصَابعُ نَحْوَها ... إِذَا جُمِعَتْ يَوْمَ الحِفاظِ القَبَائِلُ

وَصفَها أَنّها سابغةٌ، كما قال عَمْرُو بن مَعْدِ يكَرِبَ:

وأَعْدَدْتُ للحَرْب فضْفاضَةً ... دِلَاصاً تَثَنَّى على الرَّاهِشِ

وقال الأَصمعيّ: لئن أَجادَ في صِفَةِ الدِّرْع لقَد عابَ مَن يَلْبَسها، وذلك أَنّ الفُرْسانَ المَذْكورين لا يَحْفِلُونَ بسُبُوغِ الدِّرْع، وأَنْشَد:

والدِّرْعُ لا أَبْغِي بها نَثْرةً ... كُلُّ امْرِئٍ مُسْتَوْدَعٌ ما لَهُ

أَي مَن قُدِّرَ عَلَيْه شْيءٌ أَصابَه.

ورَوَى غيرُ الأَصمعي هذا البيت لابن الزَّيَّابة التَّيميّ:

والدِّرْعُ لا أَبْغِي بها ثَرْوَةً ... كلُّ امْرِئٍ مُسْتَوْدَعٌ ماله

أَي الدِّرْع لا أَبِيعها بمالٍ، يقول المالُ مُسْتَوْدَعٌ عند النّاس،ودِرْعي عندي لا أَبيعها ولا أُضيعها، ولكنّي أُؤَدِّي فيها الأَمانَة. وهذا مثَلٌ.

وأَنشد الأَصمعيّ للأَعشى:

وإِذا تكون كِتيبةٌ ملْمومةٌ ... خَرْساءُ يَخْشَى الذَّائدُون نِهَالَهَا

كُنْتَ المقدَّم غيْرَ لابِس جُنَّةٍ ... بالسَّيْف تَضرِبُ مُعْلِماً أَبْطالَهَا

وعَلِمتَ أَنّ النَّفْس تَلْقَى حَتْفَها ... ما كان خالِقُها المَلِيكُ قَضَى لهَا

وقال: لمّا أَنشد كثير بن عبد الرحمن عبدَ الملك بن مروان:

على ابنِ أَبِي العاصِي دِلاصٌ حَصِينةٌ ... أَجاد المُسَدِّي سَرْدها وأَذَالَها

يَؤودُ ضَعيفَ القوْم حَمْلُ قَتِيرِها ... ويسْتَضْلِعُ الطِّرْفُ الأَشمُّ احْتِمالها

قَال له عبد الملك: **هلاّ قُلت** كما قال الأعشى وإذا تكون كتيبة... الأبيات. فقال: يا أَمير المؤمنين، وصَفْتُك بالحَزْم، ووَصفَ الأَعشى صاحبه بالخُرْق، فقال عبدُ الملك: بل وَصَفَ صاحِبَه بالشجاعة والإِقدام، ووَصفْتَني بالجُبْن والإحجام.

وما أَحسنَ ما قال أَوس بن حَجر:

وأَمْلَس صُولِيّاً كنِهْيِ قرَارَةٍ ... أَحَسَّ بقاعٍ نفحَ رِيحٍ فأَجْفَلاَ

كأَنّ قُرُونَ الشَّمْسِ بعْد ارتِفَاعِها ... وقد صَادَفَتْ طلْقاً من النَّجْم أَعزَلاَ

تَردَّدَ فيه ضَوْءُها وشُعَاعُهَا ... فأَحْصِنْ وأَزْيِنْ لامْرِئٍ أَن تَسَرْبَلاَ

وقال أَبو عبيدة: أَحسُ ما قِيل في صِفةِ الدُّروع:

وبِيضٍ من النَّسْج القدِيم كأَنَّهَا ... نِهاءُ نقِيعٍ مَاؤُه مُتَرَافِعُ

تُصَفِّقُها هُوجُ الرِّياحِ إِذا جَرَتْ ... وتعْقُبُهَا الأَمْطارُ فالماءُ راجِعُ

وللجُميْح الأَسديّ واسمه مُنْقِذ:." (١)

"""""""""" صفحة رقم ٩٧ """"""""

من أبرم حبلا إذا فتله ، فقد منع القضاء من إثباته ، ورجل برم : أي ضجر ، والمبرم كالملح ، والإبرام والنقض في الأمور مستعار من الحبل ، وقال بعض وزراء خرسان : ريما قضينا حاج الناس برما لا حرما ، أي من الضجر لا من طباع ؛ وما كان أغناه عن إظهار هذه السوأة . والحاج جمع حاجة ، وأبى المبرد أن الحوائج صحيحة في جمع حاجة . وقوله : وقد فرطت لداته ، أي تقدم أقرانه وأترابه ، والترب في المؤنث أيضا . ٢٩٩ - سألني بعض الفقهاء فقال : أين مولودك ؟ وهو يريد : أين ولدت ، فقلت : ما لي مولود ، فقال : سبحان الله ، وزاد تعجبه ، فقلت : لعلك تسألني عن مكاني الذي ولدت فيه ؟ قال : نعم ، قلت : فهلا قلت : أين مولدك ؟ قال : فخجل هو من الحاضرين ، وذاك أردت ليكون خجلة باعثا له على الأدب ، أو على إكرام الأديب ، وهذا الفقيه هو الداركي ، وكان ركيك اللسان ، فدم الطباع ، سيء الخلق ، شهودا بالزور ، خبيث الدين ، ومات ببغداد سنة خمس وسبعين وثلاثمائة في شوال ، ومات الأبهري بعده بجمعة . وقال لي رجل من العجم يدعي العلم ويزعم انه منطقي : اقعد حتى تتغدى بنا ، قلت : لا أبلانا الله بذلك ، قال : فلم قلت هذا ؟ قلت : لأنك أتيت بكلام لو فقهته عن نفسك لما أنكرته على جليسك ، قال : فما هو ؟ فعرفته الفرق بين الخطأ الذي قد أتى به والصواب الذي لم يوفق له ، فنبا طرفه." (٢)

"""""""""" صفحة رقم ٨١ """"""""

قال أسد بن عمرو : دخل قتادة الكوفة فنزل دار أبي بردة ، فخرج عليهم وقال : لا يسألني أحد عن مسألة

---

(١) الأنوار ومحاسن الأشعار، ص/٨

(٢) البصائر والذخائر ـ موافقا للمطبوع، ٥/٩٧

من الحلال والحرام إلا أجبته ، فقام أبو حنيفة فقال : يا أبا الخطاب ، ما تقول في رجل غاب عن أهله أعواما فظنت امرأته أنه قد مات فتزوجت ، ثم رجع زوجها الأول وقد ولدت ولدا ، فنفاه الأول وادعاه الثاني ، فكل واحد منهما قذفها أو قذفها الذي أنكرها ، ما جوابها ؟ ونظر أبو حنيفة إلى أصحاب قتادة وقال : إن قال فيها برأيه ليخطئن ، وإن روى فيها حديثا ليكذبن ، فقال قتادة : ويحك ، أوقعت هذه المسألة ؟ قال : لا ، قال : ولم تسأل عنها ؟ قال أبو حنيفة : إنا نستعد للبلاء قبل نزوله ، فإذا وقع عرفنا الدخول فيه والخروج منه ، فقال قتادة : والله لا حدثتكم بشيء من الحلال والحرام ، فسلوني عن التفسير ؛ فقام أبو حنيفة فقال : يا أبا الخطاب ، ما تقول في قول الله تعالى : ' قال الذي عنده علم من الكتاب أنا آتيك به قبل أن يرتد إليك طرفك ' النمل : ٤٠ قال : نعم هذا آصف بن برخيا كاتب سليمان ، وكان يعلم اسم الله الأعظم ، قال : وهل كان يعرف الاسم سليمان ؟ قال : لا ، قال : أفيجوز أن يكون في زمان نبي من هو أعلم من النبي ؟ قال قتادة : والله لا حدثتكم بشيء من التفسير ، سلوني عما اختلف فيه العلماء ؛ فقام أبو حنيفة فقال : يا أبا الخطاب ، أمؤمن أنت ؟ قال : أرجو ، قال : ولم ؟ قال : لقول الله تعالى : ' والذي أطمع أن يغفر لي خطيئتي يوم الدين ' الشعراء : ٨٢ قال أبو حنيفة : **فهلا قلت** كما قال إبراهيم حين قال الله تعالى : ' أولم تؤمن قال بلى ولكن ليطمئن قلبي '." (١)

""""""""" صفحة رقم ٣٧ """""""""

موافقتك النهي ومجانبتك الأمر ، وقبيح بك أن تركب ما تركب جاهلا بالحجة ، حتى إذا تم ركوبك ، وتقضى عليه زمانك ، وعلاك الندم ، ولزمك التعقب ، أحلت أمرك على علمه فيك وإرادته بك ، هلا وقفت عن قبول أمره وسماع نهيه حين أمر ، ونهى وزجر ، ودعا وبين ، **وهلا قلت** : إلهي ، لم تزح علتي بما أعرتني من القوة ، وخلقت في من الطاقة ، وأسلفتني من التمكين ، وعرفتني من الأخبار ، فأنا صائر مع هذا كله إلى ما أنت عالم به ؛ ومتى فعلت هذا وقلته ، علم العقلاء أنك متجن ، لا تحب صلاحا ، ولا تتقي فلاحا ، وأنك مقترح اقتراحا ، إن صح لك سقط عنك لسان الأمر والنهي ، وزال باب المدح والذم ، واستغني عن الثواب والعقاب ، وكنت جمادا لا تخاطب ولا تعاتب ، وعريت من جلباب معرفة الله عز وجل ، وجهلت نعم الله عندك ، وعميت عن حكم الله تعالى فيك ، ومن بلغ هذا المكان أسقط عن مكلمه مؤونة البيان ، وعن نفسه كلفة التبيين ، وكان في عداد الجاهلين بالله ، الساخطين لنعم الله ، المتعرضين لعقاب الله تعالى . فافتح – حفظك الله – بصرك ، وانتصف من هواك ، وفارق إلفك ، وتنزه

---

(١) البصائر والذخائر ـ موافقا للمطبوع، ٨١/٦

عن تقليدك ، وحص عن المعرفة ، لائذا بالله تعالى ، مستعينا به ، فهو ولي خلقه ، ناصر اللاجئين إليه . واعلم أن الله خلقك ، ورزقك وكملك ، وميزك وفضلك ، وأضاء قلبك بالمعرفة ، وفجر فيك ينبوع العقل ، ونفى عنك العجز ، وعرض عليك العز ، وبين لك الفوز ، بعد أن وعدك وأوعدك ، وبعد أن وعظك وأيقظك ، وبعدما حط عنك ما أعجزك عنه ، وأمرك بدون ما أقدرك عليه ؛ وإنما حاشك بهذا كله إلى حظك ونجاتك ، وعرضك به لسعادتك وخلاصك . أفتجسر من بعد هذه النعمة المتوالية ، وهذه الآلاء المتتالية ، أن تتوهم أنه اقتطعك عن مصلحتك أو بخل عليك برأفتك ؟ إن هذا لا يظن بوالدك الذي نسبته إليك عارية ، وإضافتك." (١)

""""""""" صفحة رقم ١٧٨ """""""

قال واصل بن عطاء : لأن يقول الله عز وجل لي يوم القيامة : ' هلا قلت ' أحب إلي من أن يقول : ' لم قلت ' لأنه إذا قال : لم قلت ؟ طالبني بالبرهان ، وإذا قال : هلا قلت ، فليس غير ذلك يزيد . استدل هشام بن الحكم على أن الباري جل جلاله جسم بقوله ' لا تأخذه سنة ولا نوم ' ؛ قال : لو كان غير جسم لم يكن هذا مدحا . وقال أبو حامد المروزذي : ألا تعلم أنه لو كان جسما لم كان هذا منفيا ؟ وكان يقول : لا أدري ما فائدة هشام في اعتقاده أنه جسم وهو يعلم اضطرارا أن نفي هذا الاسم على الحد المقتضى أدخل في التوحيد . قال سهل الأحول – وكان يكتب لإبراهيم بن المهدي – : ما أحسن حسن الظن إلا منه العجز ، وما أقبح سوء الظن إلا أن فيه الحزم .." (٢)

" البرذون ليبول فقال لي تنح لا يهريق عليك البرذون الماء

وجاء رجل الى محمد بن حرب الهلالي بقوم فقال ان هؤلاء الفساق ما زالوا في مسيس هذه الفاجرة قال ما ظننت انه بلغ من حرمة الفواجر ما ينبغي ان يكنى عن الفجور بهن

وقلت لرجل من الحساب كيف صار البرذون المتحصن الى البغلة احرص منه على الرمكة والرمكة اشكل بطبعه قال بلغني ان البغلة اطيب حلوة

وقال صديق لنا بعث رجل وكيله الى رجل من الوجوه يقتضيه مالا عليه فرجع اليه مضروبا فقال ما بالك ويلك قال سبك فسببته فضربني قال وبأي شيء سبني قال هن الحمار في حر أم من أرسلك قال

---

(١) البصائر والذخائر _ موافقا للمطبوع، ٣٧/٧

(٢) البصائر والذخائر . موافقا للمطبوع، ١٧٨/٧

دعني من افترائه علي انت كيف جعلت لأير الحمار من الحرمة ما لم تجعله لحر أمي **فهلا قلت** اير الحمار في هن ام من ارسلك

قال ابو الحسن كان رجل من ولد عبد الرحمن بن سمرة اراد الوثوب بالشام فحمل الى المهدى فخلى سبيله واكرمه وقرب مجلسه فقال له يوما أنشدني قصيدة زهير التي أولها لمن الديار بقنة الحجر وهي التي على الراء

(لمن الديار بقنة الحجر ... أقوين من حجج ومن شهر)

فأنشده فقال المهدي ذهب والله من يقول مثل هذا قال السمري وذهب والله من يقال فيه مثل هذا فغضب المهدي واستجهله ونحاه ولم يعاقبه واستحمقه الناس

ولما دخل خالد بن طليق على المهدي مع خصومه وأنشد قول شاعرهم

(اذا القرشي لم يضرب بعرق ... خزاعي فليس من الصميم)

فغضب المهدي وقال أحمق فأنشد خالد فقال

(اذا كنت في دار فحاولت رحلة ... فدعها وفيها إن اردت معاد)

فسكن عند ذلك المهدي وقال بشار

(خليلي ان العسر سوف يفيق ... وإن يسارا من غد لخليق)

(وما كنت إلا كالزمان اذا صحا ... صحوت وان ماق الزمان أموق)

قالوا ومن النوكى ابو الربيع العامري واسمه عبد الله وكان ولي بعض منابر اليمامة وفيه يقول الشاعر ."

(١)

" (وليل يقوم القوم من ظلماته ... سواء بصيرات العيون وعورها)

(كأن لنا منه بيوتا حصينة ... مسوحا أعاليها وساحبا كسورها)

وقالوا أتى سعيد بن عبد الرحمن بن حسان أبا بكر بن محمد بن عمرو ابن حزم وهوعامل سليمان بن عبد الملك فسأله ان يكلم سليمان في حاجة له فوعده ان يقضيها فلم يفعل وأتى عمر بن عبد العزيز فكلمه فقضى حاجته فقال سعيد

(ذممت ولم تحمد وأدركت حاجتي ... تولى سواكم شكرها واصطناعها)

(أبى لك فعل الخير رأى مقصر ... ونفس أضاق الله بالخير باعها)

---

(١) البيان والتبيين، ص/٣٤١

(اذا هي حثته على الخير مرة ... عصاها وان همت بشر أطاعها)

(سيكفيك ما ضيعت منها وانما ... يضيع الامور سادرا من أضاعها)

(ولاية من ولاك سوء بلائها ... وولى سواك أجرها واصطناعها)

وأنشد

(اذا ما أطعت النفس مال بك الهوى ... الى كل ما فيه عليك مقال)

وأنشد

(حسب الفتى من عيشه ... زاد يبلغه المحلا)

(خبز وماء بارد ... والظل حين يريد ظلا)

وأنشد

(وما العيش الا شبعة وتشرق ... وتمر كأخفاف الرباع وماء)

قالوا استبطأ عبد الملك بن مروان ابنه مسلمة في مسيرة الى الروم فكتب اليه

(لمن الظعائن سيرهن تزحف ... سير السفين اذا تقاعس تجدف)

فلما قرأ مسلمة الكتاب كتب اليه

(ومستعجب مما يرى من اناتنا ... ولو زبنته الحرب لم يترمرم)

ومسلمة هوالقائل عند ما دلى بعضهم في قبره فتمثل بعض من حضر فقال (وما كان قيس هلكه هلك واحد ... ولكنه بنيان قوم تهدما)

فقال مسلمة لقد تكلمت بكلمة شيطان **هلا قلت**

(اذا مقرم منا ذرا حدنا به ... تخمط فينا ناب آخر مقرم) ." [١]

"وكان النعمان بن المنذر دعا بحلة، وعنده وفود العرب من كل حي، فقال: احضروا في غداة غد فإني ملبس هذه الحلة أكرمكم، فحضر القوم جميعا إلا أوسا، فقيل له: لم تتخلف؟ فقال: إن كان المراد غيري فأجمل الأشياء لي أن لا أكون حاضرا، وإن كنت المراد بها فسأطلب ويعرف مكاني. فلما جلس النعمان لم ير أوسا فقال: اذهبوا إلى أوس فقولوا له: احضر آمنا مما خفت، فحضر فألبس الحلة، فحسده قوم من أهله فقالوا للحطيئة: اهجه ولك ثلاثمائة ناقة، فقال الحطيئة: كيف أهجو رجلا لا أرى في بيتي أثاثا ولا مالا إلا من عنده؟ ثم قال: من البسيط

---

(١) البيان والتبيين، ص/٤٨٠

كيف الهجاء وما تنفك صالحة ... من آل لأم بظهر الغيب تأتيني

فقال لهم بشر بن أبي خازم الأسدي: أنا أهجوه لكم، فأخذ الابل وفعل، فأغار عليها أوس فاكتسحها، وطلبه فجعل لا يستجير أحدا إلا قال له: قد أجرتك إلا من أوس، وكان في هجائه قد ذكر أمه، فأتي به، فدخل أوس إلى أمه فقال: قد أتينا ببشر الهاجي لك ولي، فما ترين فيه؟ فقالت: أو تطيعني؟ قال: نعم، قالت: أرى أن ترد عليه ماله وتعفو عنه وتحبوه، وأفعل مثل ذلك به، فإنه لا يغسل هجاءه إلا مدحه، فخرج إليه فقال: إن أمي سعدى التي كنت تهجوها قد أمرت فيك بكذا وكذا، قال: لا جرم والله لا مدحت حتى أموت أحدا غيرك.

وقيل إن المخبل السعدي مر بخليدة بنت بدر أخت الزبرقان بعد ما أسن وضعف بصره، وكان من قبل قد أفرط في هجائها، فأنزلته وقرته وأكرمته ووهبت له وليدة، وقالت له: إني آثرتك بها يا أبا يزيد فأحتفظ بها، فقال لها: ومن أنت حتى أعرفك وأشكرك؟ قالت: لا عليك، قال: بلى، قالت: أنا بعض من هتكت بشعرك ظالما، أنا خليدة بنت بدر، قال: يا سوأتا منك فإني أستغفر الله وأستقيلك وأعتذر إليك، ثم قال: من الطويل

لقد ضل حلمي في خليدة إنني ... سأعتب قومي بعدها وأتوب

فأقسم بالرحمن أن قد ظلمتها ... وجرت عليها والهجاء كذوب

س أل عبد الله بن عباس صعصعة بن صوحان عن السؤدد قال: إطعام الطعام، ولين الكلام، وبذل النوال، وكف المرء نفسه مع الحاجة عن السؤال.

قال له: صف لي أخويك بما فيهما لأعرف ميزتك فقال: أما زيد فكما قال أخو غني: من الطويل

فتى لا يبالي أن يكون بوجهه ... إذا نال خلات الكرام شحوب

وهي أبيات ذكرت في المديح ثم قال: كان والله يا ابن عباس عظيم المروة، شريف الأبوة، جليل الخطر، بعيد الأثر، كميش الغزوة، زين الندوة، سليم جوانح الصدر، قليل وساوس الفكر، ذاكرا لله طرفي النهار وزلفا من الليل، الجوع والشبع عنده سيان، لا منافس في الدنيا ولا غافل عن الآخرة، يطيل السكوت ويديم الفكر ويكثر الاعتبار، ويقول الحق ويلهج بالذكر، ليس في قلبه عير ربه، ولا يهمه غير نفسه، فقال ابن عباس: ما ظنك برجل سبقه عضو منه إلى الجنة؟ رحم الله زيدا. فأين كان عبد الله منه؟ قال: كان عبد الله سيدا شجاعا، سخيا مطاعا، خيره وساع، وشره دفاع، قلبي النحيزة، أحوذي الغريزة، لا ينهنهه منهنه عما أراده، ولا يركب إلا ما اعتاده، سمام العدى، فياض الندى، صعب المقادة، جزل الوفادة، أخا إخوان، وفتى فتيان

وذكر أبياتا للبرجمي غير مختارة، في خبر طويل.

وروي أن رجلا قال لمعن بن زائدة في مرضه: لولا ما من الله به من بقائك لكنا كما قال لبيد: من الكامل

ذهب الذين يعاش في أكنافهم ... وبقيت في خلف كجلد الأجرب

فقال له معن: إنما تذكر أني سدت حين ذهب الناس، **فهلا قلت** كما قال نهار ابن توسعة: من الخفيف:

قلدته عرى الأمور نزار ... قبل أن تهلك السراة البحور

ومن صفات السيد قول الخنساء في صخر: من المتقارب

طويل النجاد رفيع العماد ... ساد عشيرته أمردا

إذا القوم مدوا بأيديهم ... إلى المجد مد إليه يدا

فنال الذي فوق أيديهم ... من المجد ثم مضى مصعدا

يكلفه القوم ما عالهم ... وإن كان أصغرهم مولدا

ترى الحمد يهوي إلى بيته ... يرى أفضل الكسب أن يحمدا

وقول جرير: من الطويل

وإني لأستحيي أخي أن يرى له ... علي من الحق الذي لا أرى ليا." (١)

"طاف رجل من بني تغلب بالبيت، وكان وسيما جسيما، فبصر به رجل من قريش كان حسودا، فسأل عنه فخبر أنه من تغلب، فلما حاذاه قال القرشي ليسمعه: إنها لرجلان قلما وطئت البطحاء. فالتفت إليه التغلبي وقال له: يا هذا البطحاوات ثلاث: فبطحاء الجزيرة وهي لي دونك، وبطحاء ذي قار وأنا أحق بها منك، وهذه البطحاء سواء العاكف فيه والباد. قال: فتحير الرجل فما أعاد كلمة.

قال الرشيد لإسماعيل بن صبيح: وددت أن لي حسن خطك، فقال: يا أمير المؤمنين، لو كان حسن الخط مكرمة لكان أولى الناس بها رسول الله صلى الله عليه وسلم.

قال محمد بن عبد الملك الزيات لبعض أولاد البرامكة: من أنت ومن أبوك؟ قال: أبي الذي تعرفه، ومات وهو لا يعرفك.

ومثل هذا أو قريب منه ما حكي أن المرواني صاحب الأندلس كتب إلى صاحب مصر كتابا وملأه بسبه وسب أبيه، فكتب إليه في الجواب: يا هذا، عرفتنا فهجوتنا، ولو عرفناك لأجبناك، والسلام.

دخل شاب من بني هاشم على المنصور، فسأله عن وفاة أبيه، فقال: مرض رضي الله عنه يوم كذا، ومات

---

(١) التذكرة الحمدونية، ١٥٣/١

رحمه الله يوم كذا، وترك رحمه الله من المال كذا. فانتهره الربيع وقال: بين يدي أمير المؤمنين توالي الدعاء لأبيك. فقال الشاب: لا ألومك لأنك لم تعرف حلاوة الآباء. قال: فما علمنا أن المنصور ضحك في مجلسه قط ضحكا افتر عن نواجذه إلا يومئذ – وكان الربيع لقيطا.

واستبطأ عبد الملك بن مروان ابنة مسلمة في مسيره إلى الروم فكتب إليه: من الكامل

لمن الظعائن سيرهن تزحف ... سير السفين إذا تقاعس يجذف

فكتب إليه مسلمة في الجواب: من الطويل

ومستعجب مما يرى من أناتنا ... ولو زبنته الحرب لم يترمرم

وسمع مسلمة رجلا تمثل بقول الشاعر وقد دلي بعض بني مروان في قبره: من الطويل

وما كان قيس هلكه هلك واحد ... ولكنه بنيان قوم تهدما

فقال له مسلمة: لقد تكلمت بكلمة شيطان، **هلا قلت**: من الطويل

إذا مقرم منا ذرا حد نابه ... تخمط فينا ناب آخر مقرم

سابق مسلمة في حلبة فسبق وعبد الملك حاضر، فقال عبد الملك، والشعر لبعض بني عبس: من الطويل

نهيتكم أن تحملوا هجناءكم ... على خيلكم يوم الرهان فتدركوا

فتضعف ساقاه وتفتر كفه ... وتخذر فخذاه فلا يتحرك

وما يستوي المرآن هذا ابن حرة ... وهذا هجين ظهره متشرك

قعدن به خالاته فاختزلنه ... ألا إن إن عرق السوء لا بد مدرك

فقال مسلمة، والشعر لمسكين الدارمي: من الطويل

وما أنكحونا طائعين فتاتهم ... ولكن نكحناها بأسيافنا قهرا

كريم إذا اعتل الزمان وجدته ... وقد سار في ظلمائه قمرا بدرا

فما زادها فينا السباء مذلة ... ولا خبزت خبزا ولا طبخت قدرا

وكائن ترى فينا من ابن سبية ... إذا التقت الخيلان يطعنها شزرا

ولكن خلطناها بحر نسائنا ... فجاءت بهم بيضا غطارفة زهرا

لما استخلف المهدي أخرج من في السجون، فقيل له: إنما تزري على أبيك، فقال: لا أزري على أبي، ولكن أبي حبس بالذنب وأنا أعفو عنه.

وجزع المهدي على رخيم جاريته جزعا شديدا، فكان يأتي المقابر ليلا فيبكي. فبلغ ذلك المنصور فكتب

إليه: كيف ترجو أن أوليك أمر الأمة وأنت تجزع على أمة؟ فكتب إليه المهدي: إني لم أجزع على قيمتها وإنما جزعت على شيمتها.

عرض رجل للرشيد وهو يطوف بالبيت فقال: يا أمير المؤمنين، إني أريد أن أكلمك بكلام فيه خشونة، فاحتمله لي، قال: لا ولا كرامة، قد بعث الله تعالى من هو خير منك إلى من هو شر مني فقال: فقولا له قولا لينا طه: ٤٤.

قال رجل لمعاوية: والله لقد بايعتك وأنا كاره، فقال معاوية: قد جعل الله لك في الكره خيرا كثيرا.

قال الحجاج يوما على المنبر: تزعمون أنا من بقايا ثمود، والله جل وعز يقول: وثمودا فما أبقى النجم: ٥١.

وقال مرة أخرى: لئن كنا من بقايا ثمود فما أنجى الله مع صالح إلا خيارهم.." (١)

"وليس شيء أقر بعينها من النكاح، أفيحب صاحبك أن ينكح؟ قبح الله صاحبك وقبح شعره.

وقالت لراوية جميل: أليس صاحبك الذي يقول: من الطويل

فلو تركت عقلي معي ما طلبتها ... ولكن طلابيها لما فات من عقلي

فما أرى بصاحبك هوى، إنما طلب عقله، قبح الله صاحك وقبح شعره.

ثم قالت لراوية نصيب: أليس صاحبك الذي يقول: من الطويل

أهيم بدعد ما حييت وإن أمت ... فوا حزنا من ذا يهيم بها بعدي

فما أرى له همة إلا من يعشقها بعده؟ قبحه الله وقبح شعره ألا قال: من الطويل

أهيم بدعد ما حييت وإن أمت ... فلا صلحت دعد لذي خلة بعدي

ثم قالت لراوية الأحوص: أليس صاحبك الذي يقول: من الكامل

من عاشقين تواعدا وتراسلا ... ليلا إذا نجم الثريا حلقا

باتا بأنعم ليلة وألذها ... حتى إذا وضح الصباح تفرقا

قال: نعم، قالت: قبحه الله وقبح شعره، هلا قال: تعانقا. فلم تثن على أحد منهم ولم تقدمه.

وليس كل ما ذكرته ساقطا، ولكن منه وجه ولصاحبه فيه قصد، وإنما حسن الخير إذ كان من امرأة قد تتبعت فحول الشعراء وظرفت في ما تتبعتهم به، وقصر رواتهم عن جوابها.

وشبيه بهذا الخير الذي رواه الزبير بن بكار قال: خرج عمر بن أبي ربيعة إلى مكة فخرج معه الأحوص

---

(١) التذكرة الحمدونية، ٣٤٦/٢

واعتمرا. قال السائب راوية كثير: فلما مرا بالروحاء استتلياني فخرجت أتلوهما حتى لحقتهما بالعرج رواحهما؛ فخرجنا جميعا حتى وردنا ودان؛ فحبسهما نصيب وذبح لهما وأكرمهما؛ وخرجنا وخرج معنا نصيب. فلما جئنا كلية عدلنا جميعا إلى منزل كثير، فقيل لنا: هبط قديدا، فأتينا قديدا فذكر لنا أنه في خيمة من خيامها، فقال لي ابن أبي ربيعة: اذهب فادعه لي؛ فقال نصيب: هو أحمق وأشد كبرا من أن يأتيك؛ فقال لي عمر: اذهب كما أقول لك فادعه لثي. فجئته فهش لي وقال: اذكر غائبا تره، لقد جئت وأنا أذكرك. فأبلغته رسالة عمر فحدد نظره إلي وقال: أما كان عندك من المعرفة ما يردعك عن إتي ا ني بمثل هذا وتردعه عن مثل هذه الرسالة؟ قلت: بلى والله، ولكني سترت عليك وأبى الله إلا أن يهتك سترك. فقال لي: إليك يا ابن ذكوان، ما أنت من شكلي، فقل لابن أبي ربيعة: إن كنت قرشيا فأنا قرشي، فقلت: ألا تترك هذا التلصق وأنت تقرف عنهم كما تقرف الصمغة؟ فقال: والله لأنا أثبت فيهم منك في سدوس. ثم قال: وقل له إن كنت شاعرا فأنا أشعر منك، فقلت له: هذا إذا كان الحكم إليك. فقال: وإلى من هو؟ ومن أولى بالحكم مني؟ وبعد هذا يا ابن ذكوان فاحمد الله على لؤمك فقد منعك مني اليوم. فرجعت إلى عمر فقال: ما وراءك؟ فقلت: ما قال لك نصيب، فقال: وإن؟ فأخبرته فضحك وضحك صاحباه ظهرا لبطن. ثم نهضوا معي إليه فدخلنا عليه في خيمته فوجدناه جالسا على جلد كبش، فوالله ما أوسع للقرشي. فلما تحدثوا مليا وأفاضوا في ذكر الشعر أقبل على عمر فقال له: أنت تنعت المرأة وتنسب بها ثم تدعها وتنسب بنفسك، أخبرني عن قولك: من المنسرح

قالت تصدي له ليعرفنا ... ثم اغمزيه يا أخت في خفر

قالت لها قد غمزته فأبى ... ثم اسبطرت تشتد في أثري

وقولها والدموع تسبقها ... لنفسدن الطواف في عمر

أتراك لو وصفت بهذا هرة أهلك، ألم تكن قد قبحت وأسأت وقلت الهجر؟ إنما توصف الحرة بالإباء والحياء والالتواء والبخل والامتناع كما قال هذا، وأشار إلى الأحوص: من الطويل

أدور ولولا أن أرى أم جعفر ... بأبياتكم ما درت حيث أدور

وما كنت زوارا ولكن ذا الهوى ... إذا لم يزر لا بد أن سيزور

قال: فدخلت الأحوص أبهة وعرفت الخيلاء فيه. فلما استبان ذلك كثير منه قال: أبطل آخرك أولك، أخبرني عن قولك: من الوافر

فإن تصلي أصلك وإن تبني ... بصرمك بعد وصلك لا أبالي

ولا ألفى كمن إن سيم صرما ... تعرض كي يرد إلى الوصال

أما والله لو كنت فحلا لباليت ولو كسرت أنفك، **هلا قلت** كما قال هذا الأسود، وأشار إلى نصيب: من الطويل

بزينب ألمم قبل أن يرحل الركب ... وقل إن تملينا فما ملك القلب." [١]

"٣(فصرنا نشبهث النسرينِ بعداً ، ** وكنّا أُلفَةً كالفرقَدَينِ)(علمتُ بأنّ وعدَكَ صارَ مَيناً ، ** لزَجري مُقلَتَيكَ بصارِمَينِ)(وقلتُ ، وقد رأيتُك : خابَ سعيي ** لكونِ البدرِ بينَ العقربينِ)٤ (فلِم دَلّيتَني بحِبالِ زُورٍ ، ** ولم أطعَمتَني بسَرابِ مَينِ)٥ (**وهَلاّ قلتَ** لي قَولاً صَريحاً ، ** فكانَ المنعُ إحدَى الراحتينِ)٦ (عرفتكَ دونَ كلّ الناسِ لمّا ** نقدتكَ في الملاحةِ نقدَ عينِ)٧ (وكم قد شاهدَتكَ النّاسُ قَبلي ، ** فَما نَظَروكَ كلّهُمْ بعَيني)٨ (وطاوعتُ الفتوةَ فيكَ حتى ** جَعَلتُكَ في العَلاءِ بُرتبَتَينِ)٩ (فلمّا أن خلا المغنى وبتنا ** عُراةً بالعَفافِ مؤزَّرَينِ) ٤٠ (قضينا الحجّ ضماً واستلاماً ، ** ولم نشعرْ بما في المشعرينِ)

". [٢]

" ٪ (إن القداح إذا جمعن] فرامها ٪ بالكسر ذو حنق وبطش أيد) ٪ ٪ (عزت ولم تكسر وإن هي بددت ٪ فالوهن والتكسير للمتبدد) ٪ | ثم قام على بن خالد بن يزيد بن معاوية وخالد بن عبد الله بن أسيد فقال لهما قد حضر من الأمر ماتريان فإن كان في نفوسكما شئ من بيعه الوليد نزعتماه قال وجعلتما الأمر حيث شئتما قالا بل رضينا أكمل الناس لها وأقواهم عليها قال أما والله لو غيرها قلتما لمتا قبلي ثم رفع طرف فراشه فإذا تحته سيف مجرد فقال للوليد لا أعرفنك إذا أنامت تعصر عينيك وتمسحها نعل الأمة الوعكاء شمر وابرزو اللبس جلد النسر وادع الناس إلى بيعتك فمن قال برأسه هكذا فقل بسيفك هكذا . ثم لم يزل متمثلا بقول الشاعر : ٪ (وهل من خالد أما هلكنا ٪ وهل بالموت يا للناس عار) ٪ | ثم قال الحمد لله الذي لا يبالي أصغير هلك في ملكه أم كبير ثم قضي . فقال هشام ابن عبد الملك : ٪ (وما كان قيس هلكه هلك واحد ٪ ولكنه بنيان قوم تهدما) ٪ | فسمعها الوليد فتطير منها فرفع يده فلطمة وقال إنك أعور مشؤوم **هلا قلت** كما قال التميمي : ٪ (إذا سيد منا ذرا حد نابه ٪ تخمط فينا

(١) التذكرة الحمدونية، ٣٧٩/٢

(٢) ديوان صفي الدين الحلي، ص/٦٢٥

ناب آخر مقرم) ٪ | فسمع مسلمة الصيحة فقال ذروا الصياح فإنكم إن استقمتم استقام الناس وإن اختلفتم اختلفوا .

أخبرنا أبو أحمد

أخبرنا أبو بكر بن دريد

أخبرنا أبو حاتم عن أبي عبيدة قال كان عبد الملك بن مروان ذات ليلة في سمره مع ولده وأهل بيته وخاصته فقال ليقل كل واحد منكم أحسن ما قيل من الشعر وليفضل من رأى من الشعراء تفضيله فأنشدوا وفضلوا فقال بعضهم أمرؤ القيس وقال بعضهم النابغة وقال بعضهم الأعشى ، ولما فرغوا قال أشعر والله من هؤلاء جميعا عندي الذي يقول :

". (١)

"البحر : – (يابن الوزيرين سمعاً من أخي طَلَبٍ ** بين الرجاء وبين اليأس مكدودِ) (لا تبخلنَّ على منْ لستَ كافيهُ ** بأن تقولتزحزحْ غير مطرودِ) (فإن خشيتَ هجائي فاخشَ حينئذٍ ** من كلِّ شيء محالِ الكونِ مفقودِ) ٤ (واللَّهلا قلتُ فيكم ماأكيدُ به ** نفسي وكنتُ في سِربَال محسودِ) ٥ (ولا أفضتُ بحرفٍ في مَلامكُمُ ** يا آل وهبٍ طوال البيضِ والسّودِ) ٦ (إنّي لأعلَمُ أنّي لا أفُوتُكُمُ ** على مطايا سُليمان بن داودِ) ٧ (ولو أمنتُكُم أمني يَدي وفمي ** لما نَشدتُّمْ وفائي غيرَ مَوجودِ) ٨ (لكمْ على منطقي سلطانُ مُرْتَقبٍ ** أضحى يؤيِّدُهُ سلطان مودود) ٩ (فما وفائي بِمدخولٍ لكم أبداً ** لكنَّه كَوفَاءِ العِرقِ لِلعُودِ)٠ (سدَّ السَّدَادُ فمي عَمَّا يُريبُكُمُ ** لكنْ فمُ الحالِ مني غيرُ مسدودِ)

". (٢)

"وقل لمعذبي هل من نجاز

لوعدي سالفيك السالفين

سميك كان مقتولا بظلم،

وأنت ظلمتني، وجلبت حيني

---

(١) ديوان المعاني، ١/١٥٢

(٢) ديوان ابن الرومي، ص/١٢٦٣

وهبتك في الهوى روحي بوعد،

وبعتك عامدا نقدا بدين

وجئت وفي يدي كفني وسيفي،

فكيف جعلتها خفي حنين؟

ولم صيرت بعدك قيد قلبي،

وكان جمال وجهك قيد عيني؟

فصرنا نشبهث النسرين بعدا،

وكنا ألفة كالفرقدين

علمت بأن وعدك صار مينا،

لزجري مقلتيك بصارمين

وقلت، وقد رأيتك: خاب سعيي

لكون البدر بين العقربين

فلم دليتني بحبال زور،

ولم أطعمتني بسراب مين

وهلا قلت لي قولا صريحا،

فكان المنع إحدى الراحتين

عرفتك دون كل الناس لما

نقدتك في الملاحة نقد عين

وكم قد شاهدتك الناس قبلي،

فما نظروك كلهم بعيني

وطاوعت الفتوة فيك حتى

جعلتك في العلاء برتبتين

فلما أن خلا المغنى وبتنا

عراة بالعفاف مؤزرين

قضينا الحج ضما واستلاما،

ولم نشعر بما في المشعرين
أتهجرني وتحفظ عهد غيري،
وهل للموت عذر بعد دين
وقلت: الوعد عند الحر دين،
فكيف مطلتني وجحدت ديني
أأجعل لي سواك عليك عينا،
وكنت على جمعي الناس عيني
إذا ما جاء محبوبي بذنب
يسابقه الجمال بشافعين
وقلت: جعلت كل الناس خصمي
لقد شاهدت إحدى الحالتين
فكان الناس قبل هواك صحبي،
فهل أبقيت لي من صاحبين
بعادي أطمع الأعداء حتى
رأوك اليوم خزر الناظرين
وهلا طالعوك بعين سوء،
وأمري نافذ في الدولتين
وما خفقت جناح الجيش إلا
رأوني ملء قلب العسكرين
لئن سكنت إلى الزوراء نفسي،
أواني الراح من ورق وعين
هوى يقتادني لديار بكر،
وآخر نحو أرض الجامعين
سأسرع نحو رأس العين خطوي،

وأقصدها على رأسي وعيني

وأسرح في حمى جيرون طرفي،." [1]

"يا قلب كم لاقيت في الصبوات من كسر. وكم لاقيت جبرا!

ولقيت منه نحاسه

صدئا. ومنه لقيت تبرا..!

فاهنأ بحبك تصطفيه

ويصطفيك اليوم ذخرا..!

وقل السلام على الرفات يضم في الظلمات قبرا!

فلقد أشدت بما شدوت

لمن رضيت هواه قصرا!

هذا القريض المستفيض

تروضه مدا وجزرا!

أغلا وأنفس من كنوز

الماس والإبريز.. قدرا!

المجد للشعر الرفيع

وقد مهرت الحب شعرا!

* * *

أحبيبة الغريد في العلياء

هلا قلت للغريد شكرا؟!

شعراء الجزيرة العربية >> محمد حسن فقي >> وهم الخلود

وهم الخلود

رقم القصيدة : ٦٦٠٢٥

تذكرت أياما مضت ولياليا؟!

---

(١) جميع دواوين الشعر العربي على مر العصور، ٣٠٨/١٩

قضيت بها كفلا من العمر حاليا!
تملكن مني نهيتي وحشاشتي
وأنسينني ما كان عذبا وغاليا!
وأنسينني حتى أهيلي ومعشري
فما عدت إلا عاشقا متصابيا!
وما عدت إلا مستهيما بخرد..
من الغيد أصبحن الهوى المتفانيا!
زمان تولى ليته كان باقيا..
ويا ليته كان الزمان المواليا!
كأني به كنت الملاك الذي ثوى
بفردوسه يرجو الخلود المصافيا!
فلم أبق مخلوقا من الأنس راجيا
حطاما ومجدا.. بل غدوت المجافيا!
كلا اثنيهما كانا لدي تفاهة
أمام الهوى يزجي إلي الأمانيا!
وكن حسانا شامخات بعزة
من الحسن ما يختار إلا العواليا!
إذا اخترن لم يخترن إلا مجليا
وإلا كريما يستطيب المجانيا!
له وحده ألاؤهن سخية
تضيء حوانيه فيشجر المغانيا!
بشعر إذا ما صاغه جوهرا
فآياته تروي القلوب الصواديا!." (١)

---

(١) جميع دواوين الشعر العربي على مر العصور، ٢١٧/٦٣

"و الكل شراي بضاعة وسوقي

النو عالي و السما فوقه أعلى

و لا فاق علم جاه علم يفوقي

الصعب هلا قلت يا صعب سهلا

دامك تبيني فأنت يا صعب شوقي

أحب اعسف المهرة اللي تغلى

و أحب أروض كل طرف يموقي

و أحب أسافر مع سحاب تعلى

و أحب فوق الغيم لمع البروقي

و أحب أساهر بدري اللي تجلى

و ارسم شعاع الشمس عند الشروقي

يا من على ثاير فؤادي تولى

خلك على قلب الكرامه شفوقي

أكرم عزيز بالعمر مستذلا

يسوق عمره للمشاريف سوقي

اخترتك من الناس للقلب خلا

يا حيثك مرادي و كيفي و ذوقي

ما رحت أدور كل زول تحلى

لولاك تسوى ما عطيتك خفوقي

......

شعراء الجزيرة العربية >> خالد الفيصل >> المعاناة

المعاناة

رقم القصيدة : ٦٣٣٥٨

نوع القصيدة : عامي

ياليل خبرني على أمر المعاناة

هي من صميم الذات ولا أجنبيه

هي هاجس يسهر عيوني ولا بات

أو خفقه تجمح بقلبي عصيه

أوصرخه تمردت فوق الاصوات

أو ونة وسط الظماير خفيه

أوعبرة تعلقت بين نظرات

أو الدموع الى تسابق هميه

أعانى الساعه وأعانى مسافات

وأعانى رياح الزمان العتيه

وأصور معاناتى حروف وابيات

يلقى بها راعي الولع جاذبيه

ولاني بندمان على كل ما فات

أخذت من حلو الزمان ورديه

هذي حياتي عشتها كيف ماجات

آخذ من أيامي وأرد العطيه

....

....

شعراء الجزيرة العربية >> خالد الفيصل >> أستكثرك

أستكثرك

رقم القصيدة : ٦٣٣٥٩

نوع القصيدة : عامي

أستكثرك وقتي على وغدا بك

عادة زماني كل ما طاب هون

ليت الذي وداك يزين جابك

تشوف عقبك كيف الأيام سون

شرق مشيت وغرب وقتي مشابك

والقلب ماله لئيم فيك لون

عقب إلهنا بك ذاق لوعه عذابك

تلونت دنياه ولا تلون

طويتني طي الورق في كتابك

حتى مغاليق الحش لق تطوون

اشتقت لأيام الهوى في جانبك

يوم الشموع بليل الأحباب ضوت

واشتقت أقول لهاتفك مرحبا بك

واشتقت لغيوم الصحارى تكون." (١)

"في حلمه وجلده

العصر العباسي >> ابن الرومي >> كم بغور الشآم غادرت منهم

كم بغور الشآم غادرت منهم

رقم القصيدة : ٦٠٧٦٠

كم بغور الشآم غادرت منهم

غائرا موفيا على أهل نجد

يلعب الدستبند فردا وإن كا

ن له شاغل عن الدستبند

العصر العباسي >> ابن الرومي >> بلوت طعوم الناس حتى لو أنني

بلوت طعوم الناس حتى لو أنني

رقم القصيدة : ٦٠٧٦١

---

(١) جميع دواوين الشعر العربي على مر العصور، ٤٦٩/٦٧

بلوت طعوم الناس حتى لو أنني

وجدتهم أحلى مذاقا من الشهد

لقد آن أن أسلاهم وأملهم

فكيف وما لاقيت منهم أخا رشد

وكيف وقد جربت من طبقاتهم

تجاريب تدعو النفس فيهم إلى الزهد

العصر العباسي >> ابن الرومي >> يابن الوزيرين سمعا من أخي طلب

يابن الوزيرين سمعا من أخي طلب

رقم القصيدة : ٦٠٧٦٢

يابن الوزيرين سمعا من أخي طلب

بين الرجاء وبين اليأس مكدود

لا تبخلن على من لست كافيه

بأن تقولتزحزح غير مطرود

فإن خشيت هجائي فاخش حينئذ

من كل شيء محال الكون مفقود

واللهلا قلت فيكم مأأكيد به

نفسي وكنت في سربال محسود

ولا أفضت بحرف في ملامكم

يا آل وهبطوال البيض والسود

إني لأعلم أني لا أفوتكم

على مطايا سليمان بن داود

ولو أمنتكم أمني يدي وفمي

لما نشدتم وفائي غير موجود

لكم على منطقي سلطان مرتقب

أضحى يؤيده سلطان مودود

فما وفائي بمدخول لكم أبدا

لكنه كوفاء العرق للعود

سد السداد فمي عما يريبكم

لكن فم الحال مني غير مسدود

وفي ضميري نصح لست أغمده

عنكموما نصح ذي نصح بمغمود

حالي تصيح بما أوليت معلنة

وكل ما تدعيه غير مردود

وقصتي معكم نار على علم

لا فطنة بطنت في قلب جلمود." (١)

"غيث السماح، ليث الكفاح، غوث النجاح، طود الحجا، جود الندى، عود النهى، السديد الآراء، الشديد الإباء، فارس الجلاد، فارس الأجلاد، مطعان الهياج، مطعام المحتاج، عين إنسان الإحسان، وإنسان عين الزمان، معاذ الرجاء، وملاذ الفضلاء، يجل عن نظم الشعر قدره، ويزيد على فخر الأدب فخره، لكنه لكثرة مخالطة أهل الفضل قد خلص من الشوب، خلوص النضار غب الذوب، فما يفوه إلا بغريبة، ولا يحبو إلا برغيبة، ولا ينطف إلا ببديعة، ولا يفهق إلا بصنيعة، ينظم البيت والبيتين، ويرتجل القطعة والقطعتين، لتتم له الفضائل كلها.

أنشدني بنفسه بقلعة دمشق، ونحن بين يدي السلطان الملك الناصر في ذي الحجة سنة سبعين:

إذا شئت أن تعطي الأمور حقوقهاوتوقع حكم العدل أحسن موقعة

فلا تصنع المعروف مع غير أهلهفظلمك وضع الشيء في غير موضعه

هذان البيتان ينبئان عن فضله، وكرم طبعه، فإنه مغرم بإكرام الفاضل ورفعه، مغرى بإهانة الجاهل ووضعه. قلت له: **هلا قلت**: فلا تضع المعروف في غير أهله، فإني أكره مع وهي ثقيلة يمجها الطبع السليم والخاطر المستقيم ؟ فقال: كذلك قلته.

---

(١) جميع دواوين الشعر العربي على مر العصور، ١٦٨/٧٧

وأنشدني بيتين كتبهما بمصر إلى صديق له:

عرتني هموم أرقتني لعظمها ... كما يأرق الصب الكئيب من الوجد

ولابد أن أدعو شقيقا يزيلها ... فإن تستجب يا بن الرشيد فمن رشدي

شعره ظرف الظرف، وحسن الحسن، وملح الملاحة، وجادة الإجادة، ومائدة الفائدة، ومأدبة الأدب، وعلم العلم، وحكمة الحكمة، ونور الحدقة، ونور الحديقة.

وله يداعب بعض أصدقائه وهو رجاء:

رجاء كان قدما مستهاما ... بأخبار الرسول وبالسماع

ولا يسعى لمكرمة ولكن ... تراه إلى المطاعم خير ساع

ولا يروي من الأخبار إلا ... أجيب ولو دعيت إلى كراع

وله في مثل ذلك:

هذا أبو الخير قد أضحى له خلق ... كمادر فهو لا يخلو من العار

وليس يروي من الأشعار قط سوى ... قالوا لأمهم: بولي على النار

وقال يداعب بعض أصدقائه من ندمائه، وكان يخضب لحيته، فنظم على لسانه:

بكيت ومما زادني عند سفرتي ... ملام الأعادي على صبغ لحيتي

أمد لصباغ يجيد خضابها ... قذالا مديدأ عرض شبر وخمسة

وما صبغها سهل علي وإنه ... يقوم عندي كل طاق بصفعة

وقال:

من قال إن رجاء يصبغ ذقنه ... تبا له بل ذاك من خديه

ما الصبغ سود عارضيه وإنما ... وجناته نفضت على لحييه

وسألني أن أعمل في هذا المعنى، فارتجلت:

كان عهدي بفلان شائبا ... قد فشت شيبته في شاربيه

وأراه اليوم في صبغ الصبا ... لونه الحالك قد عاد إليه

ما أراه خضب اللحية بل ... وجهه الأسود أعدى عارضيه

ولي في عز الدين فرخشاه قصائد، بعثني على نظمها فيه كرمه، ودعتني إليه مناقبه وشيمه، فإنني أول ما مدحته بقصيدة مقضية موسومة باسمه هائية أولها:

جلت عن الأوصاف والأشباه ... أوصاف عز الدين فرخشاه

فاهتز لها واعتز، وهش لها وبش، وجاد وزاد، ورادف الرفد، وحالف المجد، واسترق ذخر الود، واسترق حر الحمد، وحفظ القصيدة حفظه للقصد، وصار ينشدها إنشاد المتبجح بها المعتد.

وأنا أورد الآن قصيدة أخرى هائية، موسومة بخدمته، خدمته بها وقت وصولي إلى مصر، أتشوق فيها الجماعة بالشام، وأتندم على مفارقتهم، سنة اثنتين وسبعين، وهي:

بين أمر حلاوة العيش الشهي ... وهوى أحال غضارة الزمن البهي." [١]

"أبي طالب، رضي الله عنه، قدم رئيس خراسان أيام الاحنف بن قيس، ونزل قرية جلاشجرد.

هكذا ذكره أبو زرعة المسبحي.

الكلاعي: بفتح الكاف وفي آخرها العين المهملة.

هذه النسبة إلى قبيلة، يقال لها: "كلاع، نزلت الشام، وأكثرهم نزل حمص، والمشهور بالانتساب إليها: عبد الله بن خالد بن معدان الكلاعي، من أهل الشام.

يروي عن أبيه.

روى عنه عقيل بن مدرك.

وأبو منقذ عبد الرحمن بن ثور الكلاعي، من أهل الشام.

روى عنه صفوان بن عمرو السكسكي.

وأبو سلمة عبيد الله بن عبد الله الكلاعي الحمصي، من أهل الشام.

يروي عن مكحول.

روى عنه الشاميون.

والحارث بن عبيدة الحمصي الكلاعي، قاضي حمص.

يروي عن الزبيدي، وسعيد بن غزوان، والعلاء بن عتبة اليحصبي.

روى عنه الربيع بن روح، ويزيد بن عبد ربه، وعبد الله بن عبد الجبار، وعمرو بن عثمان.

قال ابن أبي حاتم: سألت أبي عنه، فقال: هو شيخ ليس بالقوي.

وأبو عبد الله خالد بن معدان بن أبي كريب الكلاعي.

يروي عن أبي أمامة، والمقدام بن معديكرب.

---

(١) خريدة القصر وجريدة العصر، ١٧٣/٢

ولقي سبعين رجلا من أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم، وكان من خيار عباد الله الصالحين.

قدم العباس بن الوليد واليا على حمص.

فحضر يوم الجمعة للصلاة، وخالد بن معدان في الصف، فلما رآه إذا على العباس بن الوليد ثوب حرير، فقام إليه خالد، وشق الصفوف حتى أتاه، فقال: يا ابن أخي، إن رسول الله صلى الله عليه وسلم نهى الرجال عن لبس هذا.

فقال: يا عم، **هلا قلت** أخفى من هذا.

قال: وغمك ما قلت ؟ والله لا سكنت بلدا أنت فيه.

فخرج عنه، وسكن طرسوس، فكتب العباس إلى أبيه يخبره بذلك، فكتب إليه الوليد: يا بني، ألحقه بعطائه أين ما كان، فإنا لا نأمن أن يدعوا علينا بدعوة فنهلك.

وأقام بطرسوس متعبدا مرابطا، إلى أن مات، سنة أربع ومائة، وقيل: ثمان ومائة.

وقيل سنة

ثلاث ومائة.

وأبو سهل عباد بن العوام الكلاعي، من أهل واسط.

يروي عن حميد الطويل، روى." (١)

"""""""" صفحة رقم ١٦١ """""""

فقلت له : يا عبد الخير ، إن صاحب هذه الدار كان من أصدق الناس إلي فما فعل به الزمان ؟ فقال لي الغلام : يا مولاي هو في قيد الحياة . وهو يطلب الموت فلا يجده . فقلت له : بالله عليك خذ لي الطريق . فقال لي الغلام : يا مولاي من أقول . فقلت : قل الشيخ أبو الحسن الخليع الدمشقي المسامر . قال : فعبر الغلام وغاب ساعة وعاد وقال لي : بسم الله أدخل . ويقول له : يا مولاي الضارب والساكن ساكن لا برد ولا حمى ولا تشتكي غير سهر الليل وجريان الدمع ، لا يكون المولى إلا مسحوراً . فلما سمع الأمير عمرو كلام الطبيب بكى وأنشد يقول : قال الطبيب لقومي ، حين جس يدي : . . . هذا فتاكم ورب البيت مسحور فقلت : ويحك قد قاربت في صفتي . . . عين الصواب **فهلا قلت** مهجور ثم إنه ناوله كاغداً فيه بعض دنانير ، فأخذها الطبيب وانصرف ثم التفت الأمير عمرو إلي وقال : يا شيخ أبي الحسن أما تنظر إلى هذا الحال الذي وقعت فيه ؟ فقلت له : حاشاك من الأسوأ ما سبب ذلك ؟ قال :

---

(١) الأنساب للسمعاني، ١١٨/٥

ما أعرف له سبباً إلا أن هجر الست بدور قد قتلني وحبها أضنى فؤادي . فقلت : يا مولاي ، بالعام الماضي تركتك أميراً ، واليوم أتيت لقيتك أسيراً فما السبب ؟ فقال الأمير عمرو : يا شيخ إني في ليلة من الليالي ركبت في الشط ، وقد شحنت مركبي من سائر الأزهار والفواكه والرياحين والطعام والمدام ، وأوقدت الشموع حتى صارت مثل ضوء النهار ، وقد غرقنا في البسط ، وبقينا في لعب وضحك إلى ثلث الليل الأول ، وإذ قد أقبل من صدر الشط مركب وهو يعزف بالطارات والدفوف ويضيء كضوء الشمس وفيه وهج عظيم ، فقلت للملاح : قدم بنا حتى نتفرج وننظر أينا أحسن تعبية مركبنا أو هذا المركب ؟ فمددت عيني فرأيت صاحبتي الست بدور ، وهي بين جواريها وغلمانها تلعب وتضحك ، وهي مثل اسمها ، اسم على مسمى ، فلما وقعت عيني عليها ، كأنما رمت في قلبي جمرة نار فقلت في نفسي : ما فارقت هذا الوجه المليح بذنب . ثم إني تذكرت العهد القديم الذي كان بيننا فلم أقدر أن اصبر ، فمدت يدي وأخذت تفاحة." (١)

"(٢) وطائعهم لله بالله قادر وقائمهم بالمقتدي استظهر العلا ومسترشد والراشد المقتفى به ومستنجد والمستضي ناصر تلا وظاهرهم مستنصر قد تكلموا بمستعصم في وقته ظهر البلا ومستنصر وحاكم وابنه ولم يقم واثق حتى أتى حاكم الملا فدونكها مني بديها نظمته فإن آت تقصيرا فكن متطولا وكتب له شيخنا العلامة شيخ الإسلام قاضي القضاة تقي الدين السبكي رحمه الله تعالى أجدت تقي الدين نظما ومقولا ولم تبق شأوا للفضائل والعلا فمن رام نظما للأئمة بعدها يؤم محالا خاسئا **ومجهلا قلت** لم يذكر تقي الدين رحمه الله تعالى إبراهيم بن المهدي وكان قد تولى بعد الأمين ولا ابن المعتز في خلفاء بني العباس لأنه بويع له في حياة المقتدر بعدما خلع وكانت بيعة ابن المعتز يوم السبت لعشر بقين من شهر ربيع الآخر سنة ست وتسعين ومئتين وأقعد في دار الداية وسلم عليه بإمرة المؤمنين لأن أولياء الأمر قالوا المقتدر غير بالغ ثم كان أمر ابن المعتز يوم السبت وبعض يوم الأحد ثم فسد أمره وبطل لأن غلمان المقتدر صعدوا في الطيارات في الماء وصاحوا من دجلة فخاف أصحاب ابن المعتز وتفرقوا وأخذ وقتل وأعيد المقتدر وفي ابن المعتز قال القائل لله درك من ملك بمضيعة واف من العلم والعلياء والحسب ما فيه لو ولا لولا تنقصه وإنما أدركته حرفة الأدب ." (٣)

---

(١) إعلام الناس بما وقع للبرامكة مع بني العباس، ص/١٦١

(٢) ٥٢٧

(٣) أعيان العصر وأعوان النصر – موافق – محقق، ٥٢٧/٤

"[١] تروح وتغدو للمنايا فجائع تكدره والموت خاتمة الأمر ونقلت من خطه له أيضا سحاب فكري لا يزال هاميا وليل همي لا أراه راجلا قد أتعبتني همتي وفطنتي فليتني كنت مهينا **جاهلا قلت** جاء في كلام أرسطو تعبت بعرفاني فليتني خلقت لا أعرف وأنشدني الشيخ شمس الدين محمد بن محمد بن نباتة المصري قال أنشدنا من لفظه لنفسه الشيخ تقي الدين بن دقيق العيد أتعب نفسك بين ذلة كادح طلب الحياة وبين حرص مؤمل وأضعت عمرك لا خلاعة ماجن حصلت فيه ولا وقار مبجل وتركت حظ النفس في الدنيا وفي ال أخرى ورحت عن الجميع بمعزل ولقد وقفت له على جواب طويل كتبه بخط يده في درج إلى الأمير سيف الدين منكوتمر نائب السلطان حسام الدين لاجين وكان عند أستاذه الجزء الذي لا يتجزأ وقد كتب فيه بعد البسملة ورد على العبد الفقير محمد بن علي مخاطبة الأمير الكبير سيف الدين ووقف عليها وعجب منها لأمرين ثم إنه ذكر كل فصل ويجيء به عنه إلى أن قال في آخر ذلك فكتب الأمير إلي كتابا يكتب إلى من ليس عنده من الدين شيء ولو كان الأمير عرف مني ارتكاب الكبائر الموبقات ما زاد على ما فعل وبالجملة فإن الله تعالى ." [٢]

""""""""" صفحة رقم ٨٩ """""""""

فتفاءلت له بالظفر ، ونزلت مسرعا ، فرفعت الرمح من الأرض ، ومسحته بكمي ، فرفعته إليه ، وقبلت يده ، وقلت :

فألقت عصاها واستقر بها النوى . . . كما قر عينا بالإياب المسافر

فأخذ المنصور الرمح من يدي وقال : **هلا قلت** ما هو خير من هذا وأصدق ؟ .

قال ، قلت : وما هو ؟ .

قال : قال الله عز وجل : ' وأوحينا إلى موسى أن ألق عصاك فإذا هي تلقف ما يأفكون ؛ فوقع الحق وبطل ما كانوا يعملون ، فغلبوا هنالك وانقلبوا صاغرين ' .

قال : فقلت : يا مولانا : أنت ابن رسول الله (صلى الله عليه وسلم) ، وإمام الأمة ، عليكم نزل القرآن ، ومن بيتكم درجت الحكم ، فقلت أنت بما عندك من نور النبوة ، وقال عبدك بما بلغه من علمه ومعرفته بكلام العرب وأهل الشعر .

وكان الأمر كما قال ، فما هو إلا أن أشرف على عسكر أبي يزيد حتى ضرب الله في وجوههم ، فقتلوا ،

---

(١) ٥٨٥

(٢) أعيان العصر وأعوان النصر – موافق – محقق، ٤/٥٨٥

وأحرق عسكرهم وخيامهم بالنار ، وولى أبو يزيد في بقية أصحابه خائبين إلى داخل المغرب .
ولما صارت الخلافة إلى المنصور في الشهر الذي توفى أبوه فيه ، لم يغير السكة ولا البنود ، وأقام على ذلك إلى سنة ست وثلاثين وثلاثمائة فأظهر موت أبيه بعد أن ظفر بأبي يزيد .
وكان سبب موته : أنه خرج إلى سفاقس وتونس ، ثم إلى قابس ، وبعث يدعو." (١)

"أنه صلى الله عليه وسلم هم أن يدعو عليهم فنزلت الآية المذكورة أي ﴿ ليس لك من الأمر شيء ﴾ فكف عن الدعاء عليهم أي وفيه أنها نزلت بعد قوله اللهم العن فلانا وفلانا إلى آخرما تقدم عن بعض الروايات إلا أن يقال أراد صلى الله عليه وسلم المداومة على الدعاء عليهم وعن أبي سعيد الساعدي قال ذهبنا إلى حنظلة رضي الله تعالى عنه فإذا رأسه يقطر ماء انتهى

وقتل عمرو بن الجموح رضي الله تعالى عنه وكان أعرج شديد العرج وكان له بنون أربعة مثل الاسد يشهدون مع رسول الله صلى الله عليه وسلم المشاهد فلما كان يوم أحد ارادوا حبسه وقالوا له قد عذرك الله فأتى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال إن بني يريدون أن يحبسوني عن الخروج معك فوالله إني أريد أن أطأ بعرجتي هذه الجنة فقال له رسول الله صلى الله عليه وسلم أما أنت فقد أعذرك الله فلا جهاد عليك وقال لبنيه ما عليكم أن لا تمنعوه لعل الله يرزقه الشهادة فأخذ سلاحه وخرج واقبل على القبلة وقال اللهم ارزقني الشهادة ولا تردني خائبا إلى أهلي فقتل فقال رسول الله صلى الله

"وقال لأصحابه الذين اجتمعوا إليه: لئن حدث بحديث ليكذبن، وإن قال برأي نفسه ليخطئن.
فقال قتادة: وَيلك، أوقعت هذه المسألة؟ قال: لا.
قال: فلم تسألني عما لم يقع؟ فقال أبو حنيفة: إنا نستعد للبلاء قبل نزوله، فإذا وقع عرفنا الدخول فيه والخروج منه.
قال قتادة: والله لا أحدثكم بشيء من الحلال والحرام، سلوني عن التفسير.
*فقام إليه أبو حنيفة، فقال له: يا أبا الخطاب: ما تقول في قول الله تعالى: (قَالَ الَّذِي عِنْدَهُ عِلْمٌ مِنَ الكِتَابِ أنا آتِيكَ به قَبْلَ أن يَرتَدَّ إلَيْكَ طَرْفُكَ)؟.

---

(١) اتعاظ الحنفا بأخبار الأئمة الفاطميين الخلفا، ٨٩/١

قال: نعم، هذا آصف بن برخيا بن شميعا، كاتب سليمان بن داود، وكان يعرف اسم الله الأعظم.

فقال أبو حنيفة: وهل كان يعرف الأسم سليمان؟ قال: لا.

قال: فيجوز أن يكون في زمان نبيٍّ من هو أعلم من النبي؟ قال: فقال قتادة: والله لا أحدثكم بشيء من التفسير، سلوني عما اختلف فيه العلماء.

*قال: فقام إليه أبو حنيفة، فقال: يا أبا الخطاب، أمؤمن أنت؟ قال: أرجو.

قال: ولم؟ قال: لقول إبراهيم عليه الصلاة والسلام: (وَالَّذِي أطمَعُ أنْ يَغْفِرَ لِي خَطِيئتِي يَوْمَ الدِّينِ).

فقال أبو حنيفة: فهلا قلت كما قال إبراهيم، عليه الصلاة والسلام: (قَالَ أوَلَمْ تُؤمِنْ قَالَ بَلَى).

قال: فقام قتادة مُغضباً، ودخل الدار، وحلف أن لا يحدثهم.

وروى الخطيب أيضاً، عن الفضل بن غانم، قال: كان أبو يوسف مريضاً شديد المرض، فَعاده أبو حنيفة مراراً، فصار إليه آخر مرة، فرآه ثقيلاً، فاسترجع، ثم قال: لقد كنت أؤملك بعدي للمسلمين، ولئن أصيب الناس بك ليموتن علمٌ كثير.

ثم رزق العافية، وخرج من العلة، فأخبر أبو يوسف بقول أبي حنيفة فيه، فارتفعت نفسه، وانصرفت وجوه الناس إليه، فعقد لنفسه مجلساً في الفقه، وفصر عن لزوم مجلس أبي حنيفة، فسأل عنه، فأخبر أنه عقد لنفسه مجلساً، وأنه بلغه كلامك فيه.

*فدعا رجلا كان له عنده قدر، فقال: صِر إليه بعد أيام في طلب الثوب، فقال له القصار: ما لك عندي شيء. أنكره، ثم إن رب الثوب رجع إليه، فدفع إليه الثوب مقصوراً، أله أجره؟. فإن قال: له أجره، فقل: أخطأت. وإن قال: لا أجر له. فقل: أخطأت.

فصار إليه، فسأله، فقال أبو يوسف: له الأجرة.

فقال: أخطأت.

فنظر ساعة، ثم قال: لا أجرة له.

فقال: أخطأت.

فقام أبو يوسف من ساعته، فأتى أبا حنيفة، فقال له، ما جاء بك إلا مسألة القصار.

قال: أجل.

فقال: سبحان الله، من قعد يُفتي الناس، وعقد مجلساً يتكلم في دين الله، وهذا قدره، لا يُحسن أن يجيب في مسألة من الإجارات! فقال: يا ابا حنيفة، علمني.

فقال: إن قصره بعدما غصبه فلا أجرة له، لأنه قصر لنفسه، وإن كان قصره قبل أن يغصبه، فله الأجرة، لأنه قصره لصاحبه.

ثم قال: من ظن أن يستغني عن التعلم فليبك على نفسه.

وحدث الحسن بن زياد اللؤلؤي، قال: كانت هنا امرأة يقال لها أم عمران مجنونة، وكانت جالسة في الكناسة، فمر بها رجل فكلمها بشيء، فقالت له: يا ابن الزانيتين. وابم أبي ليلى حاضر، فسمع ذلك، فقال للرجل: أدخلها على المسجد. وأقام عليها حدين، حداً لأبيه وحداً لأمه.

فبلغ ذلك أبا حنيفة، فقال: أخطأ فيها في ستة مواضع؛ أقام الحد في المسجد، ولا تقام الحدود في المساجد، وضربها قائمة، والنساء يُضربن قعوداً، وضرب لأبيه حداً، ولأمه حداً، ولو أن رجلاً قذف جماعة كان عليه حدٌ واحد، وجمع الحدين، ولا يجمع بين حدين، حتى يخف أحدهما، والمجنونة ليس عليها حد، وحد لأبويه، وهما غائبان، لم يحضرا فيدعيان.

فبلغ ذلك ابن أبي ليلى، فدخل على الأمير، فشكا إليه أبا حنيفة، فحجر عليه، وقال: لا يُفتى.

فلم يُفت أياماً، حتى قدم رسول من ولي العهد، فأمر أ يعرض على أبي حنيفة مسائل حتى يُفتى فيها، فأبى أبو حنيفة، وقال: أنا محجورٌ عليَّ.

فذهب الرسول إلى الأمير، فقال ،الأمير: قد أذنت له. فقعد فأفتى.

فصل

في ذكر ما نقل في حق الإمام، رضي الله تعالى عنه كان من كبار الحُفاظ للحديث الشريف، وكان مقبول القول في الجرح والتعديل، وفي ذكر طائفة ممن روى عن الإمام، وروى الإمام عنه، وأنه كان من كبار الثقات، وثقات الكبار، رضي الله تعالى عنه." (١)

"من أصحاب محمد وزفر، له مسائل؛ منها مسألة الصَّدقة على السائل في المسجد، قال: لا أقبل شهادةَ من تصدق عليه.

قلت: وعندي شُبهة في كون الترجمتين لشخص واحد، وإن ظفرت بما يزيلها ألحقته.

قال سلمة: لو جُمِعَ علم خلفٍ لكان في زاوية من علم على الرازي، إلا أن خلف بن أيوب أظهر علمه بصلاحه.

يُروى أن خلفاً فرق بين مسألتين، فلم يقنع السائل به فقال: الفرقُ بحبة لا بالجُوالق.

---

(١) الطبقات السنية في تراجم الحنفية، ص/٣٠

وقيل لخلف بن أيوب: إنك مولع بالحسن بن زياد، وإنه يُخفف الصلاة. قال: لأنه حذقها – يعني أتم ركوعها وسجودها – وفي الخبر: كان رسول الله صلى الله عليه وسلم أخفهم صلاة في تمام.

وتفقه خلف على أبي يوسف ايضاً، وأخذ الزهد عن إبراهيم بن أدهم، وصحبه مدة وروى عن أسد بن عمرو البجلي، وسمع الحديث من إسرائيل بن يونس، وجرير بن عبد الحميد.

وروى عنه أحمد، ويحيى، وايوب بن الحسن الفقيه الزاهد الحنفي.

قال الحاكم: قدم نيسابور في سنة ثلاث ومائتين، فكتب عنه مشايخنا.

وذكره ابن حبان في " الثقات " ، وذكره المزي في " الكمال " ، وقال: روى له أبو عيسى الترمذي حديثاً عن أبي كُريب محمد بن العلاء، ولا أدري كيف هو.

قال في " الجواهر " : ومتن الحديث: " خصلتان لا تجتمعان في مُنافق؛ حسن سمتٍ، وفقه في الدين " .

قال في " القُنية " : ورد خلفُ بن أيوب شاهداً لاشتغاله بالنسخ حالة الأذان.

وذكر خلف بن أيوب هذا الحافظ الذهبي، في " تاريخ الإسلام " ، وعظمه، وأثنى عليه.

ونقل عن الحاكم، في " تاريخه " ، أنه قال: سمعتُ محمد بن عبد العزيز المُذكر، سمعت محمد بن علي البيكندي الزاهد، يقول: سمعت مشايخنا يذكرون أن السبب لثبات مُلك آل سامان، أن أسد بن نوح جد الأمير إسماعيل، خرج إلى المعتصم، وكان شُجاعاً عالماً، فتعجبوا من حُسنه ومن عقله، فقال له المعتصم: هل في أهل بيتك أشجع منك؟ قال: لا. قال: فهل في أهل بيتك أعقل و أعلم منك؟ قال: لا. فما أعجب الخليفة ذلك.

ثم بعد ذلك سأله كذلك، فأعاد قوله، وقال: **هلا قلت** لي: ولم ذلك؟ قال: ويحك ولم ذلك؟ قال: لأنه ليس في أهل بيتي من وطئ بساط أمير المؤمنين وشاهد طلعته غيري. فاستحسن ذلك منه، وولاهُ بلخ، فكان يتولى الخُطبة بنفسه.

ثم سأل عن علماء بلخ. فذكروا له خلف بن أيوب، ووصفوا له علمه وزهده، فتحين مجيه للجمعة، وركب إلى ناحيته، فلما ترجل وقصده، فقعد خلفٌ وغطى وجهه، فقال: السلام عليكم. فأجاب ولم يرفع رأسه، فرفع الأمير أسد رأسه إلى السماء، وقال: اللهم إن كان هذا العبد الصالح يُبغضنا فيك فنحن نُحبه فيك.

ثم ركب ومر فأخبر بعد ذلك أن خلف بن أيوب مرض فعاده، فقال: هل لك من حاجة؟ قال: نعم حاجتي أن لا تعود إلى، وإن مت فلا تصل علي وعليك السواد.

فلما توفي شهد أسد جنازته راجلاً، ثم نزع السواد وصلى عليه، فسمع صوتاً بالليل: بِتواضعك وإجلالك لخلف ثبتت الدولة في عقبك.

مات خلفٌ سنة خمس ومائتين، ويقال: سنة خمس عشرة ومائتين. وهو الأصح، وقيل: سنة عشرين ومائتين. والله تعالى أعلم.

ورأيت بخط بعضهم على هامش نسخة من " الجواهر المُضية " معزواً إلى شرح الشيخ قوام الدين الإتقاني، ما صورته: ومن زهده - يعني خلف بن أيوب - أنه مرض فأهدى إليه شداد رُمانة، فوضعها عند رأسه، فقال له: من أين هذه الرمانة؟ قال: من شجرة في داري. فقال: من أي ماء سقيتها؟ فقال: من بئر في سكتي. فقال: أليس دارك في سكة كذا؟ قال: نعم. فقال: إنه لا يطيب لي، ليس لك من ذلك النهر إلا الشقة، وليس لك أن تسقي الشجرة. فردها عليه. انتهى والله تعالى أعلم.

٨٣٦ - خلفُ بن أيوب الضرير، الفقيه

درس بمشهد الإمام أبي حنيفة، رضي الله تعالى عنه.

تفقه عليه السيد بن علي أبو جعفر، المعروف بابن الزيتوني.

ذكره الدبثي، في ضمن ترجمته. قاله في " الجواهر " .

٨٣٧ - خلفُ بن أبي الفتح بن خلف بن أحمد بن عبد الله

أبو القاسم المُقري

سبط خلف الفقيه الشلحي.

كان يقرأ القرآن بتلاوة حسنة، وكان يحفظ أشعاراً كثيرة، وكان يتبع مظفراً التوني المُغني ويُغني معه.

قال ابن النجار: علقت عنه شيئاً كثيراً، وكان حسن الأخلاق، كيساً.

قال ابن النجار: أنشدنا أبو القاسم خلف القوال، من لفظه وحفظه، أنشدني أستاذي مظفر بن الأعز التوني، لعبد المحسن الصوري:." (١)

"ولما عزم عبد الملك على الخروج إلى محاربة مصعب بن الزبير ناشدته زوجته عاتكة بنت يزيد بن معاوية أن لا يخرج بنفسه،وأن يستنيب غيره في حربه،ولم تزل تلح عليه في المسألة وهو يمتنع من الإجابة،فلما يئست أخذت في البكاء حتى بكى من كان حولها من جواريها وحشمها،فقال عبد الملك:قاتل الله ابن أبي جمعة،يعني كثيرا كأنه رأى موقفنا هذا حين قال:

---

(١) الطبقات السنية في تراجم الحنفية، ص/٢٧١

إذا ما أراد الغزو لم تثن عزمه ... حسان عليها نظم در بزينها

نهته فلما لم ترالنهي عاقه ... بكت فبكى من ماشجاها قطينها

القطين:الخدم والاتباع.ثم عزم عليها أن تقصر فاقتصرت،وخرج لقصده.قلت هكذا هو في الأصل المنقول عنه حصان بالصاد وحاء مكسورة،وما أراه صحيحا بل إن كان بالصاد فهو بفتح الحاء،ويحسن أن يكون بالسين والحاء المكسورة جمع حسن،ويقال إن عزة دخلت على أم البنين ابنة عبد العزيز وهي أخت عمر بن عبد العزيز تزوجها الوليد بن عبد الملك الأموي فقالت لها:ارأيت قول كثير:

قضى كل ذي ديني فوفى غريمه ... وعزة ممطول معنى غريمها

ما كان ذلك الدين؟فقلت:وعدته قبله فتحزجت منها،فقالت أم البنين:انجزيها وعلي إثمها.قلت وذكر بعض العلماء في بعض التصانيف:ان أم البنين المذكورة أعتقت كذا وكذا من رقبة عن هذه الكلمة التي صدرت منها،وقولها فتحرجت منها بالحاء بعد الفاء من الحرج وله معان منها الضيق ومنها الاثم يقال فلان يتحرج من كذا أي تركه خوف الاثم.وكان لكثير غلام عطار بالمدينة وربما باع نساء العرب بالنسأة،فأعطى عزة وهو لا يعرفها شيئا من العطر،فمطلته أياما وحضرت إلى حانوته في نسوة،فطالبها فقالت له:حبا وكرامة ما أقرب الوفاء وأسرعه فأنشد متمثلا.

قضى كل في دين فوفى غريمه ... وعزة ممطول معنى غريمها

فقالت النسوة تدري من غريمك؟فقال:لا والله،فقلن:هي والله عزة،فقال:اشهد الله إنها في حلى من مالي في قبلها،ثم مضى إلى سيده فأخبره بذلك،فقال:وأنا أشهد الله أنك حر لوجهه،ووهبه جميع ما في حانوت العطر،وكان ذلك من عجائب الاتفاق وغرائب المحبين العشاق.ولكثير في مطالها بالوعد شعر كثير،فمن ذلك قوله:

أقول لها عزيز مطلت ديني ... وشر الغانيات ذوو المطال

قالت:ويح غيرك كيف أقضي؟ ... غريما ما ذهبت له بمال

وذكر صاحب كتاب الأغاني أن كثيرا خرج من عند عبد الملك بن مروان وعليه مطرف،فاعترضته عجوز في الطريق اقتبست نارا في روثة،فتافق كثير من وجهها،فقالت:من أنت؟قال:كثير عزة.فقالت:الست القائل؟:

فما روضة زهراء طيبة الثرى ... تمج الندا جثجاثها وعرارها

باطيب من أراد أن عزة موهنا ... إذا أوقدت بالمندل الرطب نارها

فقال كثير نعم.فقالت:لو وضع المندل الرطب على هذه الروثة لطيب ريحها **هلا قلت** كما قال امرؤ القيس؟.

ألم تراني كلما جئت زائرا ... وجدت بها طيبا وإن لم تطيب

فناولها المطرف،وقال أشتري على هذا قالت،وقوله نعم بعد قولها:السن القائل؟فما روضة البيتين صوابه أن يقول بلى،كقوله عز وجل: " ألست بربكم قالوا بلى " - الأعراف:١٧٢ - ولو قالوا نعم لكان كفرا،لأنه تقرير للنفي والحثحاث بالحاء المهملة والراء والثاء المثلثة مكررتين:نبت طيب الرائحه والعرار بالعين المهملة والراء المكررة:بهار البر،وهو طيب أيضا وإليه أشار الشاعر في قوله:

تمتع من شميم عرارنجد ... فما بعد العشية من عرار

وكان كثير ينسب إلى الحمق،ويروى أنه دخل يوما على يزيد بن عبد الملك،فقال يا أمير المؤمتين ما يعني الشماخ بقوله:

إذ الأرطا توسدا برديه ... خدود جواري بالرمل عين

فاقال يزيد:ما يضرني أن لا أعرف ما عنى هذا الأعرابي الجلف واستحمقه وأمربإخراجه ودخل كثير على عبد العزيز بن مروان والد عمر يعود في مرضه،وأهله يتمنون أن يضحك،وهو يومئذ أمير مصر،فلما وقف عليه قال:لولا أن سرورك لا يتم بأن تسلم واسقم لدعوت ربي أن يصرف ما بك إلي،ولكني أسأل الله عز وجل لك العافية،ولي في كنفك النعمة،فضحك عبد العزيز،وأنشد كثير:

ونعود سيدنا وسيد غيرنا ... ليت التشكي كان بالعواد

لوكان يقبل فديتي لفديته ... بالمصطفى من طارقي وتلادي." (١)

" اثني عشر ألفا فلما صليت الغداة قلت اللهم اغفر لعمر قال وكان يأخذ منهم ويعطيهم أفضل من ذلك حتى إذا كان بعد ذلك قال ألا تعمل يا أبا هريرة قلت لا قال ولم وقد عمل من هو خير منك يوسف قال اجعلني على خزائن الأرض إني حفيظ عليم قلت يوسف نبي ابن نبي وأنا أبو هريرة ابن أميمة وأخاف منكم ثلاثا واثنتين فقال هلا قلت خمسا قلت أخشى أن تضربوا ظهري وتشتموا عرضي وتأخذوا مالي وأكره أن أقول بغير علم وأحكم بغير حلم

ومات المنذر بن ساوي بعد وفاة النبي صلى الله عليه و سلم بقليل وارتد من بالبحرين من ولد قيس بن ثعلبة بن عكابة مع الحطم وهو شريح بن ضبيعة بن عمرو بن مرثد أحد بني قيس بن ثعلبة وارتد كل من بالبحرين من ربيعة خلا الجارود بن بشر العبدي ومن تابعه من قومه وأمروا عليهم ابنا للنعمان بن المنذر يقال له المنذر فسار الحطم حتى لحق بربيعة فانضمت إليه ربيعة فخرج العلاء عليهم بمن انضم إليه من

---

(١) مرآة الجنان وعبرة اليقظان في معرفة حوادث الزمان، ١٠٣/١

العرب والعجم فقاتلهم قتالا شديدا ثم إن المسلمين لجؤوا إلى حصن جواثا فحاصرهم فيه عدوهم ففي ذلك يقول عبد الله ابن حذف الكلابي ألا أبلغ أبا بكر ألوكا وفتيان المدينة أجمعينا فهل لك في شباب منك أمسوا أسارى في جواث محاصرينا ثم إن العلاء عني بالحطم ومن معه وصابره وهما متناصفان فسمع في ليلة في عسكر الحطم ضوضاء فأرسل إليه من يأتيه بالخبر فرجع الرسول فأخبره أن القوم قد شربوا وثملوا فخرج بالمسلمين فبيت ربيعة فقاتلوا قتالا شديدا فقتل الحطم

قالوا وكان المنذر بن النعمان يسمى الغرور فلما ظهر المسلمون قال لست بالغرور ولكني المغرور ولحق هو وفل ربيعة بالخط فأتاها العلاء وفتحها وقتل المنذر معه وقيل بل قتل المنذر يوم جواثا وقيل بل استأمن ثم هرب فلحق فقتل وكان العلاء كتب إلى أبي بكر يستمده فكتب أبو بكر إلى خالد بن الوليد وهو باليمامة يأمره بالنهوض إليه فقدم عليه وقد قتل الحطم ثم أتاه كتاب أبي بكر بالشخوص إلى العراق فشخص من البحرين وذلك في سنة ٢١ فقالوا وتحصن المكعبر الفارسي صاحب كسرى الذي وجهه لقتل بني تميم حين عرضوا لعيره بالزارة وانضم إليه مجوس كانوا تجمعوا بالقطيف وامتنعوا من إداء الجزية فأقام العلاء على الزارة فلم يفتحها في خلافة أبي بكر وفتحها في خلافة عمر وقتل المكعبر وإنما سمي المكعبر لأنه كان يكعبر الأيدي فلما قتل قيل ما زال يكعبر حتى كعبر فسمي المكعبر بفتح الباء وكان الذي قتله البراء بن مالك الأنصاري أخو أنس بن مالك

وفتح العلاء السابور ودارين في خلافة عمر عنوة

بحطيط بالفتح ثم السكون وكسر الطاء قرية في حوف مصر بها قبة يقال إن فيها ذبحت بقرة بني إسرائيل التي أمروا بذبحها

بحير بلفظ تصغير بحر قال أبو الأشعث الكندي في أسماء جبال تهامة البحير عين غزيرة في يليل وادي ينبع تخرج من جوف رمل من أغزر ما يكون من العيون وأشدها جريا تجري في رمل ولا يمكن الزارعين عليها أن يزرعوا إلا في مواضع يسيرة بين أحناء الرمل فيها نخيل يزرع عليها البقول والبطيخ قال ومنها شرب أهل الجار

والجار مدينة على ساحل بحر القلزم قال كثير ." (١)

" قال : فقلت له إنك والله ما صنعت شيئا وهل زدت على أن جعلته عجوزا في محرابها في يدها سبحتها فمن القائم بأمر الدنيا إذا تشاغل عنها وهو المطوق بها هلا قلت فيه كما قال عمك جرير في

---

(١) معجم البلدان، ١/٣٤٩

عبد العزيز بن الوليد : - (فلا هو في الدنيا مضيع نصيبه ** ولا عرض الدنيا عن الدين شاغلة) قال : وحدثني أحمد بن محمد اليزيدي . قال : جاءنا أبي فقال يا بني : لقينى ياسر رجله فقال : أجب أمير المؤمنين فدخلت على المأمون وعنده جماعة من أصحابه فقال : إني أمرت من يحضرني ينشدني ما يخطر بقلبه مما يستحسنه فكل أنشد فأنشدني ما يخطر بقلبك مما تستحسنه فأنشدته : - (عتقت حتى لو اتصلت ** بلسان ناطق وفم) (لاحتبت في القوم مائلة ** ثم قصت قصة الأمم) فقال المأمون الذي أردت : - (وتمشت في مفاصلهم **كتمشى البرء في السقم) ثم نكث الأرض بإصبعه فأنصرف من بحضرته وخرجت معهم فلحقني ياسر فقال : ارجع . فرجعت : فقال : يا أبا محمد : اشتهيت اتعرف الأفياء فلم يزل يذهب من فئ إلى فئ حتى أفضى إلى الرواق فرفع السجف فإذا عريب ومحمد بن حامد البوزنجردي فقال : نطعم أبا محمد شيئا . فقلت : قد أكلت يا أمير المؤمنين . فشرب المأمون رطلين وقال : أسق أبا محمد . فلما هممت بشربه قال : هات له عشرين ألف درهم قال : وأنشدك بيتين خير لك من عشرين ألف . فقلت : مازال أمير المؤمنين يؤدب ويفيد فأنشدني : - (إني وأنت رضيعا قهوة لطفت ** عن العيان ورقت في مدى الوهم) (لم نغتذى غير كأس خزت درتها ** والكأس حرمتها أولى من الرحم)

." (١)

"__________٣٦__________

فيها فقال أبو حنيفة إن قال فيها برأيه ليخطئن وإن قال فيها حدثنا ليكذبن قال قتادة أوقعت هذه المسألة قالوا لا قال فلم تسألوني عما لم يكن فقال له أبو حنيفة إن العلماء يستعدون للبلاء ويتحرزون منه قبل نزوله فإذا نزل عرفوه وعرفوا الدخول فيه والخروج منه فقال قتادة دعوا هذا وسلوني عن التفسير فقال أبو حنيفة ما نقول في قول الله [قال الذي عنده علم من الكتاب أنا آتيك به قبل أن يرتد إليك طرفك] قال نعم كان هذا آصف بن برخيا كاتب سليمان وكان يعرف اسم الله الأعظم قال فهل كان سليمان عليه السلام يعرف هذا الاسم قال لا قال أفيجوز ان يكون في زمن بني من هو أعلم من النبي قال لا والله لا أحدثكم بشيء من التفسير سلوني عما اختلف فيه العلماء فقال أبو حنيفة أمؤمن أنت قال أرجو قال ولم قال لقوله تعالى

---

(١) كتاب بغداد، ص/١٦٩

[والذي أطمع أن يغفر لي خطيئتي يوم الدين] قال أبو حنيفة فهلا قلت كما قال إبراهيم عليه السلام لما قال له [أو لم تؤمن قال بلى ولكن ليطمئن قلبي] قال فقام قتادة فدخل الدار مغضبا وحلف ان لا يحدثهم قال ابو حنيفة ثم قدم الكوفة بعد سنين وكان ضريرا فناديته يا أبا الخطاب ما تقول في قوله [وليشهد عذابهما طائفة من المؤمنين] قال رجل فما فوقه يا أبا حنيفة وعرفني بالنغمة وكان يسمع الناس يكنوني

أخبرنا أبو القاسم عبد الله بن محمد الشاهد قال ثنا مكرم قال ثنا أحمد بن عطية قال ثنا الترجماني قال ثنا حسان بن إبراهيم عن إبراهيم الصائغ قال كنت عند عطاء بن ابي رباح وعنده أبو حنيفة فسئل عن قول الله [وآتيناه أهله ومثلهم معهم] فقال عطاء رد الله على أيوب عليه السلام أهله ومثل أهله وولده فقال

___________________٣٧___________________." (١)

"فقال له عثمان: تالله تفتأ تذكر الأسد ما حييت، إني لأحسبك جبانا هيدانا. فقال كلا يا أمير المؤمنين ولكني شهدت مشهدا ورأيت مرأى لا يزال ذكره بقلبي: فقال له عثمان: وأنى كان ذلك؟ قال: خرجت في صيابة أشراف من أفناء قبائل العرب ذوي هيئة وشارة حسنة ترتمي بنا المهارى بأكساء. القروانات وعبداننا على فتو الخيل والبغال ونحن نريد الحارث بن الشمر الغساني ملك الشام فاخروط بنا السير في حمارة القيظ فأصابنا عطش شديد حتى إذا عصبت الأفواه وذبلت الشفاه وشالت المياه وأذكت الجوزاء المعزاء وذاب الصيد وصرض الجندب، وضاف العصفور الضب في وجاره، قال قائل: أيها الركب غوروا بنا في ضوج الوادي لنقيل، وإذا واد قد بدا لنا كثير الدغل دائم الغلل شجراؤه مغنة وأطياره مرنة فحططنا رحالنا بأصول دوحات كنهبلات ونبعات متهدلات فأصبنا من فضلات المزاود وأتبعناها بالماء البارد وإنا لنصف حر يومنا ومماطلته إذ صر أقصى الخيل أذنيه، وفحص الأرض بيديه، فوالله ما لبث أن جال وحمحم وبال، ثم فعل فعله الفرس الذي يليه واحدا واحدا فتضعضعت الخيل وتكعكعت الإبل وتقهقرت البغال فمن نافر بشكاله وناهض بعقاله فعلمنا أن قد أتينا، وأنه السبع لا محالة فينا، ففزع كل امرىء منا إلى سيفه فاستله من جربانه ووقفنا زعفا أرسالا رزدقا وأقبل أبو الحارث من أجمته يتظالع في مشيته كأنه مجنوب أو في هجار معصوب، لصدره نحيط ولبلاعمه غطيط، ولطرفه وميض، ولأرساغه نقيض، كأنما يخبط هشيما، أو يطأ صريما، وإذا هامة كالمجن، وخد كالمسن، وعينان سجراوان، كأنهما سراجان، يقدان، وقصرة ربلة، ولهزمة رهلة، وكتد مغبط، وزور مغرط، وعضد مفتول، وساعد مجدول، وكف شثنة البراثن، إلى مخالب كالمحاجن، فضرب بيده فأرهج، وكشر فأفرج، عن أنياب كالمعاول، مصقولة، غير مغلولة، وفم أشدق

(١) أخبار أبي حنيفة للصيمري، ص/٢٣

كالغار الأخرق، ثم تمطى فأشربيديه، ثم حفز وركه برجليه، حتى صار طوله مثليه، ثم أقعى فاقشعر، ثم مثل فاكفهر، ثم تجهم فازبأر. فلا وذو بيته في السماء ما اتقيناه إلا بأول أخ لنا من فزارة، ضخم الجزارة، فوقصه ثم أقعصه ثم نفضه نفضة فقصقص متنه، وبقر بطنه، وجعل يلغ في ذمه فذمرت أصحابي فبعد لأي ما استقدموا فهجهجنا به فكر مقشعرا بزبرة كأن بها شيهما حوليا، فاختلج من دوننا رجلا أعجز ذا حوايا، فنفضه نفضة تزايلت لها مفاصله. ثم نهم فقرقر، ثم زفر فبربر، ثز زأر فجرجر، ثم لحظ فزمجر، فوالله لخلت البرق يتطاير من تحت جفونه، عن شماله ويمينه، فأرعشت الأيدي واصطكت الأرجل، وأطت الأضلاع، وارتجت الأسماع، ولحقت المتون بالبطون، وشخصت العيون، وساءت الظنون، واحزألت المتون ثم تبهنس وحلق ثم حدق وحملق فإذا له عينان سجراوان مثل وهج الشرر كأنما نقر بالمناقير عن عرض حجر لونه ورد، وزئيره رعد، وجبهته عظيمة، وهامته شتيمة إن استقبلته قلت أدرع وإن استدبرته قلت أقدع وإذا الليل اعرنكس، تبغى وتحس، هوله شديد، وشره عنيد، وخيره بعيد، من قاسم ظلم ومن بارز حطم ومن مال غشم. من الطويل

عبوس شموخ مطرخم مكابر ... جريء على الأعداء للقرن قاهر

براثنه شثن وعيناه في الدجى ... كجمر غضا في وجهه الشر طائر

بدل بأنياب حداد كأنها ... إذا قلص الأشداق عنها حناجر

فحبق أحد الحاضرين فقال له عثمان: مه رض الله فاك فلقد رعبت المسلمين، هلا قلت كما قال بشر بن أبي عوانة الأسدي: من الوافر

أفاطم لو شهدت ببطن خبث ... وقد لاقى الهزبر أخاك بشرا

الأبيات

أبو حفص التجيبي

حرملة بن عمران بن قراد، أبو حفص التجيبي المصري، جد الفقيه حرملة بن يحيى. روى عن أبي عشانة وأبي قبيل المعافريين وأبي يونس سليم بن جبير وجماعة. وروى عنه جرير بن حازم وهو من أقرانه وابن المبارك وابن وهب وأبو عبد الرحمن المقرىء وعبد الله بن صالح ووثقه ابن معين. وتوفي سنة ستين ومئة. وروى له مسلم وأبو داود والنسائي وابن ماجة.

ابن هوذة العامري

حرملة بن هوذة العامري. قدم هو وأخوه خالد بن هوذة على النبي صلى الله عليه وسلم فسر بهما. وهما

معدودان في المؤلفة قلوبهم.

العنبري." (١)

"يبصر شيئا فقال: إن أعادهما الله تعالى علي قمت بحقه فيهما، فلما برىء رأى أن شكر هذه النعمة الإحسان إلى العميان، فأمر أن لا يترك أعمى في بلاد الإسلام يسأل بل يرتب له ما يكفيه.

ولما حضرته الوفاة قال: ما أبالي بفراق الحياة بعدما فتحت السند والأندلس، وبنيت جامع دمشق. ويكفيه بنيانه جامع دمشق ومسجد رسول الله صلى الله عليه وسلم، ورزق الفقراء والعميان، فإن له في ذلك شرفا خالدا وذكرا باقيا.

وكان مطلاقا لا يصبر على المرأة إلا القليل ويطلقها، فقيل له في ذلك، فقال: إنما النساء رياحين فإذا ذبلت باقة استأنفت أخرى. وحديثه مع وضاح اليمين ومع زوجته أم البنين مذكورة في ترجمة وضاح اليمن، واسمه عبد الرحمن.

ولما مات أبوه عبد الملك، تمثل هشام بقول الشاعر (١) :

فما كان قيس هلكه هلك واحد ... ولكنه بنيان قوم تهدما فقال له الوليد: اسكت، فإنك تتكلم بلسان الشيطان؛ **هلا قلت** كما قال أوس ابن حجر (٢) :

إذا مقرم منا ذرا حد نابه ... تخمط فينا ناب آخر مقرم وعيره خالد بن يزيد باللحن فقال: أنا ألحن في القول وأنت تلحن في الفعل.

---

(١) هو عبدة بن الطبيب يرثي قيس بن عاصم، انظر الحماسية رقم: ٢٦٣ في شرح المرزوقي.

(٢) ديوانه: ١٢٢.." (٢)

"يكن طول التأوه منك عندي ... بمنزلة الطنين من البعوض

ومن شعر حماد عجرد:

إني أجحبك فاعلمي ... إن لم تكوني تعلمينا

---

(١) الوافي بالوفيات، ٩٩/٤

(٢) فوات الوفيات، ٢٥٥/٤

حبا أقل قليله ... كجميع حب العالمينا

وقال:

فأقسمت لو أصبحت في قبضة الهوى ... لأقصرت عن لومي وأطنبت في عذري

ولكن بلائي منك أنك ناصح ... وأنك لا تدري بأنك لا تدري

وقال في أبي العباس الطوسي:

أرجوك بعد أبي العباس إذ بانا ... يا أكرم الناس أعزاقا وعيدانا

فأنت أكرم من يمشي على قدم ... وأنضر الناس عند المحل أغصانا

لو مج عود على قوم عصارته ... لمج عودك فينا المسك والبانا

وكان بين حماد وبشار بن برد ومطيع بن إياس أهاج كثيرة أعرضنا عن ذكرها لما فيها من السخف والمجون وتوفي حماد عجرد بالبصرة سنة إحدى وستين ومائة في أصح الروايات.

حماد بن سلمة بن دينار

الإمام أبو سلمة البصري، شيخ أهل البصرة في الحديث والعربية والفقه، أخذ عنه يونس بن حبيب النحوي، وسئل أيما أسن أنت أم حماد؟ فقال: حماد أسن مني، ومنه تعلمت العربية. وكان سيبويه يستملي على حماد فقال حماد: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: (ما من أحد من أصحابي إلا من لو شئت لأخذت عنه علما ليس أبا الدرداء). فقال سيبويه: ليس أبو الدرداء. فقال له حماد: لحنت يا سيبويه، ليس أبا الدرداء. فقال: لا جرم لأطلبن علما لا تلحنني فيه أبدا، فطلب النحو ولزم الخليل بن أحمد، وكان أبو عمرو الجرمي يقول: ما رأيت فقيها قط أفصح من عبد الوارث إلا حماد بن سلمة. وكان حماد يقول: من لحن في حديثي فقد كذب علي. وكان يمر بالحسن البصري في الجامع فيدعه ويذهب إلى أصحاب العربية يتعلم منهم. وكان مع تقدمه في العربية إماما في الحديث ثقة، ثبتا حتى قالوا: إذا رأيت الرجل يقع في حماد فاتهمه على الإسلام.

روى حماد عن ثابت وأبي عمران الجوني وعبد الله بن كثير وابن مليك وخلق. وروى عنه مالك وسفيان وشعبة وابن مهدي وعفان وأمم. وقال عمرو بن سلمة: كتبت عند حماد بن سلمة بضعة عشر ألف حديث. وقال ابن المديني: كان عند يحيى بن الضرير عن حماد عشرة آلاف حديث. وقال يحيى بن معين: هو أعلم الناس بثابت. وقال أحمد بن حنبل: حماد أعلم الناس بحديث خاله حميد الطويل وأثبتهم فيه. وقال أحمد ويحيى: هو ثقة الناس. وقال رجل لعفان: أحدثك عن حماد؟ قال: من حماد ويلك؟ قال: ابن

سلمة، قال: هلا هلا قلت أمير المؤمنين. وقال ابن عدي: حماد إمام جليل، وهو مفتي أهل البصرة مع سعيد بن أبي عروبة.

وقال إسحاق بن الطباع: قال لي سفيان بن عيينة: العلماء ثلاثة: عالم بالله وبالعلم، وعالم بالله ليس بعالم بالعلم، وعالم بالعلم ليس بعالم بالله. قال ابن الطباع: الأول كحماد بن سلمة، والثاني مثل أبي الحجاج والثلث كأبي يوسف.

وقال ابن المديني: من سمعتموه يتكلم في حماد فاتهموه. واحتج مسلم بحماد بن سلمة في أحاديث عدة في الأصول من حديثه عن ثابت، وأخرج له الأربعة إلا البخاري، فنكت ابن حيان على البخاري، ولم يسمه، حيث احتج بابن دينار وابن عياش وابن أخي الزهري وترك حمادا فقال: لم ينصف من جانب حديث حماد، واحتج بأبي بكر بن عياش وعبد الرحمن بن دينار وابن أخي الزهري. وقالحماد بن زيد: ما كنا نرى أحدا يتعلم بنية غير حماد، وما نرى اليوم من يعلم بنية غيره. وقال وهيب: كان حماد بن سلمة سيدنا وأعلمنا، وكان إماما في العربية فصيحا مفوها، مقرئا فقيها، شديدا على المبتدعة، وله تآليف، ولم يكن له كتاب غير كتاب قيس بن سعد، يعني كان يحفظ علمه. مات حماد في ذي الحجة سنة سبع وستين ومائة، وقيل سنة تسع وستين في خلافة المهدي، ورثاه اليزيدي بأبيات أولها:

يا طالب النحو ألا فابكه ... بعد أبي عمرو وحماد

يعني حماد بن سلمة وأبا عمرو بن العلاء.

حماد بن ميسرة بن المبارك." (١)

"قرأت بخط الشيخ أبي منصور بن الجواليقي قال لنا أبو زكرياء: رأيت بخط ابن جنى: أنبأنا أبو إسحاق إبراهيم بن أحمد القرميسيني عن أبي بكر محمد بن هارون اروياني عن أبي حاتم سهل بن محمد السجستاني قال: قرأ على أعراب (طيبي لهم وحسن مآب)، فقلت: طوبى، فقال: طيبى، فقلت ثانيا: طوبى، فقال: طيبى، فلما طال علي قلت: طوطو، فقال الأعرابي: طى طى أما ترى إلى هذه النحيزة ما أبقاها وأشد محافظة هذا البدوي عليها، حتى إنه استسكره علي تركها فأبى إلا إخلادا إليها. ونحو ذلك قال عمرو الكلبي: وقد أنشد بعض أهل الأدب:

بانت نعيمة والدنيا مفرقة ... وحال من دونها غيران مزعوج

فقيل له: لا يقال مزعوج، إنما يقال مزعج فجفا ذلك عليه، وقال يهجو النحويين:

---

(١) معجم الأدباء، ١/٤٤٤

ماذا لقينا من المستعربين ومن ... قياس نحوهم هذا الذي ابتدعوا

إن قلت قافية بكرا يكون بها ... بيت خلاف الذي قاسوه أو ذرعوا

قالوا لحنت وهذا ليس متصبا ... وذاك خفض وهذا ليس يرتفع

وخرصوا بين عبد الله من حمق ... وبين زيد فطال الضرب والوجع

كم بين قوم قد احتالوا لمنطقهم ... وبين قوم على إعرابهم طبعوا

ما كل قولي مشروحا لكن فخذوا ... ما تعرفون وما لم تعرفوا فدعوا

لأن أرضي أرض لا تشب بها ... نار المجوس ولا تبني بها البيع

قال ابن جني: وعلى نحو ذلك، فخضرني قديما بالموصل أعرابي عقيلي جوني تميمي، يقال له محمد بن العساف الشجري، وقلما رأيت بدويا أفصح منه، فقلت له يوما شغفا بفصاحته، والتذاذا بمطاولته، وجريا على العادة معه في إيقاظ طبعه واقتداح زند فطنته: كيف تقول أكرم أخوك أباك، فقال: كذاك، فقلت له: أفتقول أكرم أخوك أبوك؟ فقال: لا أقول أبوك أبدا. فقلت: فكيف تقول أكرمني أبوك؟ فقال: كذاك، قلت: ألست تزعم أنك لا تقول أبوك أبدا؟ فقال: إيش هذا اختلفت جهتا الكلام، فهل قوله اختلفت جهتا الكلام إلا كقولنا نحن هو الآن فاعل، وكان في الأول مفعولا، فانظر إلى قيام معاني هذا الأمر في أنفسهم وإن لم تقطع به عبارتهم.

أخبرني أبو علي عن أبي بكر عن أبي العباس قال: سمعت عمارة بن عقيل بن بلال بن جرير يقرأ (ولا الليل سابق النهار)، فقلت لك ما أردت؟ قال: أردت سابق النهار، فقلت له: **فهلا قلته**، فقال: لو قلته لكان أوزن أي أقوى وأفصح، ففي هذه الحكاية من فقه العربية ثلاثة أشياء: أحدها أنهم قد يراعون من معانيهم ما ننسبه إليهم ونحمله عليهم. والثاني أنهم قد ينطقون بالشيء وفي أنفسهم غيره، ألا ترى أنه لما نص أبو العباس عليه واستوضح ما عنده قال: أردت كذا، وهو خلاف ما لفظ به. والثالث أنهم قد ينطقون بالشيء وغيره أقوى منه استلانة وتخفيفا، ألا تراه كيف قال: لو قلته لكان أوزن أي أقوى وأعرب.

قال ابن جنى: وسألت الشجري صاحبنا هذا الذي قد مضى ذكره قلت له: كيف يا أبا عبد الله تقول: اليوم كان زيد قائما، فقال: كذلك، فقلت: فكيف تقول اليوم إن زيدا قائم، فإياها ألبتة، وذلك أن ما بعد إن لا يعمل فيما قبلها، لأنها إنما تأتي أبدا مستقبلة قاطعة لما قبلها عما بعدها، وما بعدها عما قبلها. قلت له يوما ولابن عم له يقال له غصن، وكان أصغر منه سنا وألين لسانا، كيف تحقران حمراء؟ فقالا: حميراء قلت: فصفراء، قالا: صفيراء، قلت: فسوداء، قالا: سويداء، واستمررت بها في نحو هذا فلما استويا عليه

دسست بين ذلك علباء فقلت: فعلباء فأسرع ابن عمه على طريقته فقال: علبياء، وكان الشجري يقولها معه، فلما هم بفتح الباء استرجع مستنكرا فقال: أه علببي، وأشم الفتحة دائما للحركة في الوقف وتلك عادة.." (١)

"قال ابن جني: فسألته يوما يا أبا عبد الله، كيف تجمع محرنجما، وكان غرضي من ذلك أن أعلم ما يقوله، أيكسر فيقول حراجم، أم يصحح فيقول محرنجمات؟؟ فذهب هو مذهبا غير ذين فقال: وإيش فرقه حتى أجمعه وصدق، وذلك أن المحرنجم هو المجتمع يقولها مارا على شكيمته غير محس لما أريده منه، والجماعة معي على غاية الاستغراب لفصاحته، قلت له: فدع هذا، إذا أنت مررت بإبل محر نجمة و أخرى محرنجمة وأخرى محرنجمة تقول مررت بإبل ماذا؟ فقال وقد أحس الموضع: يا هذا هكذا أقول: مررت بإبل محرنجات وأقام على التصحيح ألبتة استيحاشا من تكسير ذوات الأربعة لمصاقبها ذوات الخمسة التي لا سبيل إلى تكسيرها، لاسيما إذا كان فيها زيادة، والزيادة قد تعتد في كثير من المواضع اعتداد الأصول، حتى أنها لتلزم لزومها نحو كوكب وحوشب وضيون وهز نيران ودودرى وقرنفل، وهذا وضع يحتاج إلى إصغاء إليه وإرعاء عليه والوقت لتلاحمه وتقارب أجزائه مانع منه، ويعين الله فيما يليه على المعتقد المنوي فيه بقدرته. وسألته يوما كيف تجع سرحانا؟ فقال: سراحين، قلت: فدكانا، قال: دكاكين: قلت: فقرطانا قال: قراطين، قلت: فعثمان قال: عثمانون، قلت: هلا قلت عثامين كما قلت سراحين وقراطين، فأباها البتة وقال: إيش ذا؟ أرأيت إنسانا يتكلم بما ليس من لغته؟ والله لا أقولها أبدا. استوحش من تكسير العلم إكثارا له لاسيما وفيه الألف والنون اللتان بابهما فعلان الذي لا يجوز و فيه فعالين نحو سكران وغضبان.

فهرست كتب ابن جنى، كتب ابن جني إجازة بما صورته: " بسم الله الرحمن الرحيم " : قد أجزت للشيخ أبي عبد الله الحسين بن أحمد بن نصر – أدام الله عزه – أن يروي عني مصنفاتي وكتبي مما صححه وضبطه عليه أبو أحد عبد السلام بن الحسين البصري – أيد الله عزه – : عنده منها كتابي الموسوم بالخصائص وحجمه ألف ورقة، وكتابي التام في تفسير أشعار هذيل مما أغفله أبو سعيد الحسن ابن الحسين السكري – رحمه الله – وحجمه خمسمائة ورقة بل يزيد على ذلك، وكتابي في سر الصناعة وهو ستمائة ورقة، وكتابي في تفسير تصريف أبي عثمان بكر بن محمد ابن بقية المازني وحجمه خمسمائة ورقة، وكتابي في شرح المقصور والممدود عن يعقوب بن إسحاق السكيت وحجمه أربعمائة ورقة، وكتابي في

(١) معجم الأدباء، ٦/٢

تعاقب العربية وأطراف به وحجمه مائتا ورقة، وكتابي في تفسير ديوان المتنبي الكبير وهو ألف ورقة ونيف، وكتابي في تفسير معاني هذا الديوان وحجمه مائة ورقة وخمسمون ورقة، وكتابي اللمع في العربية وإن كان لطيفا، وكذلك كتابي مختصر التصريف على إجماعه، وكتابي مختصر العروض والقوافي، وكتاب الألفاظ المهموزة، وكتابي في اسم المفعول المعتل العين من الثلاثي على إعرابه في معناه وهو المتقضب، وما بدأت بعمله من كتاب تفسير المذكر والمؤنث ليعقوب أيضا – أعانه الله – على إتمامه، وكتاب ما خرج عني من تأييد المذكرة عن الشيخ أبي علي – أدام الله عزه – وكتابي في المحاسن في العربية وإن كان ما جرى أزال يدي عنه حتى شذ عنها ومقداره ستمائة ورقة، وكتابي النوادر الممتعة في العربية وحجمه ألف ورقة وقد شذ أيضا أصله عنى، فإن وقعا كلاهما أو شئ منهما فهو لاحق بما أجزت روايته هنا، وكتاب ما أحضرنيه الخاطر من المسائل المنثورة مما أمللته أو حصل في آخر تعاليقي عن نفسي وغير ذلك مما هذه حاله وصورته، فليرو – أدام الله عزه – ذلك عني أجمع إذا أصبح عنده وأنس بتثقيفه وتسديده، وما صح عنده – أيده الله – من جميع رواياتي مما سمعته من شيوخي – رحمهم الله – وقرأته عليهم بالعراق والموصل والشام وغير هذه البلاد التي أتيتها وأقمت بها مباركا له فيه منفوعا به بإذن الله، وكتب عثمان بن جني بيده حامدا سبحانه في آخر جمادى الآخرة من سنة أربع وثمانين وثلاثمائة: والحمد لله حق حمده عودا على بدء. ومن كتبه ما لم تتضمنه هذه الإجازة: كتاب المحتسب في شرح الشواذ، وكتاب تفسير أرجوزة أبي نواس، وكتاب تفسير العلويات وهي أربع قصائد للشريف الرضى كل واحدة في مجلد، وهي قصيدة رثى بها أبا طاهر إبراهيم ابن نصر الدولة أولها.

ألق الرماح ربيعة بن نزار ... أودى الردى بقريعك المغوار

ومنها قصيدته التي رثى بها الصاحب بن عباد وأولها:." (١)

"هو عيسى بن يزيد بن بكر بن كرز بن الحارث بن عبد الله بن أحمد بن يعمر الشداخ بن عوف بن كعب بن عامر بن ليث بن بكر بن عبد مناة بن كنانة بن خزيمة بن مدركة بن إلياس بن مضر وفي نسبه اختلاف. هذا أظهره أبو الوليد الراوية النساب من أهل الحجاز، وكان يضعف في روايته، مات سنة إحدى وسبعين ومائة في أول خلافة الرشيد. وحدث المرزباني قال: قال عبد الله بن جعفر كان عيسى بن يزيد بن دأب يكنى أبا الوليد، وكان من رواة الأخبار والأشعار وحفاظهم، وكان معلما من علماء الحجاز.

وحدث فيما رفعه إلى رفيع بن سلمة عن أبي عبيدة قال: أنشد ابن دأب:

---

(١) معجم الأدباء، ٧/٢

وهم من ولدوا أشبوا ... بسر الأدب المحض

فبلغ ذلك أبا عمرو بن العلاء فقال: أخطأت استه الحفرة، إنما هو أشبئوا أي كفوا، أما سمع قول الشاعر:

وذو الرمحين أشباء ... من القوة والحزم

فبلغه عن ابن دأب شيء فقال: على نفسها تجني براقش، أما سمعتم قول الليثي:

ألا من مبلغ دأب بن كرز ... أبا الخنساء زائدة الظليم

فلا تفخر بأحمر واطرحه ... فما يخفى الأغر من البهيم

فعند الله سر من أبيه ... كراع زيد في عرض الأديم

وحدث فيما رفعه إلى جابر بن الصلت البرقي قال: وعد المهدي بم دأب جارية فوهبها له فأنشد عبد الله بن مصعب الزبيري قول مضرس الأسدي:

فلا تيأسن من صالح أن تناله ... وإن كان قدما بين أيد تبادره

فضحك المهدي وقال: ادفعوا إلى عبد الله فلانة لجارية أخرى، فقال عبد الله بن مصعب:

أنجز خير الناس قبل وعده ... أراح من مطل وطول كده

فقال ابن دأب: ما قلت شيئا، **هلا قلت:**

حلاوة الفضل بوعد منجز ... لا خير في العرف كنهب منهز

فضحك المهدي وقال: أحسن الوفاء ما تقدمه ضمان، وحدث عن سعيد بن سلم قال: ما شيء أجل من العلم، كان ابن دأب أحفظ الناس للأنساب والأخبار وكان تياها فكان ينادم الهادي ولا يتغدى معه ولا بين يديه فقيل له في ذلك، فقال: أنا لا أتغدى في مكان لا أغسل يدي فيه، فقال له الهادي: فتغد، فكان الناس إذا تغدوا تنحوا لغسل أيديهم، وابن دأب يغسل يده بحضرة الهادي.

وحدث المرزباني عن الحسين بن علي عن أحمد بن سعيد عن الزبير بن بكار عن عمه مصعب عن موسى بن صالح قال: كان عيسى بن دأب كثير الأدب عذب الألفاظ، وكان قد حظي عند الهادي حظوة لم تكن لأحد، وكان يدعو له بتكأة ولم يكن يطمع أحد من الخلق في هذا في مجلسه ولا يفعل بغيره، وكان يقول له: ما استطلت بك يوما ولا ليلة، ولا غبت عن عيني إلا تمنت ألا ترى غيرك، وكان لذيذ المفاكهة، طيب المسامرة، كثير النادرة، جيد الشعر حسن الانتزاع له، قال: فأمر له ليلة بثلاثين ألف دينار، فلما أصبح بن دأب وجه قهرمانه إلى باب موسى الهادي وقال له: انطلق إلى باب الحاجب فقل له: توجه إلينا بالمال، فانطلق فأبلغ الحاجب رسالته فتبسم وقال: ليس هذا إلي، فانطلق إلى صاحب التوقيع ليخرج لك به كتابا

إلى الديوان فتديره هناك، ثم تفعل به كذا وتفعل به كذا، فرجع الرسول إلى ابن دأب فأخبره فقال: دعها فلا تعرض لها ولا تسأل عنها. قال: فبينما موسى في مستشرف له إذ نظر إلى ابن دأب قد أقبل وليس معه إلا غلام واحد فقال لإبراهيم بن ذكوان الحراني: - وإليه ينسب طاق الحراني ببغداد بالكرخ - أما ترى بن دأب ما غير من حاله ولا تزيى لنا، وقد بررناه بالأمس ليرى عليه أثرنا. فقال إبراهيم: إن أذن لي أمير المؤمنين عرضت له بشيء من هذا. فقال: لا، هو أعلم بأمره، ودخل ابن دأب فأخذ في حديثه إلى أن عرض له الهادي بشيء من أمره فقال: أرى في ثوبك غسيلا، وهذا الشتاء محتاج فيه إلى لبس الجديد واللين. فقال:يا أمير المؤمنين، باعي قصير عما أحتاج إليه، فقال: وكيف ذاك؟ وقد صرفنا إليك من برنا ما ظننا صلاح شأنك معه، فقال: ما وصل إلي ولا قبضت منه شيئا، فدعا بصاحب بيت المال فقال له عجل الآن بثلاثين ألف دينار فحملت بين يديه.." (١)

"فقال لي: أنتم المشبهة فقلت: حاشا لله المشبه الذي يقول: وجه كوجهي ويد كيدي فأما نحن فنقول: له وجه كما أثبت لنفسه وجها وله يد كما أثبت لنفسه يدا وليس كمثله شئ وهو السميع البصير ومن قال هذا فقد سلم.

ثم قلت له: أنت مذهبك أن كلام الله عز وجل ليس بأمر ولا نهي ولا متشابه ولا ناسخ ولا منسوخ ولا كلامه مسموع لأن عندك الله عز وجل لا يتكلم بصوت وأن موسى لم يسمع كلام الله عز وجل بسمعه وإنما خلق الله عز وجل في موسى فهما فهم به.

فلما رأى ما عليه في هذا من الشناعة قال: فلعلي أخالف ابن الكلاب القطان في هذه المسألة من سائر مذهبه.

ثم قلت له: ومن خالف الأخبار التي نقلها العدل عن العدل موصولة بلا قطع في سندها ولا جرح في ناقليها وتجرأ على ردها فقد تهجم على رد الإسلام لأن الإسلام وأحكامه منقولة إلينا بمثل ما ذكرت.

فقال لي: الأخبار لا توجب عندي علما.

فقلت له: يلزمك على قود مقالتك أنك لو سمعت أبا بكر وعمر وعثمان وعليا وطلحة والزبير وسعدا وسعيدا وعبد الرحمن بن عوف وأبا عبيدة بن الجراح يقولون: سمعنا رسول الله - صلى الله عليه وسلم - يقول كذا وكذا أنك (١٣٦/٢) لا تعلم أن النبي - صلى الله عليه وسلم - قال من ذلك شيئا لقولهم: " سمعنا " .

---

(١) معجم الأدباء، ٢٣٧/٢

فلم ينكر من ذلك شيئا غير الشناعة.

ثم قال لي: أخبار الآحاد في الصفات اغسلها وهي عندي والتراب سواء ولا أقول منها إلا بما قام في العقل تصديقه.

قلت له: فلم أتعبت نفسك في كتبها وسعيت إلى الشيوخ فيها وأنصبت نفسك وأتعبتها وأسهرت ليلك بما لا تدين الله عز وجل به ولا تزداد به علما؟.

فأجابني بأن قال: كتبته حتى أتمم به الأبواب إذا أردت تخريجها.

فقلت له: تخرج للمسلمين ما لا تدين به؟.

فقال: نعم لأعرفه فقلت له: تعني المسلمين على قود مقالتك والحق في غير ما ذكرت؟.

ثم قلت له: خرقت الإجماع لأن الأمة بأسرها اتفقت على نقلها ولم يكن نقل ذلك عبثا ولا لعبا ولو كان نقلهم لها كتركك نقلهم لها: لكانوا عابثين وحاشا لله من ذلك ومن كانت هذه مقالته فقد دخل تحت الوعيد في قوله عز وجل: ومن يتبع غير سبيل المؤمنين نوله ما تولى ونصله جهنم وساءت مصيرا ولما كانت أخبار الآحاد في الصفات لا توجب عملا: دل على أنها موجبة للعلم فسقط بهذا ما ادعاه من لم ينتفع بعلمه وتهجم على إسقاط كلام الرسول - صلى الله عليه وسلم - بنقل العدل عن العدل موصولا إليه: برأيه وظنه.

ثم ذكرت حساب الكفار: فقال لي: قد روي عن النبي - صلى الله عليه وسلم - أبي الأحوص عن عبد الله بن مسعود رضي الله عنه عن النبي - صلى الله عليه وسلم - إن الكافر ليحاسب حتى يقول: أرحني ولو إلى النار **فهلا قلت** به؟ فقلت له: ليس يحل ما روى صحيحا أو سقيما أن نقول به وإنما تعبدنا بالصحيح دون السقيم والصحيح معلوم عند أهل النقل بعدالة ناقليه متصلا إلى (١٣٧/٢) المخبر عنه والسقيم معلوم بجرح ناقليه وهذا الخبر الذي رويته رواه إبراهيم بن مهاجر بن مسمار يعني وهو متروك الحديث ضعيف عند أهل العلم وليس مثل هذا مما تقوم به حجة.

فقال لي: فأي شئ معك في أنهم لا يحاسبون؟.

فقلت له: إن شئت من كتاب الله وإن شئت من سنة رسول الله - صلى الله عليه وسلم - وإن شئت من قول صحابته رضي الله عنهم.

فقال لي: منكرا لقولي في الصحابة من قال هذا؟.

فقلت: نعم قرأت على أبي عيسى يحيى بن محمد بن سهل الخصيب العكبري بعكبرا قال: حدثنا محمد بن صالح بن ذريح العكبري قال: حدثنا محمد بن هناد بن السري قال: حدثنا معاوية عن هشام بن عروة عن أبيه عن عائشة رضي الله عنها قالت: من حوسب دخل الجنة يقول الله تعالى فأما من أوتي كتابه بيمينه فسوف يحاسب حسابا يسيرا وينقلب إلى أهله مسرورا ويقول للآخرين يعني الكفار ﴿ فيومئذ لا يسأل عن ذنبه إنس ولا جان ، فبأي آلاء ربكما تكذبان، يعرف المجرمون بسيماهم فيؤخذ بالنواصي والأقدام ﴾

فقال لي: قد سمعت هذا الحديث من أبي علي الصواف قال: حدثنا أبو بكر بن عبد الخالق قال: حدثنا أبو الحسين عبد الوهاب الوراق عن أبي معاوية الضرير عن هشام بن عروة عن أبيه عن عائشة بمثل معناه يعني: " من حوسب دخل الجنة " فقال لي: هو المسلم المحترم.

فقلت له: جمعت بين ما فرق الله عز وجل لأن الله عز وجل يقول أفنجعل المسلمين كالمجرمين؟ مالكم كيف تحكمون." (١)

""""" صفحة رقم ٣٠٤ """"

فإذا قد وقع الشافعي

فقلت معاذ الله أن يذهب التقى

تلاصق أكباد بهن جراح

قال الربيع فأنكرت على الشافعي أن يفتي لحدث بمثل هذا فقلت يا أبا عبد الله تفتي بمثل هذا لمثل هذا الشاب فقال لي يا أبا محمد هذا رجل هاشمي قد عرس في هذا الشهر يعني شهر رمضان وهو حدث السن فسأل هل عليه جناح أن يقبل أو يضم من غير وطء فأفتيته بهذا

قال الربيع فتبعت الشاب فسألته عن حاله فذكر لي أنه مثل ما قال الشافعي

قال فما رأيت فراسة أحسن منها

وبه إليه قال سمعت أبا بكر محمد بن أحمد بن عبد الله البيضاوي المقري قال سمعت أبا عبد الله المأموني يقول سمعت أبا حيان النيسابوري يقول بلغني أن عياشا الأزرق دخل على الشافعي يوما فقال يا أبا عبد الله قد قلت أبياتا إن أنت أجزت لي بمثلها لأتوبن أن لا أقول شعرا أبدا فقال له الشافعي إيه فأنشأ يقول

---

(١) طبقات الحنابلة، ١٣٥/٢

وما همتي إلا مقارعة العدا

خلق الزمان وهمتي لم تخلق

والناس أعينهم إلى سلب الفتى

لا يسألون عن الحجا والأولق

لو كان بالحيل الغنى لوجدتني

بنجوم أقطار السماء تعلقي

فقال له الشافعي **هلا قلت** كما أقول استرسالا

إن الذي رزق اليسار فلن يصب

حمدا ولا أجرا لغير موفق

فالجد يدني كل أمر شاسع

والجد يفتح كل باب مغلق." (١)

"السرعة والبطء أمر اعتباري، بمعنى أن الفعل يلحظه مرة بهذا فيسميه بكذا، ومرة بهذا فيسميه بكذا، وبهذه النكتة الحسنة تزول عنك كثير من الشكوك، كقيام المعنى فيما ذكر ونحوه.

فإذا علمت هذا علمت أنه لا يخرج عن قدرته كل ما يحتاج إلى الإيجاد، بخلاف ما هو أمر اعتباري فإنه لا شيء حتى يعين له فاعل.

وما نسب لأئمة أهل السنة من تأثير العبد في أخص وصف الفعل ونحوه فقد علمت تأويل السنوسي فيها أنها على المناظرة ودفع الخصوم جدلا وإلزاما، كأن يقول: أحوجكم معاشر المعتزلة لنسبة الفعل للعبد كونه مناط التكليف، فإن كان هذا أحوجكم فليس التكليف منوطا بمطلق الفعل، كالحركات مطلقا بقيد كونه طاعة أو فسقا مثلا، **فهلا قلتم**: إن كونه طاعة مثلا بخلق العبد لا مطلق الحركة، بأن يسوق السني المعتزلي سوق التدريج حتى ينقاد له لهذا، فيقول: **هلا قلت**: إنه مكلف من حيث ما يحس من نفسه الاختيار والقصد للفعل، و إن كان في الحقيقة لله.

وأقول: قد وقعت لإمام الحرمين في متنه لا في مناظرة على الجزم بما نسب إليه السنوسي محتجا – يعني إمام الحرمين – عليه قائلا به: رادّ بما سواه، وكذا الباقلاني، وكذا في الإرشاد (١)، والشامل (٢) للإمام.

وقال ابن أبي شريف: إن فعل العبد لله

---

(١) طبقات الشافعية الكبرى. ، ١/٣٠٤

(١) انظر إمام الحرمين، الإرشاد ص ١٨٢.

(٢) انظر كذلك كتابه الشامل ص ٣٥ وما بعدها.." (١)

"أعرف عمرك إنه لم يكن عندي دواء إلا الغم، فلم أقدر أجلب إليك الغم إلا بهذه العلة، فأذاب شحم الكلى؛ فأجازه وأحسن إليه.

(آيا صوفيا: ٩٢ أ)

جميل بثينة

(الترجمة رقم: ١٢٤، ص: ٣٦٦، س: ١٨، بعد الرقم (٣٥))

وقيل إن عائشة بنت طلحة أرسلت إلى كثير فقالت: يا ابن أبي جمعة، ما الذي يدعوك إلى أن تقول في عزة من الشعر ما قلت وليست من الحسن على ما تصف، ولو شئت صرفت ذلك عنها إلى غيرها ممن هو أولى به منها أنا ومثلي، فإني أشرف وأجمل وأوصل من عزة، وإنما أرادت أن تخبره بذلك، فقال:

إذا ما أرادت خلة أن تزيلها ... أبينا وقلنا الحاجبية أول

سنوليك عرفا إن أردت وصالنا ... ونحن لتلك الحاجبية أوصل

لها مهل لا يستطاع إدراكه ... وسابقة في القلب لا تتحول فقال له عائشة: أخطأت استك الحفرة يا أبا صخر؛ لقد أسميتني خلة وما أنا لك بخلة، وعرضت علي وصلك وما أريده، ولو أردته أنت لكرهته أنا، وإنما أردت أن أبول ما عندك قولا وفعلا فما أفلحت ولا أنجحت؛ **هلا قلت** كما قال سيدك جميل:

ويقلن إنك قد رضيت بباطل ... منها فهل لك في اجتناب الباطل

ولباطل ممن أحب حديثة ... أشهى إلي من البغيض الباذل وقال بعض الرواة: دخلت بثينة وعزة على عبد الملك بن مروان، فانحرف إلى عزة وقال: أنت عزة كثير قالت: لست لكثير بعزة ولكني أم بكر، قال أتروين قول كثير:

وقد زعمت أني تغيرت بعدها ... ومن ذا الذي يا عز لا يتغير." (٢)

"بالقوم فيقولون: من هذا بين يديك يا أبا بكر فيقول: هاد يهديني. وهذا الحديث يدل على أنه أسن من رسول الله صلى الله عليه وسلم.

---

(١) التحف الربانية في جواب الأسئلة اللمدانية، ص/٧٥

(٢) وفيات الأعيان، ١/٤٨٠

ورأى أبو بكر رضي الله عنه رجلا بيده ثوب فقال: أهو للبيع قال: لا أصلحك الله، فقال: **هلا قلت**: لا، وأصلحك الله لئلا يشتبه الدعاء لي بالدعاء علي وقال لرجل قال له: لأشتمنك شتما يدخل معك قبرك، قال: معك يدخل والله لا معي. ومدح قوم أبا بكر رضي الله عنه فقال: الله أعلم بي مني بنفسي، وأنا أعلم بنفسي منكم، فاستغفروا الله مما لا تعلمون، وأسأله أن لا يؤاخذكم بما تقولون، وأن يجعلني خيرا مما تظنون.

وحكي أن أبا بكر رضي الله عنه أتى النبي صلى الله عليه وسلم بصدقته فأخفاها فقال: يا رسول الله، هذه صدقتي ولله عندي معاد، وجاء عمر رضي الله عنه بصدقته فأظهرها وقال: يا رسول الله، هذه صدقتي ولي عند الله المعاد، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: يا عمر، وترت قوسك بغير وتر، ما بين صدقتيكما كما بين كلمتيكما.

أولاده لصلبه وأعقابهم: عبد الله بن أبي بكر وأسماء بنت أبي بكر وأمهما قتيلة من بني عامر بن لؤي، وعبد الرحمن وعائشة وأمهما أم رومان بنت الحارث بن الحويرث من بني فراس بن غنم بن كنانة، ومحمد بن أبي بكر أمه أسماء بنت عميس، وأم كلثوم أمها بنت زيد بن خارجة - رجل من الأنصار.

(٨٢) فأما عبد الله بن أبي بكر فإنه شهد الطائف مع النبي صلى الله عليه وسلم فجرح وبقي إلى خلافة أبيه ومات وترك سبعة دنانير فاستكثرها أبوه رضي الله عنه. وولد عبد الله إسماعيل، وهلك ولا عقب له.

(٨٣) وأما أسماء فهي ذات النطاقين وتزوجها الزبير بمكة فولدت له عدة أولاد، ثم طلقها فكانت مع عبد الله ابنها حتى قتل، وبقيت مائة سنة حتى عميت وماتت بمكة رضي الله عنها.

وأما عائشة رضي الله عنها فتزوجها النبي صلى الله عليه وسلم - وقد تقدم ذكرها في هذا الحرف - .

(٨٤) وأما عبد الرحمن بن أبي بكر فشهد يوم بدر مع المشركين ثم أسلم." [١]

"وحدث (١) أبو الفرج الأصبهاني صاحب كتاب " الأغاني " (٢) أن كثيرا خرج من عند عبد الملك بن مروان وعليه مطرف، فاعترضته عجوز في الطريق اقتبست نارا في روثة، فتأفف كثير في وجهها، فقالت: من أنت قال: كثير عزة، فقالت: ألست القائل:

فما روضة زهراء طيبة الثرى ... يمج الندى جثجاثها وعرارها

بأطيب من أردان عزة موهنا ... إذا أوقدت بالمندل الرطب نارها فقال لها كثير: نعم، فقالت: لو وضع المندل الرطب على هذه الروثة لطيب رائحتها، **هلا قلت** كما قال امرؤ القيس:

---

(١) وفيات الأعيان، ٦٩/٣

ألم ترياني كلما جئت طارقا ... وجدت بها طيبا وإن لم تطيب فناولها المطرف وقال: استري علي هذا.

[وسمعت بعض مشايخ الأدب في زمن اشتغالي بالأدب يقول: إن النصف الثاني من البيت الثاني من تتمة أوصاف الروضة أيضا، فكأنه قال: إن هذه الروضة الطيبة الثرى التي يمج الندى جثجاثها وعرارها إذا أوقدت بالمندل الرطب نارها ما هي بأطيب من أردان عزة وعلى هذا لا يبقى عليه اعتراض، لكنه يبعد أن يكون هذا مقصوده] (٣) .

وكان كثير (٤) ينسب إلى الحمق، ويروى أنه دخل يوما على يزيد بن عبد الملك فقال: يا أمير المؤمنين، ما يعني الشماخ بقوله:

إذا الأرطى توسد أبرديه ... خدود جوازئ بالرمل عين (٥)

---

(١) ر: وقال.

(٢) الأغاني ١٥: ٢٢٥.

(٣) ما بين معقفين لم يرد إلا في المختار، وقد أثبتناه كذلك للتنبيه إليه وإلا فإنه من أصل المؤلف، ولا بد.

(٤) الشعر والشعراء: ٤١٠.

(٥) الأرطى: نوع من الشجر؛ أبرداه: ظله وفيئه، الجوازئ: التي جزأت بالرطب عن الماء، العين: ذوات الأعين النجل، يصف بقر وحش جزأت بالطرب عن الماء.." [١]

"قال أبو حاتم السجستاني: كان أبو عبيدة يكرمني على أنني من خوارج سجستان. وقال الثوري: دخلت المسجد على أبي عبيدة، وهو ينكت الأرض جالسا وحده فقال لي: من القائل:

أقول لها وقد جشأت وجاشت ... مكانك تحمدي أو تستريحي فقلت له: قطري بن الفجاءة، فقال: فض الله فاك! **هلا قلت**: هو لأمير المؤمنين أبي نعامة، ثم قال لي: اجلس، واكتم على ما سمعت مني، قال: فما ذكرته حتى مات.

قلت أنا: وهذه الحكاية فيها نظر، لأن البيت من جملة أبيات لعمرو ابن الإطنابة الخزرجي الأنصاري، والإطنابة أمه، وسام أبيه زيد مناة، لا يكاد يخالف فيه أحد من أهل الأدب، فإنها أبيات مشهورة للشاعر المذكور.

---

(١) وفيات الأعيان، ٤/١١٠

وذكر المبرد في كتاب الكامل (١) أن معاوية بن أبي سفيان الأموي قال: اجعلوا الشعر أكبر همكم وأكثر آدابكم، فإن فيه مآثر أسلافكم، ومواضع إرشادكم، فلقد رأيتني يوم الهرير وقد عزمت على الفرار فما ردني، إلا قول ابن الإطنابة الأنصاري:

أبت لي عفتي وأبى بلائي ... وأخذي الحمد بالثمن الربيح

وإجشامي على المكروه نفسي ... وضربي هامة البطل المشيح

وقولي كلما جشأت وجاشت ... مكانك تحمدي أو تستريحي

لأدفع عن مآثر صالحات ... وأحمي بعد عن عرض صريح رجعنا إلى حديث أبي عبيدة:

وكان لا يقبل شهادته أحد من الحكام أنه كان يتهم بالميل إلى الغلمان؛ قال الأصمعي: دخلت أنا وأبو عبيدة يوما المسجد، فإذا على الاسطوانة التي

---

(١) الكامل ٤: ٦٨.." [١]

"وقد روي أن مسلم بن الوليد لما انتهى في إنشاء هذه القصيدة إلى هذا البيت قال له يزيد بن مزيد الممدوح: هلا قلت كما قال أعشى بكر بن وائل في مديح قيس بن معدي كرب:

وإذا تجيء كتيبة ملمومة ... شهباء تجتنب الكماة نزالها

كنت المقدم غير لابس جنة ... بالسيف تضرب معلما أبطالها فقال مسلم: قولي أحسن من قوله، لأنه وصفه بالخرق وأنا وصفتك بالحزم (١) .

الخرق: بضم الخاء المعجمة وسكون الراء وبعدها قاف، وهو الاسم من عدم معرفة العمل.

قلت: وقيس الذي مدحه الأعشى هو والد الأشعث بن قيس الكندي أحد الصحابة رضوان الله عليهم.

قلت: وقد تقدم الكلام على قوله:

قد عود الطير عادات وثقن بها ... وأنه أخذ هذا المعنى من أبيات النابغة البائية التي تقدم ذكرها، وقد وافقه في أخذ هذا المعنى جماعة منهم أبو فراس، قال عمر الوراق: سمعت أبا نواس ينشد قصيدته الرائية التي أولها (٢) :

أيها المنتاب من عفره ... لست من ليلي ولا سمره

لا أذود الطير عن شجر ... قد بلوت المر من ثمره فحسدته عليها، فلما بلغ إلى قوله:

---

(١) وفيات الأعيان، ٥/٢٤١

وإذا مج القنا علقا ... وتراءى الموت في صوره

راح في ثنيي مفاضته ... أسد يدمى شبا ظفره

---

(١) تروى حكاية مشابهة جرت بين كثير وعبد الملك بن مروان.

(٢) ديوان أبي نواس: ٦٦.." [١]

"قال البغويون الذي كانوا مع أبي مسلمٍ: مكثنا مع أبي جعفر المنصور هنة نغدو من قطربل إلى الموضع الذي فيه المدينة نرتاد موضعاً، فبينا نحن إذ وقف على قائم - في باب الشأم - وفيه راهبٌ، فأشرف عليه، فقال: أراك منذ شهور تدور وتكثر الترداد. فقال: أريد أن أبني في هذا الموضع مدينة. فقال له الراهب: لست صاحبها، إنَّا نجد أن صاحبها يقال له مقلاصٌ! فقال أبو جعفر المنصور: أنا والله صاحبها، كنتُ أُدعى وأنا صبيٌّ في الكتَّاب بمقلاص! فأمر حينئذ أن تُصور له المدينة.

ووضع المنصور أول لبنة بيده وقال: بسم الله والحمد لله (يُورثها مَنْ يشاء من عبادهِ والعاقبةُ للمُتَّقين)، ابنوا على بركة الله! - ووليَّ أبا حنيفة الفقيه القيام ببناء المدينة وبضرب اللبن وعدده حتى فرغ من استتمام بناء المدينة مما يلي الخندق، وذلك في سنة تسع وأربعين ومائة.

وخرج الأمر بأن يعمل على المدينة ثمانية أبوابٍ حديد ممَّا يلي كلُّ ربع - بابين باباً على الخندق وباباً على السور. قال: فمن الثمانية خمسةٌ مما كان على مدينة الزندورد، وهي مدينة كانت في ظهر واسد من عمل الشياطين لسليمان ان داود، فنقلها الحجَّاج إلى واسط حين بناها، وهي الأربعة الأبواب الداخلة من كل باب، والخامس بابُ البصرة الخارج؛ وأمَّا الباب السادس الخارج من باب خراسان من عمل الشأم فهو من عمل الفراعنة، وباب الخارج من باب الكوفة جيء به من الكوفة عمله خالد بن عبد الله القسري، وباب الشأم الخراج عمله المنصور وهو أضعفها.

ولمَّا تمّ بناء المدينة وأراد المنصور النقلة إلى قصره بباب الذهب وقف على باب القصر يتأمله، فإذا على الحائط مكتوب: ادخل القصر " من الخفيف " :

ادخُلِ القَصْر لاتخافُ زوالا ... بعد ستين من سنيك رحيل

فوقف ملياً، فتغرغرت عينه، ثمّ قال: بقية لعاقل وفسحة لجاهل! كأنه حسب ما بقي من السنين. - ومات أبو جعفر المنصور ببئر ميمون لست من ذي الحجة سنة ثمان وخمسين وهو ابن أربع وستين سنة، فعاش

---

(١) وفيات الأعيان، ٣٣٤/٦

بعد بناء المدينة اثنتي عشرة سنة، وفد عليه بطريق من بطارقة الروم، فأمر الربيع أن يطوف به في المدينة وما حولها. فلمَّا انصرف قال: كيف رأيتها.؟ قال: حسنا إلا أنّ أعداءك معك. قال: ومن هم؟ قال: السوقى. قال: فلمَّا خرج البطريق أمر بإخراجهم من المدينة، ثمّ أمر ببناء القصر الجديد الذي يُسمَّى الخُلد، وكان ينهي عن تسميته بهذا الاسم.

ومن أخبار العلماء والنحاة والرواة من أهل بغداد ومن طرأ عليها من الامصار

منهم ابن يسارٍ القُرشيّ المَدَني هو

٩٠ - محمّد بن إسحاق بن يسارٍ

أبو عبد الله، ويقال: أبو بكر، ويسارٌ مولى عبد الله بن قيس بن مخرمة وهو أول سبيٍ دخل المدينة من العراق. سمع من ابن شهابٍ والأعمْش، وهو أوّلُ من جمع مغزي رسول الله صلى الله عليه وسلم. وتوفيّ ببغداد سنة أربع وخمسين ومائة. وقال عنه سُفيان: هو أمير المؤمنين في الحديث لحفظه، وكان يتشيع يقدم عليَّاً على عثمان.

٩١ - ومن أخبار ابن دَأبٍ

كان أبو الوليد عيسى بن يزيد بن بكر بن دأب من رواة الأخبار والأشعار وحُفَّاظهم، وكان من الحجاز، وجدَّهُ دأب بن كرز بن عبد الله بن أحمر.

وعد المَهدي ابن دأبٍ جاريةً، ثمّ وهبها له، فأنشد عبد الله بن مصعب الزُبيري قول مُضرسّ الأسدي " من الطويل " :

فلا تيأسَنْ من صالحٍ أن تناله ... وإن كان قدماً بين أيْدٍ تُبادرهْ

فضحك المهدي وقال: ادفعوا إلى عبد الله فُلانة لجاريةٍ أخرى! فقال عبد الله " من الرجز " :

أنْجز خيرُ الناس قَبْل وعده ... أراح من مطل وطولِ كَدّهِ

فقال أبن دأب: ماقلت شيئاً؟ هلاَّ قلت " من الرجز " :

حلاوةث الفْضلِ بوعدٍ يُنجزُ ... لا خيرَ في العُرف كَنْهبٍ يُنهزُ

وقال إبراهيم بن المنذر الحزامي: أملي عليَّ محمّد بن مناذر " من الوافر " :

ومَن يَبْغ الِوصاة فإنّ عندي ... وصاةً للكُهُول وللشبابِ

خُذوا عن مالكٍ وعن ابن عونٍ ... ولا ترزووا أحاديث ابن دأبِ

ترى الغاوينَ يتَّبعون منها ... ملاهي من أحاديث الكذابِ

إذا طُلبت منافعها اضمحلتْ ... كما يرفضُّ رقراقُ السرابِ." (١)

"وأما أبو العباس ثعلب أحمد بن يحيى بن زيد بن سيار الشيباني النحوي المعروف بثعلب، فإنه كان إمام الكوفيين في النحو واللغة في زمانه.

أخذ عن محمد بن زياد الأعرابي وعلي بن المغيرة الأثرم وسلمة بن عاصم ومحمد بن سلام الجمحي والزبير بن بكار وأبي الحسن أحمد بن إبراهيم. وأخذ عنه أبو الحسن علي بن سليمان الأخفش، وابن عرفة، وابن الأنباري، وأبو عمر الزاهد، وأبو موسى الحامض، وإبراهيم الحربي، وغيرهم.

وكان ثقة ديناً مشهوراً بصدق اللهجة والمعرفة بالغريب، ورواية الشعر القديم، مقدماً بين الشيوخ وهو حدث.

ويروى أن ابن الأعرابي كان يقول له: "ما تقول في هذا يا أبا العباس؟" ثقة بغزارة علمه وحفظه.

ولد سنة مائتين. وكان يقول: مات معروف الكرخي سنة مائتين، وفيها ولدت، وطلبت العربية في سنة ست عشرة ومائتين، وابتدأت بالنظر في حدود الفراء ولي ثمان عشرة سنة، وبلغت خمساً وعشرين سنة وما بقي علي للفراء مسألة إلا وأنا أحفظها وأضبط موضعها من الكتاب، ولم يبق من كتب الفراء في هذا الوقت شيء إلا وأنا قد حفظته.

وقال أبو بكر بن محمد التاريخي: أحمد بن يحيى ثعلب أصدق أهل العربية لساناً، وأعظمهم شأناً، وأبعدهم ذكراً، وأرفعهم قدراً، وأوضحهم علماً، وأرفعهم حلماً، وأثبتهم حفظاً، وأوفرهم حظّاً في الدين والدنيا.

وقال المبرد: أعلم الكوفيين ثعلب، فذكر [له] الفراء، فقال: لا يعشره.

وقال علي بن جمعة بن زهير: سمعت أبي يقول: لا يرد عرصات القيامة أحد أعلم بالنحو من أبي العباس ثعلب.

ويحكي ثعلب عن عمارة بن عقيل أنه كان يقرأ:]ولا الليل سابق النهار[بنصب "النهار"، فقال: ما أردت؟ فقال: أردت "سابقٌ النهار" يعني بالتنوين؛ فقال له: فهلا قلته؟ فقال: لو قلته لكان أوزن، أي أقوى.

ويحكى عنه، أنه قال في قول الشاعر:

وما كنت أخشى الدهر إحلاس مسلم

من الناس ذنباً جاءه وهو مسلما." (٢)

---

(١) نور القبس، ص/١١٤

(٢) نزهة الألباء، ص/١٠٢

"ثم توفي عبيد الله المهدي في ربيع سنة اثنتين وعشرين وثلاثمائة وولي بعده ابنه أبو القاسم محمد، ويقال: نزار، ولقب القائم بأمر الله؛ فعظم حزنه على أبيه، حتى يقال: إنه لم يركب سائر أيامه إلا مرتين. وكثر الثوار عليه في النواحي، فسير إليهم وأخذهم، واستباح أموالهم وديارهم، وحاصر الأدارسة ملوك الريف، ودخل المغرب وحاصر فاس، واستنزل عاملها أحمد بن بكر، ثم بعث عسكرا إلى مصر مع خادمه زيران فملكوا الإسكندرية، فجاءت عساكر الإخشيد من مصر؛ فأزعجوهم عنها؛ فرجعوا إلى المغرب.

ثم توفي القائم أبو القاسم، محمد بن عبيد الله المهدي، صاحب إفريقية بعد أن عهد إلى ولده إسماعيل، وذلك سنة أربع وثلاثين وثلاثمائة؛ فقام بعده ولده إسماعيل بعهده إليه، وتلقب بالمنصور. هذا ما ذكره ابن خلدون، ثم استمر في ذكر تعدادهم – واحدا بعد واحد – إلى آخرهم العاضد لدين الله.

وأما غير ما ذكره ابن خلدون في شأنهم، فقال به جماعات كثيرون منهم الإمام الحافظ الذهبي في تاريخه دول الإسلام، ونصه: اعلم أن مبدأ أمرهم ومنشأ خبرهم، أن الحسين بن محمد بن أحمد بن عبد الله القداح – لأنه كان يعالج العيون بالقدح فتبصر – ابن ميمون بن محمد بن إسماعيل بن جعفر بن محمد بن علي بن الحسين بن علي بن أبي طالب – رضي الله تعالى عنهم – قدم إلى سلمية، وكان له بها ودائع وأموال من ودائع جده عبد الله القداح، فاتفق أن جرى بحضرته ذكر النساء، فوصفت له امرأة يهودي حداد مات عنها زوجها، وهي في غاية الحسن والجمال، وله منها ولد يماثلها في الجمال، فتزوجها وأحبها، وحسن موضعها منه، وأحب ولدها فعلمه العلم، وصارت له نفس عظيمة وهمة كبيرة، وكان الحسين يدعي أنه الوصي وصاحب الأمر، والدعاة بالمغرب واليمن يكاتبونه، ولم يكن له ولد؛ فعهد إلى اليهودي ابن الحماد ربيبه، وأعطاه الأموال، وأمر أصحابه بطاعته وخدمته، وقال: إنه الإمام الرضي، وزوجه ابنة عمه، وهو جدهم عبيد الله فتلقب بالمهدي، ووضع لنفسه نسبا هو عبيد الله بن الحسن بن علي بن محمد بن موسى بن جعفر بن محمد بن علي بن الحسين بن علي بن أبي طالب، فلما توفي الحسين قام بعده المهدي هذا، فلما انتشرت دعوته أرسل إليه داعيه بالمغرب بما فتح الله عليه من البلاد، وأنهم ينتظرون قدومه إليهم؛ فشاع خبره عند الناس أيام المكتفي العباسي علي بن المعتضد؛ فطلبه فهرب هو وولده نزار الملقب بالقائم، وهو يومئذ غلام، ومعهما خاصتهما ومواليهما، فلما وصلا إلى إفريقية أحضر الأموال منها واستصحبها معه، فوصل إلى رقادة في العشر الأخير من شهر ربيع الأول سنة سبع وتسعين ومائتين، ونزل في قصر من قصورها، وأمر أن يدعى له في الخطبة في جميع تلك البلاد، وجلس يوم الجمعة للمبايعة، وأحضر الناس بالعنف، ودعاهم لمذهبه، فمن أجاب أحسن إليه ومن أبى حبسه، فاستمر على ذلك إلى أن

كانت وفاته سنة اثنتين وعشرين وثلاثمائة.

ثم قام من بعده ابنه نزار، وتلقب بالقائم بأمر الله تعالى، واستمر إلى أن مات سنة ثلاث وثلاثين وثلاثمائة.

ثم قام من بعده ابنه إسماعيل، وتلقب بالمنصور. انتهى ما ذكره الحافظ الذهبي.

قال ابن خلكان في ترجمة المنصور هذا: وذكر أبو جعفر، أحمد بن محمد المروذي، قال: خرجت مع المنصور بن القائم بن المهدي العبيدي، صاحب إفريقية، يوم هزم أبا يزيد الخارجي فسايرته وبيده رمحان، فسقط أحدهما مرارا، فمسحته وتفاءلت له فأنشدته: من الطويل:

فألقت عصاها واستقر بها النوى ... كما قر عينا بالإياب المسافر

فقال: هلا قلت ما هو خير من هذا وأصدق " وأوحينا إلى موسى أن ألق عصاك فإذا هي تلقف ما يأفكون فوقع الحق وبطل ما كانوا يعملون فغلبوا هنالك وانقلبوا صاغرين " " الأعراف: ١١٧ - ١١٩ " فقلت: يا مولانا، أنت ابن رسول الله، قلت ما عندك لما عندك من العلم.

وكان المنصور شجاعا رابط الجأش، فصيحا بليغا، يرتجل الخطب ارتجالا، وتوفي بمدينته التي بناها وسماها المنصورية. انتهى ما ذكره ابن خلكان.

وإفريقية بكسر الهمزة والفاء الساكنة والراء المكسورة بعدها مثناة تحتية فقاف مكسورة فمثناة تحتية مشددة: إقليم عظيم ببلاد المغرب، افتتح في خلافة عثمان بن عفان - رضي الله تعالى عنه.." [١]

"ابن علية، عن الجريري، عن مضارب بن حزن، قال: بينا أنا أسير تحت الليل، إذا رجل يكبر، فألحقه بعيري.

فقلت: من هذا ؟ قال: أبو هريرة.

قلت: ما هذا التكبير ؟ قال: شكر.

قلت: على مه ؟ قال: كنت أجيرا لبسرة بنت غزوان بعقبة رجلي، وطعام بطني، وكانوا إذا ركبوا، سقت بهم، وإذا نزلوا، خدمتهم، فزوجنيها الله ! فهي امرأتي (١).

معمر، عن أيوب، عن محمد: أن عمر استعمل أبا هريرة على البحرين، فقدم بعشرة آلاف.

فقال له عمر: استأثرت بهذه الاموال يا عدو الله، وعدو كتابه ؟ فقال أبو هريرة: فقلت: لست بعدو الله وعدو كتابه ؛ ولكني عدو من عاداهما.

قال: فمن أين هي لك ؟ قلت: خيل نتجت، وغلة رقيق لي، وأعطية تتابعت.

---

(١) سمط النجوم العوالي في أنباء الأوائل والتوالي، ٢/٢٦٤

فنظروا، فوجدوه كما قال: فلما كان بعد ذلك، دعاه عمر ليوليه، فأبى.

فقال: تكره العمل وقد طلب العمل من كان خيرا منك: يوسف عليه السلام ! فقال: يوسف نبي ابن نبي ابن نبي وأنا أبو هريرة بن أميمة.

وأخشى ثلاثا واثنتين.

قال: فهلا قلت: خمسا ؟ قال: أخشى أن أقول بغير حلم، وأقضي بغير حلم، وأن يضرب ظهري، وينتزع مالي، ويشتم عرضي (٢).

---

(١) رجاله ثقات، وأخرجه أبو نعيم ١ / ٣٨٠، وابن عساكر ١٩ / ١٢٣ / ١.

عقبة رجلي: أي: نوبة ركوبه.

(٢) رجاله ثقات.

وذكره ابن كثير في " البداية " ٨ / ١١٣ عن عبد الرزاق، عن معمر، عن = [*]." [١]

"الوحد بن محمد بن علي الشيرازي ثم الدمشقي الانصاري الشيخ نجم الدين بن شرف الاسلام ابن الشيخ ابي الفرج شيخ الحنابلة في وقته سمع وافتى ودرس وهو ابن نيف وعشرين سنة الى ان مات رحمه الله تعالى وعاش هنيا مترفها لم يل ولايه من جهة سلطان وما زال محترما معظما ممتعا قويا وقال رحمه الله تعالى رايت الحق عز وجل في منامي فقال يا نجم اما علمتك وكنت جاهلا قلت بلى يا رب قال افما اغنيتك وكنت فقيرا قلت بلى يا رب قال اما امت سواك واحييتك وجعل يعدد النعم ثم قال اعطيتك ما اعطيت موسى بن عمران وهذا المنام قبل موته بسنه انتهى وكان الشيخ موفق الدين واخوه ابو عمر اذا اشكل عليهما شيء سألا والدي وخرج له ابو الخير سلامه بن ابراهيم الحداد مشيخه وذكر المنذري ان له اجازة من ابي الحسن علي بن الزغواني وغيره توفي رحمه الله تعالى في ثاني عشر شهر ربيع الاول سنة ست وثمانين وخمسمائة ودفن بسفح قاسيون وكان له عدة اخوه منهم بهاء الدين عبد الملك وقد مرت ترجمته قريبا ومنهم سديد الدين عبد الكافي قال ناصح الدين كان فقيها ماهرا وعظة في سياسة وكان يذكر الدرس في الحلقة مستندا الى خزانة ابيه وكان شجاعا مات بعد الثمانين وخمسمائة ودفن تحت مغاره الدم ومنهم الشيخ شمس الدين عبد الحق قال الناصح كان فقيها فاضلا عاقلا عفيفا حسن العشره كثير الصدقة سافر في طلب العلم وقرا الهداية ورحل الى بلاد العجم وراى آمد وخراسان ثم عاد الى دمشق ومات في

---

(١) سير أعلام النبلاء، ٢/٦١٢

جمادى الآخرة سنة احدى واربعين وستمائة ودفن بسفح قاسيون ومنهم الشيخ شرف الدين محمد كان فقيها فرضيا يعرف القراآت ويعبر المنامات ويتجر ودفن رحمه الله تعالى بباب الصغير ومنهم الشيخ عز الدين عبد الهادي كان فقيها واعظا فاضلا شجاعا حسن الصوت بالقرآن شديدا في السنة شديد القوى حكي عنه انه بارز فارسا من الفرنج فضربه بدبوس فقطع ظهره وظهر الفرس فوقعا جميعا ويقال انه رفع الحجر الذي على بئر جامع دمشق فمشى به خطوات ثم رده الى مكانه وبنى مدرسه بمصر ومات رحمه الله قبل تمامها انتهى كلام." (١)

"نتجت، وغلة ورقيق لي، وأعطية تتابعت علي. فنظروا فوجدوه كما قال. فلما كان بعد ذلك دعاه عمر ليستعمله، فأبى أن يعمل له، فقال له: تكره العمل، وقد طلبه من كان خيرا منك ؟ طلبه يوسف عليه السلام. فقال: إن يوسف نبي ابن نبي ابن نبي ابن نبي، وأنا أبو هريرة بن أميمة وأخشى ثلاثا واثنتين. قال عمر: **فهلا قلت** خمسة ؟ قال: أخشى أن أقول بغير علم، وأقضي بغير حكم، أو يضرب ظهري، وينتزع مالي، ويشتم عرضي.

وذكر غيره أن عمر أغرمه في العمالة الأولى اثني عشر ألفا، فلهذا امتنع في الثانية.

وقال عبد الرزاق، عن معمر، عن محمد بن زياد قال: كان معاوية يبعث أبا هريرة على المدينة، فإذا غضب عليه عزله وولى مروان بن الحكم فإذا جاء أبو هريرة إلى مروان حجبه عنه، فعزل مروان ورجع أبو هريرة، فقال لمولاه: من جاءك فلا ترده، واحجب مروان. فلما جاء مروان دفع الغلام في صدره، فما دخل إلا بعد جهد، فلما دخل قال: إن الغلام حجبنا عنك. فقال له أبو هريرة: إنك أحق الناس أن لا تغضب من ذلك. والمعروف أن مروان هو الذي كان يستنيب أبا هريرة في إمرة المدينة، ولكن كان يكون عن إذن معاوية في ذلك. والله أعلم.

وقال حماد بن سلمة، عن ثابت، عن أبي رافع: كان مروان ربما." (٢)

"وقال مصعب بن عبد الله الزبيري: قالت عائشة بنت طلحة لكثير عزة: ما الذي يدعوك إلى ما تقول من الشعر في عزة وليست على ما تصف من الحسن والجمال ؟ ! فلو قلت ذلك في وفي أمثالي، فأنا أشرف وأفضل منها، وإنما أرادت أن تختبره وتبلوه، فقال:

صحا قلبه يا عز أو كاد يذهل وأضحى يريد الصوم أو يتبدل

---

(١) الدارس في تاريخ المدارس، ٥٤/٢

(٢) البداية والنهاية (٧٧٤)، ٣٨٧/١١

وكيف يريد الصوم من هو وامق لعزة لا قال ولا متبذل

إذا وصلتنا خلة كي تزيلنا أبينا وقلنا الحاجبية أول

سنوليك عرفا إن أردت وصالنا ونحن لتيك الحاجبية أوصل

وحدثها الواشون أني هجرتها فحملها غيظا علي المحمل

فقالت له عائشة: لقد جعلتني خلة ولست لك بخلة، **وهلا قلت** كما قال جميل فهو والله أشعر منك حيث يقول:

يا رب عارضة علينا وصلها بالجد تخلطه بقول الهازل

فأجبتها بالقول بعد تستر حبي بثينة عن وصالك شاغلي

لو كان في قلبي بقدر قلامة فضل وصلتك أو أتتك رسائلي

فقال: والله ما أنكر فضل جميل وما أنا إلا حسنة من حسناته. واستحيا.." [١]

"عظيما، فلما أنشده إياه لم يقع منه هذا البيت موقعا طائلا، فخرج من عنده، فلقيه شاعر آخر، فقال: ألا أعجبك ؟ أنشدت المأمون هذا البيت فلم يرفع به رأسا. فقال: وما هو ؟ قال: قلت فيه:

أضحى إمام الهدى المأمون مشتغلا بالدين والناس بالدنيا مشاغيل

فقال له ذلك الشاعر الآخر: ما زدت على أن جعلته عجوزا في محرابها، **فهلا قلت** كما قال جرير في عبد العزيز بن الوليد:

فلا هو في الدنيا مضيع نصيبه ولا عرض الدنيا عن الدين شاغله

وقال المأمون يوما لبعض جلسائه: بيتان لاثنين ما لحقهما أحد؛ قول أبي نواس:

إذا اختبر الدنيا لبيب تكشفت له عن عدو في لباس صديق

وقول شريح

تهون على الدنيا الملامة إنه حريص على استصلاحها من يلومها

قال المأمون: وقد ألجأني الزحام يوما وأنا في الموكب حتى خالطت." [٢]

"ومائتين، وسمع الحسن بن عرفة وعباسا الدوري وغيرهما، وروى عنه جماعة، منهم والدارقطني.

وقال: صام أربعة وثمانين رمضانا، وقد كانت وفاته في هذه السنة عن أربع وتسعين سنة، رحمه الله تعالى.

---

(١) البداية والنهاية (٧٧٤)، ٣١/١٣

(٢) البداية والنهاية (٧٧٤)، ٢٢٠/١٤

إسماعيل بن القائم بن المهدي، الملقب بالمنصور العبيدي

الذي يزعم أنه فاطمي، صاحب بلاد المغرب، وهو والد المعز باني القاهرة وهو باني المنصورية بالمغرب.

كان شجاعا فصيحا بليغا، قال أبو جعفر المروروذي: خرجت معه لما كسر أبا يزيد الخارجي، فبينما أنا أسير معه إذ سقط رمحه، فنزلت فناولته إياه، وذهبت أفاكهه بقول الشاعر:

فألقت عصاها واستقر بها النوى كما قر عينا بالإياب المسافر

فقال: هلا قلت كما قال الله تعالى: فإذا هي تلقف ما يأفكون فوقع الحق وبطل ما كانوا يعملون فغلبوا هنالك وانقلبوا صاغرين [الأعراف: ١١٩] قال: فقلت له: أنت ابن بنت رسول الله صلى الله عليه وسلم، قلت كما علمت، وأنا قلت بما بلغ إليه علمي.

قال ابن خلكان: وهذا كما جرى لعبد الملك بن مروان حين أمر الحجاج." (١)

" إلى أحدهم من الذهب الأحمر وروى عطاء عن أبى هريرة قال إذا رأيتم ستا فان كانت نفس أحدكم فى يده فليرسلها فلذلك أتمنى الموت أخاف أن تدركنى إذا أمرت السفهاء وبيع الحكم وتهون بالدم وقطعت الأرحام وكثرت الجلاوزة ونشأ نشو يتخذون القرآن مزامير وقال ابن وهب حدثنا عمرو بن الحارث عن يزيد بن زياد القرظى أن ثعلبة بن أبى مالك القرظى حدثه أن أبا هريرة أقبل فى السوق يحمل حزمتى حطب وهو يومئذ أمير لمروان بن الحكم فقال أوسع الطريق للأمير يا ابن أبى مالك [فقلت يرحمك الله يكفى هذا فقال اوسع الطريق للأمير والحزمة عليه]

وله فضائل ومناقب كثيرة وكلام حسن ومواعظ جمة أسلم كما قدمنا عام خيبر فلزم رسول الله ص ولم يفارقه إلا حين بعثه مع العلاء بن الحضرمى إلى البحرين ووصاه به فجعله العلاء مؤذنا بين يديه وقال له أبو هريرة لا تسبقنى بآمين أيها الأمير وقد استعمله عمر بن الخطاب عليها فى أيام إمارته وقاسمه مع جملة العمال قال عبد الرزاق حدثنا معمر عن أيوب عن ابن سيرين أن عمر استعمل أبا هريرة على البحرين فقدم بعشرة الاف فقال له عمر استأثرت بهذه الأموال أى عدو الله وعدو كتابه فقال أبو هريرة لست بعدو الله ولا عدو كتابه ولكن عدو من عاداهما فقال فمن أين هى لك قال خيل نتجت وغلة ورقيق لى وأعطية تتابعت على فنظروا فوجدوه كما قال فلما كان بعد ذلك دعاه عمر ليستعمله فأبى أن يعمل له فقال له تكره العمل وقد طلبه من كان خيرا منك طلبه يوسف عليه السلام فقال إن يوسف نبى ابن نبى ابن نبى ابن نبى وأنا أبو هريرة بن أمية وأخشى ثلاثا واثنين قال عمر فهلا قلت خمسة قال أخشى أن أقول بغير علم وأقضى

---

(١) البداية والنهاية (٧٧٤)، ١٥/٢١٤

بغير حلم أو يضرب ظهرى وينزع مالى ويشتم عرضى وذكر غيره أن عمر غرمه فى العمالة الأولى اثنى عشر ألفا فلهذا امتنع فى الثانية وقال عبد الرزاق عن عمر عن محمد بن زياد قال كان معاوية يبعث أبا هريرة على المدينة فاذا غضب عليه عزله وولى مروان بن الحكم فاذا جاء أبو هريرة إلى مروان حجبه عنه فعزل مروان ورجع أبو هريرة فقال لمولاه من جاءك فلا ترده واحجب مروان فلما جاء مروان دفع الغلام فى صدره فما دخل إلا بعد جهد جهيد فلما دخل قال إن الغلام حجبنا عنك فقال له أبو هريرة إنك أحق الناس أن لا تغضب من ذلك والمعروف أن مروان هو الذى كان يستنيب أبا هريرة فى إمرة المدينة ولكن كان يكون عن إذن معاوية فى ذلك والله أعلم وقال حماد بن سلمة عن ثابت عن أبى رافع كان مروان ربما استخلف أبا هريرة على المدينة فيركب الحمار ويلقى الرجل فيقول الطريق قد جاء الأمير يعنى نفسه وكان يمر بالصبيان وهم يلعبون بالليل لعبة الأعراب وهو أمير فلا يشعرون إلا وقد ألقى نفسه بينهم ويضرب برجليه ." (١)

" اشرف وافضل واحسن منها وكانت عائشة بنت طلحة قد فاقت النساء حسنا وجمالا وأصالة وإنما قالت له ذلك لتختبره وتبلوه فقال ... ضحى قلبه يا عز آو كاد يذهل ... * وأضحى يريد الصوم آو يتبدل ... وكيف يريد الصوم من هو وامق ... * لعزة لا قال ولا متبذل ... إذا واصلتنا خلة كي تزيلنا ... * أبينا وقلنا الحاجبية أول ... سنوليك عرفا آن أردت وصالنا ... * ونحن لتيك الحاجبية أوصل وحدثها الواشون آني هجرتها ... * فحملها غيظا على المحمل ...

فقالت له عائشة قد جعلتني خلة ولست لك خلة **وهلا قلت** كما قال جميل فهو والله اشعر منك حيث يقول ... يا رب عارضة علينا وصلها ... * بالجد تخلطه بقول الهازل ... فأجبتها بالقول بعد تستر ... * حبى بثينة عن وصالك شاغلى ... لو كان في قلبي بقدر قلامة ... * فضل وصلتك آو أتتك وسائلي ...

فقال والله ما انكر فضل جميل وما آنا إلا حسنة من حسناته واستحيا ومما انشده ابن الانباري لكثير عزة

... بابي وأمي أنت من معشوقة ... * طبن العدو لها فغير حالها ... ومشى إلى بعيب عزة نسوة ... * جعل الإله خدودهن نعالها ... الله يعلم لو جمعن ومثلت ... * لا خذت قبل تأمل تمثالها ...

ولو آن عزة خاصمت شمس الضحى

... * في الحسن عند موفق لقضى لها ...

---

(١) البداية والنهاية، ١١٣/٨

واشد غيره لكثير عزة

... فما احدث النأي الذي كان بيننا ... * سلوا ولا طول اجتماع تقاليا ... وما زادني الواشون إلا صبابة ... * ولا كثرة الناهين إلا تماديا ...

غيره له

... فقلت لها يا عز كل مصيبة ... * إذا وطنت يوما لها النفس ذلت ... هنيئا مريئا غير داء مخامر * لعزة من أعراضنا ما استحلت ...

وقال كثير عزة أيضا وفيه حكمة أيضا ... ومن لا يغمض عينه عن صديقه ... * وعن بعض ما فيه يمت وهو عاتب ... ومن يتتبع جاهدا كل عثرة ... * يجدها ولا يبقى له الدهر صاحب ...

وذكروا آن عزة بنت جميل بن حفص أحد بني حاجب بن عبد الله بن غفار أم عمرو الضمري ." (١)

" أن المأمون جلس يوما للناس وفي مجلسه الأمراء والعلماء فجاءت امرأة تتظلم إليه فذكرت أن أخاها توفي وترك ستمائة دينار فلم يحصل لها سوى دينار واحد فقال لها المأمون على البديهة قد وصل إليك حقك كأن أخاك قد ترك بنتين وأما وزوجة واثنى عشر أخا وأختا واحدة وهي أنت قالت نعم يا أمير المؤمنين فقال للبنتين الثلثان أربعمائة دينار وللأم السدس مائة دينار وللزوجة الثمن خمسة وسبعون دينارا بقي خمسة وعشرون دينارا لكل أخ ديناران ديناران ولك دينار واحد فعجب العلماء من فطنته وحدة ذهنه وسرعة جوابه وقد رويت هذه الحكاية عن علي بن أبي طالب

ودخل بعض الشعراء على المأمون وقد قال فيه بيتا من الشعر يراه عظيما فلما أنشده إياه لم يقع منه موقعا طائلا فخرج من عنده محروما فلقيه شاعر آخر فقال له ألا أعجبك أنشدت المأمون هذا البيت فلم يرفع به رأسا فقال وماهو قال قلت فيه ... أضحى إمام الهدى المأمون مشتغلا ... بالدين والناس بالدنيا مشاغيل ...

فقال له الشاعر الآخر ما زدت على أن جعلته عجوزا في محرابها فهلا قلت كما قال جرير في عبد العزيز بن مروان ... فلا هو في الدنيا مضيع نصيبه ... ولا عرض الدنيا عن الدين شاغله ...

وقال المأمون يوما لبعض جلسائه بيتان اثنان لاثنين ما يلحق بهما أحد قول أبي نواس ... إذا اختبر الدنيا لبيب تكشفت ... له عن عدو في لباس صديق ...

---

(١) البداية والنهاية، ٩/٢٥٤

وقول شريح

... تهون على الدنيا الملامة إنه ... حريص على استصلاحها من يلومها ...

قال المأمون وقد ألجأني الزحام يوما وأنا في الموكب حتى خالطت السوقة فرأيت رجلا في دكان عليه أثواب خلقة فنظر إلى نظر من يرحمنى أو من يتعجب من أمرى فقال ... أرى كل مغرور تمنيه نفسه ... إذا ما مضى عام سلامة قابل ...

وقال يحي بن أكثم سمعت المأمون يوم عيد خطب الناس فحمد الله وأثنى عليه وصلى على الرسول صلى الله عليه و سلم ثم قال عباد الله عظم أمر الدارين وارتفع جزاء العالمين وطالت مدة الفريقين فوالله إنه للجد لا اللعب وإنه للحق لا الكذب وما هو إلا الموت والبعث والحساب والفصل والميزان والصراط ثم العقاب أو الثواب فمن نجا يومئذ فقد فاز ومن هوى يومئذ فقد خاب الخير كله في الجنة والشر كله في النار وروى ابن عساكر من طريق النضر بن شميل قال دخلت على المأمون فقال كيف أصبحت يا نضير فقلت بخير يا أمير المؤمنين فقال ما الا رجاء فقلت دين يوافق الملوك يصيبون به من دنياهم وينقصمون به من دينهم قال صدقت ثم قال يا نضر أتدري ما قلت في صبيحة هذا اليوم قلت إنى لمن علم الغيب لبعيد فقال قلت أبياتا وهي ." (١)

" وله من العمر تسع وثلاثون سنة وكانت خلافته سبع سنين وستة عشر يومان وكان عاقلا شجاعا فاتكا قهر أبا يزيد الحارجي الذي كان لايطاق شجاعة وإقداما وصبرا وكان فصيحا بليغا يرتجل الخطبة على البديهة في الساعة الراهنة وكان سبب موته ضعف الحرارة الغريزية كما أورده ابن الأثير في كامله فاختلف عليه الأطباء وقد عهد بالأمر إلى المعز الفاطمي وهو باني القاهرة المعزية كما سيأتي بيانه واسمه وكان عمره إذ ذلك أربعا وعشرين سنة وكان شجاعا عاقلا أيضا حازم الرأي أطاعه من البربر وأهل تلك النواحي خلق كثير وبعث مولاه جوهر القائد فبني له القاهرة المتاخمة لمصر واتخذ له فيها دار الملك وهما القصران اللذان هناك اللذان يقال لهما بين القصرين اليوم وذلك في سنة أربع وستين وثلثمائة كما سيأتي وممن توفي فيها من الأعيان

إسماعيل بن محمد بن إسماعيل بن صالح

---

(١) البداية والنهاية، ٢٧٦/١٠

أبو علي الصفار أحد المحدثين لقي المبرد واشتهر بصحبته وكان مولده في سنة سبع وأربعين ومائتين وسمع الحسن بن عرفة وعباسا الدوري وغيرهما وروى عنه جماعة منهم الدارقطني وقال صام أربعة وثمانين رمضانا وقد كانت وفاته في هذه السنة عن أربع وتسعين سنة رحمه الله تعالى

أحمدبن محمد بن زياد

ابن يونس بن درهم أبو سعيد بن الأعرابي سكن مكة وصار شيخ الحرم وصحب الجنيد بن محمد والنوري وغيرهما وأسند الحديث وصنف كتبا للصوفية (إسماعيل بن القائم) بن المهدي الملقب بالمنصور العبيدي الذي يزعم أنه فاطمي صاحب بلاد المغرب وهو والد المعز باني القاهرة وهو باني المنصورية ببلاد المغرب قال أبو جعفر المروزي خرجت معه لما كسر أبا يزيد الخاجي فبينما أنا أسير معه إذ سقط رمحه فنزلت فناولته إياه وذهبت أفاكهه بقول الشاعر ... فألقت عصاها واستقر بها النوى ... كما قر عينا بالإياب المسافر ... فقال **هلا قلت** كما قال الله تعالى فألقى موسى عصاه فإذا هي تلقف ما يأفكون فوقع الحق وبطل ما كانوا يعملون فغلبوا هنالك وانقلبوا صاغرين قال فقلت له أنت ابن بنت رسول الله (ص) قلت ببعض ما علمت وأنا قلت بما بلغ به أكثر علمي قال ابن خلكان وهذا كما جرى لعبدالملك بن مروان حين امر الحجاج أن يبني بابا ببيت المقدس ويكتب عليه اسمه فبنى له بابا وبني لنفسه بابا آخر فوقعت صاعقة على باب عبدالملك فأحرقته فكتب إلى الحجاج بالعراق يسأله عما أهمه من ذلك يقول ما أنا وأنت إلا كما قال الله تعالى واتل عليهم نبأ ابني آدم بالحق إذ قربا قربانا فتقبل من أحدهما ولم يتقبل من الآخر قال لأقتلنك فرضى عنه الخليفة بذلك توفي المنصور في هذه السنة من برد شديد والله أعلم ." [١]
"

(وقد كان أمر المؤمنين وملكهم ** إلى وصيتي في البلاد شهير)

(فها أنا ذا قد صرت ملقى بحفرة ** ولم يغن عني قائد ووزير)

(تزودت حسن الظن بالله راحمي ** وزادي بحسن الظن فيه كثير)

(ومن كان مثلي عالما بحنانه ** فهو بنيل العفو منه جدير)

(وقد جاء إن الله قال ترحما ** إلى ما يظن العبد بي سيصير)

---

(١) البداية والنهاية، ١١/٢٢٦

وحكى أنا ابنه أبا عبد الله المعروف بالمسلوخ لما قرأ هذه الأبيات عاقب ناظمها وقال له إن في قولك ملقى بحفرة دسيسة وتلويحا إلى الحديث (القبر روضة من رياض الجنة أو حفرة من حفر النار) **فهلا قلت** ببلقع أو نحوه بقية أخبار السلطان الغالب بالله وسيرته

كان السلطان أبو محمد عبد الله الغالب بالله ذا سياسة وخبرة بأحوال الملك وتأن في الأمور ولما ولي الخلافة ألان الجانب وخفض الجناح وسار بسيرة حسنة حتى صلحت الرعية وازدانت الدنيا وانتعش الناس حتى كان يقال ثلاث عينات هم عيون الزمان السلطان المولي عبد الله والشيخ أبو محمد عبد الله بن حسين المغاري والشيخ أبو السرور عياد السوسي

قال اليفرني ورأيت من جملة سؤال كتب به الفقيه الصالح خطيب الجامع الأعظم بتارودانت أبو زيد عبد الرحمن التلمساني إلى قاضي الجماعة أبي مهدي عيسى بن عبد الرحمن السكتاني يقول فيه ولا شك أن مولاي عبد الله مجمع على عدالته وبيعته وقد أخبرني الثقة من أصحاب الشيخ الجامع أبي العباس أحمد بن موسى السملالي أنه قال مولاي عبد الله ياقوتة الأشراف هو صالح لا سلطان وقد اشتهر بين الأنام وعلى ألسنة الخاص والعام أن السلطان الغالب بالله كان عدلا صالحا ووقع في الرسالة

". (١)

"قلنا: لم يتأسس في قواعد الشرع أن ما شُكَّ في وجوبه وجب الأخذُ بوجوبه. نعم ما ذكره السائل مأخذ الاحتياط المندوب إليه في الشريعة.

٦٩٥ . فأما غسلُ الرجلين، فأخذه من فحوى الخطاب مُعْوِصٌ مع اختلاف القرّاء في قوله تعالى ﴿ وأرجلكم ﴾ بالكسر والنصب. ولكنَّ القولَ في هذه المرتبةِ مبنيٌّ على بقاء القواعد الكلية في الادِّكار، ودروسِ تفاصيل المذاهب، ونقلُ غسل الرجلين عن الرسول وصحبه متواترٌ، ونسبةُ المصير إلى المسح إلى الشيعة مستفيضٌ، ومثل هذا لا يُتصور اندراسه مع توفُّر الدواعي على نقل القواعد.

فإن فُرِضَ زوالُ القواعد عن الذكر، وقع الكلام في المرتبة الرابعة، على ما سيأتي مشروحا. إن شاء الله تعالى.

٦٩٦ . فالذي تحصَّل من هذا الباب أنه يُتَّبَعُ ما بقي من الادِّكار، ويُسْتَمْسَك بآيةِ الوضوء، وما لم يُعلم وجوبُه، ولم يُشعر به كتابُ الله، فهو محطوط عن أهل الزمان؛ فإن التكليفَ لا يتوجه إلا مع العلم بتوجهه.

---

(١) الاستقصا لأخبار دول المغرب الأقصى، ٥/٥٣

٦٩٧ - فإن قيل: أليس غلبات الظنون مناطُ معظم الأحكام؟ **فهلا قلتُم** ما غلب على ظنِّ المسترشد - في خلوِّ الزمان عن الفقهاء - وجوبُه، وجبَ عليه الأخذُ بوجوبه؟

قلنا: هذا قولُ من يقنعُ بظواهر الأشياء، ولا ينبغي التوصلَ إلى الحقائق، فليعلم المنتهي إلى هذا الموضع أنا نعلم وجوبَ العمل بموجَب خبر الواحد، والقياس في مرتبته على شرطه، ويستحيلُ في مقتضى العقول أن يفيدَ ظنٌّ علماً، ووجوبُ العمل بموجب الخبر الذي نقله متعرضون للخطأ معلوم، والخبر في نفسه مظنون، وكذلك القول في القياس.

٦٩٨ - فالعلمُ بوجوب العمل غيرُ مرتبٍ على عين الخبر والقياسِ، ولكن قام الدليلُ القاطعُ على وجوب العملِ عند ثبوت الخبر والقياس، فالذي اقتضى العلمُ بالعمل الدليل الدال على العمل بهما، كما يستقصَى في فن الأصول.

فالخبرُ والقياسُ يعمل عندهما، ويُعلم ذلك بالدليل المقتضي وجوبَ العمل عند ثبوتهما.." (١)

"٨١٢ - **فهلا قلتم** بناءً على اليقين: لا يأخذ واحد منهما شيئاً من التركة؟ من حيث لا يركن إلى قطع في الاستحقاق، وبناءُ الأَمر على استوائهما، وإشعارُ ذلك بتوزيع التركة عليهما من أدق مسالك الظنون، وأغمض فنون المجتَهَدات في الدعاوَى والبينات، وغيرهما من المشكلات، ولا يستقل به إلا فطنٌ ريان من علوم التفاصيل في التكاليف.

والمرتبة الثالثة: مبناها على دروس العلم بفروع الشريعة وفصولها مع بقاء قواعدها وأصولها؟

فهذا هو السؤال.

٨١٣ - وسبيل الانفصال عنه أن نعترف أولاً بانتفاء اليقين كما أوضحه السائل، ثم نعترف بأن واحداً من الرجلين غيرُ مستيقن استحقاقَ نفسه، ولكنا نقول:

٨١٤ - من الأصول التي آل اليه مجامع الكلام أنه إذا لم يُستيقن حجرٌ أوحظرٌ من الشارع في شيءٍ، فلا يثبت فيه تحريم في خلو الزمان، فإن لم يَستيقن واحدٌ منهما استحقاقاً، فليس نعلم أيضاً حجراً عليه فيما يأخذه، وقد تحققنا أن الاستحقاق لا يعدوهما، فعدمُ الاسيقان في الاستحقاق يعارضة انتفاءُ الدليل في الحظر، وموجب ذلك رفع الحجر والحرج. فإن اقتسما على اصطلاح وتراضٍ، فلا إشكال في انتفاء الحرج عنهما، وإن تنازعا والنزاع مقطوع في أصل الشريعة فلا مسلك قطعاً في قطعه إلا ما ذكرناه.

فلينعم المنتهي إلى هذا المنتهى نظرَه، ففيه بيان بقايا ما تركتُها لكلِ غواصٍ منتهي، ونتائج القرائح لا تنتهي.

---

(١) غياث الأمم في التياث الظلم، ص/٢١٨

٨١٥ ـ فإن قيل: لا يتوصل إلى هذه الدقائق إلا مدرّبٌ في مأخذ الحقائق، فكيف يدركه بنو الزمان الشاغر عن علماءِ الشريعة؟

قلنا: إن ثبت أن ما ذكرناه مستندُه القطع، فعلى أَهل الزمان بذلُ المجهود في دركه، فإنا إذا فرضنا بقاءَ أصول الشريعة، فمن أجلاها علمُ بني الزمان بأن ما يُتصوَّرُ الوصول إلى الاستيقان فيه في الشريعة، فيتعينُ التوصل إليه.." [1]

"

ولكن القول في هذه المتربة مبنى على بقاء القواعد الكلية من الاذكار ودروس تفاصيل المذاهب ونقل غسل الرجلين عن الرسول وصحبه متواتر ونسبه المصير الى المسح إلى الشيعة مستفيض ومثل هذا لا يصور اندراسه مع توفير الدواعي على نقل القواعد فان فرض زوال القواعد عن الذكر وقع الكلام في المرتبة الرابعة على ما ستاتي مشروحة أن شاء الله

فالذي تحصل من هذا الباب انه يتبع ما بقي من الاذكار ويستمسك بآية الوضوء وما لم يعلم وجوبه ولم يشعر به كتاب الله فهو محطوط عن أهل الزمان فان التكليف لا يتوجه إلا مع العلم بتوجهه

فان قيل اليس غلبات الظنون مناط معظم الأحكام **فهلا قلتم** ما غلب على ظن المسترشد في خلو الزمان عن الفقهاء وجوبه وجب عليه الأخذ بوجوبه قلنا هذا قول من يقتنع بظواهر الاشياء ولا ينبغي التوصل إلى الحقائق فليعلم المنتهى الي هذا الموضع انا نعلم وجوب العمل بموجب خبر الواحد والقياس في مرتبته على شرطه ويستحيل في مقتضى القول أن يفيد ظم علماء ووجوب العمل بموجب الخبر الذي نقلته متعرضون للخطأ معلوم والخبر في نفسه مظنون وكذلك القول في القياس فالعلم بوجوب العمل

." [2]

"

واستوا في جهات الإمكان فالمال بينهم على البيان المقدم

ونحن نختم هذا الفصل الآن بمشكلة عجيبة ومعضلة غريبة نوردها في معرض السؤال ونبين الغرض منها في معرض الانفصال

(١) غياث الأمم في التياث الظلم، ص/٢٤٧

(٢) غياث الأمم والتياث الظلم، ص/٣٢٧

فان قيل قد بينهم فصول الكلام في هذه المرتبة على مستندات مستيقنة وكررتم غير مرة أن الظنون لا يرتبط في خلو الدهر عن حملة الشريعة حكم فان ظنون من ليس من احزاب العلماء لا وقه لها وصرتم إلى انه لا يثبت شيء إلا بقطع وقد ناقصتم الآن ما هو قطب الكلام وقاعدة المرام إذ قلتم إذا دارت التركة المختلفة بين اثنين وجوز كل واحد منهما أن يكون مستحقا مستغرقا وجوز أن يكون محجوبا مزحوما محروما فالتركة بينهما وليس واحد منهما على استيشاق في الاستحقاق **فهلا قلتم** بناء على اليقين لا يأخذ واحد منهما شيئا من التركة من حيث لا يركن إلى قطع في الاستحقاق وبناء الأمر على استوئهما واشعار ذلك بتوزيع التركة عليهما من ادق مسالك الظنون واغمض فنون المجتهدات في الدعاوى والبينات وغيرهما من المشكلات ولا يستقل به إلا فطن ريان من علوم التفاصيل في التكاليف

والمرتبة الثالثة مبناها على دروس العلم بفروع الشريعة وفصولها مع بقاء قواعدها واصولها فهذا هو السؤال وسبيل الانفصال عنه أن نعترف

". (١)

"قال فلما افتتن بها وسأل عن أمرها فقيل انها متزوجة برجل من الجند وهو مسافر وله ستة أشهر فى الغزو فعند ذلك كتب الى أمير الجيش يقول قدم أوريا بن حنا أمام الجيش وأعطه الراية بيده وكان أوريا زوج المرأة وكان المتقدم بالراية قليلا ما يسلم فلما وصل الكتاب فعل أمير الجيش ما أمره داود فسلم الراية الى أوريا وتقدم فقتل فكتب أمير الجيش يخبره بموت لأوريا فعند ذلك خطب داود امرأته فتزوج بها فحملت منه بولده سليمان عليهما السلام وكان اسم المرأة تشايع بنت صورى فأقام معها أياما وكان لداود اذ ذاك تسع وتسعون امرأة وقد كمل بأم سليمان المائة وهى تشايع فعند ذلك أرسل الله له ملكين بصفة رجلين فدخلا عليه من غير اذن ففزع منهما داود فقالا له﴿لاتخف خصمان بغى بعضنا على بعض فاحكم بيننا بالحق ولا تشطط﴾ وهو قوله تعالى (وهل أتاك نبأ الخصم اذ تسوروا المحراب) الآية فقال داود قصا على قصتكما قال ﴿ان هذا أخى له تسع وتسعون نعجة ولى نعجة واحدة فقال أكفلنيها وعزنى فى الخطاب﴾ قال له داود ﴿لقد ظلمك بسؤال نعجتك الى نعاجه﴾ فضحك المدعى عليه فقال له داود تظلم وتضحك فارتفعا وهما يقولان قضى داود على نفسه فعلم داود أنه وقع فى الخطيئة فخر ساجدا أربعين ليلة وهو يبكى ولا يرفع رأسه حياء من الله تعالى حتى غرقت الأرض من دموعه وأكلت الأرض من جبهته فرفع رأسه وقام

---

(١) غياث الأمم والتياث الظلم، ص/٣٦٧

فلبس المسوح وافترش الرماد تحت وجهه وعاد الى ما كان عليه فانقطع عنه الوحى وكان يقول فى سجوده سبحان خالق النور رب ان لم ترحم ضعف داود وتغفر ذنبه والا صار حديثا فى الخلق الى يوم القيامة ولم يزل ساجدا وهو يبكى ويتضرع الى الله تعالى حتى انشعب رأسه فجاء اليه جبرائيل وقال ياداود ان الله غفر خطيئتك فاذهب الى قبر أوريا بن حنا واسأله بأن يحاللك فانطلق الى قبر أوريا وقال ياأوريا فقال من قبره لبيك ياداودد فقال داود جعلنى فى حل مما كان منى اليك فقال أوريا وما كان منك فقال عرضتك للقتل بسبب الزوجة فقال قد حاللتك من ذلك فأوحى الله اليه ياداود **هلا قلت** له عرضتك للقتل حتى قتلت فتزوجت بزوجتك من بعدك فعاد اليه وقال له داود ياأوريا فلباه من القبر ثانيا فقال داود يا أوريا عرضتك للقتل حتى تزوجت بزوجتك من بعدك فلما سمع أوريا بذلك سكت فناداه مرارا فلم يجبه أوريا فبكى داود وحثا التراب على رأسه فأوحى الله تعالى اليه ياداود اذا كان يوم القيامة أعطى أوريا الثواب الجزيل حتى أرضيه وأستوهبك منه فقال داود إلهى الآن طاب قلبى بمغفرتك وكرمك وذلك قوله تعالى (وان له عندنا لولفى وحسن مآب) فكان داود لا يرفع رأسه الى السماء حياء من الله تعالى وكان لا يأكل خبز الشعير الا وهو ممزوج بدموع عينيه ويذر عليه الملح وكان لا يأكله حتى يضنيه الجوع ويقول هذا أكل الخاطئين قال عطاء الخراسانى ان داود عليه السلام نقش خطيئته فى كفه لئلا ينساها فكان كلما نظرها بكى. قال وهب بن منبه لما وقع داود فى الخطيئة اشتغل بالبكاء والندم عن النظر فى أحوال الرعية من بنى اسرائيل فعند ذلك اجتمعوا وجاءوا الى ابنه سليمان عليه السلام وقالوا له ان أباك كبر سنه واشتغل بخطيئته عن النظر فى أحوال الرعية والحق أن تكون أنت متوليا على بنى اسرائيل ودخلوا على داود وتكلموا معه فى ذلك وما زالوا به حتى خلع نفسه من الملك وولى ابنه سليمان ثم ان داود خرج من بنى اسرائيل ولحق بالجبل فاجتمع أعيان بنى اسرائيل وجاءوا الى سليمان وأشاروا عليه بقتل أبيه فلما بلغ داود أرسل يقول لابنه سليمان هل سمعت قط بابن قتل أباه قبلك ولكن ان جعل الله قتلى على يد بنى اسرائيل فلا تحضر أنت قتلى فانه يصير ذلك سنة من بعدك فلما بلغ سليمان ذلك لم يوافق بنى اسرائيل على قتل أبيه. قال السدى لما تاب الله على داود وأراد أن يرجع الى ملكه ركب وحارب ابنه سليمان حتى هزمه عن المدينة وقتل فى هذه الوقعة نحو العشرين ألفا من بنى اسرائيل وهرب سليمان فلحقه قائد من قواد أبيه فلما ظفر بسليمان تركه للمجاهدة والغزوات هكذا نقله ابن كثير

ذكر قصة داود وسليمان فى الحري." (١)

---

(١) بدائع الزهور في وقائع الدهور، ص/٧٥

" علمت أن المأمون لا يبصر الشعر قال قلت ومن ذا يكون أعلم منه فوالله إنك لترانا ننشده أول البيت فيسبقنا إلى آخره قال أنشدته بيتا أجدت فيه فلم أر تحرك له قال قلت وما الذي أنشدته قال أنشدته

... أضحى إمام الهدى المأمون مشتغلا ... بالدين والناس بالدنيا مشاغيل ...

قال فقلت له إنك والله ما صنعت شيئا وهل زدت على أن جعلته عجوزا في محرابها في يدها سبحتها فمن القائم بأمر الدنيا إذا تشاغل عنها وهو المطوق بها هلا قلت فيه كما قال عمك جرير في عبد العزيز بن الوليد ... فلا هو في الدنيا مضيع نصيبه ... ولا عرض الدنيا عن الدين شاغله ...

فقال الآن علمت اني قد أخطأت

وذكر عن محمد بن إبراهيم السياري قال لما قدم العتابي على المأمون مدينة السلام أذن له فدخل عليه وعنده إسحاق بن إبراهيم الموصلي وكان شيخا جليلا فسلم عليه فرد عليه السلام وأدناه وقربه حتى قرب منه فقبل يده ثم أمره بالجلوس فجلس وأقبل عليه يسائله عن حاله فجعل يجيبه بلسان طلق فاستطرف المأمون ذلك فأقبل عليه بالمداعبة والمزاح فظن الشيخ أنه استحف به فقال يا أمير المؤمنين الإبساس قبل الإيناس قال فاشتبه على المأمون الإبساس فنظر إلى إسحاق بن إبراهيم ثم قال نعم يا غلام ألف دينار فأتى بها ثم صبت بين يدي العتابي ثم أخذوا في المفاوضة والحديث وغمز عليه إسحاق بن إبراهيم فأقبل لا يأخذ العتابي في شيء إلا عارضه إسحاق بأكثر منه فبقي متعجبا ثم قال يا أمير المؤمنين إيذن في مسألة هذا الشيخ عن اسمه قال نعم سله قال يا شيخ من أنت وما اسمك قال انا من الناس واسمي كل بصل قال أما النسبة فمعروفة أوما الاسم فمنكر وما كل بصل من الأسماء فقال له إسحاق ما أقل إنصافك وما كل ثوم من الأسماء البصل أطيب من الثوم فقال العتابي لله درك ما أحجك يا أمير المؤمنين ما رأيت كالشيخ قط أتأذن لي في صلته بما وصلني به يا أمير المؤمنين فقد والله غلبني فقال المأمون بل هذا موفر عليك ونأمر له بمثله فقال له إسحاق أما إذا أقررت بهذه فتوهمني تجدني فقال والله ما أظنك إلا الشيخ الذي يتناهي إلينا خبره من العراق ويعرف بابن الموصللي قال أنا حيث ظننت فأقبل عليه بالتحية والسلام فقال المأمون وقد طال الحديث بينهما أما إذا اتفقتما على الصلح والمودة فوقما فانصرفا متنادمين فانصرف العتابي إلى منزل إسحاق فأقام عنده

وذكر عن محمد بن عبد الله بن جشم الربعي أن عمارة بن عقيل قال قال لي المأمون يوما وأنا أشرب عنده ما أخبثك يا اعرابي قال قلت وما ذاك يا امير المؤمنين وهمتني نفسي قال كيف قلت ... قالت مفداة ليما أن رأت أرقى ... والهم يعتادني من طيفه لمم ... نهبت مالك في الأدنين آصرة ... وفي الأباعد حتى

حفك العدم ... فاطلب إليهم ترى ما كنت من حسن ... تسدي إليهم فقد باتت لهم صرم ... فقلت عذلك قد أكثرت لائمتي ... ولم يمت حاتم هزلا ولا هرم ." [(١)]

"وأسهرت ليلك بما لا تدين الله عز وجل به، ولا تزداد به علما؟ فأجابني بأن قال: كتبته حتى أتمم به الأبواب إذا أردت تخريجها. فقلت له: تخرج للمسلمين ما لا تدين به؟ فقال نعم لأعرفه فقلت له: تعني المسلمين على قود مقالتك والحق في غير ما ذكرت؟ ثم قلت له خرقت الإجماع لأن الأمة بأسرها، اتفقت على نقلها، ولم يكن نقل ذلك عبثا ولا لعبا، ولو كان نقلهم لها كترك نقلهم لها لكانوا عابثين وحاشا لله من ذلك. ومن كانت هذه مقالته فقد دخل تحت الوعيد في قوله عز وجل: ﴿ويتبع غير سبيل المؤمنين نوله ما تولى ونصله جهنم وساءت مصيرا (١١٥)﴾ (١).

ولما كانت أخبار الآحاد في الصفات لا توجب عملا دل على أنها موجبة للعلم، فسقط بهذا ما ادعاه من لم ينتفع بعلمه، وتهجم على إسقاط كلام الرسول - صلى الله عليه وسلم - بنقل العدل عن العدل موصولا إليه، برأيه وظنه.

ثم ذكرت حساب الكفار فقال لي: قد روي عن النبي - صلى الله عليه وسلم - حديث أبي الأحوص عن عبد الله بن مسعود رضي الله عنه عن النبي - صلى الله عليه وسلم -: «إن الكافر ليحاسب حتى يقول: أرحني ولو إلى النار» (٢)

فهلا قلت به؟ فقلت له: ليس

---

(١) النساء الآية (١١٥).

(٢) أخرجه: أبو يعلى (٨/ ٤٩٨٢/٣٩٨) وعنه ابن حبان (١٦/ ٧٣٣٥/٣٣٠) والطبراني (١٠/ ٩٩ - ١٠٠/ ١٠٠٨٣) من طريق شريك عن أبي الأحوص عن عبد الله مرفوعا. وفي إسناده شريك وهو سيئ الحفظ وهو متأخر السماع من أبي إسحاق السبيعي، وهذا الأخير اختلط بآخره. وتابعه إبراهيم بن المهاجر البجلي عن أبي الأحوص به. رواه الطبراني في الكبير (١٠/ ١٠١١٢/١٠٧) وفي الأوسط (٥/ ٤٥٧٦/٢٩٢). وإبراهيم بن المهاجر قال فيه ابن حجر: "صدوق لين الحفظ".

---

(١) تاريخ الأمم والرسل والملوك- الطبري، ٢٠٤/٥

والحديث ذكره الهيثمي في المجمع (١٠/ ٣٣٦) وقال: "رجال الكبير رجال الصحيح وفي رجال الأوسط محمد بن إسحاق وهو ثقة لكنه مدلس".." (١)

"وحياة، وكلاما، كدلالتها على أن له رحمة، ومحبة، وغضبا، ورضى، وفرحا، وضحكا، ووجها، ويدين، فدلالة النصوص على ذلك سواء، فلم نفيت حقيقة رحمته، ومحبته، ورضاه، وغضبه، وفرحه، وضحكه، وأولتها بنفس الإرادة. فإن قلت: لأن إثبات الإرادة، والمشيئة لا يستلزم تشبيها وتجسيما، وإثبات حقائق هذه الصفات يستلزم التشبيه، والتجسيم، فإنها لا تعقل إلا في الأجسام، فإن الرحمة رقة تعتري طبيعة الحيوان، والمحبة ميل النفس لجلب ما ينفعها، والغضب غليان دم القلب طلبا للانتقام، والفرح انبساط دم القلب لورود ما يسره عليه. قيل لك وكذلك الإرادة هي ميل النفس إلى جلب ما ينفعها، ودفع ما يضرها، وكذلك جميع ما أثبته من الصفات إنما هي أعراض قائمة بالأجسام في الشاهد، فإن العلم انطباع صورة المعلوم في نفس العالم، أو صفة عرضية قائمة به، وكذلك السمع، والبصر، والحياة، أعراض قائمة بالموصوف، فكيف لزم التشبيه وال‍تجسيم من إثبات تلك الصفات ولم يلزم من إثبات هذه. فإن قلت: لأني أثبتها على وجه لا يماثل صفاتنا ولا يشابهها، قيل لك: فهلا أثبت الجميع على وجه لا يماثل صفات المخلوقين ولا يشابهها، ولم فهمت من إطلاق هذا التشبيه والتجسيم، وفهمت من إطلاق ذلك التنزيه والتوحيد، وهلا قلت أثبت له وجها ومحبة وغضبا ورضى وضحكا ليس من جنس صفات المخلوقين. فإن قلت هذا لا يعقل، قيل لك: فكيف عقلت سمعا وبصرا وحياة وإرادة ومشيئة ليست من جنس صفات المخلوقين.

فإن قلت: أنا أفرق بين ما يتأول وبين ما لا يتأول، بأن ما دل العقل على ثبوته يمتنع تأويله كالعلم والحياة والقدرة والسمع والبصر، وما لا يدل عليه." (٢)

"٦ – أما قول الأستاذ محمد حسين: «ولا عيب أن نتناصح ونتشارك في المصالح الوطنية المشتركة»، فنترك الرد للأستاذ سيد قطب – رحمه الله – حيث يقول: «إن المسلم مطالب بالسماحة مع أهل الكتاب، ولكنه مَنْهِيّ عن الولاء لهم بمعنى التناصر والتحالف معهم، وإن طريقه لتمكين دينه وتحقيق نظامه المتفرد لا يمكن أن يلتقي مع طريق أهل الكتاب، (١) ومهما أبدى لهم من السماحة والمودة فإن هذا لن يبلغ أن يرضوا له البقاء على دينه وتحقيق نظامه (٢) ولن يكُفَّهم عن موالاة بعضهم لبعض في حربه والكيد له ...

---

(١) موسوعة مواقف السلف في العقيدة والمنهج والتربية، المغراوي ٣١٦/٥

(٢) موسوعة مواقف السلف في العقيدة والمنهج والتربية، المغراوي ٣٣٦/٨

وسذاجة أي سذاجة وغفلة أي غفلة، أن نظن أن لنا وإياهم طريقاً واحداً نسلكه للتمكين للدين! أمام الكفار والملحدين! فهم مع الكفار والملحدين، إذا كانت المعركة مع المسلمين!!! وهذه الحقائق الواعية يغفل عنها السذج منا في هذا الزمان وفي كل زمان ... ناسين تعاليم القرآن كله، وناسين تعليم التاريخ كله ... إن هؤلاء لا يقرؤون القرآن وإذا قرؤوه اختلطت عليهم دعوة السماحة التي هي طابع الإسلام، فظنوها دعوة الولاء التي يحذِّر منه القرآن» (٣).

٧ - وبينما نسمع من الأستاذ محمد حسين هذا القول فيما يتعلق بالنصارى نجده في كتابه (سلوكيات وأحكام المرأة في المجتمع المسلم) (ص٣٤) يصف علماء المسلمين . المخالفين له في مسألة شرعية . بأنهم قَليلوا الصلة بالقرآن والعلم، مع أن رأيهم هو الراجح، فهل هذا نصيب إخوانك المسلمين من التناصح؟ **فهلا قلت** عنهم مثل ما قلت عن النصارا.

---

(١) قال الدكتور جابر قميحة: أعلن الإخوان أن الحزب الذي يدعون إلي إنشائه يتسع لعنصري الأمة المسلمين والأقباط. (أفاق عربية ٨/ ١٤٢٦/١٠ - ١٠/ ٢٠٠٥/١١) وللقاريء أن يتخيل حزباً إسلامياً بهذا الشكل.

(٢) وصدق - رحمه الله - فقد أعلن النصارى الذين يلمعهم (الإخوان المسلمون) أمثال ميلاد حنا رفضهم للشريعة الإسلاميۃ، بل قال ميلاد حنا: «في اليوم الذي يفوز فيه الإخوان المسلمون بأكثر من ٥٠؟ من المقاعد، فإن الأقباط الأغنياء سيغادرون البلاد وسيبقى الأقباط الأفقر، وربما يغير بعضهم دينه وأتمنى أن أموت قبل أن يأتي هذا اليوم» (الشرق الأوسط ٢٢/ ٢٠٠٥/١١)، وانظر: (الأهرام ٢٥/ ١٤٢٦/١٠ - ٢٧/ ٢٠٠٥/١١).

(٣) في ظلال القرآن (٢/ ٩١٠) عند تفسير الآية ٥١ من سورة المائدة.." [1]

"فما كان قيس هلكه هلك واحد ... ولكنه بنيان قوم تهدما

فقال مسلمة: لقد تكلمت بكلمة شيطان، **هلا قلت**:

إذا مقرم منا ذرا حد نابه ... تخمط فيه ناب آخر مقرم

وكان مسلمة شجاعا خطيبا، وبارع اللسان جوادا، ولم يكن في ولد عبد الملك مثله ومثل هشام بعده.

وقال بعض الأعراب يهجو قوما:

---

(١) الرد على اللمع، شحاتة صقر ص/٢٠٣

تصبر للبلاء الحتم صبرا ... إذا جاورت حي بني أبان

أقاموا الديدبان على يفاع ... وقالوا يا احترس للديدبان

فإن أبصرت شخصا من بعيد ... فصفق بالبنان على البنان

تراهم خشية الأضياف خرسا ... يقيمون الصلاة بلا أذان

وقال بعض الأعراب يمدح قوما:

وسار تعناه المبيت فلم يدع ... له حابس الظلماء والليل مذهبا

رأى نار زيد من بعيد فخالها ... وقد كذبته النفس والظن كوكبا

رفعت له بالكف نارا تشبها ... شآمية نكباء أو عارض صبا

وقلت ارفعوها بالصعيد كفى بها ... مشيرا لساري ليلة إن تأوبا

فلما أتانا والسماء تبله ... نقول له أهلا وسهلا ومرحبا

وقمت إلى البرك الهواجد فاتقت ... بكوماء لم يترك لها النى مهربا

فرحبت أعلى الجنب منها بطعنة ... دعت مستكن الجوف حتى تصببا

وقال الآخر:

واستيقني في ظلم البيوت ... إنك إن لم تقتلي تموتي

وقال أبو سعيد الزاهد: «من عمل بالعافية فيمن دونه رزق العافية ممن فوقه» .." (١)

"وسمع عمر رجلا يدعو ويقول؛ اللهم اجعلني من الأقلين! قال: ما هذا الدعاء؟

قال: إني سمعت الله عز وجل يقول: وقليل من عبادي الشكور

«١» وقال: وما آمن معه إلا قليل

«٢» . قال عمر: عليك من الدعاء بما يعرف.

وكره عمر بن عبد العزيز قول الرجل لصاحبه: ضعه تحت إبطك، وقال: هلا قلت تحت يدك وتحت منكبك! وقال مرة- وراث فرس بحضرة سليمان- فقال:

ارفعوا ذلك النثيل «٣» . ولم يقل ذلك الروث.

وقال الحجاج لأم عبد الرحمن بن الأشعث: عمدت إلى مال الله فوضعته تحت. كأنه كره أن يقول على عادة الناس: تحت استك، فتلجلج خوفا من أن يقول قذعا أو رفثا، ثم قال: تحت ذيلك.

---

(١) البيان والتبيين الجاحظ ١٣٠/٣

وقال النبي صلى الله عليه وسلم: «لا يقولن أحدكم لمملوكه عبدي وأمتي، ولكن يقول: فتاي وفتاتي، ولا يقول المملوك ربي وربتي، ولكن يقول سيدي وسيدتي» «٤» .
وكره مطرف بن عبد الله، قول القائل للكلب: اللهم أخزه.
وكره عمران بن الحصين، أن يقول الرجل لصاحبه: «أنعم الله بك عينا» ؛ و «لا أنعم الله بك عينا» .
وقد كرهوا أشياء مما جاءت في الروايات لا تعرف وجوهها، فرأي أصحابنا: لا يكرهونها. ولا نستطيع الرد عليهم، ولم نسمع لهم في ذلك أكثر من الكراهة. ولو كانوا يروون الأمور مع عللها وبرهاناتها خفت المؤنة، ولكن أكثر الروايات مجردة، وقد اقتصروا على ظاهر اللفظ دون حكاية العلة، ودون الإخبار عن البرهان. وإن كانوا قد شاهدوا النوعين مشاهدة واحدة.
قال ابن مسعود وأبو هريرة «٥» : «لا تسموا العنب الكرم؛ فإن الكرم هو الرجل المسلم «٦» .." [1]

"في المجلس، وحيث يدعه رب المجلس صيانة له وإبقاء عليه- إلا أن يتصدر فيه من لايجوز إلا أن يكون صدرا، فلا يقصر الكلب دون أن يرقى عليه.
وقد كان في حجج معاوية في اتخاذ المقصورة بعد ضرب البرك إياه بالسيف، أنه أبصر كلبا على منبره.
هذا على ما طبع عليه من إكرام الرجل الجميل اللباس، حتى لا ينبح عليه إن دنا من باب أهله، مع الوثوب على كل أسود، وعلى كل رث الهيئة، وعلى كل سفيه تشبه حاله حال أهل الريبة.
ومن كبره وشدة تجبره، وفرط حميته «١» وأنفته واحتقاره. أنه متى نبح على رجل في الليل، ولم يمنعه حارس ولم يمكنه الفوت، فدواؤه عند الرجل أنه لا ينجيه منه إلا أن يقعد بين يديه مستخزيا مستسلما، وأنه إذا رآه في تلك الحال دنا منه فشغر «٢» عليه؛ ولم يهجه، كأنه حين ظفر به، ورآه تحت قدرته، رأى أن يسمه بميسم ذل، كما كانت العرب تجز نواصي الأسرى من الفرسان، إذا رامت أن تخلي سبيلها وتمن عليها، ولو كف العربي عن جز ناصيته، لوسمه الأسير من الشعر والقوافي الخالدات البواقي، التي هي أبقى من الميسم، بما هو أضر عليه من جز ناصيته، ولعله لا يبلغ أهله حتى تستوي مع سائر شعر رأسه، ولكن ذل الجز لا يزال يلوح في وجهه، ولا يزال له أثر في قلبه.

٣٦٤-[رأي في الكلب]

وذكر أن مطرف بن عبد الله كان يكره أن يقال للكلب اخسأ، وما أشبه ذلك، وفي دعائه على أصحاب الكلب الذي كان أربابه لا يمنعونه من دخول مصلاه، قال:

---

(١) الحيوان الجاحظ ٢٢٥/١

اللهم امنعهم بركة صيده!! دليل على حسن رأيه فيه.

قالوا: ومر المسيح بن مريم في الحواريين بجيفة كلب، فقال بعضهم: ما أشد نتن ريحه! قال: **فهلا قلت**: ما أشد بياض أسنانه!! قالوا: وقال رجل لكلب: اخسأ، ويلك! فقال همام بن الحارث: الويل لأهل النار.

٣٦٥-[هراش الحيوان]

والهراش الذي يجري بينها وهو شر، يكون بين جميع الأجناس المتفقة،." [١]

"ابن مجاهد قال نا عمار بن سعد المؤذن عن قطن بن عبد الله عن غالب الليثي قال بعثني النبي صلى الله عليه وسلم عام الفتح لأسهل له الطريق وأكون عينا له فلقيني على الكديد لقاح من نعم كنانة وإن النبي صلى الله عليه وسلم قعد فحلبت له فجعل يدعو الناس إلى الشراب فمن قال صائم قال هؤلاء العاصون، وكانت نحوا من ستة آلاف لقحة.

٤٣٨ - غالب بن ذيخ (١) .

٤٣٩ - غالب الرياحي سمع ابن عمر قيل له أن قوما يشهدون علينا بالكفر، قال **هلا قلت** لا إله إلا الله فتكذبهم،

قاله موسى بن اسمعيل عن جعفر بن حيان عن الجريري سمع غالبا.

٤٤٠ - غالب بن عبد الله بن سعد عن زهدم روى عنه أبو التياح.

٤٤١ - غالب بن الهذيل أبو الهذيل يعد في الكوفيين عن إبراهيم روى عنه الثوري.

٤٤٢ - غالب بن أبى غيلان وهو ابن خطاف (٢) القطان

---

(١) هكذا في الاصل وهكذا ضبطه اهل المشتبه ووقع في الاصابة (ديخ) وفيها انه وقع كذلك بدل غالب بن عبد الله الليثى في بعض روايات حديثه في الحمر الاهلية ولم يذكره ابن ابى حاتم - ح.

(٢) في الاصل (خطاب) وعليه (صح) وبالهامش حاشية مقطوعة (خطاب بضم..بفتح..) اقول الاصل بخط مغربي والفاء تشتبه بالباء في خطهم لانهم = (*)."[٢]

"٦١٣ - فديك بن سليمان أبو عيسى الشامي من ولد فديك صاحب النبي صلى الله عليه وسلم سمع الأوزاعي.

---

(١) الحيوان الجاحظ ٢/٣٣٧

(٢) التاريخ الكبير للبخاري بحواشي المطبوع البخاري ٧/٩٩

باب فزع (١)

٦١٤ - فزع وكان شهد القادسية سمع منقع (٢) .

٦١٥ - فزع بن عفيق (٣) قال المفضل بن فضالة نا فزع ابن عفيق المازني قال قلت لعبد الله بن عمر إنا نشتري السرق قال وما السرق؟ (٤) قلت الحرير قال يا أهل العراق تجيئون بأسماء منكرة، ألا تقول الحرير.

باب الواحد

٦١٦ - فيروز بن الديلمي قاتل الأسود العنسي قال أبو عاصم

= انه من لم يهاجر هلك، فقال اقم الصلاة، الحديث) فكأنه كان في الاصل (وقال فديك بن سليمان عن الاوزاعي..) ثم ذكر الترجمة الآتية (فديك ابن سليمان أبو عيسى ...) فزاغ نظر الناسخ من (فديك بن سليمان) في اثناء هذه الترجمة إلى مثلها اول الترجمة الآتية والله اعلم - ح.

(١) قال عبد الغنى في المؤتلف ص ١٠١ (فزع بفتح الفاء والزاى وهى معجمة هو الفزع عن المنقع) وكذا قال ابن ماكولا وغيره - ح (٢) كذا وسياتى ما فيه في ترجمته - ح (٣) قال في القاموس (٤ ف ق) (والفرع بن عفيق كزبير تابعي) كذا وقع فيه (الفرع) قال شارحه (والصواب بالزاى المحركة) ح (٤) وقع في الاصل (الشرق) في الموضعين وفى النهاية (س ر ق) (ومنه حديث ابن عمر أن سائلا ساله عن سرق الحريز فقال **هلا قلت** شقق الحرير، قال أبو عبيد هي الشقق الا انها البيض خاصة وهى فارسية اصلها سره وهو الجيد) ح.

(*)."[1]

"٤٣٨- غالب بن ذيخ.

٤٣٩- غالب، الرياحي.

سمع ابن عمر؛ قيل له: أن قوما يشهدون علينا بالكفر، قال: **هلا قلت**: لا إله إلا الله فتكذبهم.

قاله موسى بن إسماعيل، عن جعفر بن حيان، عن الجريري، سمع غالبا.." [2]

---

(١) التاريخ الكبير للبخاري بحواشي المطبوع البخاري ١٣٦/٧

(٢) التاريخ الكبير للبخاري بحواشي محمود خليل البخاري ٩٩/٧

"قال: وقلت هذه الأرجوزة فى ليلة واحدة، وانثالت على انثيالا.

١٠٣٤* وسمعه رجل من بنى الحرماز ينشد «١» :

كأن تحتى كندرا كنادرا «٢» ... ترى بليتى عنقه مزاررا «٣»

من الكدام جالبا وجادرا «٤»

فقال: تركته فردا بلا أتن! **هلا قلت:**

فى عانة يقسرها المقاسرا «٥» ... بصلب رهبى تجمع الضرائرا

حولا وأخرى تحمل النعائرا؟." (١)

"هو أخواك، وأختاك. قلت: هذان أخواي فمن أختاي؟ فقال: إني أظن ذا بطن بنت خارجة جارية.

حدثنا شيبان بن أبي شيبة الأبلي، ثنا عبد العزيز بن مسلم القسملي عن هشام بن عروة عن أبيه بنحوه.

حدثنا إبراهيم بن مسلم الخوارزمي، ثنا وكيع عن إسماعيل بن أبي خالد عن عبد الله البهي مولى الزبير عن عائشة قالت: لما احتضر أبو بكر قلت كلمة من قول حاتم:

لعمرك ما يغني الثراء عن الفتى ... إذا حشرجت يوما وضاق بها الصدر

[١] فقال: يا بنية، **هلا قلت**: وجاءت سكرة الحق بالموت ذلك ما كنت منه تحيد [٢] وكذا كان يقرأها، انظروا هاتين فإذا مت فاغسلوهما وكفنوني فيهما فإن الحي أحوج إلى الجديد من الميت.

حدثني أبو بكر الأعين، ثنا روح بن عبادة، ثنا هشام بن حسان عن بكر بن عبد الله قال: بلغني أن أبا بكر لما مرض وثقل قعدت عائشة عند رأسه فقالت:

كل ذي إبل مورثها ... وكل ذي سلب مسلوب

[٣] فقال: ليس كما قلت يا عائشة ولكن كما قال الله: وجاءت سكرة الحق بالموت ذلك ما كنت منه تحيد.

حدثنا عفان، أنبأ حماد بن سلمة عن علي بن زيد عن القاسم بن محمد

---

[١] ديوان حاتم الطائي- ط. دار صادر بيروت ص ٥١ وفيه: «أماوي ما يغني ... » .

---

(١) الشعر والشعراء الدِّينَوري، ابن قتيبة ٥٧٦/٢

[٢] سورة ق– الآية: ١٩، ونصها: (وجاءت سكرة الموت بالحق ذلك ما كنت منه تحيد) .

[٣] ديوان عبيد بن الأبرص– ط. دار صادر بيروت ص ٢٦.." [1]

"مالي أرى السيف في يدك وكان معصوبا بالحرير لكي لا يفلت إذا تعلق به فلما سأله لجلج وقال: قتل ابن ملجم وشبث بن عبرة الأشجعي عليا، فأخذ منه سيفه فضرب عنقه فأصبح قتيلا في الرباب، والمسيب بن خداش قتل مع وردان أيضا.

وولد خزيمة بن لؤي بن عمرو: مالك بن خزيمة وهو ولاد، فولد ولاد: الحارث بن ولاد. وعدي بن ولاد. ومازن بن ولاد. وربيعة بن ولاد. وبغيض بن ولاد. وغياث بن ولاد، منهم أصم بني ولاد الشاعر.

وولد رفاعة بن لؤي بن عمرو: خالد بن رفاعة. وكاهل بن رفاعة.

ونمير بن رفاعة.

وولد ذهل بن تيم بن عبد مناة بن أد:

سعد بن ذهل.

فولد سعد:

ثعلبة بن سعد.

وجشم بن سعد. وبكر بن سعد.

فولد ثعلبة:

امرئ القيس بن ثعلبة.

وعوف بن ثعلبة.

فولد امرؤ القيس:

جلهم.

منهم عمر بن لجأ [١] بن حدير بن مصاد بن ذهل بن تيم بن عبد مناة بن أد الشاعر الذي كان يهاجي جرير بن عطية بن الخطفى، وكان سبب تهاجيهم أن ابن لجأ أنشد جريرا باليمانية

تجر بالأهون في أدنائها ... جر العجوز جانبي خبائها

[٢] فقال له جرير: هلا قلت جر العروس طرفي ردائها، فقال له عمر بن

---

(١) أنساب الأشراف للبلاذري البلاذري ٨٥/١٠

[١] بهامش الأصل: عمر بن لجأ الشاعر.

[٢] في النقائض– ط. ليدن ١٩٠٥ ص ٤٨٧: قال عمر في وصف إبله:

كالظرب الأسود من ورائها ... جر العجوز الثني من خفائها." (١)

"إن الأراقم لن يضر قديمها ... كلب عوى متهتم الأسنان

ما ضر تغلب وائل أهجوتها ... أم بلت حيث تناطح البحران [١]

فنشب الشر بيني وبين الفرزدق وبينه وتهاجينا، وكان الأخطل يقول جرير أغزرنا، والفرزدق أفخرنا، وأما أنا فأوصف للخمر وأمدح للملوك قال: ثم قال: عمر بن لجأ التيمي، دخل على صاحب صدقات بني تيم فانشده لي وهو:

تريدين أن نرضى وأنت بخيلة ... ومن ذا الذي يرضي الإخلاء بالبخل

فقال له: قد أنشدني جرير هذا البيت، وذكر أنه له فقال له: إنه سرقه مني. فبينا هو عنده إذ دخلت فقال لي صاحب الصدقات: زعم ابن لجأ أنك سرقت هذا البيت منه. فقلت: أنا أسرقه منك يا بن لجأ وأنت القائل وقد وصفت إبلك فجعلتها كالهضاب:

...

جر العروس الذيل من ردائها

فهلا قلت:

...

جر العروس الذيل من كسائها [٢]

قلت: تقويها ولا تضعفها. فقال ابن لجأ: أو لست القائل:

وأوثق عند المردفات عشية ... لحاقا إذا ما جرد السيف لا مع [٣]

أفيلحقن عشية وقد أخذن غدوة والله ما لحقن حتى فقحن ونكحن.

قال الحجاج: فما قلت له؟ قال فأنشده:

---

[١] ديوان الفرزدق ج ٢ ص ٣٤٤– ٣٤٥.

---

(١) أنساب الأشراف للبلاذري البلاذري ٢٧٦/١١

[٢] شعر عمر بن لجأ- ط. الكويت ١٩٨١ ص ٩- ١٠، ١٤١.

[٣] ديوان جرير ص ٢٩٣.." (١)

"قال: فقلت له إنك والله ما صنعت شيئا وهل زدت على أن جعلته عجوزا في محرابها في يدها سبحتها فمن القائم بأمر الدنيا إذا تشاغل عنها وهو المطوق بها **هلا قلت** فيه كما قال عمك جرير في عبد العزيز بن الوليد: -

(فلا هو في الدنيا مضيع نصيبه ... ولا عرض الدنيا عن الدين شاغلة)

قال: وحدثني أحمد بن محمد اليزيدي. قال: جاءنا أبي فقال يا بني: لقيني ياسر رجله فقال: أجب أمير المؤمنين فدخلت على المأمون وعنده جماعة من أصحابه فقال: إني أمرت من يحضرني ينشدني ما يخطر بقلبه مما يستحسنه فكل أنشد فأنشدني ما يخطر بقلبك مما تستحسنه فأنشدته: -

(عتقت حتى لو اتصلت ... بلسان ناطق وفم)

(لاحتبت في القوم مائلة ... ثم قصت قصة الأمم)

فقال المأمون الذي أردت: -

(وتمشت في مفاصلهم ... كتمشى البرء في السقم)

ثم نكث الأرض بإصبعه فأنصرف من بحضرته وخرجت معهم فلحقني ياسر فقال: ارجع. فرجعت: فقال: يا أبا محمد: اشتهيت اتعرف الأفياء فلم يزل يذهب من فئ إلى فئ حتى أفضى إلى الرواق فرفع السجف فإذا عريب ومحمد بن حامد البوزنجردي فقال: نطعم أبا محمد شيئا. فقلت: قد أكلت يا أمير المؤمنين. فشرب المأمون رطلين وقال: أسق أبا محمد. فلما هممت بشربه قال: هات له عشرين ألف درهم قال: وأنشدك بيتين خير لك من عشرين ألف. فقلت: مازال أمير المؤمنين يؤدب ويفيد فأنشدني: -

(إني وأنت رضيعا قهوة لطفت ... عن العيان ورقت في مدى الوهم)

(لم نغتذى غير كأس خزت درتها ... والكأس حرمتها أولى من الرحم)." (٢)

"**فهلا قلت** كما قال جميل:

يارب عارضة علينا وصلها ... بالجد تخلطه بقول الهازل

فأجبتها في القول بعد تستر ... حبي بثينة عن وصالك شاغل

---

(١) أنساب الأشراف للبلاذري البلاذري ٢١٦/١٢

(٢) كتاب بغداد ابن طيفور ص/١٦٩

لو كان في قلبي كقدر قلامة ... فضل وصلتك أو أتتك رسائلي
هذا والله الحب لا تصنيعك وتذويقك وحدثني عن السجستاني قال حدثنا العتبي قال عرض عتبة بن ربيعة أبا سفيان بن حرب وسهل بن عمرو على هند بنت عتبة وكان خطباها فقالت أما سهيل فلا حاجة لي بالأهوج فإن مرأته إن انجببت فمن حظ ما تنجب وإن أخطأت وأحمقت فبالحرى قال ففي ذاك يقول سهيل:
وما هوجى ياهند إلا سجية ... أجريها دلى لاحدى الخلائق
وإني إذا ما خلة سأخلقها ... صبرت عليها صبر آخر عاشق
قالت وأما أبو سفيان فلئن نبأني عن الصنيعة ولا يبيت له مال بمضيعة فزوجينه وأحر بالسليل بيني وبينه ان يسود قريشا.
حدثني محمد بن سعد قال حدثني السجستاني قال حدثنا العتبي قال خرج الحارث بن عوف المري خاطبا إلى حارثة بنت أوس بن لام الطائي فقال لابنته يا بنية هذا سيد قومه قد أتاني خاطبا لك فقالت لا حاجة لي فيه أن في خلقي ضيقا صبر عليه القرباء ولا يصبر عليه البعداء قال فقال التي تليها قد سمعت ما قالت أختك قالت زوجينه فاني ان لم أصلح للبعداء لم اصلح للقرباء قال فزوجيه وضرب عليه قبة ونحر له الجزر فمد يده إليها فقالت ابنة أوس تمد إليها اليد بحضرته قال فتحمل بها فلما كان بالطريق مد يده إليها فقالت ابنة أوس أردت أن تمتع بها في سفرك كما تمتع بسفرتك فكف يده فلما حل في أهله وقعت الحرب بين بني عبس وذبيان فمد يده إليها فقالت لقد أخطأ الذي سماك سعيدا تمد يدك إلى النساء والقوم يتناجزون قال فما وضع يده عليها حتى أصلح بين قومه وتحمل دياتهم ثم دخل بها فحظيت عنده.
وحدثني محمد بن سعد قال حدثني اياس بن عقبة المزني قال حدثني أبو عبد الرحمن العتبي قال حدثنا خلف أبو معمر مولى آل قحذم قال حدثني رجل قال حملت كتاب." (١)
"هذا في الإسلام، يعني وقعة الحجاج بن يوسف بن الحكم بن أبي عقيل الثقفي بعبد الرحمن بن محمد بن الأشعث بن قيس بن معد يكرب الكندي بدير الجماجم.
وقوله١:
وقد مات بسطام بن قيس بن خالد
يعني الشيباني، وهو فارس بكر بن وائل وابن سيدها، وقتل بالحسن٢ وهو جبل قتله عاصم بن خليفة

(١) بلاغات النساء ابن طيفور ص/١٤٩

الضبي، وكان عاصم بن خليفة أسلم في أيام عثمان رحمه الله، فكان يقف ببابه فيستأذن عليه، فيقول عاصم بن خليفة الضبي: قاتل بسطام بن قيس بالباب قال أبو الحسن: الوجه عندي في "بسطام" ألا ينصرف لأنه أعجمي وكان سبب قتله إياه أن بسطاما أغار على بني ضبة، وكان معه حاز يحزو له قال أبو الحسن: " حاز" بالزاي أي زاجر فقال له بسطام: إني سمعت قائلا يقول:

الدلو تأتي الغرب المزله٣

فقال الحازي: فهلا قلت:

ثم تعود بادنا مبتله٤

قال: ما قلت فاكتسح إبلهم، فتنادوا واتبعوه، ونظرت أم عاصم إليه، وهو يقع حديدة له أي يحدها، والميقعة: المطرقة فقالت له: ما تصنع بهذه وكان عاصم مضعوفا٥ فقال لها: أقتل بها بسطام بن قيس، فنهرته، وقالت: است أمك أضيق من ذلك فنظر إلى فرس لعمه موثقة إلى شجرة

---

١ رجع إلى تفسير قول الفرزدق ص٢٠٤.

٢ زيادات ر: "كذا وقعت الرواية، بالحسن، وهو جبل بالجيم، والصواب: حبل بالحاء. قال ابن سراج رحمة الله تعالى: الحسن والحسين: حبلا رمل".

٣ الغرب هنا: الماء الذي يسيل من الدلو. والمزلة: موضع الزلل.

٤ البادن في الأصل: الضخم البدن، يريد هنا أن الدلو تعود ممتلئة بالماء.

٥ ر: "منقوصا".

٦ تكمله من ر.." (١)

"نقد كثير للشعراء

وحدثت أنعمر بن عبد الله بن أبي ربيعة أتى المدينة فأقام بها، ففي ذلك يقول:

يا خليلي قد مللت ثوائي ... بالمصلى وقد شنئت البقيعا

فلما أراد الشخوص شخص معه الأحوص بن محمد؛ فلما نزلا ودان صار إليهما نصيب، فمضى الأحوص لبعض حاجته، فرجع إلى صاحبيه، فقال: إني رأيت كثيرا بموضع كذا، فقال عمر: فابعثوا إليه ليصير إلينا، فقال الأحوص: أهو يصير إليكم؟ هو والله أعظم كبرا من ذلك؛ قال: فذا نصير إليه، فصاروا إليه، وهو

---

(١) الكامل في اللغة والأدب محمد بن يزيد المبرد ١٨٤/١

جالس على جلد كبش، فوالله ما رفع منهم أحدا ولا القرشي. ثم أقبل على القرشي، فقال: يا أخا قريش، والله لقد قلت فأحسنت في كثير من شعرك، ولكن خبرني عن قولك:

قالت لها أختها تعاتبها ... لا تفسدن الطواف في عمر ١

قومي تصدي له ليبصرنا ... ثم اغمزيه يا أخت في خفر

قالت لها: قد غمزته فأبى ... ثم اسبطرت تشتد في أثري

والله لو قد قلت هذا في هرة أهلك ما عدا، أردت أن تنسب بها فنسبت بنفسك، أهكذا يقال للمرأة! إنما توصف بالخفر، وأنها مطلوبة ممتنعة، **هلا قلت** كما قال هذا؟ وضرب بيده على كتف الأحوص:

أدور ولولا أن رى أم جعفر ... بابياتكم ما درت حيث أدور

وما كنت زوارا ولكن ذا الهوى ... إذا لم يزر لا بعد أن سيزور

لقد منعت معروفها أم جعفر ... وإني إلى معروفها لفقير

قال: فامتلأ الأحوص سرورا، ثم أقبل عليه فقال: يا أحوص، خبرني عن قولك:

فأن تصلي أصلك وإن تعودي ... لهر بعد وصلك لا أبالي

---

١ زيادات ر: "كذا وقعت الرواية" "لاتفسدن" على النهى، والصحيح: "لتفسدن" على القسم، كأنها قالت: "والله لتفسدن".." [(١)]

"أما والله لو كنت من فحول الشعراء لباليت؛ **هلا قلت** مثل ما قال هذا؟ وضرب بيده على جنب نصيب:

بزينب ألمم قبل أن يظعن الركب ... وقل إن تملينا فما ملك القلب

قال: فانتفخ نصيب، ثم أقبل عليه فقال له: ولكن أخبرني عن قولك يا أسود:

أهيم بدعد ما حييت وإن أمت ... فواحزاني من ذا يهيم بها بعدي

كأنك اغتممت ألا يفعل بها بعدك؛ ولا يكني، فقال بعضهم لبض: قوموا فقد استوت القرفة. وهي لعبة على خطوط، فاستواؤها انقضاؤها.

قال أبو الحسن: الطبن هي السدر، فإذا زيد في خطوطه سمته العرب: القرفة، وتسميه العامة السدر.." [(٢)]

---

(١) الكامل في اللغة والأدب محمد بن يزيد المبرد ١١٦/٢

(٢) الكامل في اللغة والأدب محمد بن يزيد المبرد ١١٧/٢

""اللهم إن لم تهد عامرا فاكفنيه". وقال عامر لأربد: قد شغلته عنك مرارا فألا ضربته! قال: أربد: أردت ذلك مرتين فاعترض لي في إحداهما حائط من حديد، ثم رأيتك الثانية بيني وبينه، أفأقتلك! فلم يصل واحد منهما إلى منزله، أما عامر فغد في ديار بني سلول بن صعصة، فجعل يقول: أغدة كغدة البعير وموتا في بيت سلولية! وأما أربد فارتفعت له سحابة فرمته بصاعقة فأحرقته، وكان أخا لبيد لأمه، فقال يرثيه:

أحشى على أربد الحتوف ولا ... أرهب نوء السماك والأسد

ما إن تعري المنون من أحد ... لا والد مشفق ولا ولد

فجعني الرعد والصواعق بالق ... ارس يوم الكريهة النجد١

يا عين هلا بكيت أربد إذ ... قمنا وقام العدو في كبد٢

وقال أيضا:

ذهب الذين يعاش في أكنافهم ... وبقيت في خلف كجلد الأجرب

يتحدثون مخانة وملاذة ... ويعاب قائلهم وإن لم يشغب

يا أربد الخير الكريم جدوده ... غادرتني أمشي بقرن أعضب

إن الرزيئة لا رزيئة مثلها ... فقدان كل أخ كضوء الكوكب

قوله: في خلف يقال: هو خلف فلان لمن يخلفه من رهطه، وهؤلاء خلف فلان؛ إذا قاموا مقامه من غير أهله، وقلما يستعمل خلف إلا في الشر، وأصله ما ذكرنا. والمخانة: مصدر من الخيانة. والملوذ: الذي لا يصدق في مودته، يقال: رجل ملوذ وملذان، وملاذة مصدره. والأعضب: المقطوع. وفي الحديث: "لا يضحى بعضباء".

ويروى أن رجلا قال لمعن بن زائدة في مرضه: لولا ما من الله به من بقائك، لكنا كما قال لبيد:

ذهب الذين يعاش في أكنافهم ... وبقيت في خلف كجلد الأجر

فقال له معن: إنما تذكر أني سدت حين ذهب الناس؛ **هلا قلت** كما قال نهار بن توسعة:

قلدته عرى الأمور نزار ... قبل أن تهلك السراة البحور

ثم نرجع إلى ذكر المراثي:

---

١ النجدة: البطل الشجاع.

٢ الكبد: الجهد والمشقة.." (١)

"" مثل الذين كفروا بربهم أعمالهم كسراب بقيعة " منه لكرونه ثم أدغمت الواو في الياء، وإذا جعلها من السر فهي فعلية. يذرؤكم فيه معناه يكثركم فيه أي في الخلق. وذرية وذرية جميعا من ذرأ الله الخلق يذرؤهم ذرءا وكان ينبغى أن يكون مهموزا، ومن قال هي من الذر قال ذرية لا غير، ولا همز، وإنما ضمت قياسا على نسبة أشباهها، مثل دهرى منسوب إلى دهر، وما كان مثله.

وفي الحديث: " نهى عن الذبح بالظرر " وقال: هي الحجارة المحددة، الجمع الظرار والظران والظران.

قولهم: جاءني ثلاثة فصاعدا، فأما أهل البصرة فيقولون: صعد صاعدا، ونحن نقول: هو مثل قوله: وحفظا، ونقوله بالواو والفاء وثم، وسيبويه لا يقوله بالواو، والمعنى في الثلاثة الأحرف واحد.

وتقول: أتيت عبد الله ومحسنا فمحسنا وثم محسنا، أي أتيته في هذا الحال.

قال: ويقال في القليل: لخمس خلون ومضين وبقين، وفي الكثير: لاثنتي عشرة خلت ومضت وبقيت. وهو الاختيار، وتجوزان في معنى واحد.

وقال: قيل لابن الأعرابي: ما أطيب الخبز؟ قال آدمه. قيل: فما أطيب اللحم؟ قال: عوذه: ما عاذ بالعظم. الرجل المفرح: المثقل بالدين.

وفي الحديث: " لا صلاة لمن لم يقرأ بفاتحة الكتاب فصاعدا قال أبو العباس: لا يجزيه إلا بالحمد وأخرى. قال أبو إسحاق بن جابر: شيخ من أهل الفقه: فما تقول في قول النبي صلى الله عليه وسلم لا قطع إلا ربع دينار فصاعدا؟ قال: القطع في الربع فما زاد. قال: فهلا قلت مثل ذلك في الحمد أنها تجزى وحدها؟! قال أبو العباس: السنة تقضي على اللغة، واللغة لا تقضي على السنة وظن أنه جاء خبر عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه لا تجزى الصلاة بالحمد وحدها فقيل له: إن السنة لم تجئ بهذا. فقال إن كان هذا كان فالقول فيهما واحد.

وحكى عن أبي زيد صيت مرة من المرية، وحكى أيضا من المربة. الوجار للضباع، وللظباء وجار أيضا.

وسئل أبو العباس عن قوله عز وجل: وإذا العشار عطلت قال: العشار أي التي أتى لحملها عشرة أشهر، فجاءت القيامة فعطلت لم تنتج، تركها أهلها وقد دنا خيرها، وهي أنفس ما عندهم إذ قد دنا ولادها.

ويقال ما بها لاعق قرو أي لاعق ما ويقال لاعى قرو. واللاعى من اللعو. والقرو: أصل النخلة ينقر ويجعل

---

(١) الكامل في اللغة والأدب محمد بن يزيد المبرد ٢٨/٤

فيه الماء.

اللمم: دون الحد.

وأنشد:

إذا أكلت سمكا وفرضا ... ذهبت طولا وذهبت عرضا

الفرض: تمر من تمر اليمامة.

وأنشد:

وكأن ظعن الحى مدبرة ... نخل بزارة حملها السعد

السعد: ضرب من التمر أيضا.

وفي الخبر: إذا أكلتم فرازموا أي اخلطوا بين العسل والسمن واللحم وغيره من الإدام، أي لا تأكلوا إداما واحدا أبدا. وقال آخرون: رازموا: أي اخلطوا ذكر الله بين اللقم.

وقال أبو العباس في قوله عز وجل: " واتخذتموه وراءكم ظهريا " الهاء تعود على ذكر الله عز وجل، أي ألقيتموه وراء ظهوركم لم تعبئوا به.

وقال أبو العباس: أنشدني السدرى وأبو العالية:

تقول بنتي وقد قربت مرتحلا ... يا أبت إنك والأنصاب مقتول

خلفتنا بين قوم يظهرون بنا ... أموالهم عازب عنا ومشغول

أنت ظاهر به، إذا كان عدة للسفر. وبعير ظهر، إذا كان يشتكي ظهره. وقال: الرهط: الأب الأدنى وأهل البيت.

ويذرك وآلهتك جمع إلهك. وإلاهتك: أي عبادتك. ومن قرأ وإلاهتك أراد أنك تعبد ولا تعبد. ومن قرأ: وآلهتك أراد التي تعبدها. وفرعون أخذ من الفرعون: الرجل إذا بلغ الغاية من العتو. وإذا تمرد سمى نمرودا. ونمروذ بالذال وأهل البصرة يقولون نمرود بالدال.

الحاقة: القيامة. العاب: العيب. سدرة المنتهى: لا فوقها ذهاب، هي غاية الأفق. قد علمنا ما فرضنا عليهم: أي قد علمنا الفرض الأول وزدنا فرضا آخر.

وقال أبو العباس: قال أبو عمرو: العرج: غيبوبة الشمس.

وأنشد:

حتى إذا ما الشمس همت بعرج

وتقول: عوذ بالله منك، يعني أعوذ بالله منك.

وأنشد:

قالت وفيها حيدة وذعر ... عوذ بربى منكم وحجر

والعرب تقول عند الأمر ينكرونه: حجرا أي دفعا، وهو استعاذة من الأمر. ويقال افلت فلانا عوذا، أي خوفه فلم يضربه، أو ضربه يريد قتله فلم يقتله.

وأنشد:

لقد فدى أعناقهن المحض ... والدأظ حتى مالهن غرض." (١)

"ثم اطرق الاحنف ساعة وقال:

واذا جميل الوجة لم ... يات الجميل فما جمالة

ما خير اخلاق الفتي ... الا تقاة واحتمالة

فقال يزيد: احسنت يا ابا بحر. وافق اليم زيرا

قال الاحنف: **هلا قلت**: وافق المعني تفسيرا؟.

. عن ابي سوار انة قيل لمعاوية: ما المروءة؟

قال: العفاف في الدين، واصلاح المعيشة.

. قيل للامام الحسن البصري: ما المروءة؟

فقال: ان لا تطمع فتذل، ولا تسال فتقل.

. سئل ابو هريرة – رضي الله عنه – عن المروءة ما هي؟

فقال: الثبوت في المجلس، والغداء والعشاء في افنية البيوت، واصلاح المال

. عن الاصمعي، عن ابية قال:

سال معاوية رجلا من ثقيف: ما المروءة؟.

قال تقوي الله عز وجل، واصلاح المعيشة.

. وقال رجل لمعاوية: المروءة اصلاح المال، ولين الكف،." (٢)

---

(١) مجالس ثعلب ثعلب ص/٤٠

(٢) المروءة ابن المرزبان المحولي ص/١٠٠

"علمت أن المأمون لا يبصر الشعر، قال: قلت: ومن ذا يكون اعلم منه! فو الله إنك لترانا ننشده أول البيت فيسبقنا إلى آخره، قال: أنشدته بيتا أجدت فيه، فلم أره تحرك له، قال: قلت: وما الذي أنشدته؟ قال:

أنشدته:

أضحى إمام الهدى المأمون مشتغلا ... بالدين والناس بالدنيا مشاغيل

قال: فقلت له: إنك والله ما صنعت شيئا، وهل زدت على أن جعلته عجوزا في محرابها، في يدها سبحتها! فمن القائم بأمر الدنيا إذا تشاغل عنها، وهو المطوق بها! **هلا قلت** فيه كما قال عمك جرير في عبد العزيز ابن الوليد:

فلا هو في الدنيا مضيع نصيبه ... ولا عرض الدنيا عن الدين شاغله

فقال: الآن علمت أني قد أخطأت.

وذكر عن محمد بن ابراهيم السيارى قال: لما قدم العتابي على المأمون مدينة السلام أذن له، فدخل عليه، وعنده إسحاق بن إبراهيم الموصلي- وكان شيخا جليلا- فسلم عليه، فرد ع، وأدناه وقربه حتى قرب منه، فقبل يده، ثم أمره بالجلوس فجلس، وأقبل عليه يسائله عن حاله، فجعل يجيبه بلسان طلق، فاستطرف المأمون ذلك، فأقبل عليه بالمداعبة والمزاح، فظن الشيخ أنه استخف به، فقال: يا أمير المؤمنين، الإبساس قبل الإيناس قال: فاشتبه على المأمون الإبساس، فنظر إلى إسحاق بن إبراهيم، ثم قال:

نعم، يا غلام ألف دينار، فأتى بها، ثم صبت بين يدي العتابي، ثم." (١)

"و"الثريا": مقصور، مصغر. وتكبيرها: الثروى. دخل قطرب على الرشيد فقال له: كيف تصغر الثريا؟ فقال: يا أمير المؤمنين، هي مصغرة. قال: فما تكبيرها؟ قال: الثروى. قال: **فهلا قلت**: الثريا. قال: لأنها من ثروت من بنات الواو، قال: أصبت. قال: ويقال: ثرا الشيء، إذا كثر. وهذه كواكب ثرت أي: كثرت.

١٧ ... فيا للناس، للرجل، المعنى

يطول الدهر، إذ طال الحصار

قوله "للرجل المعنى" يريد نفسه.

---

(١) تاريخ الطبري = تاريخ الرسل والملوك، وصلة تاريخ الطبري الطبري، أبو جعفر ٦٦٣/٨

١٨ ... فإن تكن العقيليات شطت

بهن، وبالرهينات، الديار

"شطت*بهن" أي: بعدت الديار بهن. وقوله "بالرهينات" يعني: القلوب، أي: ارتهن قلوبنا.

١٩ ... فقد كانت لنا، ولهن، حتى

زوتنا الحرب، أيام، قصار." (١)

"افترائه علي وسبه لي، وأخبرني كيف جعلت أنت لأير الحمار من الحرمة ما لم تجعله لحر أم من أرسلك؟ **هلا قلت**: أير الحمار في هن أم من أرسلك.

باب في تحنك الفتى

قيل لعمر بن الخطاب: إن فلانا لا يعرف الشر. قال: ذلك أحرى أن يقع فيه.

وقال سفيان الثوري: من لم يحسن أن يتغنى لم يحسن أن يتقرا.

وقال عمرو بن العاص: ليس العاقل الذي يعرف الخير من الشر، وإنما العاقل الذي يعرف خير الشرين.

ومثل ذلك قول الشاعر:

رضيت ببعض الذل خوف جميعه ... كذلك بعض الشر أهون من بعض

وسئل المغيرة بن شعبة عن عمر بن الخطاب، قال: كان والله له فضل يمنعه من أن يخدع، وعقل يمنعه من أن ينخدع.

وقال إياس: لست بخب «١» لا يخدعني.

وتجادل ابن سيرين والحسن، وكان الحسن يرى كل مسلم جائز الشهادة حتى يظهر عليه سقطة أو يجرحه المشهود عليه، وكان إياس لا يرى ذلك؛ فأقبل رجل إلى الحسن فقال: يا أبا سعيد! إن إياسا رد شهادتي. فق ام معه الحسن إليه فقال: يا أبا واثلة، لم رددت شهادة هذا المسلم، وقد قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: من صلى صلاتنا واستقبل قبلتنا فهو المسلم، له ما لنا وعليه ما علينا. فقال له إياس: يا أبا سعيد يقول الله تعالى: ممن ترضون من الشهداء

«٢» وهذا ما لا نرضاه.

---

(١) الاختيارين المفضليات والأصمعيات الأخفش الأصغر ص/٥٩٨

عامر بن عبد الله وسرقة عطائه:

وكان عامر بن عبد الله بن الزبير في غاية الفضل والدين، وكان لا يعرف الشر، فبينا هو جالس في المسجد إذ أتي بعطائه، فقام إلى منزله فنسيه، فلما صار إلى بيته ذكره، فقال لخادمه: اذهب إلى المسجد فأتني بعطائي. فقال له: وأين نجده؟ قال:

سبحان الله! أو بقي أحد يأخذ ما ليس له.." (١)

"أبو ادريس السمان

وكان ابو إدريس السمان يكتب: فلا صحبك الله إلا بالعافية، ولا حيا وجهك إلا بالكرامة!

رجل ووكيله

العتبي قال: بعث رجل وكيله إلى رجل من الوجوه يقتضيه ما عليه، فرجع إليه مضروبا؛ فقال: ما لك ويلك؟ قال: سبك فسببته فضربني. قال: وبأي شيء سبني؟

قال: [قال:] : هن الحمار في حر ام الذي أرسلك! قال له: دعني من افترائه علي؛ وأخبرني أنت كيف جعلت لاير الحمار من الحرمة ما لم تجعل لحر امي؟ **هلا قلت:**

أير الحمار في هن أم من ارسلك!

أبو نواس ووراق

وقال أبو نواس: قلت لاحد الوراقين الذين يكتبون بباب البطوني: إيما أسن أنت أم أخوك؟ قال: إذا جاء رمضان استوينا!

المأمون وابن اشرس

قال ثمامة بن أشرس للمأمون: مررت في غب مطر والارض ندية والسماء متغيمة والريح شمال، وإذا بشخص أصفر كأنه جرادة، وقد قعد على قارعة الطريق، وحجام يحجمه على كاهله وأخدعيه بمحاجم كأنها قعاب «١» وقد مص دمه حتى كاد يستفرغه، فقلت: يا شيخ، لم تحتجم في هذا البرد؟ قال: لهذا الصفار الذي بي.

أبو عتاب وبره بأمه

وقيل لابي عتاب: كيف برك بأمك؟ قال: والله ما قرعتها بسوط قط!." (٢)

---

(١) العقد الفريد ابن عبد ربه الأندلسي ٣٢٧/٢

(٢) العقد الفريد ابن عبد ربه الأندلسي ١٧٩/٧

"النوكى من نساء الأشراف
دغة العجلية، وجهيزة، وشولة، وذراعة، وسارية الليل، وريطة بنت كعب، وهي التي نقضت غزلها أنكاثا، وفيها يقال في المثل: خرقاء وجدت صوفا.
وقال عمرو بن عثمان: شيعت القاضي عبد العزيز بن عبد المطلب المخزومي قاضي مكة إلى منزله، وبباب المسجد حمقاء تصفق بيديها وتقول:
أرق عيني ضراط القاضي فقال لي: يا أبا حفص، أراها تعني قاضي مكة؟
من حكم المجانين
وقد يأتي لهؤلاء المجانين كلام نادر محكم لا يسمع بمثله، كما قالوا: رب رمية من غير رام.
قيل لدغة: أي بنيك أحب إليك؟ قالت: الصغير حتى يكبر، والمريض حتى يفيق، والغائب حتى يرجع.
ومن أخبار اهل العي المشبهين بالمجانين
أبو طالب
دخل أبو طالب صاحب الحنطة على هاشمية جارية حمدونة بنت الرشيد، ليشتري طعاما من طعامهم؛ فقال لها: قد رأيت متاعك وقلبته، قالت له: هلا قلت طعامك يا أبا طالب! قال: قد أدخلت يدي فيه فوجدته قد حمي وصار مثل الجيفة، قالت:
يا أبا طالب، الست قد قلبت الشعير فأعطنا به ما شئت وإن كان فاسدا.." (١)

(باب الخاء)
قال أبو حاتم وممن شافه الصحابة وروى عنهم ممن ابتدأ اسمه على الخاء
٢٤٦٤ - خالد بن معدان بن أبي كريب الكلاعي يروي عن أبي أمامة والمقدام بن معديكرب ولقي سبعين رجلا من أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم كنيته أبو عبد الله وكان من خيار عباد الله قدم العباس بن الوليد واليا على حمص فحضر يوم الجمعة الصلاة وخالد بن معدان في الصف فلما رآه إذا على العباس ثوب حرير فقام إليه خالد وشق الصفوف حتى أتاه فقال يا بن أخي إن رسول الله صلى الله عليه وسلم نهى الرجال عن لبس هذا فقال يا عم هلا قلت أخفى من هذا فقال وعمك ما قلت والله لا سكنت بلدا

---
(١) العقد الفريد ابن عبد ربه الأندلسي ١٨٠/٧

أنت فيه فخرج منها وسكن الطرطوس فكتب العباس إلى أبيه يخبره بذلك فكتب الوليد إليه يا بنى الحقه." (١)

"المؤمل:

شوقا إلى قطف الخطا ... حور العيون كواعب

تيمنني بأنامل ... ومضاحك وحواجب

ربيعة الرقي:

مشين تأودا خلفي رويدا ... كمثل هجائن أقبلن حلا

وجردن البرود مرفلات ... على إثر الفتى حتى اضمحلا

ذو الرمة:

إذا مشين مشية تأودا

هز القنا لان وما تأودا

يركضن ريط اليمن المعضدا

آخر:

يمشين مشي قطا البطاح تأودا ... قب البطون رواجح الأكفال

فكأنهن إذا أردن زيارتي ... يقلعن أرجلهن من أوحال

آخر:

قصار الخطا يمشين هونا كأنما ... دبيب القطا بل هن منهن أوجل

إذا نهضت أعجازها خرجت بها ... بمنبهرات غير أن لا تخزل

فلا عيب فيها غير أن سريعها ... قطوف، وألا شيء منهن أكسل

وأما قول كثير:

عنيب قصيرات الحجال ولم أرد ... قصار الخطا شر النساء البحاتر

فليس من هذا القبيل.

وبعد فلا شيء إلا وله مدح وذم. ألا ترى أن الأعشى يقول:

وإذا تجيء كتيبة ملمومة ... شهباء يخشى الذائدون نهالها

---

(١) الثقات لابن حبان ابن حبان ٤/١٩٦

كنت المقدم غير لابس جنة ... بالسيف تضرب معلما أبطالها

ثم قال الغساني:

يغشى السيوف بوجهه وبنحره ... ويقيم هامته مقام المغفر

ما إن يريد اذا الرماح شجرنه ... درعا سوى سربال طيب العنصر

فتمدح بخوض الحرب متجردا من الجبن بسالة.

وأخبرني أبو الفرج الأصفهاني، وكان عنده رواية ديوان كثير، أن كثيرا أنشد عبد الملك بن مروان:

على ابن أبي العاص دلاص حصينة ... أجاد المسدي سردها وأذالها

يؤود ضعيف القوم حمل قتيرها ... ويستضلع القرم الأشم احتمالها

فقال عبد الملك: **هلا قلت** كما قال الأعشى!؟ فقال كثير: وصفتك بالحزم، ووصف صاحبه بالخرق.

وقرأت في الشذور من أخبار أبي تمام، أنه أنشد عبد الله بن طاهر قوله:

وقلقل نأي من خراسان جأشها ... فقلت: اطمئني. أنضر الروض عازبه

فقال عبد الله بن طاهر: جعلتني مجهولا غير معلم. ولم يبلغني ما قال أبو تمام في الجواب.

ابن عائشة:

هيف الخصور قواصد النبل ... قتلننا بلواحظ نجل

فكأنهن إذا أردن خطا ... يقلعن أرجلهن من وحل

ذو الرمة:

إذا الخز تحت الحضرميات لثنه ... بمرتجة الأرداف مثل القصائم

لحفن الحصى أنياره ثم خضنه ... نهوض الهجان الموعثات الجواشم

رويدا كما اهتزت رماح تسفهت ... أعاليها مر الرياح النواسم

ابن ميادة:

منعمة الأطراف هيف خصورها ... كواعب تمشي مشية الخيل في الوحل

وأعناقها أعناق غزلان عالج ... وأعينها من أعين البقر النجل

وأثلاثها السفلى برادي ساحل ... وأثلاثها الوسطى نقا من نقا الرمل

وأثلاثها العليا غصون فروعها ... عناقيد تغذى بالدهان وبالغسل

الأشجع:

وجارية لم تسرق الشمس نظرة ... إليها ولم يعبث بأيامها الدهر

وماجت كموج الماء بين ثيابها ... يجور بها شطر ويعدلها شطر

الباب الرابع والعشرون

الملابس وألوانها

أحمد بن أبي فنن:

رأيتك في السواد فقلت: بدر ... بدا في ظلمة الليل البهيم

وألقيت السواد فقلت: شمس ... محت بشعاعها ضوء النجوم

كشاجم في الأزرق:

أقبلت في غلالة زرقاء ... زرقة لقبت بجري الماء

فتوهمت في الغلالة منها ... جسد النور في أديم الهواء

تلك بدر، وإن أحسن لون ... طلع البدر فيه، لون السماء

المهلبي:." (١)

"واحدة لم يحط بقيمتها ... وأختها دون قيمة الصدفه

الند

الند مصنوع كالزجاج غير مخلوق. وهو العود المطرى بالمسك والعنبر والبان. وفيه وجهان: أحدهما أنه فعل ماض من ندد، مثل مرر فجعلوه اسما كأنه ند عن جملة الطيب. أي شذ وتفرق. وقالوا: طير يناديد وأناديد، أي متفرقة. والوجه الثاني مصدر بمعنى المفعول. وإن شئت جعلته فعلا متحركة العين: نددا بمعنى مندود به أي مشهر مسمع بصفته. يقال: نددت الرجل، أي شهرت به، كالكرع وهو ماء السماء، بمعنى مكروع فيه، وكالجلد بمعنى المجلود، والنفض والقبض بمعنى المنفوض والمقبوض. وإن شئت جعلته فعلا بتسكين العين بمعنى المفعول؛ تقول: هذا درهم ضرب، أي مضروب، وهذا وزن سبعة، أي موزون سبعة.

الغالية

وهي مسك وعنبر يعجنان بالبان. وقيل: إن معاوية بن أبي سفيان شمها من عبد الله بن جعفر بن أبي طالب فوصفها له فقال: هذه غالية. ويقال إن مالك بن أسماء بن خارجة شم من أخته هند بنت أسماء بن خارجة رائحة غالية واستطابها، فقال: علميني كيف تعملين طيبك؟ فقالت: لا أفعل هذا. تريد أن تعمله

---

(١) المحب والمحبوب والمشموم والمشروب السري الرفاء ص/٣٦

جواريك. هو لك عندي متى ما أردته. ثم قالت: ما تعلمته إلا من شعرك حين وصفته فقلت:

أطيب الطيب طيب أم أبان ... فأر مسك بعنبر مسحوق

خلطته بعودها وببان ... فهو أحوى على اليدين سريق

ويقال: تغللت بالغالية أي جعلتها في أصول الشعر من الغلل وهو الماء الجاري يتغلل في أصول الأشجار. وتغليت طليت بها الجلد من الغيل وهو الماء يجري على وجه الأرض. ويقال: تضمخت بالطيب وتنغمت به واغتسلت به: جعلته كالغسل. قال الفرزدق:

وإني من قوم يكون غسولهم ... قرى فأرة الداري يضرب بالغسل

قال أبو عبيدة: تلغمت المرأة بالطيب إذا جعلته على ملاغمها وهي ما حول الفم. قال الفرزدق:

سقتها خروق في الملاطم لم تكن ... علاطا ولا مخبوطة في الملاغم

قال الأصمعي: قالت العرب للمخبل: ما شعرك إلا عِراط وخباط.

وقد ارتقنت ورقنت، وتردعت، واجتسدت. وتقول: تبخرت، واكتبيت وتعطرت ووجدت ريا الطيب، وحمرته، وفوغته، وفغمته. وقد تضوع وسطع. وهو النشر والأرج والعرف والبنة.

قال الراجز:

ترعى الخزامى هنة وهنة ... في روضة معشبة مغنه

فهي إذا راحت عشيهنه ... شممت من أرواحهن بنه

وأنشد سلمة:

أتاني عن أبي أنس وعيد ... ومعصوب به خب الركاب

وعيد تخدج الآرام منه ... ويكره بنة الغنم الذئاب

وأنشد:

وإذا الدرزان حسن وجوه ... كان للدر حسن وجهك زينا

وتزيدين أطيب الطيب طيبا ... إن تمسيه أين مثلك أينا

وأخبرني أبو الفرج الأصبهاني بإسناده، وكان عنده راوية ديوان كثير أن كثيرا خرج من عند عبد الملك بن مروان، وعليه مطرف، فاعترضته عجوز في الطريق اقتبست نارا في روثة، فتأفف كثير في وجهها، فقالت: من أنت؟ فقال: كثير عزة. فقالت: أنت القائل في عزة:

فما روضة زهراء طيبة الثرى ... يمج الندى جثجاثها وعرارها

بأطيب من أردان عزة موهنا ... وقد أوقدت بالمندل الرطب نارها

فقال كثير: نعم. فقالت: لو وضع المجمر اللدن على هذه الروثة لطيب رائحتها. **هلا قلت** كما قال امرؤ القيس:

ألم ترياني كلما جئت طارقا ... وجدت بها طيبا وإن لم تطيب

فناولها المطرف، وقال لها: استري عني هذا.

آخر:

عجبت لمن يطيبني بمسك ... وبي يتطيب المسك الفتيت

النامي:

وطيب قد أخل بكل طيب ... يحيينا برائحة الحبيب

يظل الذيل يستره ولكن ... تنم عليه أزرار الجيوب

إذا ما شم أنف حن قلب ... كأن الأنف جاسوس القلوب

آخر:

أجل عينيك في عيني تراها ... مشربة ندى ورد الخدود

ويقال: صاك به الطيب، وعبق به، وردع به، وعتك به.

قال:

فبت فيه معانقا صنما ... يرشح مسكا وعنبرا وعبقا." (١)

"قالت: مر «٥٦» فى قصيدتك، فقال:

وما «٥٧» روضة بالحزن طيبة الثرى ... يمج الندى جثجاثها وعرارها «٥٨»

لها «٥٩» أرج بعد الهدوء كأنما ... تلاقت به عطارة وتجارها

بأطيب من أردان عزة موهنا ... وقد أوقدت «٦٠» بالمجمر «٦١» اللدن نارها

فقالت: فض الله فاك، والله لو فعل هذا بزنجية لطاب ريحها، ولامرؤ القيس ابن حجر كان أحسن وصفا لصاحبته منك حيث يقول «٦٢» :

خليلى مرا بى على أم جندب ... لنقضى «٦٣» لبانات الفؤاد المعذب

ألم تر أنى كلما جئت طارقا ... وجدت بها طيبا وإن لم تطيب

---

(١) المحب والمحبوب والمشموم والمشروب السري الرفاء ص/٩١

وحدثنا أبو عبد الله إبراهيم بن محمد بن عرفة، قال: حدثنا عبيد الله بن إسحاق بن سلام، عن رجاله، قال: مدح كثير بعض ملوك بنى مروان، فخرج ومعه الجائزة وعليه الخلع فتلقته سوداء، فقالت له: أأنت كثير عزة؟ قال: نعم. قالت: تبا لك! أتعرف بامرأة؟ قال: وما يضيرنى من ذاك؟ فو الله لقد رفع الله بها ذكرى، ونشر فيها شعرى، وأغزر بحرى. قالت: أفلست القائل: فما روضة بالحزن وذكرت الأبيات الثلاثة. ثم قالت: لو أوقدت بالمجمر اللدن نار زنجية لطاب ريحها؛ **هلا قلت** كما قال سيدك [٧٣] امرؤ القيس:

خليلى مرا بى على أم جندب وذكر البيتين.." (١)

"أردت أن تنسب بها فنسبت بنفسك، والله لو وصفت بهذا هرة أهلك- أو قال منزلك- كنت قد أسأت صفتها. أهكذا يقال للمرأة؟ إنما توصف بالخفر، وأنها مطلوبة ممنعة؛ **هلا قلت** كما قال هذا- وضرب بيده على كتف الأحوص:

لقد منعت معروفها أم جعفر ... وإنى إلى معروفها لفقير

وقد أنكروا عند اعتراف زيارتي ... وقد وغرت فيها على صدور [٧٩]

أزور ولولا أن أرى أم جعفر ... بأبياتكم ما زرت حيث أزور

قال ثعلب: «أدور» ؛ وهى الرواية، وهكذا رواه المبرد. وقل فى آخره: ما درت حيث أدور.

أزور على أن ليس ينفك كلما ... أتيت عدو بالبنان يشير

وما كنت زوارا ولكن ذا الهوى ... إذا لم يزر لابد أن سيزور

هكذا والله يكون الشعر وصفة النساء. فارتاح الأحوص وامتلأ سرورا وانكسر عمر.

ثم أقبل على الأحوص، فقال: وأنت يا أحوص، أخبرنى عن قولك «٣٢» :

فإن تصلى أصلك وإن تبينى «٣٣» ... بصرمك «٣٤» قبل وصلك لا أبالى

وإنى للمودة ذو حفاظ ... أواصل من يهش إلى وصالى

وأقطع حبل ذى ملق كذوب ... سريع فى الخطوب إلى انتقال

ويلك! أهكذا يقول الفحول؟ أما والله لو كنت فحلا ما قلت هذا لها- وقال بعضهم: أما والله لو كنت من فحول الشعراء لباليت؛ **هلا قلت** كما قال هذا الأسود- وضرب بيده على جنب نصيب «٣٥» :." (٢)

---

(١) الموشح في مآخذ العلماء على الشعراء المرزباني ص/٢٠٠

(٢) الموشح في مآخذ العلماء على الشعراء المرزباني ص/٢١٤

"حدثنى محمد بن إبراهيم، قال: حدثنا أحمد بن أحمد بن أبى خيثمة، عن محمد بن سلام، قال: أخبرنى عبد الملك الباهلى، قال: قال ذو الرمة: قلت الرجز، فلما رأيتنى لا أقع من الرجلين أخذت فى القصيد وتركته- يعنى العجاج ورؤبة.

وأخبرنى أبو عبد الله الحكيمى، قال: أخبرنا أحمد بن يحيى النحوى، قال: قال أبو عبيدة، قال منتجع بن نبهان: قلنا لذى الرمة: يا أبا الحارث، بدأت وأنت تقول الرجز ثم تركته. فقال: إنى رأيتنى لا أقع من هذين الرجلين موقعا، فعولت على الشعر. قال أبو عدنان: فقلت لأبى عبيدة: من يعنى بالرجلين؟ قال: والله ما سألت، وما خفى على؛ إنه يعنى العجاج وابنه. قال: كان لذى الرمة رجز فلما خشى أن يعره عاد إلى القصيد.

حدثنا أبو بكر الجرجانى، قال: حدثنا المبرد قال: حدثنا التوزى، قال: أنشد ذو الرمة قصيدته فى بلال بن أبى بردة، فلما بلغ قوله «١٧» :

إذا ابن أبى موسى بلالا١»

بلغته

فقام بفأس بين وصليك جازر

قال له عبد الله بن محمد بن وكيع: **هلا قلت** كما قال سيدك الفرزدق:

قد استبطات ناجية ذمولا ... وإن الهم بى وبها لسام «١٩»

إلام تلفتين وأنت تحتى ... وخير الناس كلهم أمامى

متى تأت الرصافة تستريحى ... من التصدير والدبر الدوامى «٢٠»

حدثنى محمد بن إبراهيم، قال: حدثنا عبد الله بن أبى سعد الوراق، قال: حدثنى الحكم بن موسى بن يزيد السلولى، قال: حدثنى محمد بن مسلمة بن رتبيل قال: مر رتبيل بذى الرمة، وهو ينشد قصيدته البائية، قال: فاستمع عليه، فما زال ينشد حتى انتهى إلى هذين البيتين «٢١» :." (١)

"حتى بلغ إلى قوله: تصغى إذا شدها ... البيت؛ فقال له قائل: أسأت؛ إذا وضع رجله فى غرزها فوثبت رمت به فدقت عنقه، **هلا قلت** كما قال الراعى:

ولا تعجل المرء قبل الورا ... ك وهى بركبته أبصر

فقال ذو الرمة: إنه وصف ناقة ملك، ووصفت ناقة سوقة.

---

(١) الموشح في مآخذ العلماء على الشعراء المرزباني ص/٢٢٧

روى أحمد بن أبى طاهر، عن أبى الحسن الطوسى، عن إسماعيل بن عبيد الله، عن خالد بن كلثوم، قال: كان ذو الرمة صاحب تشبيب بالنساء، وأوصاف، وبكاء على الديار، فإذا صار إلى المدح والهجاء أكدى «٣٢» ولم يصنع شيئا.

وأخبرنى أبو عبد الله الحكيمى، قال: أخبرنا أبو العباس ثعلب، قال: قال أبو عبيدة: كان ذو الرمة إذا أخذ فى النسيب ونعت فهو مثل جرير، وليس وراء ذلك شيء.

فقيل له: ما تشبه شعره إلا بوجوه ليست لها أقفاء، وصدور ليست لها أعجاز. فقال: كذا هو.

أخبرنى الصولى، قال: حدثنا القاسم بن إسماعيل، قال: أنشدنا محمد بن سلام لأبى النجم العجلى– وكان له صديق يسقيه الشراب فينصرف ثملا من عنده:

أخرج من عند زياد كالخرف ... تخط رجلاى بخط مختلف

كأنما تكتبان لام الف

قال الصولى: وقد عيب أبو النجم بهذا، فقيل: لولا أنه يكتب ما عرف صورة لام ألف وعناقها لها، كما عيب ذو الرمة فى وصفه عين ناقته حين قال «٣٣» :

كأنما عينها «٣٤» وقد ضمرت ... وضمها «٣٥» السير فى بعض الأضاميم

يريد كأن عينها دارة ميم لتدويرها وغؤورها. والأضاء: الغدير، يقال: أضاء وأضا مثل قطاة وقطا، وأضأة وإضاء مثل أكمة وإكام. فقيل: لولا أنه يكتب لما عرف الميم.." (١)

"فلما خرج قال له أبو عمرو– وكان حاضرا: هلا قلت له: إنما عنيت بانتجاع الناقة صاحبها، كما قال الله عز وجل «٤٠» «واسأل القرية التى كنا فيها» ؛ يريد أهلها، وهلا أنشدته قول الحارثى:

وقفت على الديار فكلمتنى ... فما ملكت مدامعها القلوص

يريد صاحبها.

فقال له ذو الرمة: يا أبا عمرو، أنت مفرد فى علمك، وأنا فى علمى وشعرى ذو أشباه.

حدثنى أحمد بن محمد الجوهرى، وأحمد بن إبراهيم الجمال، قالا: حدثنا الحسن بن عليل العنزى، قال: حدثنا يزيد بن محمد بن المهلب بن المغيرة بن حبيب بن المهلب بن أبى صفرة، قال: حدثنا عبد الصمد بن المعذل، عن أبيه، عن جده غيلان بن الحكم، قال: قدم علينا ذو الرمة الكوفة، فوقف راحلته بالكناسة

---

(١) الموشح في مآخذ العلماء على الشعراء المرزباني ص/٢٣٠

ينشدنا قصيدته الحائية، فلما بلغ إلى هذا البيت «٤١» :

إذا غير النأى المحبين لم يكد ... رسيس «٤٢» الهوى من حب مية يبرح

فقال له ابن شبرمة: يا ذا الرمة؛ أراه قد برح. ففكر ساعة، ثم قال:

إذا غير النأى المحبين لم أجد ... رسيس الهوى من حب مية يبرح

قال: فرجعت إلى أبى الحكم بن البخترى بن المختار فأخبرته الخبر، فقال: أخطأ ابن شبرمة حيث أنكر عليه، وأخطأ ذو الرمة حيث رجع إلى قوله؛ إنما هذا كقول الله عز وجل «٤٣» : «أو كظلمات فى بحر لجى يغشاه موج من فوقه موج من فوقه سحاب، ظلمات بعضها فوق بعض [٨٩] إذا أخرج يده لم يكد يراها» ؛ أى لم يرها ولم يكد.

أخبرنى محمد بن العباس، قال: حدثنا محمد بن يزيد النحوى، قال: حدثنا." (١)

"وقوله أيضا:

وعينان كالوقبين فى قلب صخرة ... يرى فيهما كالجمرتين تسعر

وأنشد مروان بن أبى حفصة عمارة بن عقيل بيته فى المأمون «١» :

أضحى إمام الهدى المأمون مشتغلا ... بالدين، والناس بالدنيا مشاغيل

فقال له: مازدته على أن وصفته بصفة عجوز فى يدها مسباحها؛ **فهلا قلت:**

كما قال جدى فى عمر بن عبد العزيز:

فلا هو فى الدنيا مضيع نصيبه ... ولا عرض الدنيا عن الدين شاغله

ومن الغلط قول أبى تمام «٢» :

رقيق حواشى الحلم لو أن حلمه ... بكفيك ما ماريت فى أنه برد «٣»

وما وصف أحد من أهل الجاهلية ولا أهل الإسلام الحلم بالرقة، وإنما يصفونه بالرجحان والرزانة؛ كما قال النابغة «٤» :

وأعظم أحلاما وأكبر سيدا ... وأفضل مشفوعا إليه وشافعا

وقال الأخطل «٥» :

صم عن الجهل عن قيل الخناخرس ... وإن ألمت بهم مكروهة صبروا «٦»

شمس العداوة حتى يستقاد لهم ... وأعظم الناس أحلاما إذا قدروا

---

(١) الموشح في مآخذ العلماء على الشعراء المرزباني ص/٢٣٣

وقال أبو ذؤيب »٧» :

وصبر على حدث النائبات ... وحلم رزين وعقل ذكى." [١]

"[٤٤٠]- السراح من النجاح. أي التسريح بغير قضاء الحاجة خير من التعلق بوعد كاذب.

[٤٤١]- الندم على السكوت خير منه على القول. وذلك أن السكوت أكثر ما يجنيه أن ينسب إلى العي والقول ربما جر إلى القتل.

[٤٤٢]- التجلد لا التبلد. أي التجلد ينجيك لا التبلد.

[٤٤٣]- المنية ولا الدنية. معروف.

[٤٤٤]- النار ولا العار. معروف.

[٤٤٥]- الدلو تأتي الغرب المزلة. الغرب: مخرج الماء من الحوض. يقول تأتي «١» على غير وجهتها، وكان يجب أن تأتي الإزاء، وقائله بسطام بن قيس أريه في المنام ليلة قتل في صبيحتها، فقال له نقيذ «٢» : فهلا قلت: «ثم تعود باديا مبتلة» فتكسر الطيرة عنك.

---

[٤٤٠]- أمثال أبي عبيد ٢٤٠، وفيه: «.. مع النجاح» جمهرة الأمثال ٤٨٥/١ و ٥٤٦، وفيه: «الشراح..»

مجمع الأمثال ٣٢٩/١، المستقصى ٣٢٥/١، نكتة الأمثال ١٥١، زهر الأكم ١٦٢/٣، العقد الفريد ١٢٤/٣، اللسان (سرح) .

قال الزمخشري: «يضرب في ذم المواعيد العرقوبية» .

وقال العسكري: «معناه اشرح لي وجه اليأس فأنصرف» .

[٤٤١]- أمثال أبي عبيد ٤٤، فصل المقال ٢٩، مجمع الأمثال ٣٤٦/٢، نكتة الأمثال ٩ وفيها: «.. خير من الندم» المستقصى ٣٥٣/١.

[٤٤٢]- أمثال أبي عبيد ١١٣، ١٨٣، ١٩٧، جمهرة الأمثال ٢٧٣/١، مجمع الأمثال ١٣٩/١، المستقصى ٣٠٦/١، نكتة الأمثال ٦٠.

قاله أوس بن حارثة لابنه مالك.

[٤٤٣]- أمثال أبي عبيد ١١٣، فصل المقال ٢٩٠، نكتة الأمثال ٦٠، جمهرة الأمثال ٣٠٣/٢، العقد

---

(١) الصناعتين: الكتابة والشعر العسكري، أبو هلال ص/١١٩

الفريد ٩٥/٣، مجمع الأمثال ٣٠٧/٢، ومعناه اختار المنية ولا العار.
[٤٤٤]- جمهرة الأمثال ٢٥٣/٢، المستقصى ٣٥١/١.
يضرب في تفضيل الموت على العار.
[٤٤٥]- مجمع الأمثال ٢٦٩/١، المستقصى ٣١٧/١.
ويضرب في التخويف من وقوع الشر.." (١)

"من أبرم حبلا إذا فتله، فقد منع القضاء من إثباته، ورجل برم: أي ضجر، والمبرم كالملح، والإبرام والنقض في الأمور مستعار من الحبل، وقال بعض وزراء خرسان: ربما قضينا حاج الناس برما لا حرما، أي من الضجر لا من طباع؛ وما كان أغناه عن إظهار هذه السوأة. والحاج جمع حاجة، وأبى المبرد أن الحوائج صحيحة في جمع حاجة.

وقوله: وقد فرطت لداته، أي تقدم أقرانه وأترابه، والترب في المؤنث أيضا.

٢٩٩ - سألني بعض الفقهاء فقال: أين مولودك؟ وهو يريد: أين ولدت، فقلت: ما لي مولود، فقال: سبحان الله، وزاد تعجبه، فقلت: لعلك تسألني عن مكاني الذي ولدت فيه؟ قال: نعم، قلت: **فهلا قلت**: أين مولدك؟! قال: فخجل هو من الحاضرين، وذاك أردت ليكون خجلة باعثا له على الأدب، أو على إكرام الأديب، وهذا الفقيه هو الداركي، وكان ركيك اللسان، فدم الطباع، سيء الخلق، شهودا بالزور، خبيث الدين، ومات ببغداد سنة خمس وسبعين وثلاثمائة في شوال، ومات الأبهري بعده بجمعة.

وقال لي رجل من العجم يدعي العلم ويزعم انه منطقي: اقعد حتى تتغدى بنا، قلت: لا أبلانا الله بذلك، قال: فلم قلت هذا؟ قلت: لأنك أتيت بكلام لو فقهته عن نفسك لما أنكرته على جليسك، قال: فما هو؟ فعرفته الفرق بين الخطأ الذي قد أتى به والصواب الذي لم يوفق له، فنبا طرفه." (٢)

"قال أسد بن عمرو: دخل قتادة الكوفة فنزل دار أبي بردة، فخرج عليهم وقال: لا يسألني أحد عن مسألة من الحلال والحرام إلا أجبته، فقام أبو حنيفة فقال: يا أبا الخطاب، ما تقول في رجل غاب عن أهله أعواما فظنت امرأته أنه قد مات فتزوجت، ثم رجع زوجها الأول وقد ولدت ولدا، فنفاه الأول وادعاه الثاني، فكل واحد منهما قذفها أو قذفها الذي أنكرها، ما جوابها؟ ونظر أبو حنيفة إلى أصحاب قتادة وقال: إن قال فيها برأيه ليخطئن، وإن روى فيها حديثا ليكذبن، فقال قتادة: ويحك، أوقعت هذه المسألة؟

---

(١) الأمثال للهاشمي ابن رِفَاعَة ص/٩٣

(٢) البصائر والذخائر أبو حيّان التوحيدي ٩٧/٥

قال: لا، قال: ولم تسأل عنها؟ قال أبو حنيفة: إنا نستعد للبلاء قبل نزوله، فإذا وقع عرفنا الدخول فيه والخروج منه، فقال قتادة: والله لا حدثتكم بشيء من الحلال والحرام، فسلوني عن التفسير؛ فقام أبو حنيفة فقال: يا أبا الخطاب، ما تقول في قول الله تعالى: " قال الذي عنده علم من الكتاب أنا آتيك به قبل أن يرتد إليك طرفك " النمل: ٤٠ قال: نعم هذا آصف بن برخيا كاتب سليمان، وكان يعلم اسم الله الأعظم، قال: وهل كان يعرف الاسم سليمان؟ قال: لا، قال: أفيجوز أن يكون في زمان نبي من هو أعلم من النبي؟ قال قتادة: والله لا حدثتكم بشيء من التفسير، سلوني عما اختلف فيه العلماء؛ فقام أبو حنيفة فقال: يا أبا الخطاب، أمؤمن أنت؟ قال: أرجو، قال: ولم؟ قال: لقول الله تعالى: " والذي أطمع أن يغفر لي خطيئتي يوم الدين " الشعراء: ٨٢ قال أبو حنيفة: **فهلا قلت** كما قال إبراهيم حين قال الله تعالى: " أولم تؤمن قال بلى ولكن ليطمئن قلبي "." (١)

"موافقتك النهي ومجانبتك الأمر، وقبيح بك أن تركب ما تركب جاهلا بالحجة، حتى إذا تم ركوبك، وتقضى عليه زمانك، وعلاك الندم، ولزمك التعقب، أحلت أمرك على علمه فيك وإرادته بك، هلا وقفت عن قبول أمره وسماع نهيه حين أمر، ونهى وزجر، ودعا وبين، **وهلا قلت**: إلهي، لم تزح علتي بما أعرتني من القوة، وخلقت في من الطاقة، وأسلفتني من التمكين، وعرفتني من الأخبار، فأنا صائر مع هذا كله إلى ما أنت عالم به؛ ومتى فعلت هذا وقلته، علم العقلاء أنك متجن، لا تحب صلاحا، ولا تتقي فلاحا، وأنك مقترح اقتراحا، إن صح لك سقط عنك لسان الأمر والنهي، وزال باب المدح والذم، واستغني عن الثواب والعقاب، وكنت جمادا لا تخاطب ولا تعاتب، وعريت من جلباب معرفة الله عز وجل، وجهلت نعم الله عندك، وعميت عن حكم الله تعالى فيك، ومن بلغ هذا المكان أسقط عن مكلمه مؤونة البيان، وعن نفسه كلفة التبيين، وكان في عداد الجاهلين بالله، الساخطين لنعم الله، المتعرضين لعقاب الله تعالى. فافتح - حفظك الله - بصرك، وانتصف من هواك، وفارق إلفك، وتنزه عن تقليدك، وحص عن المعرفة، لائذا بالله تعالى، مستعينا به، فهو ولي خلقه، ناصر اللاجئين إليه.

واعلم أن الله خلقك، ورزقك وكملك، وميزك وفضلك، وأضاء قلبك بالمعرفة، وفجر فيك ينبوع العقل، ونفى عنك العجز، وعرض عليك العز، وبين لك الفوز، بعد أن وعدك وأوعدك، وبعد أن وعظك وأيقظك، وبعدما حط عنك ما أعجزك عنه، وأمرك بدون ما أقدرك عليه؛ وإنما حاشك بهذا كله إلى حظك ونجاتك، وعرضك به لسعادتك وخلاصك. أفتجسر من بعد هذه النعمة المتوالية، وهذه الآلاء المتتالية، أن تتوهم أنه

---

(١) البصائر والذخائر أبو حيّان التوحيدي ٦/٨١

اقتطعك عن مصلحتك أو بخل عليك برأفتك؟ إن هذا لا يظن بوالدك الذي نسبته إليك عارية، وإضافتك." (١)

"قال واصل بن عطاء: لأن يقول الله عز وجل لي يوم القيامة: " **هلا قلت** " أحب إلي من أن يقول: " لم قلت " لأنه إذا قال: لم قلت؟ طالبني بالبرهان، وإذا قال: **هلا قلت**، فليس غير ذلك يزيد.

استدل هشام بن الحكم على أن الباري جل جلاله جسم بقوله " لا تأخذه سنة ولا نوم "؛ قال: لو كان غير جسم لم يكن هذا مدحا.

وقال أبو حامد المروزوذي: ألا تعلم أنه لو كان جسما لم كان هذا منفيا؟ وكان يقول: لا أدري ما فائدة هشام في اعتقاده أنه جسم وهو يعلم اضطرارا أن نفي هذا الاسم على الحد المقتضى أدخل في التوحيد.

قال سهل الأحول – وكان يكتب لإبراهيم بن المهدي –: ما أحسن حسن الظن إلا منه العجز، وما أقبح سوء الظن إلا أن فيه الحزم.." (٢)

"لتكون فيه دلالتان: دلالة كدلالة الأول في اختصاص العين، ودلالة على النعت.

والنسي في أسماء الخمر من الضرب الثاني، لأن الخمر تنسأ العقل أي تؤخره، وقال: هذا قاله بعض العلماء.

فقلت له: **هلا قلت** هذا في المجلس؟ فقال: لو قلت هناك لما وجدتني عندك قاعدا مطمئنا.

قلت: صدقت، الرجل حسود.

فقال: ولربه كنود، ولآياته عنيد، كأنه من اليهود، أو من بقية ثمود.

ولقد غضب يوما م شيء رواه المصري، وحجبه أياما؛ وذلك أنه روى أن امرأة جاءت إلى النبي صلى الله عليه وسلم فيما رواه عبد الله بت عمرو بن العاص، فقالت: يا رسول الله إن ابني هذا كان بطني له وعاء، وحجري له حواء، وثديي سقاء، وزعم أبوه أنه ينزعه مني.." (٣)

"به أنه كان على مذهب أصحابنا، ولو نصر في الأحكام مذهب أبي حنيفة لكان قدوة لأهل زمانه.

وقال له بعض الغرباء: إذا قلت عشي الرجل كما تقول: عمي الرجل، وتقول: يعشى كما تقول يعمى، وقلت أعشى كما تقول: أعمى، **فهلا قلت**: امرأة عشياء كما قلت عمياء، ولك مع ذلك شفة لمياء وفاه ظمياء؟

---

(١) البصائر والذخائر أبو حيّان التوحيدي ٣٧/٧

(٢) البصائر والذخائر أبو حيّان التوحيدي ١٧٨/٧

(٣) أخلاق الوزيرين = مثالب الوزيرين أبو حيّان التوحيدي ص/٢١٨

قال: فهكذا أقول.

قال له: قد خالفت العلماء، لأنهم نصوا عشواء كما قالوا: ناقة عشواء.

فقال: في هذا نظر.

وأخطأ. وأي نظر في المسموع؟ وحدثني محمد بن المرزبان قال: كنا بين يديه ليلة فنعس، وأخذ إنسان يقرأ " والصافات "، فاتفق أن بعض هؤلاء الأجلاف من أهل ما وراء النهر نعس أيضا، وضرط ضرطة منكرة، فانتبه وقال: يا أصحابنا نمنا على " الصافات "، وانتبهنا على " المرسلات ".

هذا من ملاحاته.." (١)

"أحدا وقول أبي عبيدة لعمر حين قال مد يدك أبايع لك أتقول هذا وأبو بكر حاضر والله ما كان لك في الإسلام فهة غيرها وترك الكافة الإنكار عليه وقبول عمر لهذا منه وإضرابه عن مراجعته وإنما استجاز عمر قبول ذلك خشية الفتنة وأن لا تستقيم الأمة على أفضلها ولذلك قال وقى الله شرها

وأما ما يدل على جواز العقد للمفضول وترك الأفضل لخوف الفتنة والتهارج فهو أن الإمام إنما ينصب لدفع العدو وحماية البيضة وسد الخلل وإقامة الحدود واستخراج الحقوق فإذا خيف بإقامة أفضلهم الهرج والفساد والتغالب وترك الطاعة واختلاف السيوف وتعطيل الأحكام والحقوق وطمع عدو المسلمين في اهتضامهم وتوهين أمرهم صار ذلك عذرا واضحا في العدول عن الفاضل إلى المفضول ويدل على ذلك علم عمر رضي الله عنه وسائر الصحابة والأمة بأن في الستة فاضلا ومفضولا وقد أجاز العقد لكل واحد منهم إذا أدى إلى صلاحهم وجمع كلمتهم من غير إنكار أحد عليه ذلك فثبت أيضا ما قلناه

وأما ما يدل على أنه لا يجب أن يكون من بني هاشم دون غيرها من قبائل قريش فهو أن ظاهر الخبر لا يقتضي ذلك ولا العقل يوجبه وظاهر قوله صلى الله عليه وسلم (الأئمة من قريش) يوجب كونها شائعة في سائرهم

فإن قال قائل **هلا قلتم** إنها تجوز في موالي قريش لقول النبي صلى الله عليه وسلم (موالي القوم منهم) قيل له هذا إنما قاله مجازا واتساعا وتألفا للموالي." (٢)

"واعلم أن قولهم: الفاسق والزاني موضوع موضع: الذي فسق وزنى والألف واللام فيه بمعنى الذي، وهذا لأن الفعل لما لم يكن موضوعا للتخصيص، بل كان موضوعا لأن يكون خبرا مفيدا لا غير، امتنع مما

---

(١) أخلاق الوزيرين = مثالب الوزيرين أبو حيّان التوحيدي ص/٢٢٧

(٢) تمهيد الأوائل وتلخيص الدلائل الباقلاني ص/٤٧٥

يكون وروده للتخصيص كالإضافة والألف واللام، لكنهم كما جعلوه، أعني الفعل، من تمام الذي أحبوا أن يتناوله التخصيص أيضا فنقلوه إلى اسم الفاعل، ونووا بالألف واللام فيه، وإن كان مجيئه في أصل الكلام التخصيص فقط، عنى الذي كان يحتمله الفعل في صلة الذي ليتم الألف واللام باسم الفاعل كما تم ذلك الفعل.

فكما أن الذي إذا لم يقترن به ما يخصصه بواحد بعينه، انصرف إلى الجنس، فيدل على استغراقه وشموله ما يدل في اسم الجنس لا فصل بينهما، ويقرب أمره تضمنه لمعنى الجزاء، حتى صار يجاب بما يجاب به الجزاء من الفاء. فكما أن الجزاء بالإبهام الذي صار حكم الاسم المستعمل فيه ما بيناه ودللنا عليه، وهو: من، وما، كذلك حكم اسم الفاعل والمفعول، بدلالة أن قوله تعالى:) السارق والسارقة فاقطعوا أيديهما (، بمثابة قوله لو قال: من سرق فاقطعوا يده.

وقد حكى أبو العباس المازني، أن اسم الفاعل يدخله الألف واللام مفيدا للتعريف فقط، يكون دخوله عليه كدخوله على اسم الجنس، إذا قلت: الرجل، وهذا وإن كان خلافا من أصحابنا، فلا مدخل له فيما نحن فيه. فإن قيل: أراك تدير كلامك في الألف واللام على أن له موضعين: أحدهما تعريف العهد، والثاني تعريف الجنس، وأنت قد تقول: هذا الرجل فعل كذا أو كذا من غير أن يكون بينك وبين المخاطب عهد فيه.

فإذا كنت بقوله ولا عهد، ومن الظاهر أن قولك: هذا الرجل ليس يراد به الجنس، **فهلا قلت**: إن له موضعا ثالثا، وهو قولك: هذا الرجل، وتلك المرأة، وأنت تشير إلى حاضرين أحدهما بالبعد، والآخر بالقرب. قلت: إن الرجل والمرأة نقلهما ما صحبهما من اسم الإشارة إلى الحاضر، وهما في الأصل للجنس، ولا يمتنع ما يكون للجنس أن يقترن به ما يجعله لواحد من الجنس، لأن اسم الجنس ينتظم الواحد إلى ما لا نهاية، فاعلمه.

ومن هذا القبيل قولهم: نعم الرجل زيد، وحبذا زيد لأن ذا كالرجل، والرجل اسم جنس، والمعنى: زيد محمود في قبيله، إلا أنه ليس بمستغرق، بدلالة أنه ثني وجمع، فقيل: نعم الرجلان الزيدان، نعم الرجال الزيدون، ولو كان مستغرقا لما صح تثنيته، وليس قول القائل: زيد محمود في الرجال، وإذا صاروا رجلا رجلا بصواب. ولا قول: إنه لواحد بعينه بصواب، لأن وقوع رجل موقع أحد حتى يكون متناولا لآحاد الجنس على طريق البدل، إنما يكون في النكرة، فأما إذا تعرف فإنه لا يفيد الاتحاد، ولهذا لم نقل: كل الرجل، ولا: كل الإنسان، وقد مضت الدلالة على ذلك.

ولا يجوز أن تكون لواحد بعينه، لأنه لو كان كذلك لما امتنع ما يفيد الاختصاص من الأعلام وغيرها من وقوعه موقعه، لتساويها كلها في إفادتها واحدا بعينه. وفي امتناع ذلك دلالة على أنه للجنس لا للواحد بعينه. فإن قيل: فالرجل من قولك: نعم الرجل على أي وجه توجهه إذا لم تجعله مستغرقا، قلت إن المادح كأنه عرف زيدا وأضرابه أو عرفه وقبيله الذي هو منه فأراد أن يتناوله المدح وهو مفضل عليهم، فاستعار لفظ الجنس لبعضهم، وصار تثنيته وجمعه له يدل على مراده، لأنه لما ذهب بالرجل إلى أن يكون مقصورا على أضرابه أو قبيله الذي هو منه، صار مخصوصا أو واقفا على عدد، فصار يحتمل التثنية والجمع. فكأنا إذا قلنا: نعم الرجلان الزيدان، قلنا: الزيدان محمودان في قبيلهما، وكل قبيل من القبيلين مخالف للآخر، ولو كان في وجه واحد، لأن تماثل شيئين كل واحد منهما للآخر من كل وجه، فاسد غير جائز.
وقد عرف من أصول اللغة وقول أصحابنا النحويين: أن أسماء الأجناس تثنى وتجمع إذا اختلفت، وقد حمل قوله تعالى:) بل يداه مبسوطتان (على أنه تثنية الجنس، كأنه جنسان من النعمة، نعمة الدنيا والآخرة، أو نعمة الدين والدنيا. ومن هذا القبيل قولهم: قل رجل يقول ذاك، وأقل رجل يقول ذاك.." (١)

"فلما قرأ مسلمة الكتاب، كتب في جوابه: ومستعجب مما يرى من أناتنا ... ولو زبنته الحرب لم يترمرم وسمع مسلمة رجلا يتمثل بقول الشاعر، وقد دلي بعض بني مروان في قبره: ما كان قيس هلكه هلك واحد ... ولكنه بنيان قوم تهدما فقال مسلمة: لقد تكلمت بكلمة شيطان، **هلا قلت**: إذا مقرم منا ذرا حد نابه ... تخمط فينا ناب آخر مقرم وقال رجل عند مسلمة: ما استرحنا من حائك كندة حتى أتانا هذا المزوني، قال مسلمة: تقول لرجل سار إليه قريعا قريش، يعني نفسه والعباس بن الوليد. إن يزيد حاول عظيما ومات كريما. وكان مسلمة يقول: الروم أعلم، وفارس أعقل. وقال: ما حمدت نفسي على ظفر ابتدأته بعجز، ولا لمتها على مكروه ابتدأته بحزم. وقال: مروءتان ظاهرتان: الرياش والفصاحة.
مروان بن محمد
دخل عبد الرحمن بن عطية التغلبي على مروان بن محمد، فاستأذنه في تقبيل يده فأعرض عنه، ثم قال له: قد عرف أمير المؤمنين موضعك في." (٢)

"الحجاج فلما وقف الاسرى بين يدى الحجاج أمر بقتل رجل منهم قال له اسمع مني بيتين أختم بهما عملي ثم أنشأ يقول ... أبرأ الى الله من عمرو وشيعته

---

(١) أمالي المرزوقي المرزوقي ص/٤١

(٢) نثر الدر في المحاضرات الآبي ٣/٥٠

ومن على ومن أصحاب صفين ... ومن معاوية الطاغى وشيعته

لا بارك الله في القوم الملاعين ...

فأمر بقتله وبقتل جماعة منهم وأطلق الباقين قال عبد القاهر يقال للشبيبة من الخوراج أنكرتم على أم المؤمنين عائشة خروجها الى البصرة مع جندها الذى كل واحد منهم محرم لها لأنها أم جميع المؤمنين فى القرآن وزعمتم أنها كفرت بذلك وتلوتم عليها قول الله تعالى وقرن فى بيوتكن فهلا تلوتم هذه الآية على غزالة أم شبيب **وهلا قلتم** بكفرها وكفر من خرجن معها من نساء الخوارج الى قتال جيوش الحجاج فان أجزتم لهن ذلك لانه كان معهن أزواجهن او بنوهن واخوتهن فقد كان مع عائشة أخوها عبد الرحمن وابن اختها عبد الله بن الزبير وكل واحد منهم محرم لها وجميع المسلمين بنوها وكل واحد محرم لها فهلا أجزتم لها ذلك على ان من أجاز منكم إمامة غزالة فإمامتها لائقة به وبدينه والحمد لله على العصمة من البدعة." (١)

"فيها فقال أبو حنيفة إن قال فيها برأيه ليخطئن وإن قال فيها حدثنا ليكذبن قال قتادة أوقعت هذه المسألة قالوا لا قال فلم تسألوني عما لم يكن فقال له أبو حنيفة إن العلماء يستعدون للبلاء ويتحرزون منه قبل نزوله فإذا نزل عرفوه وعرفوا الدخول فيه والخروج منه فقال قتادة دعوا هذا وسلوني عن التفسير فقال أبو حنيفة ما تقول في قول الله ﴿قال الذي عنده علم من الكتاب أنا آتيك به قبل أن يرتد إليك طرفك﴾ قال نعم كان هذا آصف بن برخيا كاتب سليمان وكان يعرف اسم الله الأعظم قال فهل كان سليمان عليه السلام يعرف هذا الاسم قال لا قال أفيجوز ان يكون في زمن نبي من هو أعلم من النبي قال لا والله لا أحدثكم بشيء من التفسير سلوني عما اختلف فيه العلماء فقال أبو حنيفة أمؤمن أنت قال أرجو قال ولم قال لقوله تعالى ﴿والذي أطمع أن يغفر لي خطيئتي يوم الدين﴾ قال أبو حنيفة **فهلا قلت** كما قال إبراهيم عليه السلام لما قال له ﴿أو لم تؤمن قال بلى ولكن ليطمئن قلبي﴾ قال فقام قتادة فدخل الدار مغضبا وحلف ان لا يحدثهم قال ابو حنيفة ثم قدم الكوفة بعد سنين وكان ضريرا فناديته يا أبا الخطاب ما تقول في قوله ﴿وليشهد عذابهما طائفة من المؤمنين﴾ قال رجل فما فوقه يا أبا حنيفة وعرفني بالنغمة وكان يسمع الناس يكنوني

---

(١) الفرق بين الفرق عَبْد القَاهر البَغْدادي ص/٩٢

أخبرنا أبو القاسم عبد الله بن محمد الشاهد قال ثنا مكرم قال ثنا أحمد بن عطية قال ثنا الترجماني قال ثنا حسان بن إبراهيم عن إبراهيم الصائغ قال كنت عند عطاء بن ابي رباح وعنده أبو حنيفة فسئل عن قول الله ﴿وآتيناه أهله ومثلهم معهم﴾ فقال عطاء رد الله على أيوب عليه السلام أهله ومثل أهله وولده فقال." (١)

"[قولهم في الوعد ومنزلة إنجازه]

قال الجاحظ: قال أبو القاسم بن معن المسعودى لعيسى بن موسى: أيها الأمير؛ ما انتفعت بك منذ عرفتك، ولا إلى خير وصلت منك منذ صحبتك، فقال: ولم؟ ألم أكلم لك أمير المؤمنين في كذا وكذا؟ قال: بلى! فهل استنجزت ما وعدت، وعاودت ما ابتدأت؟ فقال: حالت دون ذلك أمور قاطعة، وأحوال عاذرة. قال: أيها الأمير، فما زدتنى على أن نبهت الهم من رقدته، وأثرت الحزن من ربضته، إن الوعد إذا لم يصحبه إنجاز يحققه كان كلفظ لا معنى له، وجسم لا روح فيه.

وكلم منصور بن زياد يحيى بن خالد في حاجة لرجل، فقال: عده قضاءها.

قال: فقلت: أصلحك الله! وما يدعوك إلى العدة مع وجود القدرة؟ فقال: هذا قول من لا يعرف موضع الصنائع من القلوب، إن الحاجة إذا لم يتقدمها موعد ينتظر به نجحها لم تتجاذب الأنفس سرورها؛ إن الوعد تطعم والإنجاز طعام؛ وليس من فاجأه طعام كمن وجد رائحته، وتمطق به، وتطعمه ثم طعمه؛ فدع الحاجة تختم بالوعد؛ ليكون بها عند المصطنع حسن موقع، ولطف محل.

ووعد المهدى عيسى بن دأب جارية، ثم وهبها له، فأنشده عبد الله بن مصعب الزبيرى معرضا يقول مضرس الأسدى:

فلا تيأسن من صالح أن تناله ... وإن كان قدما بين أيد تبادره

فضحك المهدى، وقال: ادفعوا إلى عبد الله فلانة، لجارية أخرى؛ فقال عبد الله بن مصعب:

أنجز خير الناس قبل وعده ... أراح من مطل وطول كده

فقال ابن دأب: ما قلت شيئا، هلا قلت:." (٢)

"ثم التفت إلى الرجل فقال: هلا قلت كما قال أصرم بن حميد:

ملكت حمدى حتى إننى رجل ... كلى بكل ثناء فيك مشتغل

---

(١) أخبار أبي حنيفة وأصحابه الصَّيْمَري ص/٣٦

(٢) زهر الآداب وثمر الألباب الحُصري القيرواني ٢/٣٧٣

خولت شكرى لما خولت من نعم ... فحر شكرى لما خولتنى خول «١»

وقال أبو الفتح البستى:

لئن عجزت عن شكر برك قوتى ... وأقوى الورى عن شكر برك عاجز

فإن ثنائى واعتقادى وطاقتى ... لأفلاك ما أو ليتنها مراكز

وقال أبو القاسم الزعفرانى:

لى لسان كأنه لى معادى ... ليس ينبى عن كنه ما في فؤادى

حكم الله لى عليه فلو أن ... صف قلبى عرفت قدر ودادى

وقال إسماعيل بن القاسم، أبو العتاهية، يمدح عمر بن العلاء:

إنى أمنت من الزمان وريبه ... لما علقت من الأمير حبالا

لو يستطيع الناس من إجلاله ... لحذوا له حر الوجوه نعالا

ما كان هذا الجود حتى كنت يا ... عمر، ولو يوما تزول لزالا

إن المطايا تشتكيك لأنها ... قطعت إليك سباسبا ورمالا

فإذا وردن بنا وردن مخفة ... وإذا صدرن بنا صدرن ثقالا

وهي قصيدة سهلة الطبع، سلسلة النظام، قريبة المتناول.

وروى أن عمر بن العلاء وصله عليها بسبعين ألف درهم، فحسدته الشعراء، وقالوا: لنا بباب الأمير أعوام نخدم الآمال، ما وصلنا إلى بعض هذا! فاتصل ذلك به، فأمر بإحضارهم، فقال: بلغنى الذى قلتم؛ وإن أحدكم يأتى فيمدحنى بالقصيدة يشبب فيها فلا يصل إلى المدح حتى تذهب لذة حلاوته، ورائق طلاوته؛." (١)

"رأوا من عظم اجتهاد رهبانهم أصحاب الصوامع والديارات والمطوس عليهم أبواب البيوت فليعلموا أنه ليس عندهم من الاجتهاد في العبادة إلا جزء من أجزاء كثيرة مما عند المنانية وشدة اجتهادهم والذي عند الصابئين من ذلك أعظم فإنه يبلغ الأمر بهم إلى أن يخصي الواحد نفسه ويسمل عيني نفسه اجتهادا في العبادة والذي عند الهنود أكثر من هذا كله فإنهم لا يزالون يحرقون أنفسهم في النار تقربا إلى البد ولا يزالون يرمون أنفسهم من أعالي الجبال كذلك فأين اجتهاد من اجتهاد وعباد الهند لا يمشون إلا عراة ولا يلتبسون من الدنيا بشيء أصلا فأين هذا من هذا لو عقلوا ولم ير قط أشد جريمة من جاهل مقلد لا سيما

---

(١) زهر الآداب وثمر الألباب الحُصري القيرواني ٣٧٨/٢

إذا اتفق أن يكون سوداويا ضعيفا وإن شئت فتأمل أساقفة النصارى وقسيسيهم وجتالقتهم تجدهم جفلة أفسق الخلق وأزناهم وأجمعهم للمال لا سبيل إلى أن تجد منهم واحدا بخلاف هذا وكذلك إن اغتروا بصبر أوائلهم للقتل على دينهم حتى عملوا لهم الشائنات إلى اليوم فإن ذلك لا يتجزأ من صبر المنانية على القتل في الثبات على دينهم ومن صبر دعاة القرامطة على القتل أيضا وكل هذا لا يتعلل به إلا جاهل سخيف مقلد متهالك وإنما الحمق فيما أوجبته براهين العقول التي وضعها الله تعالى فينا لتمييز الحق من الباطل ونبا بها عن البهايم فقط ثم في الاعتدال والاقتصار على ما جاء به صاحب الشريعة التي قام البرهان بصحتها عن الله عز وجل وجماع ذلك ما جرى عليه أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم في حياته وبعده عليه السلام

قال أبو محمد وبقي لهما اعتراضان نذكرهما إن شاء الله تعالى أحدهما إن قالوا قال الله عز وجل في كتابكم حكاية عن المسيح عليه السلام أنه قال

من أنصاري إلى الله قال الحواريون نحن أنصار الله فآمنت طائفة من بني إسرائيل وكفرت طائفة فأيدنا الذين آمنوا على عدوهم فأصبحوا ظاهرين

وقال تعالى أيضا مخاطبا للمسيح عليه السلام ﴿إني متوفيك ورافعك إلي ومطهرك من الذين كفروا وجاعل الذين اتبعوك فوق الذين كفروا إلى يوم القيامة﴾ قلنا نعم هذا خبر حق ووعد صدق وإنما أخبر تعالى عن المؤمنين ولم يسمهم ولا شك في أن من ثبت عليه الكذب من باطرة ويوحنا ومتى ويهوذا ويعقوب ليسوا منهم لكنهم من الكفار المدعين له الربوبية كذبا وكفرا وأما الموعودون بالنصر إلى يوم القيامة المؤمنون بالمسيح عليه السلام فهم نحن المسلمون المؤمنون به حقا وبنبوته ورسالته لا من كفر به وقال أنه كذاب وقال أنه إله أو ابن إله تعالى الله عن ذلك والثاني إن قالوا إن في كتابكم ﴿وجاء ربك والملك صفا صفا﴾ وفيه ﴿هل ينظرون إلا أن يأتيهم الله في ظلل من الغمام والملائكة وقضي الأمر﴾ فهلا قلتم فيما في التوراة والإنجيل كما تقولون فيما في كتابكم قلنا بين الأمرين فرق بين كما بين قطبي الفلك وذلك أن الذي في القرآن ظاهر لا يحتاج فيه." (١)

"الاثنين الذين هما إلى الخطأ من أنه لم يطلب البرهان طلبا صحيحا بل عاجزا عنه بأحد الوجوه التي قدمنا قبل وأما الانتقال إلى الصواب فإنه وقع عليه بحد صحيح وطلب صحيح أو بحد وبحث وهذا يعرض فيما يدرك بالحواس كثيرا فيرى الإنسان شخصا من بعيد فيظنه فلانا ويحلف عليه ويكابر ويجرد ثم تبين له

---

(١) الفصل في الملل والأهواء والنحل ابن حزم ٦٣/٢

أنه ليس هو الذي ظن وقد يشم الإنسان رائحة يظنها من بعض الروائح ويقطع على ذلك ويحلف عليه مجدا ثم يتبين له أنه ليس هو الذي ظن وهكذا في الذوق أيضا وقد يعرض هذا في الحساب فقد يغلط الحاسبون في جمع الأعداد الكثيرة فيقول أحدهم أن الجميع من هذه الأعداد كذا وكذا ويخالفه غيره في ذلك حق إذا بحثوا بحثا صحيحا صح الأمر عندهم وقد يعرض هذا للإنسان فيما بين يديه يطلب الشيء بين متاعه طلبا مرددا المرء بعد المرء فلا يجده ولا يقع عليه وهو بين يديه ونصب عينيه ثم يجده في أقرب مكان منه وقد يكتب الإنسان مستمريا أو يقرأ فيصحف ويزيد وينقص وليس هذا بموجب ألا يصح شيء بإدراك الحواس أبدا ولا إلا يصح وجود الإنسان شيئا افتقده أبدا ولا إلا يصح جمع الأعداد أبدا ولا إلا يصح حرف مكتوب ولا كلمة مقروءة أبدا لا مكان وجود الخطأ في بعض ذلك لكن التثبيت الصحيح يليخ الحق من الباطل وهكذا كل شيء أخطأ فيه ولا بد من برهان يليح الحق فيه من الباطل ولا يظن جاهل أن هذه المعاني كلها حجة لمبطلي الحقائق بل هي برهان عليهم لائح قاطع لأن كل ما ذكرنا لا يختلف حس أحد في أن كل ذلك إذا فتش تفتيشا صحيحا فإنه يقع اليقين والضرورة بأن الوهم فيها غير صحيح وأن الحق فيها ولا بد فبطل تعلقهم بمن رجع من مذهب إلى مذهب ولم يحصلوا إلا على أن قالوا أنا نرى قوما يخطئون فقلنا لهم نعم ويصيب آخرون فإقرارهم بوجود الخطأ موجب ضرورة أن ثم صوابا لأن الخطأ هو مخالفة الصواب فلو لم يكن صوابا لم يكن خطأ ولو لم يكن برهانا لم يكن شغب مخالف للبرهان ثم نعكس استدلالهم عليهم فنقول لهم وبالله تعالى نتأيد فإذ قد وجدتم من يعتقد ما أنتم عليه ثم يرجع عنه فهلا قلتم أن مذهبكم هذا كالأقوال الأخر التي أبطلتموها من أجل هذا الظن الفاسد في الحقيقة وهو في ظنكم صحيح فهو لكم لازم لأنكم صححتموه ولا يلزمنا لأننا لا نصححه ولا صححه برهان

قال أبو محمد وبهذا الذي قلنا يبطل ما اعترضوه به من اختلاف المدعين الفلسفة والمتحلين الكلام في مذاهبهم وما ذكروه من اختلاف المختارين أيضا في اختيارهم لأننا لم ندع أن طبائع الناس سليمة من الفساد لكنا نقول أن الغالب على طبائع الناس الفساد فإن المنصف لنفسه أولا ثم لخصمه ثانيا الطالب البرهان على حقيقة العارف به فدليل برهاننا على هذا ما وجدناه من اختلاف الناس واختلافهم كثيرا دليل على كثرة الخطأ منهم وقد وضحنا أن وجود الخطأ يقتضي ضرورة وجود الصواب منهم ولا بد وليس اختلافهم دليلا على أن لا حقيقة في شيء من أقوالهم ولا على امتناع وجود السبيل إلى معرفة الحق وبالله تعالى التوفيق وأما احتجاجهم بأنه لا يخلو من حقق شيئا من الديانات والمقالات والآراء من أن يكون صح له بالحواس أو ببعضها أو ببديهة العقل وضرورته أو بدليل من الأدلة غير هذين وأنه لو صح بالحواس أو بالعقل لم

يختلف فيه وإلزامهم في الدليل مثل ذلك إلى آخر كلامهم فهذا كله مقرر قد مضي الكلام فيه وقد أريناهم أنه قد يختلف الناس فيما يدرك بالحواس وببديهة العقل كاختلافهم في الشخص يرونه ويختلفون فيه ما هو وفي الصوت يسمعونه بينهم فيما هو ويختلفون فيه وكأقوال النصارى وغيرهم مما يعلم بضرورة العقل فساده ثم نقول لهم إن أول المعارف هو ما أدرك بالحواس وببديهة العقل وضرورته ثم ينتج براهين راجعة من قرب." (١)

"القزاز عن أحمد بن إسحاق عن النضر بن محمد قال: دخل قتادة الكوفة ونزل في دار أبي بردة، فخرج يوما وقد اجتمع إليه خلق كثير، فقال قتادة: والله الذي لا إله إلا هو ما يسألني اليوم أحد عن الحلال والحرام إلا أجبته، فقام إليه أبو حنيفة فقال:

يا أبا الخطاب ما تقول في رجل غاب عن أهله أعواما فظنت امرأته أن زوجها مات فتزوجت، ثم رجع زوجها الأول ما تقول في صداقها؟ وقال لأصحابه الذين اجتمعوا إليه: لئن حدث بحديث ليكذبن، ولئن قال برأي نفسه ليخطئن فقال قتادة: ويحك أوقعت هذه المسألة؟ قال لا، قال: فلم تسألني عما لم يقع؟ قال أبو حنيفة إنا نستعد للبلاء قبل نزوله، فإذا ما وقع عرفنا الدخول فيه والخروج منه. قال قتادة: والله لا أحدثكم بشيء من الحلال والحرام، سلوني عن التفسير، فقام إليه أبو حنيفة فقال له:

يا أبا الخطاب ما تقول في قول الله تعالى: قال الذي عنده علم من الكتاب أنا آتيك به قبل أن يرتد إليك طرفك

[النحل ٤٠] قال نعم، هذا آصف بن برخيا بن شمعيا كاتب سليمان بن داود كان يعرف اسم الله الأعظم، فقال أبو حنيفة: هل كان يعرف الاسم سليمان؟ قال لا، قال: فيجوز أن يكون في زمن نبي من هو أعلم من النبي؟ قال فقال قتادة: والله لا أحدثكم بشيء من التفسير، سلوني عما اختلف فيه العلماء، قال: فقام إليه أبو حنيفة فقال: يا أبا الخطاب أمؤمن أنت؟ قال: أرجوا! قال: ولم؟ قال: لقول إبراهيم عليه السلام: والذي أطمع أن يغفر لي خطيئتي يوم الدين

[الشعراء ٨٢] فقال أبو حنيفة: مهلا قلت كما قال إبراهيم عليه السلام:

قال أولم تؤمن قال بلى

[البقرة ٢٦٠] فهلا قلت بلى؟ قال فقام قتادة مغضبا ودخل الدار وحلف ألا يحدثهم.

أخبرنا الصيمري، أخبرنا عمر بن إبراهيم المقرئ، حدثنا مكرم بن أحمد، حدثنا أحمد بن محمد- يعني

(١) الفصل في الملل والأهواء والنحل ابن حزم ٨٤/٥

الحماني- حدثنا الفضل بن غانم قال: كان أبو يوسف مريضا شديد المرض، فعاده أبو حنيفة مرارا، فصار إليه آخر مرة فرآه مقبلا فاسترجع، ثم قال: لقد كنت أؤملك بعدي للمسلمين، ولئن أصيب الناس بك ليموتن معك علم كثير، ثم رزق العافية وخرج من العلة، فأخبر أبو يوسف يقول أبي حنيفة، فارتفعت نفسه، وانصرفت وجوه الناس إليه فقعد لنفسه مجلسا في الفقه وقصر عن لزوم مجلس أبي حنيفة، فسأل عنه، فأخبر أنه قد قعد لنفسه مجلسا، وأنه قد بلغه كلامك فيه، فدعا رجلا كان له عنده قدر فقال: صر إلى مجلس يعقوب فقل له: ما تقول في رجل دفع إلى قصار ثوبا ليقصره بدرهم، فصار إليه بعد أيام في طلب الثوب، فقال له." (١)

"أخبرنا محمد بن عبد الواحد أخبرنا محمد بن العباس، حدثنا أحمد بن سعيد السوسي، حدثنا عباس بن محمد قال: سمعت يحيى يقول قال: أبو معاوية الضرير:

حفظت من الأعمش ألفا وستمائة فمرضت مرضة فذهب عني منها أربعمائة، فكان عند أبي معاوية ألف ومائتان. قال يحيى: وكان عند وكيع عن الأعمش ثمانمائة.

قلت ليحيى: كان أبو معاوية أحسنهم حديثا عن الأعمش؟ قال: كانت الأحاديث الكبار العالية عنده [١]

.

أخبرنا أحمد بن الحسين بن محمد بن عبد الله بن خلف العكبري. أخبرنا أبو نصر أحمد بن محمد بن أحمد بن شجاع البخاري، أخبرنا خلف بن محمد الخيام، حدثنا سهل بن شاذويه قال: سمعت علي بن خشرم يقول: وماشيت وكيعا إلى الجمعة فقال لي: يا علي إلى من تختلف؟ فقلت: إلى فلان وفلان وإلى أبي معاوية الضرير.

قال: فقال وكيع: اختلف إليه فإنك إن تركته ذهب علم الأخفش على أنه مرجئ، فقلت: يا أبا سفيان، دعاني إلى الإرجاء فأبيت عليه. فقال لي وكيع: **هلا قلت** له كما قال له الأعمش: لا تفلح أنت ولا أصحابك المرجئة؟

أخبرنا أبو نعيم الحافظ، حدثنا أبو بكر بن المقرئ، حدثنا عبد الله بن جابر، حدثنا جعفر بن نوح قال: سمعت محمد بن عثمان- كذا قال لنا أبو نعيم- وليس بمحمد ابن عثمان وإنما هو محمد بن عيسى بن الطباع- يقول: قال ابن البادش: أبو معاوية مرجئ كبير.

أخبرنا حمزة بن محمد بن طاهر الدقاق، حدثنا الوليد بن بكر الأندلسي، حدثنا علي بن أحمد بن زكريا

---

(١) تاريخ بغداد وذيوله ط العلمية الخطيب البغدادي ١٣/٣٤٨

الهاشمي- بأطرابلس الغرب- حدثنا أبو مسلم صالح بن أحمد بن عبد الله بن صالح العجلي، حدثني أبي قال: أبو معاوية الضرير محمد بن خازم الحماني كوفي ثقة، وكان يرى الإرجاء، كان لين القول- يعني فيه- وسمع من الأعمش ألفي حديث، فمرض فنسي منها ستمائة حديث.

أخبرنا أبو بكر البرقاني، أخبرنا أحمد بن حمدويه الهروي، أخبرنا الحسن بن إدريس الأنصاري قال: قال ابن عمار: سمعت أبا معاوية الضرير يقول: كل حديث أقول فيه حدثنا فهو ما حفظته من في المحدث، وما قلت: وذكر فلان، فهو ما لم أحفظ من فيه، وقرئ علي من كتاب، فعرفته فحفظته مما قرئ علي.

---

[١] انظر الخبر في: تهذيب الكمال ١٣٠/٢٥.." (١)

"وهو المعروف بمسطح، شهد بدرا. وتوفي سنة أربع وثلاثين، وهو ابن ست وخمسين سنة.

وقد قيل: إنه شهد صفين مع علي رضي الله عنه، وهو الأكثر، فذكرناه في باب الميم، لأنه غلب عليه مسطح، واسمه عوف لا اختلاف في ذلك.

وأمه- فيما قال ابن شهاب في حديث الإفك- أم مسطح بنت أبي رهم بن المطلب بن عبد مناف، واسمها سلمى [بنت صخر بن عامر] [١] ، وأمها ريطة بنت صخر بن عامر خالة أبي بكر الصديق رضي الله عنه. وقال:

في آخر الحديث، عن عائشة رضي الله عنها لما [٢] أنزل الله تعالى براءتي.

قال أبو بكر- وكان ينفق على مسطح لقرابته ولفقره: والله لا أنفق على مسطح بعد الذي قاله لعائشة، فأنزل الله عز وجل [٣] : ولا يأتل أولوا الفضل منكم ... ٢٤: ٢٢ الآية» . فقال أبو بكر: والله إني لأحب أن يغفر الله لي. فرجع إلى مسطح النفقة التي كان ينفق عليه وقال: والله لا أنزعها منه أبدا.

وذكر الأموي، عن أبيه، عن ابن إسحاق [٤] قال قال أبو بكر رضى الله عنه لمسطح:

يا عوف ويحك هلا قلت عارفة ... من الكلام ولم تتبع بها طمعا

وأدركتك حياء [٥] معشر أنف ... ولم تكن قاطعا يا عوف منقطعا

---

(١) تاريخ بغداد وذيوله ط العلمية الخطيب البغدادي ٣٠٤/٢

[١] من س.

[٢] في س: فلما.

[٣] سورة النور، آية ٢٢

[٤] في س: أبى إسحاق.

[٥] في س: حميا معشر.." (١)

"**هلا قلت** إن في كلامهم المؤلف من الألفاظ ما هو أيضا كذلك فإن علم الناظر بأحدهما كالعلم بالآخر وإن قال إن كل لفظة من ألفاظ القرآن متلائمة في الطبقة الوسطى قيل له أولا إن مشاركة القرآن لطبقة ألفاظهم على هذا الوجه أيضا باقية ثم ما الفرق بينك وبين من ادعى أن التلائم من ألفاظ القرآن في الطبقة الوسطي فإن أحد الموضعين كالآخر على أن اللفظة المفردة يظهر فيها التلاؤم ظهورا بينا بقلة عدد حروفها واعتبار المخارج وإن كانت متباعدة كان تأليفها متلائما وإن تقاربت كان متنافرا ويلتمس ذلك بما يذهب إليه من اعتبار التوسط دون البعد الشديد والقرب المفرط فعلى القولين معا اعتبار التلاؤم مفهوم وليس ينازعنا في كلمة من كلم القرآن إذا أوضحنا لك تأليفها وتقول ليس هذا في الطبقة العليا إلا ونقول مثله في تأليف الألفاظ بعضها مع بعض لأن الدليل على الموضعين واحد فقد بان أن الذي يجب اعتماده أن الـتأليف على ضربين متلائم ومتنافر وتأليف القرآن وفصيح كلام العرب من المتلائم ولا يقدح هذا في وجه من وجوه إعجاز القرآن والحمد لله. وقد ذهب على بن عيسى أيضا إلى أن التنافر أن تتقارب الحروف في المخارج أو تتباعد بعدا شديدا وحكى ذلك عن الخليل بن أحمد. ويقال إنه إذا بعد البعد الشديد كان بمنزلة الطفر وإذا قرب القرب الشديد كان بمنزلة مشى المقيد لأنه بمنزلة رفع اللسان ورده إلى مكانه وكلاهما صعب على اللسان والسهولة من ذلك في الاعتدال ولذلك وقع في الكلام الإدغام والإبدال والذي أذهب أنا إليه في هذا ما قدمت ذكره ولا أرى التنافر في بعد ما بين مخارج الحروف وإنما هو في القرب ويدل على صحة ذلك الاعتبار فإن هذه الكلمة الم غير متنافرة وهي مع ذلك مبنية من حروف متباعدة المخارج لأن الهمزة." (٢)

---

(١) الاستيعاب في معرفة الأصحاب ابن عبد البر ١٢٢٤/٣

(٢) سر الفصاحة ابن سنان الخفاجي ص/١٠١

"على ما سيأتي مشروحا. إن شاء الله [تعالى] .

٦٩٦ - فالذي تحصل من هذا الباب أنه يتبع ما بقي من الأذكار، ويستمسك بآية الوضوء، وما لم يعلم وجوبه، ولم يشعر به كتاب الله، فهو محطوط عن أهل الزمان ؛ فإن التكليف لا يتوجه إلا مع العلم بتوجهه.

٦٩٧ - فإن قيل: أليس غلبات الظنون مناط [معظم] الأحكام؟ **فهلا قلتم** ما غلب على ظن المسترشد - في خلو الزمان عن الفقهاء - وجوبه وجب عليه الأخذ بوجوبه؟ .

قلنا: هذا قول من يقنع بظواهر الأشياء، ولا ينبغي التوصل إلى الحقائق، فليعلم المنتهي إلى هذا الموضع أنا نعلم وجوب العمل بموجب خبر الواحد، والقياس في مرتبته على شرطه، ويستحيل في مقتضى العقول أن يفيد ظن علما، ووجوب العمل بموجب الخبر الذي نقله متعرضون للخطأ معلوم، والخبر في نفسه مظنون، وكذلك القول في القياس.." (١)

"واحد منهما على استيقان في الاستحقاق.

٨١٢ - **فهلا قلتم** بناء على اليقين: لا يأخذ واحد منهما شيئا من التركة؟ من حيث لا يركن إلى قطع في الاستحقاق، وبناء الأمر على استوائهما، وإشعار ذلك بتوزيع التركة عليهما من أدق مسالك الظنون، وأغمض فنون المجتهدات في الدعاوى والبينات، وغيرهما من المشكلات، ولا يستقل به إلا فطن ريان من علوم التفاصيل في التكاليف.

والمرتبة الثالثة مبناها على دروس العلم بفروع الشريعة وفصولها مع بقاء قواعدها وأصولها؟ فهذا هو السؤال.

٨١٣ - وسبيل الانفصال عنه أن نعترف أولا بانتفاء اليقين كما أوضحه السائل، ثم نعترف بأن واحدا من الرجلين غير مستيقن استحقاق (٢٦٩) نفسه، ولكنا نقول:

٨١٤ - من الأصول التي آل إليه مجامع الكلام أنه: إذا لم يستيقن حجر وحظر من الشارع في شيء، فلا يثبت فيه تحريم في." (٢)

"سهكين من صدإ الحديد كأنهم ... تحت السنور جنة البقار

وقال مسلم بن الوليد يمدح بعض آل المهلب:

تراه في الأمن في درع مضاعفة ... لا يأمن الدهر أن يأتي على عجل

فجعله ملتزما للبسها وغير عار منها. وقال الأعشى فذهب مذهب الأول:

---

(١) غياث الأمم في التياث الظلم الجويني، أبو المعالي ص/٤٥٤

(٢) غياث الأمم في التياث الظلم الجويني، أبو المعالي ص/٥٠٩

وإذا تجئ كتيبة ملمومة ... خرساء يغشى الذائدون نهالها

كنت المقدم غير لابس جنة ... بالسيف تضرب معلما أبطالها

وعلمت أن النفس تلقى حتفها ... ما كان خالقها المليك قضى لها

يمدح بهذا الشعر قيس بن معدي كرب الكندي. ولما أنشد كثير عبد الملك بن مروان قوله:

على ابن العاصي دلاص حصينة ... أجاد المسدي سردها وأذالها

" يؤود ضئيل القوم حمل قتيرها ... ويستضلع القرم الأشم احتمالها "

قال له عبد اللمك: هلا قلت كما قال الأعشى؟

كنت المقدم غير لابس جنة

فقال له كثير: كلا. إن الأعشى وصف صاحبه بالخرق ووصفتك بالحزم. وكان لرسول الله صلى الله عليه وسلم درع إذا علقت بزرافين١٥ شمرت وإذا أرسلت مست الأرض، وكان لا يشاهد الحروب إلا بها، وقد ظاهر في بعض تلك المواطن بين درعين وذلك يوم." (١)

"ختم الحب لها في عنقي ... موضع الخاتم من أهل الذمم

خففي عنا قليلا واعلمي ... أننا يا هند من لحم ودم

ويروى أن مروان ابن أبي حفصة قال قلت لبشار وقد أنشدني هذا الشعر: هلا قلت خرست بالصمت عن لا ونعم! فقال لي: لو كنت في عقلك لقلته أتطير على من أحبه بالخرس؟ وسأل بعض الرواة أبا عمر وابن العلاء من أبدع الناس بيتا؟ قال الذي يقول:

لم يطل ليلي ولكن لم أنم ... ونفي عني الكرى طيف ألم

قلت: فمن أمدح الناس؟ قال الذي يقول:

لمست بكفي كفه أبتغي الغنى ... ولم أدر أن الجود من كفه يعدى

فلا أنا منه ما أفاد ذوو الغنى ... أفدت وأعداني فأتلفت ما عندي

قال: فمن أهجى الناس؟ قال الذي يقول:

رأيت السهيلين استوى الجود فيهما ... على بعد ذا من ذاك في حكم حاكم

سهيل بن عثمان يجود بما له ... كما جاد بالوجعا سهيل بن حاتم

---

(١) سمط اللآلي في شرح أمالي القالي أبو عبيد البكري ١/١٨٣

وهذه كلها لبشار على اختلاف في بيتي المدح فإنها قد رويت لابن الخياط في المهدي.

وأنشد أبو علي " ١ - ١٠١، ١٠٠ " لبشار أيضا:." (١)

"ع يريد رؤبة نهشل بن دارم بن مالك بن حنظلة، وإنما أراد أبو النجم مالك بن ضبيعة بن قيس ثعلبة بن عكابة بن صعب بن علي، يريد بين بلاد بكر وبلاد بني تميم. وصلة الشطر:

الحمد لله الوهوب المجزل ... أعطى فلم يبخل ولم يبخل

كوم الرى من خول المخول ... تبقلت من أول التبقل

يقول: رعت هذه المواضع لعزها كما قال امرؤ القيس:

تحاماه أطراف الرماح تحاميا ... وجاد عليه كل أسحم هطال

قال أبو عمرو الشيباني: قيل لأبي النجم **هلا قلت**: بين رماحي دارم ونهشل قال: لقد ضيقت عليها المرعى إذن.

وأنشد أبو علي للمخبل:

إذا أنت عاديت الرجال فلاقهم ... وعرضك عن غب الأمور سليم

ع المخبل لقب وهو ربيعة بن مالك بن ربيعة بن عوف أحد بنى أنف الناقة، واسمه جعفر بن قريع بن عوف بن كعب بن سعد بن زيد مناة بن تميم، هذا قول محمد بن حبيب. وقال ابن الكلبي: اسم المخبل الربيع بن ربيعة بن عوف، وقال ابن دأب: اسمه كعب بن ربيعة بن عوف، يكنى أبا يزيد، وهو شاعر مخضرم فحل، وهو الذي عنى الفرزدق بقوله:

وهب القصائد لي النوابغ كلهم ... وابو يزيد وذو القروح وجرول

وقوله: وعرضك عن غب الأعور سليم يعني عاقبة السوء وما يؤول مثلبة على صاحبه." (٢)

"قال: نعم. قال: ما شأنك؟ قال: يا أمير المؤمنين تزوجت ابنة عم لي، فنادى مناديك يوم أسبوعي في الرحيل إلى خراسان، فخرجت، فأعطاه رزق سنة، ورده إلى بغداد، وقال: أقم إلى أن تنفقها، فإذا نفدت رجعت.

مهجور لا مسحور

أنبأنا أبو سعيد مسعود بن ناصر السخبري، وقد قدم علينا بغداد، قال: أنبأنا أبو القاسم بن عمر ببغداد

---

(١) سمط اللآلي في شرح أمالي القالي أبو عبيد البكري ١/٣١٠

(٢) سمط اللآلي في شرح أمالي القالي أبو عبيد البكري ١/٨٥٧

قال: أنشدنا أبو علي الحسن بن عبد الله الزنجاني لبعضهم:

قال الطبيب لأهلي حين أبصرني: ... هذا فتاكم، وحق الله، مسحور.

فقلت: ويحك! قد قاربت في صفتي ... عين الصواب، **فهلا قلت**: مهجور.

صيرت لحظها سلاحا

أخبرنا أبو سعيد أيضا قال: حدثني أبو غانم حميد بن مأمون بهمذان قال: حدثنا أبو بكر أحمد بن عبد الرحمن الشيرازي قال: أخبرني أبو العباس الوليد بن بكر الأندلسي قال: أنشدنا أبو عمر يوسف بن عبد الله الملقب بأبي رمال، على البديهة، إذ غبر عليه حبيبه:." (١)

"في هذا الموسم لأمر خير أو شر، وما ينبغي لنا أن نتفرق إلا وقد تتابع لنا في الناس شيء نذكر به، فقال جرير: هل لكم في سكينة بنت الحسين بن علي بن أبي طالب، نقصدها، فنسلم عليها، فلعل ذلك يكون سببا لبعض ما نريد؟ فقالوا: امضوا بنا، فمضينا إلى منزلها، فقرعنا الباب فخرجت إلينا جارية لها بريعة ظريفة، فأقرأها كل رجل منهم السلام باسمه ونسبه، فدخلت الجارية، وعادت فبلغتهم سلامها، ثم قالت أيكم الذي يقول:

سرت الهموم فبتن غير نيام ... وأخو الهموم يروم كل مرام

عفت معالمها الرواسم بعدنا، ... وسجال كل مجلجل سجام

درس المنازل بعد منزلة اللوى ... والعيش بعد أولئك الأيام

طرقتك صائدة القلوب وليس ذا ... حين الزيارة فارجعي بسلام

تجري السواك على أغر كأنه ... برد تحدر من متون غمام

لو كنت صادقة بما حدثتنا ... لوصلت ذاك وكان غير تمام

قال جرير: أنا قلته. قالت: فما أحسنت ولا أجملت، ولا صنعت صنيع الحر الكريم، لا ستر الله عليك كما هتكت سترك وسترها، ما أنت بكلف ولا شريف حين رددتها بعد هدوء العين، وقد تجشمت إليك هول الليل. **هلا قلت:**

طرقتك صائدة القلوب فمرحبا ... نفسي فداؤك فادخلي بسلام

---

(١) مصارع العشاق السرّاج القارئ ١٥٥/١

خذ هذه الخمسمائة درهم، فاستعن بها في سفرك.

ثم انصرفت إلى مولاتها وقد أفحمتنا، وكل واحد من الباقين يتوقع ما." (١)

"ولا زالت تمد إليك كف ... بضاعتها ثناء أو دعاء

وإن رضي الزمان بمثل روحي ... فداء عنك فهي لك الفداء

وقال أبو سعيد الرستمي:

وقاك بنو الدنيا جميعا صروفها ... جميعا فإن الجفن من خدم النصل

وقال آخر:

فداؤك مالي فهو منك ومهجتي ... فإنك قد أقررتها في جوانحي «١»

قال إبراهيم الصولي: إن قولهم قدمني الله قبلك مأخوذ من قول الأقرع بن حابس:

إذا ما أتى يوم يفرق بيننا ... بموت فكن أنت الذي تتأخر

وقال منكة الطبيب الهندي ليحيى بن خالد البرمكي: لو أمكنني تخليف الروح عندك لفعلت، وهذا يجوز على سبيل الدعاء له.

الدعاء بصبحك الله بخير

كانت العرب تتحيا في الجاهلية بقولهم:

صبحك الله بخير فاخر ... ولحم طير وشراب خازر «٢»

قبل طلوع الشمس للمسافر

صبحك الافلاح بكل خير ونجاح، صبحك الخير وجنبك الضير وقوى منك الأير.

وقال رجل لآخر: كيف أصبحت؟ فقال بخير، فقال: هلا قلت: أحمد الله وأستغفره فكان أوله شكرا وآخره عبادة، صبحتك الأنعمة بطيبات الأطعمة.

الدعاء بكبت العدا والحساد والإعاذة من شماتتهما

قال أعرابي: أراك الله في عدوك ما يعطفك عليه وقالت امرأة لرجل كبت الله كل عدو لك إلا نفسك، وإنما أرادت بذلك قول النبي صلى الله عليه وسلم: أعدى عدوك نفسك التي بين جنبيك، أعاذك الله تعالى مما يقلق قلب الصديق ويضحك سن العدو، أعاذك الله من خيبة الرجاء وشماتة الأعداء وزوال النعمة وفجاءة النقمة.

---

(١) مصارع العشاق السرّاج القارئ ٢/٨٠

قال الصاحب لا زال أعداؤه في قل وذل وأمر منحل مضمحل وقال الخوارزمي:

ولا زالت عداك بكل أرض ... لهم من سوء ظنهم نذير

قصير نهارهم خوف طويل ... بهم وطويل عمرهم قصير." (١)

"الرطب

قال ابن هبيرة: أي لقمة مخلوقة غير مصنوعة، وصرف غير ممزوجة أطيب، فقال بعضهم البيضة، وقال بعضهم: التمرة، فقال: **هلا قلتم** رطبة.

قال المتوكل يوما للفتح: الحلواء أطيب أم الرطب؟ فقال يد الله أصنع. وقال الثوري: ما أعنف رجلا يبيع ثيابه أيام الرطب فيشتريه بها.

ذاكر الرشيد عيسى بن جعفر، أي الرطب أطيب؟ فقال الرشيد: القريتا، وقال عيسى: السكر، فأرسلوا إلى الأصمعي، فسأل الأصمعي الرسول عما دعي له فقال الرسول: كان كذا، فلما دخل سألاه، فقال: هذا لا يخفي أن القريتا أجود. إنا كنا بالبصرة صبيانا نلعب بالنوى، فنجعل نوى القريتا دنانير ونوى السكر دراهم، فنعطي نواة من قريتا ونأخذ عشرين من سائر النوى، فضحك الرشيد وأمر له بصلة.

العنب

قيل: أجود العنب ما غلظ أعمده وأخضر عوده وسبط عنقوده. وقال أبو حنيفة الدينوري عن بعض أهل دمشق: إنه وزن حبة عنب مجلوبة من قرية يقال لها قرية العنب، فكان وزنها عشرة دراهم، وإن العنقود منها يملأ السلة. قال ابن الرومي:

ورازقي مخطف الخصور ... كأنه مخازن البلور

قد ضمنت مسكا إلى السطور ... وفي الأعالي ماء ورد جوري

لم يبق منه وهج الحرور ... إلا ضياء في ظروف نور

لو أنه يبقى على الدهور ... قرط آذان الحسان الحور

وقال الصاحب:

وحبة من العنب ... من المنى متخذه

كأنها لؤلؤة ... في وسطها زمرده

وله:

---

(١) محاضرات الأدباء ومحاورات الشعراء والبلغاء الراغب الأصفهاني ٤٨٢/١

حسبتها من بعد تمييزي لها ... لؤلؤة قد ثقبت من جانب الخوخ

قال الطيلساني:

وخوخة أعطيتها هشة ... بيضاء مثل اللبن المخض

كأنها كف امرىء شدها ... قبضا لضرب منه أو عض

وقال آخر:

كأنه الزبد إذا ما التوى ... بالعسل الماذي في صحنه." (١)

"فقال: أحسنت. قال المتنبي:

وبين الرضا والسخط والقرب والنوى ... مجال لدمع العاشق المترقرق

وهذا اختصار قول الآخر:

وما في الدهر أشقى من محب ... ولو وجد الهوى حلو المذاق

تراه باكيا في كل حين ... مخافة فرقة أو لاشتياق

فيبكي إن نأوا شوقا إليهم ... ويبكي إن دنوا خوف الفراق

فتسخن عينه عند التنائي ... وتسخن عينه عند التلاقي

وقال بعض الكتاب: تفكري في مرارة البين يمنعني التمتع بحلاوة الوصل، وتكره عيني أن تقر بقربك مخافة أن تسخن ببعدك، فلي عند الاجتماع كبد ترجف، وعند التلاقي مقلة تكف.

إظهار الشوق في حال الوصل

قال شاعر:

قالوا ظفرت بمن تهوى فقلت لهم ... الآن أشرف ما كانت صباباتي «١»

لا عذر للصب أن تهدى جوارحه ... فقد تطعم فوه بالمواتاة

متطبب داؤه الهوى

أنشد لعروة بن حزام:

جعلت لعراف اليمامة حكمة ... وعراف نجد إن هما شفياني «٢»

فما تركا لي رقية يعرفانها ... ولا سقية إلا وقد سقياني

---

(١) محاضرات الأدباء ومحاورات الشعراء والبلغاء الراغب الأصفهاني ٧١٧/١

فقالا شفاك الله والله مالنا ... بما ضمنت منك الضلوع يدان

قال ديك الجن:

جس الطبيب يدي جهلا فقلت له: ... إن المحبة في قلبي فخل يدي

وقال آخر:

وقالوا به من أعين الجن نظرة ... ولو صدقوا قالوا به نظرة الأنس

وقال آخر:

قال الطبيب لأهلي حين أبصرني ... هذا فتاكم وحق الله مسحور

فقلت ويحك قد قاربت في صفتي ... وجه الصواب فهلا قلت مهجور.." [١]

"الحسين رضي الله تعالى عنهم: أطلب ما يعنيك ودع ما لا يعنيك. ففي تركه درك ما يعنيك فإنما تقدم على ما قدمت ولا تقدم على ما أخرت، فآثر ما تلقاه غدا على ما لا تلقاه أبدا. وقيل: الدنيا والآخرة في قلب المؤمن ككفتي الميزان إذا رجحت هذه خفت هذه. وقال يحيى بن معاذ: الناس ثلاثة، رجل يشغله معاده عن معاشه وتلك درجة العابدين ورجل يشغله معاشه عن معاده وتلك درجة الهالكين ومشتغل بهما وهي درجة المخاطرين. وقيل لعبد الله بن إبراهيم من أسخى الناس، فقال: من بذل دنياه في صلاح دينه. وقال صلى الله عليه وسلم: الكيس من دان نفسه وعمل لما بعد الموت، والعاجز من أتبع نفسه هواها وتمنى على الله الأماني. وقال رجل: من جعل همه في الله هما واحدا جعل الله له من كل هم فرجا ومن كل ضيق مخرجا وجعل الغنى في قلبه وأتته الدنيا راغمة ومن شتت عليه همه شتت الله عليه ضيعته وجعل الفقر بين عينيه ولم يأته من الدنيا إلا ما كتب الله له ثم لا يبالي في أي واد هلك.

الحث على مراعاة الدين والدنيا ومدح فاعل ذلك

قال النبي صلى الله عليه وسلم: ليس خيركم من ترك دنياه لآخرته ولا من ترك آخرته لدنياه، ولكن من أخذ منهما جميعا. وكان محمد بن علي يقول: اللهم أعني على الدنيا بالغنى وعلى الآخرة بالتقوى. وقال بعض العلماء: لست آمركم بترك الدنيا فترك الدنيا فضيلة وترك الذنب فريضة وأنت إلى إقامة الفرائض أحوج منك إلى اكتساب الفضائل. وقيل لعمر بن عبد العزيز: لم لا تنام، قال: إن نمت بالليل أضعت نفسي وإن نمت بالنهار أضعت الرعية. وقالت امرأة:

ولله مني جانب لا أضيعه ... وللهو مني والخلاعة جانب

---

(١) محاضرات الأدباء ومحاورات الشعراء والبلغاء الراغب الأصفهاني ٢/٩٧

وقال ابن أبي حفصة لعمارة أنشدت المأمون قولي:

أضحى إمام الهدى المأمون مشتغلا ... بالدين والناس بالدنيا مشاغيل

فلم يهتم لذلك، فقال عمارة: ما زدت على أن صيرته عجوزا معتكفة في محرابها، فمن لأمور المسلمين ه لا قلت كجرير:

فلا هو في الدنيا مضيع نصيبه ... ولا غرض الدنيا عن الدين شاغله

احتمال المضرة في العاجل رجاء المسرة في الآجل

قال صلى الله عليه وسلم: لن تنالوا ما تحبون إلا بالصبر على ما تكرهون ولا تبلغون ما تهوون إلا بترك ما تشتهون. وقال عليه الصلاة والسلام: حفت الجنة بالمكاره وحفت النار بالشهوات، احتمل مضرة يومك لمسرة غدك، العاقل يحتمل الضر في دار الفناء إيقانا بالنفع في دار البقاء. ولما تاب عتبة الغلام كان لا يتهنأ بطعام ولا شراب، فقالت له أمه: أرفق بنفسك، فقال: الرفق أطلب لها.." (١)

"المفارقات متغايرة الذوات والحقائق ولا حوامل لها ولا قوابل ولا مكان ولا زمان وانما تتمايز وتتغاير بحقائقها الذاتية وانما نوعها في شخصها أعني في ذاتها فهلا قلتم في النفوس الانسانية انها تتغاير بخواصها أو بأمر آخر سوى الحوامل أليست النفوس بعد المفارقة تتغاير بالعدد وتقولون انها تتغاير بما اكتسبت من الأبدان من الأخلاق والعلوم وقلتم يكفيها في التمييز هيئة انها كانت نفس البدن الفلاني ولئن كان هذا القدر كافيا في التمييز فهلا كان كافيا في التمييز هيئة انها ستكون نفس البدن الفلاني فان الانطباع في البدن ليس بشرط

قلنا في المفارقات قد قام الدليل على انها متغايرة الحقائق أما النفوس البشرية فيشملها حد واحد كما ذكرنا وانما يمكن وجودها وتعددها بعد المفارقة بهيئات وأخلاق اكتسبت من الأبدان وقبل الاتصال بالبدن لا يمكن أن تكتسب من الأبدان شيئا إذ لا أبدان وما لا يكون ليس له ت أثير فانا نعلم قطعا انها بعد الاتصال بالبدن انما تكمل بمعاونة البدن وتكتسب فضائل ورذائل من العلاقة البدنية فقبل البدن لا علاقة فلا اكتساب فلا تغاير فثبت انها تحدث مع البدن

فان قيل أحلتم وجود النفوس البشرية قبل الأبدان ببيان ما ذكرتم من انها لا تتصور قبل الأبدان ونحن نورد اشكالين واقعين على نحو وجودها متصلة بالأبدان وحادثة مع حدوث الأبدان وذلك لأنه من المسلم بيننا أن النفوس الإنسانية ليست مادية ولا منطبعة في مادة وما هذا سبيله فليس حدوثه على تدريج شيء بعد

---

(١) محاضرات الأدباء ومحاورات الشعراء والبلغاء الراغب الأصفهاني ٢/٤١٧

شيء أو زمان بعد زمان بل يكون وجوده ابداعيا محضا ووجود البدن ليس بابداعي محض بل على تدريج شيء بعد شيء واستحالة جزء بعد جزء فأي جزء بعينه انتهت النوبة اليه في الاستحالة حتى يحدث عنده النفس ويتصل به وليس جزءا بعينه إلا ويمكن حدوث النفس قبله بلحظة أو بعده بلحظة ولو قلتم انها تحدث عند كمال الاستعداد فيقال وكمال الاستعداد ليس يحصل بغتة ودفعة بل على تدريج كمال بعد كمال وقد." (١)

"وذلك أجرك – وكذلك يقال للعالم والحاج والقارىء.

العجب والكبر والفخر

وأما العجب والكبر والفخر: فهو الداء العضال، وهو نظر العبد إلى نفسه بعين العز والاستظام، وإلى غيره بعين الاحتقار والذل، ونتيجته على اللسان أن يقول: أنا وأنا كما قال إبليس اللعين: (أنا خير منه، خلقتني من نار، وخلقته من طين) وثمرته في المجالس الترفع والتقدم وطلب التصدر فيها، وفي المحاورة الاستنكاف من أن يرد كلامه عليه.

والمتكبرهو الذي إن وعظ أنف، أو وعظ عنف، فكل من رأى نفسه خيرا من أحد من خلق الله تعالى فهو متكبر.

بل ينبغي لك أن تعلم أن الخير من هو خير عند الله في دار الآخرة، وذلك غيب، وهو موقوف على الخاتمة؛ فاعتقادك في نفسك أنك خير من غيرك جهل محض، بل ينبغي ألا تنظر إلى أحد إلا وترى أنه خير منك، وأن الفضل له على نفسك، فإن رأيت صغيرا قلت: هذا لم يعص الله وأنا عصيته، فلا شك أنه خير مني وإن رأيت كبيرا قلت هذا قد عبد الله قبلى، فلا شك أنه خير مني وإن رأيت كبيرا قلت هذا قد عبد الله قبلي، فلا شك أنه خير مني وإن رأيت كبيرا قلت هذا قد عبد الله قبلي، فلا شك أنه خير مني. وإن كان عالما قلت: هذا قد أعطى ما لم أعط، وبلغ ما لم أبلغ، وعلم ما جهلت؛ فكيف أكون مثله وإن كان جاهلا قلت: هذا قد عصى الله بجهل، وأنا عصيته بعلم؛ فحجة الله على آكد، وما أدري بم يختم لي وبم يختم له؟ وإن كان كافرا قلت: لا أدري، عسى أن يسلم ويختم له بخير العمل، وينسل بإسلامه من الذنوب كما تنسل الشعرة من العجين، وأما أنا – والعياذ بالله – فعسى أن يضلني الله فأكفر فيختم لي بشر العمل؛ فيكون غدا هو من المقربين، وأنا أكون من المبعدين.

فلا يخرج الكبر من قلبك إلا بأن تعرف أن الكبير من هو كبير عند الله تعالى، وذلك موقوف على الخاتمة،

---

(١) معارج القدس في مدارج معرفه النفس أبو حامد الغزالي ص/١٠٨

وهي مشكوك فيه؛ فيشغلك خوف الخاتمة عن أن تتكبر مع الشك فيها على عباد الله تعالى، فيقينك وإيمانك في الحال لا يناقض تجويزك في الاستقبال؛ فإن الله مقلب القلوب يهدي من يشاء، ويضل من يشاء.

حديث جامع في معاصي القلب

والأخبار في الحسد والكبر والرياء والعجب كثيرة، ويكفيك فيها حديث واحد جامع؛ فقد روى ابن المبارك بإسناده عن رجل أنه قال لمعاذ: يا معاذ حدثني حديثا سمعته من رسول الله صلى الله عليه وسلم، قال: (فبكى معاذ حتى ظننت أنه لا يسكت، ثم سكت، ثم قال: واشوقاه إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم وإلى لقائه، ثم قال: سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول لي: (يا معاذ، إني محدثك بحديث إن أنت حظفته نفعك عندالله، وإن ضيعته ولم تحفظه انقطعت حجتك عند الله تعالى يوم القيامة يا معاذ إن الله تبارك وتعالى خلق سبعة أملاك قبل أن يخلق السموات." (١)

"فإن قيل فإن تسامحتم بخصلة العلم لزمكم التسامح بخصلة العدالة وغير ذلك من الخصال، قلنا: ليست هذه مسامحة عن الاختيار ولكن الضرورات تبيح المحظوارت، فنحن نعلم أن تناول الميتة محظور ولكن الموت أشد منه، فليت شعري من لا يساعد على هذا ويقضي ببطلان الإمامة في عصرنا لفوات شروطها وهو عاجز عن الاستبدال بالمتصدي لها بل هو فاقد للمتصف بشروطها، فأي أحواله أحسن: أن يقول القضاة معزولون والولايات باطلة والأنكحة غير منعقدة وجميع تصرفات الولاة في أقطار العالم غير نافذة، وإنما الخلق كلهم مقدمون على الحرام، أو أن يقول الإمامة منعقدة والتصرفات والولايات نافذة بحكم الحال والاضطرار، فهو بين ثلاثة أمور إما أن يمنع الناس من الأنكحة والتصرفات المنوطة بالقضاة وهو مستحيل ومؤدي إلى تعطيل المعايش كلها ويفضي إلى تشتيت الآراء ومهلك للجماهير والدهماء أو يقول إنهم يقدمون على الأنكحة والتصرفات ولكنهم مقدمون على الحرام، إلا أنه لا يحكم بفسقهم ومعصيتهم لضرورة الحال، وإما أن نقول يحكم بانعقاد الإمامة مع فوات شروطها لضرورة الحال ومعلوم أن البعيد مع

الأبعد قريب، وأهون الشرين خير بالاضافة، ويجب على العاقل اختياره، فهذا تحقيق هذا الفصل وفيه غنية عند البصير عن التطويل ولكن من لم يفهم حقيقة الشيء وعلته وإنما يثبت بطول الألفة في سمعه فلا تزال النفرة عن نقيضه في طبعه إذ فطام الضعفاء عن المألوف شديد عجز عنه الأنبياء فكيف غيرهم. أبعد قريب،

(١) بداية الهداية أبو حامد الغزالي ص/٦٠

وأهون الشرين خير بالاضافة، ويجب على العاقل اختياره، فهذا تحقيق هذا الفصل وفيه غنية عند البصير عن التطويل ولكن من لم يفهم حقيقة الشيء وعلته وإنما يثبت بطول الألفة في سمعه فلا تزال النفرة عن نقيضه في طبعه إذ فطام الضعفاء عن المألوف شديد عجز عنه الأنبياء فكيف غيرهم.

فإن قيل: فهلا قلتم إن التنصيص واجب من النبي والخليفة كي يقطع ذلك دابر الاختلاف كما قالت بعض الإمامية إذ ادعوا أنه واجب، قلنا: لأنه لو كان واجبا لنص عليه الرسول عليه السلام، ولم ينص هو ولم ينص عمر أيضا بل ثبتت إمامة أبو بكر وإمامة عثمان وإمامة علي رضي الله عنهم بالتفويض، فلا تلتفت إلى تجاهل من يدعي أنه صلى الله عليه وسلم نص على علي لقطع النزاع ولكن الصحابة كابروا النص وكتموه، فأمثال ذلك يعارض بمثله ويقال: بم تنكرون على من قال إنه نص على أبي بكر فأجمع الصحابة على موافقته النص ومتابعته، وهو أقرب من تقدير مكابرتهم النص وكتمانه، ثم إنما يتخيل وجوب ذلك لتعذر قطع الاختلاف وليس ذلك بمعتذر، فإن البيعة تقطع مادة الاختلاف والدليل عليه عدم الاختلاف في زمان أبي بكر وعثمان رضي الله عنهم، وقد توليا البيعة، وكثرته في زمان علي رضي الله عنه ومعتقد الإمامية أنه تولى بالنص.." (١)

"يا أبا القاسم راشدا فوالله ما كنت جهولا قال فانصرف رسول الله صلى الله عليه وسلم حتى إذا كان من الغد اجتمعوا في الحجر وأنا معهم فقال بعضهم لبعض ذكرتم ما بلغ منكم وما بلغكم عنه حتى إذا بادأكم بما تكرهون تركتموه فبينما هم في ذلك إذ طلع رسول الله صلى الله عليه وسلم فوثبوا إليه وثبة رجل واحد فأحاطوا به يقولون أنت الذي تقول كذا أنت الذي تقول كذا لما كان قد بلغهم من عيب آلهتهم ودينهم قال فيقول رسول الله صلى الله عليه وسلم نعم أنا الذي أقول ذلك قال فلقد رأيت رجل منهم أخذ بمجامع ردائه قال وقام أبو بكر الصديق رضي الله عنه دونه يقول وهو يبكي ويلكم أتقتلون رجلا أن يقول ربي الله ثم انصرفوا عنه وإن ذلك لأشد ما رأيت قريشا بلغت منه (١)

وفي رواية أخرى عن عبد الله بن عمرو رضي الله عنهما قال بينا رسول الله صلى الله عليه وسلم بفناء الكعبة إذ أقبل عقبة بن أبي معيط فأخذ بمنكب رسول الله صلى الله عليه وسلم فلف ثوبه في عنقه فخنقه خنقا شديدا فجاء أبو بكر فأخذ بمنكبه ودفعه عن رسول الله صلى الله عليه وسلم وقال أتقتلون رجلا أن يقول ربي الله وقد جاءكم بالبينات من ربكم (٢)

وروي أن معاوية رضي الله عنه حبس العطاء فقام إليه أبو مسلم الخولاني فقال له يا معاوية إنه ليس من

---

(١) الاقتصاد في الاعتقاد للغزالي أبو حامد الغزالي ص/١٣٠

كدك ولا من كد أبيك ولا من كد أمك

قال فغضب معاوية ونزل عن المنبر وقال لهم مكانكم وغاب عن أعينهم ساعة ثم خرج عليهم وقد اغتسل فقال إن أبا مسلم كلمني بكلام أغضبني وإني سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول الغضب من الشيطان والشيطان خلق من النار وإنما تطفأ النار بالماء فإذا غضب أحدكم فليغتسل (٣) وإني دخلت فاغتسلت وصدق أبو مسلم أنه ليس من كدي ولا من كد أبي فهلموا إلى عطائكم

وروي عن ضبة بن محصن العنزي قال كان علينا أبو موسى الأشعري أميرا بالبصرة فكان إذا خطبنا حمد الله وأثنى عليه وصلى على النبي صلى الله عليه وسلم وأنشأ يدعو لعمر رضي الله عنه قال فغاظني ذلك منه فقمت إليه فقلت له أين أنت من صاحبه تفضله عليه فصنع ذلك جمعا ثم كتب إلى عمر يشكوني يقول إن ضبة بن محصن العنزي يتعرض لي في خطبتي

فكتب إليه عمر أن أشخصه إلي

قال فاشخصني إليه فقدمت فضربت عليه الباب فخرج إلي فقال من أنت فقلت أنا ضبة فقال لي لا مرحبا ولا **أهلا قلت** أما المرحب فمن الله وأما الأهل فلا أهل لي ولا مال فبماذا استحللت يا عمر إشخاصي من مصري بلا ذنب أذنبته ولا شيء أتيته فقال ما الذي شجر بينك وبين عاملي قال قلت الآن أخبرك به إنه كان إذا خطبنا حمد الله وأثنى عليه وصلى على النبي صلى الله عليه وسلم ثم أنشأ يدعو لك فغاظني ذلك منه فقمت إليه فقلت له أين أنت من صاحبه تفضله عليه فصنع ذلك جمعا ثم كتب إليك يشكوني

قال فاندفع عمر رضي الله عنه باكيا وهو يقول أنت والله أوفق منه وأرشد فهل أنت غافر لي ذنبي يغفر الله لك قال قلت غفر الله لك يا أمير المؤمنين

قال ثم اندفع باكيا وهو يقول والله لليلة من أبي بكر ويوم خير من عمر وآل عمر فهل لك أن أحدثك بليلته ويومه قلت نعم قال

أما الليلة فإن رسول الله صلى الله عليه وسلم لما أراد الخروج من مكة هاربا من المشركين خرج ليلا فتبعه أبو بكر فجعل يمشي مرة أمامه ومرة خلفه ومرة عن يمينه ومرة عن يساره فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم ما هذا يا أبا بكر ما أعرف هذا من أفعالك فقال يا رسول الله أذكر الرصد فأكون أمامك وأذكر الطلب

---

(١) حديث عروة قلت لعبد الله بن عمرو ما أكثر ما رأيت قريشا نالت من رسول الله صلى الله عليه وسلم

فيما كانت تظهر من عداوته الحديث أخرجه بطوله البخاري مختصرا وابن حبان بتمامه

(٢) حديث عبد الله بن عمرو بينا رسول الله صلى الله عليه وسلم بفناء الكعبة إذ أقبل عقبة بن أبي معيط فأخذ بمنكب رسول الله صلى الله عليه وسلم الحديث رواه البخاري

(٣) حديث معاوية الغضب من الشيطان الحديث وفي أوله قصة رواها أبو نعيم في الحلية وفيه من لا أعرفه." (١)

"١٤١٠- الدلو تأتي الغرب المزلة.

الغرب: مخرج الماء من الحوض، يقول: تأتي الدلو على غير وجهتها، وكان يحب أن تأتي الازاء.

وقائل هذا المثل بسطام بن قيس أريه في منامه ليلة قتل في صبيحتها، فقال له نقيذ: **هلا قلت** "ثم تعود باديا مبتلة" فتكسر الطيرة عنك.." (٢)

"لا تعلم أن النبي - صلى الله عليه وسلم - قال من ذلك شيئا لقولهم: " سمعنا ".

فلم ينكر من ذلك شيئا غير الشناعة.

ثم قال لي: أخبار الآحاد في الصفات اغسلها وهي عندي والتراب سواء ولا أقول منها إلا بما قام في العقل تصديقه.

قلت له: فلم أتعبت نفسك في كتبها وسعيت إلى الشيوخ فيها وأنصبت نفسك وأتعبتها وأسهرت ليلك بما لا تدين الله عز وجل به ولا تزداد به علما؟.

فأجابني بأن قال: كتبته حتى أتمم به الأبواب إذا أردت تخريجها.

فقلت له: تخرج للمسلمين ما لا تدين به؟.

فقال: نعم لأعرفه فقلت له: تعني المسلمين على قود مقالتك والحق في غير ما ذكرت؟.

ثم قلت له: خرقت الإجماع لأن الأمة بأسرها اتفقت على نقلها ولم يكن نقل ذلك عبثا ولا لعبا ولو كان نقلهم لها كتركك نقلهم لها: لكانوا عابثين وحاشا لله من ذلك ومن كانت هذه مقالته فقد دخل تحت الوعيد في قوله عز وجل: ومن يتبع غير سبيل المؤمنين نوله ما تولى ونصله جهنم وساءت مصيرا ولما كانت أخبار الآحاد في الصفات لا توجب عملا: دل على أنها موجبة للعلم فسقط بهذا ما ادعاه من لم ينتفع بعلمه وتهجم على إسقاط كلام الرسول - صلى الله عليه وسلم - بنقل العدل عن العدل موصولا إليه: برأيه وظنه.

---

(١) إحياء علوم الدين أبو حامد الغزالي ٣٤٤/٢

(٢) مجمع الأمثال الميداني، أبو الفضل ٢٦٩/١

ثم ذكرت حساب الكفار: فقال لي: قد روى عن النبي – صلى الله عليه وسلم – أبي الأحوص عن عبد الله بن مسعود رضي الله عنه عن النبي – صلى الله عليه وسلم – إن الكافر ليحاسب حتى يقول: أرحني ولو إلى النار **فهلا قلت** به؟ فقلت له: ليس يحل ما روي صحيحا أو سقيما أن نقول به وإنما تعبدنا بالصحيح دون السقيم والصحيح معلوم عند أهل النقل بعدالة ناقليه متصلا إلي." (١)

"ذكر خالد بن معدان

كلاعي تابعي حمصي رضي الله عنه.

يروي عن أبي أمامة ، والمقدام رضي الله عنهما.

قال أهل التاريخ: لقي سبعين رجلا من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم وكان من خيار عباد الله. قدم العباس بن الوليد واليا على حمص فحضر يوم الجمعة الصلاة وخالد بن معدان في الصف، فلما رآه إذا على العباس ثوب حرير فقام إليه خالد فشق الصفوف حتى أتاه فقال: يا ابن أخي إن رسول الله صلى الله عليه وسلم نهى الرجال عن لبس هذا، فقال: يا عم **هلا قلت** أخفي من هذا؟ قال: وغمك ما قلت؟ والله لا سكنت بلدا أنت فيه، فخرج منها وسكن طرسوس، فكتب العباس إلى أبيه يخبره بذلك،." (٢)

"١٥٨- لما أنشد كثير «١» عبد الملك قوله:

على ابن أبي العاصي دلاص حصينة ... أجاد المسدي سردها وأذالها «٢»

يؤود ضعيف القوم سرد قتيرها ... ويستضلع القرم الأشم احتمالها «٣»

قال عبد الملك: **هلا قلت** كما قال أخو بني ثعلبة «٤» :

وإذا تجيء كتيبة ملموسة ... خرساء يخشى الذائدون نزالها

كنت المقدم غير لابس جنة ... بالسيف تضرب معلما أبطالها «٥»

فقال: إني وصفتك بالحزم، ووصف الأعشى صاحبه بالخرق.

١٥٩- علي رضي الله عنه: إذا ازدحم الجواب خفي الصواب.

١٦٠-[شاعر] :

ما أحر السؤال يرحمك الله ولكن أحر منه الجواب ١٦١- قال عمر بن عبد العزيز لسالم السندي «٦» : أسرك ما وليت أم ساءك؟ قال: سرني للناس وساءني لنفسك، قال: فإني نخوف أن أكون أوبقت نفسي،

---

(١) طبقات الحنابلة ابن أبي يعلى ٢/١٣٦

(٢) سير السلف الصالحين لإسماعيل بن محمد الأصبهاني إسماعيل الأصبهاني ص/٧٥٣

قال: ما أحسن حالك إن كنت تخاف، وإنما أخاف أنك لا تخاف، قال: عظني، قال: إن أبانا قد أخرج من الجنة بخطيئة واحدة.

١٦٢- قال علوي لأبي العيناء «٧» : أتبغضني وقد أمرت بالصلاة." [١]

"٢١- الكاتب العبرتاي «١» :

وإني لأغضى من رجال على القذى ... مرارا وما من هيبة لهم أغضي

ولكنني أقني الحياء تكرما ... وأكرم عن أدناس عرضهم عرضي

٢٢- الخمول أخو العدم، والشهرة أم الكون.

٢٣- قيل لراهب: ما أصبرك على الوحدة!! قال: أنا جليس ربي، إذا شئت أن يناجيني قرأت كتبه، وإذا شئت أن أناجيه صليت.

٢٤- علي رضي الله عنه: إذا تم العقل نقص الكلام.

٢٥- واصل بن عطاء «٢» : لأن يقول الله لي يوم القيامة: **هلا قلت**، أحب إلي من أن يقول لي: لم قلت؟ لأنه إذا قال لي: لم قلت؟ طالبني بالبرهان، وإذا قال لي: **هلا قلت**! فليس ذاك يريد.

٢٦- النبي صلى الله عليه وسلم: المؤمن من أمنه الناس.

٢٧- نزل النعمان «٣» برابية فقال له رجل: لو ذبح رجل إلى أي موضع كان يبلغ دمه من هذه الرابية؟ فقال: المذبوح والله أنت، ولأنظرن إلى أين يبلغ دمك؟ فقال بعض الحاضرين: رب كلمة تقول لصاحبها دعني.

٢٨- تحدثوا عند الأوزاعي، وفيهم أعرابي من بني عليم بن جناب «٤»." [٢]

"بأعراضهم واغتيابهم.

٨٨- مر المسيح في الحواريين «١» على جيفة كلب، فقال بعضهم:

ما أشد نتن ريحه! فقال: **هلا قلت**: ما أشد بياض أسنانه.

٨٩- حسل بن عرفطة «٢» :

ليهنك بغضن في الصديق وطنة ... وتحديثك الشيء الذي أنت كاذبه

وأنك مشنوءا إلى كل صاحب ... بلاك ومثل الشر يكره جانبه

---

(١) ربيع الأبرار ونصوص الأخيار الزمخشري ٨٥/٢

(٢) ربيع الأبرار ونصوص الأخيار الزمخشري ١٢٢/٢

وأنك مهداء الخنا نطف الثنا ... شديد السباب رافع الصوت غالبه «٣»

فلم أر مثل الجهل أدنى إلى الردى ... ولا مثل بعض الناس غمص صاحبه «٤»

٩٠- ابن المعتز: لا تذكر الميت بسوء فتكون الأرض أكتم منك عليه.

٩١- وكان محمد عبد الملك بن صالح إذا ذكر الميت عند سوء يقول: كفوا عن أسارى الثرى.

٩٢- الريبة عار والغيبة نار، ومن عن الريبة كف، كف عن الغيبة.

٩٣- محمد بن حرب «٥» : أول من عمل الصابون سليمان «٦» ، وأول من عمل القراطيس يوسف «٧» ، وأول من عمل السويق «٨» ذو القرنين." (١)

"الحق أبلج ما يحيل سبيله ... والحق يعرفه ذوو الألباب

٣٣- خطب بلال «١» لأخيه خالد بن رباح «٢» امرأة قرشية فقال لأهلها:

نحن من قد عرفتم، كنا عبدين فأعتقنا الله، وكنا ضالين فهدانا الله، وكنا فقيرين فأغنانا الله، وأنا أخطب إليكم على أخي فلانة، فإن تنكحونا فالحمد لله، وإن تردونا فالله أكبر، فأقبلوا بعضهم على بعض فقالوا: بلال من قد عرفتم سابقته ومشاهده ومكانه من رسول الله، فزوجوا أخاه، فلما انصرفا قال له أخوه: يغفر الله لك! أما كنت تذكر سوابقنا ومشاهدنا مع رسول الله! فقال: مه يا أخي! صدقت فأنكحك الصدق.

٣٤- عمر رضي الله عنه: عليك بالصدق وإن قتلك الصدق.

٣٥- قال رجل لعمر بن عبد العزيز رضي الله عنه: رأيتك تسحب ذيلك. قال: **فهلا قلت** لي، قال: هبتك، قال: أما علمت أن لقائل الحق من الله سلطانا.

٣٦- عمر رضي الله عنه في خطبته: لو صرفناكم عما تعرفون إلى ما تنكرون ما كنتم صانعين؟ فأزموا «٣» ، قال ذلك ثلاثا. فقام علي «٤» فقال:

يا أمير المؤمنين، إذن كنا نستتيبك فإن تبت قبلناك، قال: فإن لم أتب؟

قال: نضرب الذي فيه عيناك: فقال عمر: الحمد لله الذي جعل في هذه الأمة من إذا اعوججنا أقام أودنا «٥» .

٣٧- خطب المهدي يوما فقال: عباد الله اتقوا الله. فقام رجل فقال: وأنت فاتق الله فإنك تعمل بغير

---

(١) ربيع الأبرار ونصوص الأخيار الزمخشري ٣٢٦/٢

الحق. فأخذ الرجل وادخل عليه، فقال: يا ابن الفاعلة! تقول لي وأنا على المنبر اتق الله! فقال الرجل:." (١)

"عن غبار العسكر. فمالا عنه، فأصاب الرشيد جوع شديد، فعدل إلى خيمة أعرابي فاستطعم، فأتاه بكسيرات خبز يابس، فقال جعفر: قد تبذل الأعرابي فيما قدم. فقال الأعرابي: مهلا ويحك! فإن الجود بذل الموجود. أما سمعت قول الشاعر:

وما ذاك من بخل ولا من ضراعة ... يلام على معروفه وهو محسن «١»

ألم تر أن المرء من ضيق عيشه ... ولكن كما يزمر له الدهر يزفن «٢»

فقال الرشيد: صدق الأعرابي وأحسن. ثم أمر له بعشرة آلاف درهم.

٧٤- خرج الوليد بن يزيد بن عبد الملك متصيدا، فانفرد مع الحسين ابن عبيد الكلابي «٣» ، وجاع فقدم إليه نبطى خبز شعير وكراثا «٤» وزيتا رثيثا. فقال الحسين:

إن من يطعم شيئا مع الزيت ... بخبز الشعير والكراث

لحقيق بلطمة أو بثنتين ... لقبح الصنيع أو بثلاث

فقال الوليد: مه، قبحك الله! فإن الجود بذل المجهود، **هلا قلت**:

لحقيق ببدرة أو بثنتين ... لحسن الصنيع أو بثلاث

وأمر له بثلاث بدر.

٧٥- فيلسوف: آفة الجود الخطأ بالمواضع.." (٢)

"للمرادي «١» :

طالب الدنيا جميعا ... طالب ما ليس يوجد

إنما الدنيا عروس ... زوجها نصر بن أحمد

فأبصره نصر فقال: لمن البيتان؟ قالوا: لفلان. فأمر بحمل الإبريق إليه وقال: هو أولى به مني.

١٢١- سأل يزيد بن معاوية الأحنف عن المروءة، فقال: التقى والاحتمال، ثم أطرق هنيئة فقال:

وإذا جميل الوجه لم ... يأت الجميل فما جميل

ما خير أخلاق الفتى ... إلا تقاه واحتماله

---

(١) ربيع الأبرار ونصوص الأخيار الزمخشري ١٥٠/٣

(٢) ربيع الأبرار ونصوص الأخيار الزمخشري ٣٧٢/٤

فقال يزيد: أحسنت يا أبا بحر، وافق البم زيرا «٢» . فقال الأحنف:

هلا قلت وافق المعنى تفسيرا.

١٢٢- أبو النيار الراجز «٣» :

إذا نزل الفضل بن يحيى ببلدة ... رأيت بها عشب السماحة ينبت

وليس بسعال إذا سيل حاجة ... ولا بمكب في ثرى الأرض ينكت «٤»." (١)

"قال: إنما ذلك علم الموالي لا أبا لك. علمهم الرجز فإنه يهرت أشداقهم.

١٥١- لم ير قط أعلم بالشعر والشعراء من خلف الأحمر. وكان يعمل الشعر على ألسنة الفحول من القدماء فلا يميز عن مقولهم، ثم نسك وكان يختم القرآن كل يوم وليلة. وبذل له بعض الملوك مالا خطيرا على أن يتكلم في بيت شعر شكوا فيه فأبى.

١٥٢- أنشد أبو مقاتل الضرير الحسن بن زيد بن علي قصيدة أولها:

الله فرد وابن زيد فرد. فزبره «١» وقال: بغيك التراب، هلا قلت: وابن زيد عبد، ونزل عن سريره فسجد لله، وعفر جبينه وكرر: الله فرد وابن زيد عبد.

١٥٣- ابن برد الشامي الفقيه:

قد جاءني لك شعر لم يكن حسنا ... ولا صوابا ولا قصدا ولا سددا

وجدت فيه عيوبا غير واحدة ... ولم أزل لعيوب الشعر منتقدا

كأن ذا خبرة بالشعر جمعه ... ثم انتقى لك منه شر ما وجدا

إني نصحتك فيما قد أتيت به ... من الفضائح نصح الوالد الولدا

فعد عن ذاك وادفنه كما دفنت ... هر خراها ولم تعلم به أحدا

١٥٤- كان بين سلمة بن عياش القرشي وبين أبي حية النميري صداقة، فقال لأبي حية يوما: أتدري ما يقول الناس؟ قال: ما يقولون؟

قال: يزعمون أني أشعر منك. فقال أبو حية: إنا لله هلك الناس.

١٥٥- محمد بن عبد الله بن أسحاق بن الفضل بن عبد الرحمن بن العباس بن ربيعة بن الحارث بن عبد

---

(١) ربيع الأبرار ونصوص الأخيار الزمخشري ٤/٣٨٤

المطلب بن هاشم: قال لي أبي: يا بني، أنا شاعر، وأبي شاعر، وجدي شاعر، وجد أبي شاعر. لا ينقطع بك الحبل.." [1]

"يكون إيمانهم شيئا واحدا بعضه خلقوه لأنفسهم، وبعضه خلقه الله فيهم وقد نفى الله أن يكون له شريك فيما خلق.

وأما قول المخالف: إن بهذا الشرح يكون المؤمن أقرب إلى الاستقامة على ما هو عليه من الإيمان، فيقال له: فهل علم الله أن هذا المؤمن يستقيم على إيمانه قبل الشرح لو لم يشرح صدره، أو علم أنه لا يستقيم؟ فإن علم أنه لا يستقيم لو لم يشرح صدره أدى ذلك إلى أنه أجبره على الاستقامة بالشرح وأدى إلى أنه لا يستحق الشرح١، وإن قلتم: بل علم أنه يستقيم قبل الشرح، قلنا: فلا فائدة بهذا الشرح، ثم يقال لهذا المخالف ولأهل مذهبه: إذا جاز في العقل والشرع أن يشرح صدور خلقه للإيمان ثوابا منه في الدنيا على ما كان منهم من الإيمان ويثيبهم على هذه الزيادة في الآخرة فما المانع لكم من أن تصفوه بأنه يبتدئ الشرح في صدورهم للإيمان تفضلا منه وإنعاما عليهم في الدنيا على غير عمل سبق منهم ويثيبهم على ذلك في الآخرة، وتقولوا كما قال الله سبحانه: ﴿وما بكم من نعمة فمن الله﴾ ٢، وكقوله: ﴿ذلك هدى الله يهدي به من يشاء٣ومن يضلل الله فما له من هاد﴾ ٤ وقال: ﴿ذلك فضل الله يؤتيه من يشاء والله ذو الفضل العظيم﴾ ٥ وليس فضل أفضل من الإيمان، وقوله: ﴿يختص برحمته من يشاء﴾ ٦ **وهلا قلتم** كما أخبر الله عن أهل الجنة إذ استقروا في منازلهم فقالوا: ﴿الحمد لله الذي هدانا لهذا وما كنا لنهتدي لولا أن هدانا الله﴾ ٧ وتأويله الذي هدانا بالإسلام٨ إلى هذا الخير ﴿وما كنا لنهتدي﴾ فنفوا عن أنفسهم الاهتداء لولا

---

١ وذلك لأنه وضع الشرح في مكان لا يستفيد منه صاحبه فلا يستحقه.

٢ النحل آية (٥٣) .

٣ في كلا النسختين (من يشاء من عباده) وهو خطأ.

٤ الزمر آية (٢٣) .

٥ الحديد آية (٢١) .

٦ آل عمران آية (٧٤) في كلا النسختين (من يشاء من عباده) وهو خطأ.

---

(١) ربيع الأبرار ونصوص الأخيار الزمخشري ٥/٢٢٢

٧ الأعراف آية (٤٣) .

٨ في - ح- (للإسلام) .." [1]

"من خيار عباد الله [الصالحين-[١]] ، قدم العباس بن الوليد واليا على حمص، فحضر يوم الجمعة الصلاة وخالد بن معدان في الصف، فلما رآه إذا على العباس بن الوليد ثوب حرير، فقام إليه خالد وشق الصفوف حتى أتاه فقال: يا ابن أخي! إن رسول الله صلى الله عليه وسلم نهى الرجال عن لبس هذا! فقال: يا عم **هلا قلت** أخفى من هذا! قال: وعمك ما قلت، والله لا سكنت بلدا أنت فيه، فخرج منها وسكن الطرطوس، فكتب العباس إلى أبيه يخبره بذلك، فكتب الوليد إليه:

يا بني! ألحقه بعطائه أينما كان، فانا لا نأمن أن يدعو علينا بدعوة فنهلك! فأقام بالطرطوس متعبدا مرابطا إلى أن مات سنة أربع ومائة، وقد قيل:

سنة ثمان ومائة، ويقال: سنة ثلاث ومائة وأبو سهل عباد بن العوام الكلاعي، من أهل واسط، يروى عن حميد الطويل، روى عنه أهل العراق، مات سنة ست وثلاثين ومائة وأبو محمد [٢] بقية بن الوليد بن صائد ابن كعب بن جرير الحمصي الكلاعي من أنفسهم، الميثمي، من أهل حمص، يروى عن محمد بن زياد الألهاني، روى عنه ابن المبارك والناس، كان

---

[١] من م. وانظر الجرح والتعديل ١/ ٢/ ٣٥١ وتهذيب التهذيب ٣/ ١١٨ وغيرهما، وإنما أورد أبو سعد ترجمته بأسرها من ثقات ابن حبان وانظر المطبوع ٤/ ١٩٦ منه.

[٢] ترجمته بأسرها من كتاب المجروحين والضعفاء لابن حبان، المطبوع ١/ ١٩١- ١٩٣، وهو «أبو محمد» ضبطه في تقريب التهذيب، وراجع ترجمته البسيطة في تهذيب التهذيب ١/ ٤٧٣- ٤٧٨ والجرح والتعديل ج ١ ق ١ ص ٤٣٤ وتاريخ بغداد ٧/ ١٢٣- ١٢٧ وغيرها.." [2]

"اعتاده، سمام العدى، فياض الندى، صعب المقادة، جزل الوفادة، أخا إخوان، وفتى فتيان (وذكر أبياتا للبرجمي غير مختارة، في خبر طويل) .

«١٢١» - وروي أن رجلا قال لمعن بن زائدة في مرضه: لولا ما من الله به من بقائك لكنا كما قال لبيد: [من الكامل]

---

(١) الانتصار في الرد على المعتزلة القدرية الأشرار العمراني ٣٨٩/٢

(٢) الأنساب للسمعاني السمعاني، عبد الكريم ١٨٧/١١

ذهب الذين يعاش في أكنافهم ... وبقيت في خلف كجلد الأجرب

فقال له معن: إنما تذكر أني سدت حين ذهب الناس، **فهلا قلت** كما قال نهار ابن توسعة: [من الخفيف]

قلدته عرى الأمور نزار ... قبل أن تهلك السراة البحور

«١٢٢» - ومن صفات السيد قول الخنساء في صخر: [من المتقارب]

طويل النجاد رفيع العماد ... ساد عشيرته أمردا

إذا القوم مدوا بأيديهم ... إلى المجد مد إليه يدا

فنال الذي فوق أيديهم ... من المجد ثم مضى مصعدا

يكلفه القوم ما عالهم ... وإن كان أصغرهم مولدا

ترى الحمد يهوي إلى بيته ... يرى أفضل الكسب أن يحمدا

«١٢٣» - وقول جرير: [من الطويل]

وإني لأستحيي أخي أن يرى له ... علي من الحق الذي لا أرى ليا." (١)

"إليه: [من الكامل]

لمن الظعائن سيرهن تزحف ... سير السفين إذا تقاعس يجذف

فكتب إليه مسلمة في الجواب: [من الطويل]

ومستعجب مما يرى من أناتنا ... ولو زبنته الحرب لم يترمرم

«٨٤٧» - وسمع مسلمة رجلا تمثل بقول الشاعر وقد دلي بعض بني مروان في قبره: [من الطويل]

وما كان قيس هلكه هلك واحد ... ولكنه بنيان قوم تهدما

فقال له مسلمة: لقد تكلمت بكلمة شيطان، **هلا قلت**: [من الطويل]

إذا مقرم منا ذرا حد نابه ... تخمط فينا ناب آخر مقرم

«٨٤٨» - سابق مسلمة في حلبة فسبق وعبد الملك حاضر، فقال عبد الملك، والشعر لبعض بني عبس: [من الطويل]

نهيتكم أن تحملوا هجناءكم ... على خيلكم يوم الرهان فتدركوا

فتضعف ساقاه وتفتر كفه ... وتخدر فخذاه فلا يتحرك

وما يستوي المرآن هذا ابن حرة ... وهذا هجين ظهره متشرك

---

(١) التذكرة الحمدونية ابن حمدون ٦٦/٢

قعدن به خالاته فاختزلنه ... ألا إن عرق السوء لا بد مدرك

فقال مسلمة، والشعر لمسكين الدارمي: [من ا لطويل]

وما أنكحونا طائعين فتاتهم ... ولكن نكحناها بأسيافنا قهرا

كريم إذا اعتل الزمان وجدته ... وقد سار في ظلمائه قمرا بدرا." (١)

"وقولها والدموع تسبقها ... لنفسدن الطواف في عمر

أتراك لو وصفت بهذا هرة أهلك، ألم تكن قد قبحت وأسأت وقلت الهجر؟

إنما توصف الحرة بالإباء والحياء والالتواء والبخل والامتناع كما قال هذا، وأشار إلى الأحوص: [من الطويل]

أدور ولولا أن أرى أم جعفر ... بأبياتكم ما درت حيث أدور

وما كنت زوارا ولكن ذا الهوى ... إذا لم يزر لا بد أن سيزور

قال: فدخلت الأحوص أبهة وعرفت الخيلاء فيه. فلما استبان ذلك كثير منه قال: أبطل آخرك أولك، أخبرني عن قولك: [من الوافر]

فإن تصلي أصلك وإن تبيني ... بصرمك بعد وصلك لا أبالي

ولا ألفى كمن إن سيم صرما ... تعرض كي يرد إلى الوصال

أما والله لو كنت فحلا لباليت ولو كسرت أنفك، **[هلا قلت]** كما قال هذا الأسود، وأشار إلى نصيب: [من الطويل]

بزينب ألمم قبل أن يرحل الركب ... وقل إن تملينا فما ملك القلب

قال: فانكسر الأحوص ودخلت نصيبا الأبهة. فلما نظر إلى الكبريا ء قد دخلته، قال له: وأنت يا ابن السوداء فأخبرني [١] عن قولك: [من الطويل]

أهيم بدعد ما حييت فإن أمت ... فواكبدا من ذا يهيم بها بعدي

أهمك من ينيكها بعدك؟ فقال نصيب: استوت القرقة [٢] ، وهي لعبة لهم مثل المنقلة، قال سائب: فلما أمسك كثير أقبل عليه عمر فقال له: قد أنصتنا لك فاسمع يا مذبذب إلي. أخبرني عن تخيرك لنفسك وتخيرك لمن تحب حيث

---

(١) التذكرة الحمدونية ابن حمدون ١٨٣/٧

[١] م: أخبرني.

[٢] الأغاني: القرف.." (١)

"نا عبد الرحمن بن محمد بن أحمد الواعظ نا محمد بن أحمد بن سليمان نا محمد بن يحيى الأزدي نا محمد بن هانئ الطائي نا محمد بن أبي سعيد قال قال عبد العزيز بن مروان أبو عمر بن عبد العزيز عجبت لمؤمن أو موقن يؤمن بالله أن يرزقه ويوقن بالله أن يخلف عليه كيف يحبس مالا عن عظيم أجر وحسن سماع قرأت بخط ابي الحسن رشا بن نظيف وأنبانية أبو القاسم العلوي وابو الوحش المقرئ وغيرهما عنه أنا أبو القاسم عبد الرزاق بن أحمد بن عبد الحميد الشيرازي نا أبو محمد عبد الله بن جعفر بن محمد بن ورد نا أبو إسحاق إبراهيم بن حميد البصري حدثني بعض البصريين نا عمارة بن عقيل بن بلال بن جرير بن عطية بن الخطفى قال كنت يوما بباب المأمون فخرج علي عبد الله بن السمط فقال لى علمت أن أمير المؤمنين مع كاله لا يعرف الشعر قلت وكيف ذاك قال أنشدته بيتا لو عرف مقداره لشاطرني ملكه قلت وما هو قال قلت أضحى إمام الهدى المأمون مشتغلا * بالدين والناس بالدنيا مشاغيل * قال فقلت فما صنع بك قال نظر إلي نظرة شحيحة كاد أن يصطلمني معها قال فقلت له قد حلم عنك والله وأحسن ويلك إذا شغل عن الدنيا فمن يديرها إذا كان هو المقلد لها هلا قلت كما قال جدك في عبد العزيز بن مروان (١) : * فلا هو في (٢) الدنيا مصيع نصيبه * ولا عرض الدنيا عن الدين شاغله * قال فقال لي الآن علمت أني قد أخطات الصواب كما قال جدي يعني جريرا فإن جد عبد الله بن السمط هو مروان بن أبي حفصة ولم يدرك عبد العزيز وإنما أدرك الوليد بن يزيد وقد روي أن هذا البيت في عبد العزيز بن الوليد آخر الجزء الحادي والعشرين بعد الأربعمئة (٣) أخبرنا أبو أحمد غانم بن أبي نجيح بن أبي الحسن الخياط أنا أبو الفضل المطهر بن

---

(١) البيت في ديوان جرير ط بيروت ٣٢٨ وفيه: يمدح عبد العزيز بن الوليد؟ (٢) الديوان: من

(٣) اللفظة غير مقروءة بالاصل والمثبت عن م." (٢)

"تدعو إلى نفسك ولو فعلت ما نازعتك قال عامر بن شبل أنا ممن سار مع عبد العزيز إلى دمشق فلحقنا الخبر بدير الجلجل أن عمر بن عبد العزيز قد بويع له فانصرفنا قرأت على أبي غالب بن البنا عن

---

(١) التذكرة الحمدونية ابن حمدون ٢٩٣/٧

(٢) تاريخ دمشق لابن عساكر ابن عساكر، أبو القاسم ٣٥٧/٣٦

أبي محمد الجوهري أنا أبو عمر بن حيوية أنا أحمد بن معروف إجازة نا الحسين بن الفهم نا محمد بن سعد (١) أنا محمد بن عمر نا داود بن خالد أبو سليمان عن سهيل بن أبي سهيل قال سمعت رجاء بن حيوة يقول بلغ عبد العزيز بن الوليد وكان غائبا موت سليمان بن عبد الملك ولم يعلم بمبايعة الناس عمر وعهد سليمان إليه فبايع من معه لنفسه ثم أقبل يريد دمشق يأخذها فبلغه أن عمر بن عبد العزيز قد بايعوا له بعد سليمان بعهد من سليمان فأقبل حتى دخل على عمر بن عبد العزيز فقال له عمر بن عبد العزيز قد بلغني أنك كنت بايعت من قبلك وأردت دخول دمشق فقال قد كان ذلك وذلك أنه لم يبلغني أن الخليفة كان عقد لأحد ففرقت على الأموال أن تنهب (٢) فقال عمر والله لو بويعت وقمت بالأمر ما نازعتك ذلك ولقعدت في بيتي فقال عبد العزيز ما أحب أنه ولي هذا الأمر غيرك وبايع عمر بن عبد العزيز قرأت على أبي الوفاء حفاظ بن الحسن بن الحسين عن عبد العزيز بن أحمد أنا عبد الوهاب الميداني أنا أبو سليمان بن زبر أنا عبد الله أحمد بن جعفر أنا أبو جعفر الطبري (٣) قال وذكر عن عمارة بن عقيل أنه قال قال لي عبد الله بن أبي السمط أعلمت أن المأمون لا يبصر الشعر قلت ومن ذا يكون أعلم منه فوالله إنك لترانا ننشده أول البيت فيسبقنا إلى آخره قال إني أنشدته بيتا أجدت فيه فلم أره تحرك قلت وما الذي أنشدته قال * أضحى إمام الهدى المأمون مشتغلا * بالدين والناس بالدنيا مشاغيل * قال فقلت له إنك والله ما صنعت شيئا وهل زدت على أن جعلته عجوزا في محرابها في يدها سبحة فمن القائم بأمر الدنيا إذا تشاغل عنها وهو المطوق بها هلا قلت

____

(١) الخبر في طبقات ابن سعد ٥ / ٣٣٥ و ٣٣٨ ضمن أخبار عمر بن عبد العزيز
(٢) الارض: " أفي تنتهب " والمثبت عن ابن سعد وم
(٣) الخبر في تاريخ الطبري ٨ / ٦٦٢ - ٦٦٣ حوادث سنة ٢١٨." [١]

"ش: الذي ذكره أبو عبيد، وابن الأعرابي، وغيرهما أن التي أريت في منامها حبية بنت رياح الغنوية، وأن زوجها جعفر بن كلاب، قال لها: إنه عاد فقولى: إلى تمام الخير، وفيه فولدت ثلاثة، وكلهم به علامة، فابتكرت بخالد الأصبغ، وكانت به شامة بيضاء في مقدم رأسه. قال أبو عبيدة: فكان يصبغها. وثنت بمالك الطيان كان طاوي البطن، وهو الأخرم، ولد ملتصق إبهام الرجل بأنفه، فقطع بحديدة، وثلثت بربيعة الأحوض، وكان صغير العينين، كأنهما مخيطتان، وأما فاطمة بنت الخرشف فمع أن هذا الخبر في غيرها،

____

(١) تاريخ دمشق لابن عساكر ابن عساكر، أبو القاسم ٣٧٤/٣٦

فانها ولدت من زياد العبسي سبعة منهم الكملة، وهم أربعة: الربيع الكامل مخصوصا بهذا الاسم، وعمارة الوهاب، وأنس الفوارس، ويقال أنس الخير، وقيس الحافاظ، وثلاثة سواهم، وهم: الحارث، وعمر، ويزيد، بنو زياد.

وقوله " ٣,١١٥,١٣٠ " وقتل بالحبس وهو حبل.

ط: في بعض النسخ بحاء غير معجمة، وباء ساكنة، وفي جمهور النسخ ج‍بل وليس بشئ، وإنما الصواب بحاء غير معجمة، وباء ساكنة، وهو المستطيل من الرمل، وكذا قال " ٤٤:ب " الرياش في " الحماس " الحسن نقا بالدهناء، وقد رد بن حمزة قوله جبل، وزعم: أن أبا العباس صحفة، وإنما هو حبل، وزعم أيضا: أن أبا العباس غلط في قوله: الحسن رمل، وإنما هو شجر، وعلي بن حمزة هو المخطئ في هذا، لأن أبا رياش قال: هما نقوان، يقال لأحدهما الحسن، والأخر الحسين، ويدل عليه قول الآخر " الوافر ":

ويوم شقيقة الحسنين لاقت ... بنو شيبان آجالا قصارا

وعلى قوله " ٣,١١٥,١٣٠٤٥٤ " قتل حسان، وفودي معاوية.

ط: الأمر بالعكس، مما ذكره أبو العباس، إنما المقتول معاوية، وكان عوف بن الأحوص أسره، وجز ناصيته، وأعتقه على الثواب، فقتله قيس ابن زهير، فطالب عوف بني عبس، وكان طفيل بن مالك أسر حسان. فرغب إليه بنو عبس، فوهبه لهم، فدفعوه إلى عوف، عوضا من معاوية، فجز عوف ناصيته، وأطلقه، ولم يفاده فسمى عوف الجزاز، وهذا ممانبه عليه علي بن حمزة.

وقوله " ٣,١٣١٤٧ " قال أبو الحسن حاز بالزاى أي زاجز.

ش: " عن " أبي الحسن: قال ابن دريد، في عجمة هذا الاسم قال: بسطام ليس من كلام العرب، وإنما سمى ابن قيس بن مسعود، بسطاما، باسم ملك من ملوك فارس، كما سموا قابوس.

وعلى قوله " ٣,١٣٠٤٧ " الدلو تأتي الغرب المزلة.

ط: ذكر غيره أن بسطاما، رأى في منامه قائلا يقول: الدلو تأتى الغرب المزلة، فقصها على أصحابه، فقال له نقيد: هلا قلت: ثم تعود بادنا، مبتلة فنفرط عنك النحوس، ووجل منها نقيد، وهو دليل، كان له من بني أسد " ٤٥:ألف " قال أبو بكر: الغرب مخرج الماء من الحوض، يقول فالدلو تأتي على غير وجهها، وإنما سبيل الدلو أن تفرغ في الإناء، فيريد أنك تقصد غير مقصد.

وقوله " ٣,١٣١٤٨ " ما هذا السفه.

ط: ذكر غيره أن مالك بن المنتفق الضبي، كانت الإبل له، قال بسطام: ما هذا السفه: قال:

البث قليلا يلحق الداريون،

ذوو الجباب البدن المكفيون، سوف ترى إن حضروا ما يعنون،

وقوله " ٣،١٣١٤٨ " وكان في بني شيبان.

ط: قيل كان فيهم أسيرا، قيل: وكان مجاورا لهم.

وقول القائل " ٣،١٣١٥١ " إذا ما خشينا من أمير ظلامة.

ط: بعده: " من الطويل ":

ترى الناس أفواجا إلى باب داره ... إذا شاء جاءوا دار عين وحسرا

وهذا الشعر لعديل بن الفرج، قال الرياش عن العتبى: حمل زياد إلى معاوية مالا من البصرة، ففزعت تميم، والأزد، إلى مالك ابن مسمع، وكان مكانه من ربيعة، كمكان كليب في حياته، فقالوا: أيحصل المال، ونبقى بلا عطاء فركب مالك في ربيعة، ورد المال، وضرب فسطاطه بالمربد، ووفى الناس عطاءهم ثم قال: إن شئتم أن تحملوا الآن فاحملوا، وفعل ذلك أيضا بحمزة بن عبد الله بن الزبير، وقد حمل مالا من البصرة إلى أبيه، فقال العديل بن الفرخ ذلك الشعر المذكور.

وقوله " ٣،١٣١٥٢ " ورهط كعب وحاتم.

ط: كعب بن مامة الإيادي، هو جار أبي دواد، الذي ضرب به المثل، فقال فيه الشاعر " الوافر ":

أطوف ما أطوف ثم آوى ... إلى جار كجار أبي دواد." (١)

"ولا الليل سابق النهار [بنصب "النهار"، فقال: ما أردت؟ فقال: أردت "سابق النهار" يعني بالتنوين؛ فقال له: فهلا قلته؟ فقال: لو قلته لكان أوزن، أي أقوى.

ويحكى عنه، أنه قال في قول الشاعر:

وما كنت أخشى الدهر إحلاس مسلم ... من الناس ذنبا جاءه وهو مسلما

معناه: وما كنت الدهر أخشى إحلاس مسلم مسلما ذنبا جاءه. وهو لو وكد الضمير لكان أحسن، وغير التوكيد جائز.

وكذلك حكى أبو العباس أحمد بن يحيى ثعلب عن العرب: "راكب الناقة طليحان" وتقديره: "راكب الناقة والناقة طليحان"، إلا أنه حذف المعطوف لتقدم ذكر الناقة، والشيء إذا تقدم دل على ما هو مثله.

ويحكى عنه أيضا أنه قال في قوله:

---

(١) القرط على الكامل ابن سعد الخير ص/١٠٠

يرد طيخا وهديرا زغدبا

إنه من زغد زغدا في هديره، إذا هدر هديرا شديدا، من قولهم: زغد عكته، إذا عصرها ليخرج سمنها، فجعل الباء زائدة؛ وهذا بعيد جدا؛ وإنما هو من الأصلين المتداخلين: الثلاثي والرباعي، كسبط وسبطر، ودمث ودمثر، ولا خلاف أن الراء ليست زائدة؛ لأنها ليست من حروف الزيادة، وكذلك الباء في "زغدب" ليست زائدة، لأنها ليست من حروف الزيادة.

ويحكى عنه أيضا أنه قال: الطيخ: الفساد، وهو من تواطخ القوم، وهذا معدود أيضا من سقطات العلماء. وقال أبو بكر بن مجاهد: كنت عند أبي العباس ثعلب، فقال: يا أبا بكر، اشتغل أهل القرآن بالقرآن ففازوا، واشتغل أصحاب الحديث بالحديث ففازوا، واشتغل أهل الفقه بالفقه ففازوا، واشتغلت أنا بزيد وعمرو؛ فليت شعري ماذا يكون حالي في الآخرة! فانصرفت من عنده تلك الليلة، فرأيت." (١)

"عمر رضي الله عنه فتبعته حتى إذا دخل بين دار عباس ودار ابن أزهر، أدركته، فلما سمع رسول الله – صلى الله عليه وسلم – حسي عرفني، فظن رسول الله – صلى الله عليه وسلم – أني إنما تبعته لأوذيه فنهمني، ثم قال: "ما جاء بك يا بن الخطاب هذه الساعة"؟ قال قلت: جئت لأومن بالله وبرسوله وبما جاء من عند الله قال فحمد الله رسول الله – صلى الله عليه وسلم – ثم قال "قد هداك الله يا عمر"، ثم مسح صدري، ودعا لي بالثبات ثم انصرفت عن رسول الله صلى الله عليه وسلم ودخل رسول الله صلى الله عليه وسلم بيته

قال ابن إسحاق: والله أعلم أي ذلك كان.

واحدا من هذه الأسماء لحذفت الياء الزائدة كما تحذف الألف من مفاعل، وتلحق ياء التصغير في موضعها، فيعود اللفظ إلى ما كان فيقال في تصغير مهينم ومبيطر مهينم ومبيطر فإن قيل **فهلا قلتم** إنه لا يصغر إذ لا يعقل تصغير على لفظ التكبير وإلا فما الفرق؟ فالجواب أنه قد يظهر الفرق بينهما في مواضع منها: الجمع فإنك تجمع مبيطرا: مباطر بحذف الياء وإذا كان مصغرا لا يجمع إلا بالواو والنون فتقول مبيطرون وذلك أن التصغير لا يكسر لأن تكسيره يؤدي إلى حذف الياء في الخماسي لأنها زائدة كالألف فيذهب معنى التصغير وأما الثلاثي المصغر فيؤدي تكسيره إلى تحريك ياء التصغير أو همزها، وذلك أن يقال في فليس فلائس فيذهب أيضا معنى التصغير لتصغير لفظ الياء التي هي دالة عليه ولو بنيت اسم فاعل من بيأس لقلت فيه مبيئس ولو سهلت الهمزة حركت الياء فقلت فيه مبييس وتقول في تصغيره إذا صغرته:

(١) نزهة الألباء في طبقات الأدباء أبو البركات الأنباري ص/١٧٥

مبيس بالإدغام كما تقول [في] أبوس: أبيس، ولا تنقل حركة الهمزة إلى الياء إذا سهلت كما تنقلها في اسم الفاعل من بيأس ونحوه إذا سهلت الهمزة وهذه مسألة من التصغير بديعة يقوم على تصحيحها البرهان.." (١)

"صادق النجدة قرم بارع ... غير ملتاث لدى وقع الأسل

فسل المهراس من ساكنه؟ ... بين أقحاف وهام كالحجل

ليت أشياخي ببدر شهدوا ... جزع الخزرج من وقع الأسل

حين حكت بقباء بركها ... واستحر القتل في عبد الأشل

ثم خفوا عند ذاكم رقصا ... رقص الحفان يعلو في الجبل

فقتلنا الضعف من أشرافهم ... وعدلنا ميل بدر فاعتدل

لا ألوم النفس إلا أننا ... لو كررنا لفعلنا المفتعل

بسيوف الهند تعلو هامهم ... عللا تعلوهم بعد نهل

وقال راجزهم

يا أيها اللائم لمني، أو فذر ... إن كنت أخطأت فما أخطا القدر

وقوله غير ملتاث هو مفتعل من اللوثة كما قال الضبي:

عند الحفيظة إن ذي لوثة لانا

والمهراس: حجر منقور يمسك الماء فيتوضأ منه شبه بالمهراس الذي هو الهاوون ووهم المبرد فجعل المهراس اسما علما للمهراس الذي بأحد خاصة وإنما هو اسم لكل حجر نقر فأمسك الماء. وروى ابن عبدوس عن مالك أنه سئل عن رجل يمر بمهراس في أرض فلاة كيف يغتسل منه؟ فقال مالك هلا قلت مر بغدير ومن يجعل له مهراسا في أرض فلاة؟ فهذا يبين لك أن المهراس ليس مخصوصا بالمهراس الذي كان بأحد وكذلك وقع في غريب الحديث أن النبي – صلى الله عليه وسلم – مر بقوم يتجاذون مهراسا أي يرفعونه.." (٢)

". . . . .

لما دعت ربها ذا العرش جاهدة ... والدمع من عينها عجلان يبتدر

أيقنت أن الذي تدعوه خالقها ... فكاد تسبقني من عبرة درر

(١) الروض الأنف ت السلامي السهيلي ١٧٠/٣

(٢) الروض الأنف ت السلامي السهيلي ٨٢/٦

فقلت: أشهد أن الله خالقنا ... وأن أحمد فينا اليوم مشتهر

نبي صدق أتى بالحق من ثقة ... وافى الأمانة ما في عوده خور

رواه يونس عن ابن إسحاق. وذكر البزار في إسلام عمر أنه قال:

فلما أخذت الصحيفة، فإذا فيها: بسم الله الرحمن الرحيم، فجعلت أفكر: من أي شيء اشتق «١» ، ثم قرأت فيها: سبح لله ما في السماوات والأرض [وهو العزيز الحكيم] أول الحديد. وجعلت أقرأ وأفكر حتى بلغت:

آمنوا بالله ورسوله «٢» الحديد: ٧. فقلت: أشهد أن لا إله إلا الله، وأن محمدا رسول الله.

من تفسير حديث إسلام عمر:

فصل: وفي حديث إسلام عمر: قال: ما هذه الهينمة، والهينمة: كلام لا يفهم، واسم الفاعل منه مهينم، كأنه تصغير، وليس بتصغير، ومثله المبيطر، والمهيمن، والمبيقر بالقاف، وهو المهاجر من بلد إلى بلد، والمسيطر، ولو صغرت واحدا من هذه الأسماء لحذفت الياء الزائدة، كما تحذف الألف من مفاعل، وتلحق ياء التصغير في موضعها، فيعود اللفظ إلى ما كان، فيقال في تصغير مهينم ومبيطر: مهينم ومبيطر، فإن قيل: **فهلا قلتم**: إنه لا يصغر؛ إذ لا يعقل

---

(١) فى الأصل: فى أى شيء. والتصويب من شرح المواهب ص ٢٧٤ ج ١

(٢) ولكن سورة الحديد مدنية. وقصة عمر مكية.." (١)

" . . . .

عن مالك أنه سئل عن رجل يمر بمهراس في أرض فلاة كيف يغتسل منه؟ فقال مالك: **هلا قلت** مر بغدير، ومن يجعل له مهراسا في أرض فلاة؟ فهذا يبين لك أن المهراس ليس مخصوصا بالمهراس، الذي كان بأحد، وكذلك وقع، في غريب الحديث أن النبي- صلى الله عليه وسلم- مر بقوم يتجاذون «١» مهراسا أي: يرفعونه.

شعر حسان برد به على ابن الزبعرى:

قول حسان يجيبه:

هربا في الشعب أشباه الرسل يعني: الغنم إذا أرسلها الراعي، يقال لها حينئذ رسل «٢» .

---

(١) الروض الأنف ت الوكيل السهيلي ٣/٢٧٨

وقوله كأشراف الملا، الأشراف: جمع شرف، وهو الشخص، والملا:
ما اتسع من الأرض، ويريد بالأشراف هاهنا أشخاص الشجر وأصولها.
وقوله: يهل، أراد: فيهال ثم جزم للشرط، فانحذفت الألف لالتقاء الساكنين، وهو من الهول، يقال هالني الأمر يهولني هولا إذا أفزعك.
وقوله: وملأنا الفرط، أراد: الفرط بتحريك الراء، وهي الأكمة،

---

(١) فى الأصل: يتجارون والتصويب من النهاية لابن الأثير مادة جذا، وكذلك فى اللسان.
(٢) يقول الخشنى عن الرسل: الإبل المرسلة التى بعضها فى أثر بعض، وقال بعض اللغويين: الرسل: الجماعة من كل شيء.." [١]

"وقلت لعيني في المنازل عبرة ... من الشوق لم تملك بصبر فتردد

وقال أيضا:

سألت الغوادي ملحفا في سؤالها ... وناشدتها في سقى برقة ثهمد

منازل ما أبقى البلى من عراصها ... سوى أرسم معفوة الآى همد

وقال آخر:

تزافر صحبي يوم ذي الأثل زفرة ... تذوب قلوب من لظاها وأضلع

منازل لم تسلم عليهن مقلة ... ولا جم بعد البين فيهن مدمع

فدمع على رسم الديار مفرق ... وقلب على أهل الديار مروع

وقال عبيد الله بن قيس الرقيات:

يا سند الظاعنين من أحد ... حييت من منزل ومن سند

ما إن بمثواك غير راكدة ... سفع وهاب كالفرخ ملتبد

استبدلت بالظباء والبقر العي ... ن خلاف العقائل الخرد

فساخط أنت أم رضيت بما اس ... تبدلت بالحي بعدهم فقد

بدلت غير الرضا وشط بهم عن ... ك صروف المنون والأبد

وقال الشريف المرتضى أبو القاسم علي بن الحسين بن موسى بن محمد بن موسى بن إبراهيم بن موسى

---

(١) الروض الأنف ت الوكيل السهيلي ١٣٨/٦

بن جعفر بن محمد بن علي بن الحسين بن علي بن أبي طالب - رضوان الله عليهم -:
أعلى العهد منزل بالجناب ... كان فيه متى أردت طلابي؟!
المغاني تلك المغاني فهل في ... هن ما قد عهدت من إطرابي؟
ليست الدار بعد أن توحش الد ... ار نوى غير جندل وتراب
فإذا لم يعد حنيني على الدا ... ر حبيبا فليس يغني انتحابي
وقال الشريف نظام الملك أبو الحسن على الفاطمي، أحد شعراء الدولة بمصر - إذ أنا بها - ويعرف بالأخفش:
أحبابنا لم تذق عيناي مذ بعدت ... عني منازلكم غمضا ولا وسنا
ولا وجدت لقلبي من يسر به ... ولم تر العين شيئا بعدكم حسنا
وقال البكاء - واسمه أرطاة بن كعب (جاهلي) :
لمن المنازل قد عفون سنينا ... أقفرن بعد تحدد وبلينا
بقنان ودعة والبقيل تغيرت ... بعدي تحن بها الرياح حنينا
وبدارة السلم التي شوقتها ... دمن يظل حمامها يبكينا
ما كنت أول من تفرق شمله ... ورأى الغداة من الفراق يقينا
وقال الرماح بن ميادة، وميادة أمه سندية، وأبوه الأبرد بن ثوبان بن سراقة بن سلمى، ابن ظالم:
منازل أما أهلها فتحملوا ... فساروا، وأما خيمها فمقيم
كأني بها لما عرفت رسومها ... ثقيل لدى أيدي الرقاة سليم
ولم تر عيني مربعا مثل مربع ... بذي العش لو أن النعيم يدوم
وقال عباس بن كبير بن جابر بن عمرو بن غيظ بن السبد:
سقى الصفرات العفر حول تبالة ... إلى رحب بالوشم غيث مطبق
منازل من حيي ذؤيب بن مازن ... وغيظ وكعب قبل أن يتفرقوا
عصائب في بر البلاد وبحرها ... فمنهم شآم غائر ومشرق
ديار من الحي الذين رماحهم ... معاقل في الهيجا وبالوتر تسبق
عظام مقاريهم جماع فدورهم ... يد الدهر تنتاب النهار وتطرق
بهم تتقى الحرب العوان وفيهم ... حفاظ على جل الأمور ومصدق

عن سنان بن يزيد الديلمي قال: كنت مع مولاي جرير بن سهم التيمي، وهو يسير أمام أمير المؤمنين علي بن أبي طالب – رضوان الله عليه – إلى الشام، فلم انتهى إلى مدائن كسرى، وقف مولاي ينظر، ثم تمثل:

جرت الرياح على محل ديارهم ... فكأنما كانوا على ميعاد

الأبيات التي تقدمت للأسود بن يعفر، فقال له علي – رضوان الله عليه –: أي شيء قلت؟ فأنشده الشعر، فقال: **هلا قلت**: "كم تركوا من جنات وعيون" ثم قال: يا ابن أخي إن هؤلاء كفروا النعم، فحلت بهم النقم، فإياكم وكفر النعم، فتحل بكم النقم.

وقال الشريف البياضي:

مالي أعلل نفسي بالوقوف على ... منازل أقفرت منكم وأطلال؟!

وأبتغي البرء منها وهي بالية ... هيهات! كيف يداوي باليا بال؟!

وقال آخر:

يذكرني لمع البروق منازلي ... بنجد وأهليها، فأضنى بها وجدا

وهذي النوى حكم من الله نازل ... وما كنت ممن يستطيع له ردا

وقال الأقرع بن معاذ:

حي المنازل بين حمة فاللوى ... إن كنت مشتغلا بهن عميدا

يا برق حمة ما فعلت على البلى ... لا زلت يصحبك الغمام سديدا

فلئن بكيت لأبكين صبابة ... ولئن صبرت لأصبرن جليدا." (١)

"يردها رمى بها إليه فلما أخذها الزبير ونظر إليها إذا هي رديئة فقال لا أريدها فقال عمر أيهات قد فرغت منها فأجازها عليه وأبى أن يقبلها منه

حدثنا بريد بن جرير عن أبيه عن عمر قال له والناس يتحامون العراق وقتال الأعاجم سر بقومك فما قد غلبت عليه فلك ربعه فلما جمعت الغنائم غنائم جلولا ادعى جرير أن له ربع ذلك كله فكتب سعد إلى عمر بذلك فكتب عمر صدق جرير قد قلت ذلك له فإن شاء أن يكون قاتل هو وقومه على جعل فأعطوه جعله وإن يكن إنما قاتل لله ولدينه ولحبيبه فهو رجل من المسلمين له ما لهم وعليه ما عليهم فلما قدم الكتاب على سعد أخبر جرير بذلك فقال جرير صدق أمير المؤمنين لا حاجة لي به بل أنا رجل من المسلمين

أخبرنا نافع عن ابن عمر قال بينما عمر رضى الله عنه جالس إذ رأى رجلا فقال قد كنت مرة ذا فراسة وليس

---

(١) المنازل والديار أسامة بن منقذ ص/٥

لي رأي إن لم يكن هذا الرجل ينظر ويقول في الكهانة شيا أدعوه لي فدعوه فقال ہ ل كنت تنظر وتقول في الكهانة شيا قال نعم وقد روينا عن عمر رضى الله عنه أنه خرج يعس المدينة بالليل فرأى نارا موقدة في خباء فوقف وقال يا أهل الضوء وكره أن يقول يا أهل النار وهذا من غاية الذكاء وروينا عنه أنه قال لرجل عرس هل كان فقال لا أطال الله بقاك فقال عمر قد علمتم فلم تتعلموا **هلا قلت** لا وأطال الله بقاك ومن المنقول عن علي بن أبي طالب عليه السلام عن أبي البختري قال جاء رجل إلى علي بن أبي طالب فأطراه وكان بغضه فقال له أني ليس كما تقول وإنا فوق ما في نفسك حدثنا عبد الله بن سلمة قال سمعت عليا يقول بمسكن لا أغسل رأسي بغسل حتى أتي البصرة وأحرقها وأسوق الناس بعصاي إلى مصر قال فأتيت أبا مسعود البدري فأخبرته أن عليا يورد الأمور مواردها لا يحسنون يصدرونها على رجل أصلع إنما رأسه مثل الطست إنما حوله زغيبات أو قال شعيرات أخبرنا سماك بن حرب عن خنبش." (١)

"المتقارب:

ومنا الوزير ومنا الأمير ... ومنا المشير ومنا أنا

يقع التغفيل من فطناء الشعراء

وقد وقع شيء يشبه التغفيل من فطناء الشعراء، قال: فإن البحتري دخل على بعض من يمدحه فأنشده:

لك الويل من ليل تطاول آخره فقال الممدوح: لك الويل والحرب.

ومدح رجل معن بن زائدة فقال: الطويل:

أتيتك إذا لم يبق غيرك جابر ... ولا واهب يعطي اللها والرغائبا

فقال معن: ليس هذا مدحا، **وهلا قلت** كما قال أخو بني تيم لمالك بن مسمع: الخفيف:

قلدته عرى الأمور نزار ... قبل أن تملك السراة النحورا." (٢)

"المصرع، كنت أؤملك لهذا اليوم، كنت أرجوك لهذا، ثم قال [١] : لا إله إلا الله، ثم قضى [٢] .

١٢٥٣- خلف بن أيوب، أبو سعيد العامري البلخي [٣] .

فقيه أهل بلخ وزاهدهم، أخذ الفقه عن أبي يوسف، وابن أبي ليلى. والزهد عن إبراهيم بن أدهم [٤] .

وسمع الحديث من عوف بن أبي جميلة، وإسرائيل، ومعمر، وغيرهم، روى عنه: أحمد، ويحيى، وأبو كريب.

أنبأنا زاهر بن طاهر، أنبأنا أحمد بن الحسين البيهقي، أنبأنا [٥] أبو عبد الله محمد بن عبد الله الحاكم

---

(١) الأذكياء ابن الجوزي ص/٢٤

(٢) أخبار الحمقى والمغفلين ابن الجوزي ص/١٣٩

قال: سمعت أبا بكر محمد بن عبد العزيز المذكر يقول:
سمعت أبا عمرو محمد بن علي الكندي [٦] يقول: سمعت مشايخنا يذكرون أن السبب [في] [٧] إثبات ملك آل ساسان أن أسد بن نوح خرج إلى المعتصم، وكان أسد حسن المنظر شجاعا عالما فصيحا عاقلا فتعجبوا من حسنه وجماله وفصاحته [٨] . فقال له أمير المؤمنين: هل في بيتك أشجع منك؟ قال: لا. قال: فهل في بيتك أعقل منك؟ قال:
٧٢/ ب لا. فلم يعجب الخليفة ذلك منه، فدخل عليه بعد ذلك فسأله مثل تلك المسألة، فأجابه/ بمثل ذلك الجواب، فلم يعجبه، ثم إنه كرر عليه السؤال فأجابه بمثله، فقال: يا أمير المؤمنين، **هلا قلت** ولم ذاك؟ قال: ويحك، ولم ذلك [٩] ؟ قال: لأنه ليس في أهل بيتي أحد وطئ بساط الخليفة وشاهد طلعته، وقابله بالمسألة التي قابلني بها ورضي خلقه وخلقه غيري، فأنا أفضلهم إذا [١٠] فاستحسن أمير المؤمنين ذلك منه فتمكن موقعه لديه، ثم إنه خيره بين أعمال كور خراسان فاختار منها ولاية بلخ ونواحيها، فلما ورد بلخ بعهد أمير المؤمنين كان يتولى الخطبة بنفسه، ثم إنه سأل عن علماء بلخ هل فيهم من لم يقصده. قالوا: نعم، خلف بن أيوب أعلم أهل الناحية وأزهدهم وأورعهم وهو يتجنب

---

[١] «لهذا ثم قال» ساقطة من ت.
[٢] تاريخ بغداد ٧/ ٢٩.
[٣] انظر ترجمته في: تقريب التهذيب ١/ ٢٢٥.
[٤] في الأصل: «والزهري إبراهيم بن الغنم» .
[٥] في ت: «أخبرنا» .
[٦] في ت: «السكندي» .
[٧] ما بين المعقوفتين ساقط من الأصل.
[٨] في ت: «وشجاعته» .
[٩] في ت: «ذاك» .
[١٠] في ت: «إذن» .." (١)

---

(١) المنتظم في تاريخ الملوك والأمم ابن الجوزي ١١/٥٨

"غيث السماح، ليث الكفاح، غوث النجاح، طود الحجا، جود الندى، عود النهى، السديد الآراء، الشديد الإباء، فارس الجلاد، فارس الأجلاد، مطعان الهياج، مطعام المحتاج، عين إنسان الإحسان، وإنسان عين الزمان، معاذ الرجاء، وملاذ الفضلاء، يجل عن نظم الشعر قدره، ويزيد على فخر الأدب فخره، لكنه لكثرة مخالطة أهل الفضل قد خلص من الشوب، خلوص النضار غب الذوب، فما يفوه إلا بغريبة، ولا يحبو إلا برغيبة، ولا ينطف إلا ببديعة، ولا يفهق إلا بصنيعة، ينظم البيت والبيتين، ويرتجل القطعة والقطعتين، لتتم له الفضائل كلها.

أنشدني بنفسه بقلعة دمشق، ونحن بين يدي السلطان الملك الناصر في ذي الحجة سنة سبعين:

إذا شئت أن تعطي الأمور حقوقهاوتوقع حكم العدل أحسن موقعة

فلا تصنع المعروف مع غير أهلهفظلمك وضع الشيء في غير موضعه

هذان البيتان ينبئان عن فضله، وكرم طبعه، فإنه مغرم بإكرام الفاضل ورفعه، مغرى بإهانة الجاهل ووضعه. قلت له: **هلا قلت**: فلا تضع المعروف في غير أهله، فإني أكره مع وهي ثقيلة يمجها الطبع السليم والخاطر المستقيم؟ فقال: كذلك قلته.

وأنشدني بيتين كتبهما بمصر إلى صديق له:

عرتني هموم أرقتني لعظمها ... كما يأرق الصب الكئيب من الوجد

ولابد أن أدعو شقيقا يزيلها ... فإن تستجب يا بن الرشيد فمن رشدي

شعره ظرف الظرف، وحسن الحسن، وملح الملاحة، وجادة الإجادة، ومائدة الفائدة، ومأدبة الأدب، وعلم العلم، وحكمة الحكمة، ونور الحدقة، ونور الحديقة.

وله يداعب بعض أصدقائه وهو رجاء:

رجاء كان قدما مستهاما ... بأخبار الرسول وبالسماع

ولا يسعى لمكرمة ولكن ... تراه إلى المطاعم خير ساع

ولا يروي من الأخبار إلا ... أجيب ولو دعيت إلى كراع

وله في مثل ذلك:

هذا أبو الخير قد أضحى له خلق ... كمادر فهو لا يخلو من العار

وليس يروي من الأشعار قط سوى ... قالوا لأمهم: بولي على النار

وقال يداعب بعض أصدقائه من ندمائه، وكان يخضب لحيته، فنظم على لسانه:

بكيت ومما زادني عند سفرتي ... ملام الأعادي على صبغ لحيتي

أمد لصباغ يجيد خضابها ... قذالا مديدأ عرض شبر وخمسة

وما صبغها سهل علي وإنه ... يقوم عندي كل طاق بصفعة

وقال:

من قال إن رجاء يصبغ ذقنه ... تبا له بل ذاك من خديه

ما الصبغ سود عارضيه وإنما ... وجناته نفضت على لحييه

وسألني أن أعمل في هذا المعنى، فارتجلت:

كان عهدي بفلان شائبا ... قد فشت شيبته في شاربيه

وأراه اليوم في صبغ الصبا ... لونه الحالك قد عاد إليه

ما أراه خضب اللحية بل ... وجهه الأسود أعدى عارضيه

ولي في عز الدين فرخشاه قصائد، بعثني على نظمها فيه كرمه، ودعتني إليه مناقبه وشيمه، فإنني أول ما مدحته بقصيدة مقضية موسومة باسمه هائية أولها:

جلت عن الأوصاف والأشباه ... أوصاف عز الدين فرخشاه

فاهتز لها واعتز، وهش لها وبش، وجاد وزاد، ورادف الرفد، وحالف المجد، واسترق ذخر الود، واسترق حر الحمد، وحفظ القصيدة حفظه للقصد، وصار ينشدها إنشاد المتبجح بها المعتد.

وأنا أورد الآن قصيدة أخرى هائية، موسومة بخدمته، خدمته بها وقت وصولي إلى مصر، أتشوق فيها الجماعة بالشام، وأتندم على مفارقتهم، سنة اثنتين وسبعين، وهي:

بين أمر حلاوة العيش الشهي ... وهوى أحال غضارة الزمن البهي." (١)

"قال أنبأنا عبد الكريم بن الهثيم قال حدثنا سند بن داود قال حدثنا الفرج بن فضالة عن معاوية بن صالح عن نافع قال سافرت مع ابن عمر فلما كان آخر الليل قال يا نافع طلعت الحمراء قلت لا مرتين أو ثلاثا ثم قلت طلعت قال لا مرحبا بها ولا **أهلا قلت** سبحان الله نجم سامع مطيع قال ما قلت إلا ما سمعت من رسول الله أو قال قال رسول الله إن الملائكة قالت يا رب كيف صبرك على بني آدم في الخطايا والذنوب قال إني ابتليتهم وعافيتكم قالوا لو كنا مكانهم ما عصيناك قال فاختاروا ملكين منكم فلم يألوا أن اختاروا هاروت وماروت فنزلا فألقى الله عليهما الشبق قلت وما الشبق قال الشهوة قال فنزلا فجاءت امرأة

(١) خريدة القصر وجريدة العصر - أقسام أخرى العماد الأصبهاني ٢/٥٨٥

يقال لها الزهرة فوقعت في قلوبهما فجعل كل واحد منهما يخفي عن صاحبه ما في نفسه فرجع إليها أحدهما ثم جاء الآخر فقال هل وقع في نفسك ما وقع في قلبي قال نعم فطلباها نفسها فقالت لا أمكنكما حتى تعلماني الاسم الذي تعرجان به إلى السماء وتهبطان به فأبيا ثم سألاها أيضا فأبت ففعلا فلما استطيرت طمسها الله كوكبا وقطع أجنحتها ثم سألا التوبة من ربهما فخيرهما فقال إن شئتما رددتكما إلى ما كنتما عليه فإذا كان يوم القيامة عذبتكما وإن شئتما عذبتكما في الدنيا وإذا كان يوم القيامة رددتكما إلى ما كنتما عليه فقال أحدهما لصاحبه إن عذاب الدنيا ينقطع ويزول فاختارا عذاب الدنيا على عذاب الآخرة فأوحى الله إليهما أن ائتيا بابل فانطلقا إلى بابل فخسف بهما فهما فيها منكوسان بين السماء والأرض يعذبان إلى يوم القيامة." (١)

"مقامات الحريري. ولد سنة ثلاث وخمسمائة ومات بمصر في ذي الحجة سنة تسعين وخمسمائة.

- ٥٥٤ -

سلامة بن غياض بن أحمد أبو الخير الكفرطابي النحوي:

كان عالما حاذقا بصيرا بعلوم الأدب، صحيح الكتب جيد الحفظ، ذكره صاحبنا ابن النجار في «تاريخه» فقال: قدم بغداد سنة ست وعشرين وخمسمائة، وكتب عنه أبو محمد ابن الخشاب، وقرأ الأدب بمصر على أبي القاسم علي بن جعفر بن القطاع السعدي المصري. وله مصنفات في النحو منها التذكرة عشر مجلدات. وكتاب في النحو لطيف. وكتاب ما تلحن فيه العامة في زمانه. والرسالة الأدبية في الحض على تعليم العربية. مات سنة ثلاث وثلاثين وخمسمائة ومن شعره:

اقنع لنفسك فالقناعة ملبس ... لا يطمع الاشرار في تخريقه

فلرب مغرور غدا تغريقه ... في حرصه سببا إلى تغريقه

قرأت [١] بخط الشيخ أبي محمد ابن الخشاب: حكى لي سلامة بن غياض الكفرطابي عفا الله عنا وعنه، وكان ممن ينسب إلى الصناعة النحوية أنه سأل صبية من العرب، وقد احتاج إلى خيط يخيط به شيئا فقال لها: أعطني خويطا، فجاءته بغصن صغير من شجرة. فقال: ما هذا؟ فقالت: ما طلبت. فقال: إنما أردت خيطا.

قالت: فهلا قلت خييطا؟ وصدقت: الخويط تصغير خوط، وهو الغصن، والخييط تصغير الخيط.

---

(١) ذم الهوى ابن الجوزي ص/١٥٧

[٥٥٤]- ترجمة أبي الخير الكفرطابي في إنباه الرواة ٢: ٦٧ وبغية الوعاة ١: ٥٩٣ وإشارة التعيين: ١٣٣؛ (وبعد أن درس الكفرطابي بمصر رحل إلى بغداد بعد سنة عشرين وخمسمائة وقرأ عليه قوم بها ثم سار إلى واسط ودرس النحو في جامعها، علقه عنه أبو الفتح بن زريق الحداد وغيره، ثم رحل إلى البصرة ثم إلى بلاد العجم وجال في أقطارها وبعد ذلك عاد إلى الشام واستوطن حلب وبها توفي) .

[١] من هنا حتى آخر الترجمة مزيد من المختصر.." (١)

"فقلت له يوما، شغفا بفصاحته والتذاذا بمطاولته وجريا على العادة معه في إيقاظ طبعه واقتداح زند فطنته: كيف تقول: «أكرم أخوك أباك» . فقال كذاك، فقلت له:

أفتقول «أكرم أخوك أبوك» فقال: لا أقول «أبوك» أبدا؛ قلت فكيف تقول:

«أكرمني أبوك» فقال: كذاك، قلت ألست تزعم أنك لا تقول «أبوك» أبدا؟ فقال:

أيش هذا، اختلفت جهتا الكلام. فهل قوله «اختلفت جهتا الكلام» إلا كقولنا نحن «هو الآن فاعل وكان في الأول مفعولا» فانظر إلى قيام معاني هذا الأمر في أنفسهم وإن لم تطع به عبارتهم.

أخبرني أبو علي عن أبي بكر عن أبي العباس قال «١» : سمعت عمارة بن عقيل بن بلال بن جرير يقرأ «ولا الليل سابق النهار» فقلت له: ما أردت؟ قال:

أردت «سابق النهار» . فقلت له: فهلا قلته؟ فقال: لو قلته لكان أوزن، أي أقوى وأفصح. ففي هذه الحكاية من فقه العربية ثلاثة أشياء: أحدها أنهم قد يراعون من معانيهم ما ننسبه إليهم ونحمله عليهم، والثاني أنهم قد ينطقون بالشيء وفي أنفسهم غيره، ألا ترى أنه لما نص أبو العباس عليه واستوضح ما عنده قال: «أردت كذا» وهو خلاف ما لفظ به، والثالث أنهم قد ينطقون بالشيء غيره أقوى منه استلانة وتخفيفا، ألا تراه كيف قال: لو قلته لكان أوزن، أي أقوى وأعرب.

قال ابن جني: وسألت الشجري صاحبنا هذا الذي قد مضى ذكره، قلت له:

كيف يا أبا عبد الله تقول: «اليوم كان زيد قائما» فقال: كذلك، فقلت: فكيف تقول «اليوم ان زيدا قائم» فأباها البتة، وذلك أن ما بعد «إن» لا يعمل فيما قبلها لأنها إنما تأتي أبدا مستقبلة قاطعة لما قبلها عما بعدها وما بعدها عما قبلها.

قلت له يوما ولابن عم له يقال غصن، وكان أصغر منه سنا وألين لسانا «٢» : كيف تحقران «حمراء» ؟ فقالا: «حميراء» ، قلت: «فصفراء» ؟ قالا: «صفيراء» قلت: «فسوداء» ؟ قالا «سويداء» ، واستمررت

---

(١) معجم الأدباء = إرشاد الأريب إلى معرفة الأديب الحموي، ياقوت ١٣٨٠/٣

بهما في نحو هذا فلما استويا عليه دسست بين ذلك «علباء» فقلت «فعلباء» ؟ فأسرع ابن عمه على طريقته فقال." (١)

"«عليباء» ، وكاد الشجري يقولها معه، فلما هم بفتح الباء استرجع مستنكرا فقال: اه «عليبي» وأشم الضمة دائما للحركة في الوقف وتلك عادة له.

قال ابن جني: فسألته يوما يا أبا عبد الله كيف تجمع محرنجما؟ وكان غرضي من ذلك أن أعلم ما يقوله أيكسر فيقول حراجم أم يصحح فيقول محرنجمات، فذهب هو مذهبا غير ذين فقال: وايش فرقه حتى أجمعه، وصدق، وذلك أن المحرنجم هو المجتمع، يقولها مارا على شكيمته غير محس لما أريده منه، والجماعة معي على غاية الاستغراب لفصاحته، قلت له: فدع هذا، إذا أنت مررت بابل محرنجمة، وأخرى محرنجمة، وأخرى محرنجمة، تقول مررت بابل ماذا؟ فقال، وقد أحس الموضع: يا هذا هكذا أقول: مررت بابل محرنجمات، وأقام على الصحيح البتة استيحاشا من تكسير ذوات الأربعة لمصاقبتها ذوات الخمسة التي لا سبيل إلى تكسيرها لا سيما إذا كان فيها زيادة، والزيادة قد تعتد في كثير من المواضع اعتداد الأصول، حتى إنها لتلزم لزومها نحو كوكب وحوشب وضيون وهزنبران ودودرى وقرنفل، وهذا موضع يحتاج إلى إصغاء إليه وإرعاء عليه، والوقت لتلاحمه وتقارب أجزائه مانع منه، ويعين الله فيما يليه على المعتقد المنوي فيه بقدرته.

وسألته يوما كيف تجمع سرحانا؟ فقال سراحين، قلت: فدكانا، قال دكاكين، قلت: فقرطانا، قال: قراطين، قلت: فعثمان، قال: عثمانون، قلت: **هلا قلت** عثامين كما قلت سراحين وقراطين؟ فأباها البتة وقال: أيش ذا، أرأيت انسانا يتكلم بما ليس من لغته، والله لا أقولها أبدا، استوحش من تكسير العلم إكبارا له لا سيما وفيه الألف والنون اللتان بابهما فعلان الذي لا يجوز فيه فعالين نحو سكران وغضبان.

فهرست كتب ابن جني:

كتب ابن جني إجازة بما صورته. بسم الله الرحمن الرحيم: قد أجزت للشيخ أبي عبد الله الحسين بن أحمد بن نصر- أدام الله عزه- أن يروي عني مصنفاتي وكتبي مما صححه وضبطه عليه أبو أحمد عبد السلام بن الحسين البصري- أيد الله عزه:

عنده منها كتابي الموسوم بالخصائص «١» وحجمه ألف ورقة. وكتابي التمام في تفسير." (٢)

---

(١) معجم الأدباء = إرشاد الأريب إلى معرفة الأديب الحموي، ياقوت ١٥٩٦/٤

(٢) معجم الأدباء = إرشاد الأريب إلى معرفة الأديب الحموي، ياقوت ١٥٩٧/٤

"وهم من ولدوا أشبوا ... بسر الأدب المحض

فبلغ ذلك أبا عمرو بن العلاء فقال: أخطأت استه الحفرة، إنما هو أشبؤوا أي كفوا، أما سمع قول الشاعر «١» :

وذو الرمحين أشباك ... من القوة والحزم

فبلغه عن ابن دأب شيء فقال: على نفسها تجني براقش «٢» ، أما سمعتم قول الليثي:

ألا من مبلغ دأب بن كرز ... أبا الخنساء ذائدة الظليم

فلا تفخر بأحمر واطرحه ... فما يخفى الأغر من البهيم

فعند الله سر من أبيه ... كراع زيد في عرض الأديم

وحدث فيما رفعه إلى جابر بن الصلت البرقي قال «٣» : وعد المهدي ابن دأب جارية فوهبها له، فأنشد عبد الله بن مصعب الزبيري قول مضرس الأسدي:

فلا تيأسن من صالح أن تناله ... وإن كان قدما بين أيد تبادره

فضحك المهدي وقال: ادفعوا إلى عبد الله فلانة لجارية أخرى، فقال عبد الله بن مصعب:

أنجز خير الناس قبل وعده ... أراح من مطل وطول كده

فقال ابن دأب: ما قلت شيئا، هلا قلت:

حلاوة الفضل بوعد منجز ... لا خير في العرف كنهب منهز

فضحك المهدي وقال: أحسن الوفاء ما تقدمه ضمان.

وحدث عن سعيد بن سلم قال «٤» : ما شيء أجل من العلم، كان ابن دأب أحفظ الناس للأنساب والأخبار، وكان تياها، فكان ينادم الهادي ولا يتغدى معه ولا." (١)

"اثني عشر ألفا، فلما صليت الغداة قلت: اللهم اغفر لعمر، قال: وكان يأخذ منهم ويعطيهم أفضل من ذلك، حتى إذا كان بعد ذلك قال: ألا تعمل يا أبا هريرة؟ قلت: لا، قال: ولم وقد عمل من هو خير منك يوسف؟ قال اجعلني على خزائن الأرض اني حفيظ عليم، قلت: يوسف نبي ابن نبي وأنا أبو هريرة ابن أمية وأخاف منكم ثلاثا واثنتين، فقال: هلا قلت خمسا؟ قلت: أخشى أن تضربوا ظهري وتشتموا عرضي وتأخذوا مالي، وأكره أن أقول بغير علم وأحكم بغير حلم. ومات المنذر بن ساوي بعد وفاة النبي، صلى الله عليه وسلم، بقليل وارتد من بالبحرين من ولد قيس بن ثعلبة بن عكابة مع الحطم وهو شريح بن

---

(١) معجم الأدباء = إرشاد الأريب إلى معرفة الأديب الحموي، ياقوت ٢١٤٥/٥

ضبيعة بن عمرو بن مرثد أحد بني قيس بن ثعلبة، وارتد كل من بالبحرين من ربيعة خلا الجارود بن بشر العبدي ومن تابعه من قومه، وأمروا عليهم ابنا للنعمان بن المنذر يقال له المنذر، فسار الحطم حتى لحق بربيعة فانضمت اليه ربيعة فخرج الءلاء عليهم بمن انضم اليه من العرب والعجم، فقاتلهم قتالا شديدا، ثم ان المسلمين لجؤوا الى حصن جواثا، فحاصرهم فيه عدوهم، ففي ذلك يقول عبد الله ابن حذف الكلابي:

ألا أبلغ أبا بكر ألوكا، ... وفتيان المدينة أجمعينا

فهل لك في شباب منك أمسوا ... أسارى في جواث محاصرينا

ثم ان العلاء عني بالحطم ومن معه وصابره وهما متناصفان، فسمع في ليلة في عسكر الحطم ضوضاء، فأرسل اليه من يأتيه بالخبر، فرجع الرسول فأخبره أن القوم قد شربوا وثملوا، فخرج بالمسلمين فبيت ربيعة فقاتلوا قتالا شديدا فقتل الحطم. قالوا: وكان المنذر بن النعمان يسمى الغرور، فلما ظهر المسلمون قال: لست بالغرور ولكني المغرور، ولحق هو وفل ربيعة بالخط فأتاها العلاء وفتحها، وقتل المنذر معه، وقيل: بل قتل المنذر يوم جواثا، وقيل:

بل استأمن ثم هرب فلحق فقتل، وكان العلاء كتب الى أبي بكر يستمده فكتب أبو بكر الى خالد بن الوليد وهو باليمامة يأمره بالنهوض اليه، فقدم عليه وقد قتل الحطم، ثم أتاه كتاب أبي بكر بالشخوص الى العراق فشخص من البحرين، وذلك في سنة ١٢، فقالوا: وتحصن المكعبر الفارسي صاحب كسرى الذي وجهه لقتل بني تميم حين عرضوا لعيره بالزارة، وانضم اليه مجوس كانوا تجمعوا بالقطيف وامتنعوا من أداء الجزية، فأقام العلاء على الزارة فلم يفتحها في خلافة أبي بكر وفتحها في خلافة عمر، وقتل المكعبر، وانما سمي المكعبر لأنه كان يكعبر الايدي، فلما قتل قيل ما زال يكعبر حتى كعبر، فسمي المكعبر، بفتح الباء، وكان الذي قتله البراء بن مالك الأنصاري أخو أنس بن مالك. وفتح العلاء السابور ودارين في خلافة عمر عنوة.

بحطيط:

بالفتح ثم السكون، وكسر الطاء: قرية في حوف مصر، بها قبة يقال إن فيها ذبحت بقرة بني إسرائيل التي أمروا بذبحها.

بحير:

بلفظ تصغير بحر، قال أبو الأشعث الكندي في أسماء جبال تهامة: البحير عين غزيرة في يليل وادي ينبع تخرج من جوف رمل من أغزر ما يكون من العيون وأشدها جريا تجري في رمل، ولا يمكن الزارعين عليها أن يزرعوا إلا في مواضع يسيرة بين أحناء الرمل فيها نخيل، يزرع عليها البقول والبطيخ، قال: ومنها شرب

أهل الجار. والجار:
مدينة على ساحل بحر القلزم، قال كثير:." [1]

"ذكر الظفر بالروم

وفي هذه السنة خرجت الروم في مائة ألف، فنزلوا على قلمية، وهي على ستة أميال من طرسوس، فخرج إليهم بازمان ليلا، فبيتهم في ربيع الأول، فقتل منهم، فيما يقال: سبعين ألفا، وقتل مقدمهم، وهو بطريق البطارقة، وقتل أيضا بطريق القبازيق، وبطريق الناطليق، وأفلت بطريق قرة وبه عدة جراحات، وأخذ لهم سبع صلبان من ذهب وفضة ؛ وصليبهم الأعظم من ذهب مكلل بالجوهر، وأخذ خمسة عشر ألف دابة، ومن السروج وغير ذلك، وسيوفا محلاة، وأربعة كراسي من ذهب، ومائتي كرسي من فضة، وآنية كثيرة، ونحوا من عشرة آلاف علم ديباج، وديباجا كثيرا (وبزيون) وغير ذلك.

ذكر وفاة الحسن بن زيد، وولاية أخيه محمد

وفيها توفي الحسن بن زيد العلوي صاحب طبرستان في رجب، وكانت ولايته تسع عشرة وثمانية أشهر وستة أيام، وولي مكانه أخوه محمد بن زيد.

وكان الحسن جوادا امتدحه رجل فأعطاه عشرة آلاف درهم، وكان متواضعا لله تعالى.

حكي عنه أنه مدحه شاعر فقال: الله فرد، وابن زيد فرد، فقال: بفيك الحجر، يا كذاب، **هلا قلت** الله

---

(١) معجم البلدان الحموي، ياقوت ١/٣٤٩

فرد، وابن زيد عبد! ثم نزل عن مكانه، وخر ساجدا لله تعالى، وألصق خده بالتراب، وحرم الشاعر.
وكان عالما بالفقه والعربية، مدحه شاعر فقال:." [١]

"على الذات وقد بينا فيما سلف سخف هذا المعتقد وتشنيع هذا المعتمد ثم إن ما أوجب لكم القول بمنع صدور الكثرة عن واجب الوجود إنما هو كونه واحدا وأن الواحد لا يصدر عنه إلا واحد ولا بد لكم في هذه الدعوى من العود إلى هدم ما بنيتموه ونقض ما أبرمتموه وذلك أنه لو لزم من كونه واحدا وحدة ما صدر عنه فيجب أن يكون ما صدر عن معلوله ايضا واحد لكونه واحد وهكذا لا يزال الحكم بصدور الواحد دائماوهو مما يوجب امتناع وقوع الكثرة في المعلولات وتناقض قولكم في صدور الكثرة عن المعلول الاول حيث قلتم إن المعلول الاول يصدر عنه عقل آخر ونفس وجرم هو الفلك الأقصى ثم إن صدور الكثرة عن المعلول الأول اما أن تكون وهو متحد أو متكثر فإن كان واحدا فقد ناقض قولكم إن الواحد لا يصدر عنه الا واحد **فهلا قلتم** بصدور الكثرة عن واجب الوجود وان كان واحدا كما قلتم بصدور الكثرة عما صدر عنه وهو واحد وان قلتم إن ما صدر عنه الكثرة متكثر فقد قلتم بصدور الكثرة عن واجب الوجود وأفسدتم ما ظننتم إحكامه وما رمتم إتقانه وذلك خسف القول والفعال

فإن قيل لا محالة أن المعلول الاول واجب الوجود بالواجب بذاته وكل ما هو واجب بغيره فهو ممكن باعتبار ذاته من حيث أن ذاته لا جائز أن تكون واجبة وإلا لما كن واجبا بغيره ولا جائز أن تكون ممتنعة وإلا لما وجدت ولا بالغير فتعين أن يكون باعتبار ذاته ممكنا وهو لا محالة يعلم ذاته ويعلم مبدأه وهذه الجهات كلها ليست له عن." [٢]

"منهم ما اكتسب من الإثم والذي تولى كبره منهم له عذاب عظيم [النور: ١١] قيل: إنه حسان بن ثابت وأصحابه، ويقال: عبد الله بن أبى وأصحابه.

ثم قال: لولا إذ سمعتموه ظن المؤمنون والمؤمنات بأنفسهم خيرا وقالوا هذا إفك مبين أى **هلا قلتم** إذ سمعتموه كما قال أبو أيوب الأنصارى وصاحبته أم أيوب، وذلك أنها قالت لزوجها: يا أبا أيوب، ألا تسمع ما يقول الناس فى عائشة؟

قال: بلى وذلك الكذب، أكنت يا أم أيوب فاعلته؟ قال: لا والله ما كنت لأفعله. قال: فعائشة والله خير منك.

---

(١) الكامل في التاريخ ابن الأثير، أبو الحسن ٤٢٦/٦

(٢) غاية المرام في علم الكلام الآمدي، أبو الحسن ص/٢٠٨

ثم قال تعالى: إذ تلقونه بألسنتكم وتقولون بأفواهكم ما ليس لكم به علم وتحسبونه هينا وهو عند الله عظيم. فلما نزل هذا فى عائشة وفيمن قال لها ما قال قال أبو بكر- رحمه الله وكان ينفق على مسطح لقرابته وحاجته: والله لا أنفق على مسطح أبدا ولا أنفعه بنفع أبدا بعد الذى قال لعائشة وادخل علينا. قالت: فأنزل الله فى ذلك ولا يأتل أولوا الفضل منكم والسعة أن يؤتوا أولي القربى والمساكين والمهاجرين في سبيل الله وليعفوا وليصفحوا ألا تحبون أن يغفر الله لكم والله غفور رحيم [النور: ٢٢] قالت: فقال أبو بكر: بلى، والله إنى لأحب أن يغفر الله لى فرجع إلى مسطح نفقته التى كان ينفق عليه وقال: والله لا أنزعها منه أبدا.
وذكر ابن إسحاق «١» : أن حسان بن ثابت مع ما كان منه فى صفوان بن المعطل من القول السيء قال مع ذلك شعرا يعرض فيه بصفوان ومن أسلم من مضر يقول فيه:
أمسى الجلابيب قد عزوا وقد كثروا ... وابن الفريعة أمسى بيضة- البلد
فلما بلغ ذلك ابن المعطل اعترض حسان بن ثابت فضربه بالسيف ثم قال:
تلق ذباب السيف عنى فإننى ... غلام إذا هو جيت لست بشاعر
فوثب عند ذلك ثابت بن قيس بن شماس على صفوان فجمع يديه إلى عنقه بحبل ثم انطلق به إلى دار بنى الحارث بن الخزرج، فلقيه عبد الله بن رواحة فقال: ما هذا؟ قال:
أما أعجبك ضرب حسان بالسيف؟ والله ما أراه إلا قد قتله. فقال له ابن رواحة: هل علم رسول الله صلى الله عليه وسلم بشىء مما صنعت؟ قال: لا والله. قال: لقد اجترأت، أطلق الرجل.
فأطلقه.

---

(١) انظر السيرة (٣/ ٢٧٨) .." [١]

"قال له بعض الأجلاء: تقع فى الناس، فمن أبوك! قال أبو عبيدة: أخبرنى أبى عن أبيه أنه كان يهوديا من أهل باجروان [١]. فمضى الرجل وتركه.
ولم يكن أحد بالبصرة إلا وهو يداجى أبا عبيدة، ويتقيه على عرضه، وكان يميل إلى مذهب الخوارج. وقال أبو حاتم: كان أبو عبيدة يكرمنى على أننى من خوارج سجستان. وقال التوزى: دخلت على أبى عبيدة مسجده وهو جالس وحده ينكت فى الأرض، فقال لى: من القائل:
أقول لها وقد جشأت وجاشت ... مكانك تحمدى أو تستريحى

---

(١) الاكتفاء بما تضمنه من مغازي رسول الله – صلى الله عليه وسلم – والثلاثة الخلفاء أبو الربيع الكلاعي ٤٦٢/١

فقلت: قطرى بن الفجاءة [٢]، فقال: فض الله فاك! **هلا قلت**: هو لأمير المؤمنين أبى نعامة [٣]! ثم قال لى: اجلس واكتم على ما سمعت منى، قال: فما ذكرته حتى مات.

---

[١] باجروان: قرية من ديار مضر بالجزيرة.

[٢] كذا ذكره المؤلف وابن خلكان، والصحيح أن هذا البيت من أبيات أربعة لابن الإطنابة؛ أوردها القالى فى أماليه (١: ٢٥٨)؛ وهى بروايته:

أبت لى عفتى و أبى بلائى ... وأخذى الحمد بالثمن الربيح

وإعطائى على الإعدام مالى ... وضربى هامة البطل المشيح

وقولى كلما جشأت وجاشت ... رو يدك تحمدى أو تستريحى

لأدفع عن مآثر صالحات ... وأحمى بعد عن عرض صحيح

وهى أيضا فى عيون الأخبار ١: ١٢٦، وابن أبى الحديد ٢: ٢٨٦، وشواهد المغنى ١٨٦، والطبرى ٦: ١٣. وصحة الخبر ما رواه أبو الطيب اللغوى فى مراتب النحويين ص ٧٣ عن التوزى:

«دخلت على أبى عبيدة وهو جالس فى مسجده وحده ينكت فى الأرض؛ فرفع رأسه إلى وقال: من القائل:

أقول لها وقد جشأت وجاشت ... من الأطماع ويحك لن تراعى

فإنك لو سألت بقاء يوم ... على الأجل الذى لك لم تطاعى

فقلت: قطرى بن الفجاءة الخارجى. قال: فض الله فاك! **فهلا قلت**: لأمير المؤمنين أبى نعامة ... »

ثم ساق بقية الخبر.

[٣] هى كنية قطرى بن الفجاءة بن مازن الخارجى: كان زعيما من زعماء الخوارج؛ خرج زمن مصعب ابن الزبير سنة ٦٦، وبقى عشرين سنة يقاتل ويسلم عليه بالخلافة، وكان الحجاج يسير إليه جيشا بعد جيش؛ وهو يستظهر عليه، إلى أن توجه إليه سفيان بن أبرد الكلبى فظهر عليه وقتله سنة ٧٨.

ابن خلكان (١: ٤٣٠).." (١)

"شهدت لقد أقوت مغانيكم بعدي ... ومحت كما محت وشائع من برد

حتى انتهيت الى قوله:

كريم متى أمدحه أمدحه والورى ... معي ومتى ما لمته، لمته وحدي

---

(١) إنباه الرواة على أنباه النحاة القفطي، جمال الدين ٣/٢٨١

فقال: هل تعرف في هذا البيت عيبا؟ قلت: نعم، قابل المدح باللوم فلم يوف التطبيق حقه إذ حق المدح أن يقابل بالهجو والذم، فقال: غير هذا أردت، قلت: ما أعرف، قال: أحد ما يحتاج إليه في الشعر سلامة حروف اللفظ من الثقل، وهذا التكرير في أمدحه، أمدحه مع الجمع بين الحاء والهاء مرتين، وهما من حروف الحلق، خارج عن حد الاعتدال، نافر كل النفار. قلت: هذا لا يدركه إلا من انقادت وجوه العلم له وأنهضه الى ذراها طبعه.

قيل: وسمع الأصمعي قول الأعشى:

كأن مشيتها من بيت جارتها ... مر السحابة لا ريث ولا عجل

فقال: لقد جعلها خراجة ولاجة، هلا قال كما قال الآخر:

ويكرمها جاراتها فيزرنها ... وتعتل عن إتيانهن فتعذر

وأقول: إن نقد الشعر صناعة لا يعرفها حق معرفتها إلا من قد دفع الى مضائق القريض وتجرع غصص اعتياصه عليه، وعرف كيف يتقحم مهاويه ويترامى إليه. قال أبو العباس محمد بن يزيد المبرد: قال لي عمارة بن عقيل بن بلال بن جرير قال لي مروان بن أبي حفصة: إن المأمون لا بصيرة له بالشعر، قلت له: وكيف ذاك، وإنا لننشده صدر البيت فيسبقنا الى عجزه ولم يكن قد سمعه من قبل؟ قال: إني قلت فيه شعرا جيدا فلم يهتز له، قال: فقلت له: وما الذي قلت فيه؟ فأنشدني:

أضحى إمام الهدى المأمون مشتغلا ... بالدين والناس بالدنيا مشاغيل

قال: فقلت له: ما صنعت شيئا، وما زدت على أن جعلته عجوزا في محرابها بيدها سبحتها، فمن يقوم بأمر الدنيا إذا كان الخليفة مشغولا عنها، وهو المطوق أمرها؟ **هلا قلت** كما قال عمك جرير في عبد العزيز بن الوليد بن عبد الملك:

فلا هو في الدنيا مضيع نصيبه ... ولا عرض الدنيا عن الدين شاغله

وهذا نقد حسن.

وحكى أبو عثمان الجاحظ قال: طلبت علم الشعر عند الأصمعي فوجدته لا يعرف إلا غريبه، فرجعت الى الأخفش فوجدته لا يتقن إلا إعرابه، فعطفت على أبي عبيدة فرأيته لا ينفذ إلا فيما اتصل بالأخبار وتعلق بالأيام والأنساب، فلم أظفر بما أردت، إلا عند أدباء الكتاب؛ كالحسن بن وهب ومحمد بن عبد الملك الزيات، فلله در أبي عثمان، لقد غاص على سر الشعر، واستخرج أدق من السحر، والشاعر يحكم له على الشاعر ببيت واحد، والبيت يفضل على البيت بكلمة واحدة، ألا ترى الى قول امرئ القيس:

وقوفا بها صحبي علي مطيهم ... يقولون لا تهلك أسى وتجمل

وقول طرفة البيت بجملته، ثم ختمه بقوله: وتجلد، وهما شاعران مفلقان، وقدرنا أنهما قد تواردا، ولم نحكم على طرفة بالسرقة، ودعينا الى الحكم بينهما، وتفضيل أحد البيتين على الآخر، وليس فيهما من الاختلاف سوى التجمل والتجلد. فمن النقد الحسن تفضيل التجمل على التجلد، والحكم بالبيت لصاحبه، لأن التجمل إبداء تحسن عن قوة ومادة متصلة من المكنة. والتجلد إبدا تحسن عن ضعف، ومادة متصلة من العجز، وبين اللفظتين بون بعيد. ولو دعينا الى الحكم بين لقيط بن زرارة ومن حذا حذوه في قوله:

فتى يشتري حسن الثناء بماله ... ليبقى وما أبقيت مثل المحامد

وقول الحكمي:

فتى يشتري حسن الثناء بماله ... ويعلم أن الدائرات تدور

وقول الآخر:

فتى يشتري حسن الثناء بماله ... إذا السنة الشهباء قل قطارها." (١)

"قال المنصور: فقلت له: كم كان مروان أعطاك؟ قال: أغناني غنى الأبد، فما أسأل أحدا بعده، قال: فهممت بقتله، ثم ذكرت حق الاسترسال، وحرمة الصحبة، فأطلقته، وبدا لي فأمرت بطلبه فكأن البيداء أبادته وروي أن يزيد بن رويم الشيباني، وكان رجلا مسياعا فأراح إبله ذات ليلة من المرعى على أبيه، فقال له أبوه: لم تعشها؟ فقال: بلى قد فعلت، فدفع أبوه ثوبه في وجوه الإبل فنفرها وصرفها الى المرعى وقال: أحسن عشاءها، فقال الغلام: إني لأحسب غيرك سيبيت ربها. فلما صار الى الموضع الذي يعشي إبله فيه، مر به سرحان بن أرطأة السعدي في مقنب له، فساق الإبل وأخذ الغلام فأوثقه شدا على بعض تلك الأباعر فرفع الغلام عقيرته وأنشد:

يا ويح أم لي علي كريمة ... فقدي لها شجن من الأشجان

إن الذي ترجين نفع إيابه ... سقط العشاء به على سرحان

سقط العشاء به على متقمر ... ثبت الجنان معاود التطعان

فلما سمع سرحان بن أرطأة شعره قال له: أشاعر؟ قال: نعم، قال: خلوا عنه، فأطلقه ورد عليه إبله. وقولهم في المثل: وقع العشاء به على سرحان، قيل: السرحان هاهنا الذئب، وقال قوم: بل هو سرحان بن معتب الغنوي، وكان قد أغار على إبل نصيحة الأسدي، فقال أخوه هزيلة بن معتب:

---

(١) نضرة الإغريض في نصرة القريض المظفر بن الفضل ص/٤٠

أبلغ نصيحة أن راعي إبله ... سقط العشاء به على سرحان

سقط العشاء به على متقمر ... لم يثنه خوف من الحدثان

والرواية الصحيحة ما ذكرناه أولا. ولولا الشعر والشاعر، لذهبت النفس والأباعر.

وقال المفضل الضبي: كنت الى جنب إبراهيم بن عبد الله بن حسن بن علي بن أبي طالب رضي الله عنه يوم لقائه عسكر المنصور، فالتفت إلي وقال: يا مفضل أنشدني شيئا، فقلت: إنه يريد مني ما أحركه به، فأنشدته أبيات عويف الفزاري:

أقول لفتيان كرام تروحوا ... على الجرد في أفواههن الشكائم

قفوا وقفة من يحي لا يخز بعدها ... ومن يخترم لا تتبعه اللوائم

وما أنت باعدت نفسك عنهم ... لتسلم منها، آخر الدهر سالم

فقال: يا مفضل أعد. فأعدت ثلاثا، فتمطى في ركبه حتى قلت تقطعت، وحمل مرة بعد مرة يقتل في كل واحدة النفس والعشرة الى أن حمل فلم يعد. وقيل: جاءه سهم عائر فذبحه.

وحكى شرحبيل بن معن بن زائدة قال: كنت بطريق مكة فسرت تحت قبة يحيى بن خالد، وعديله أبو يوسف القاضي إذ أقبل رجل على نجيب، فأنشد شعرا لم يرضه يحيى، وقال له: ألم أنهك عن قول مثله؟ هلا قلت كما قال الشاعر:

بنو مطر يوم اللقاء كأنهم ... أسود لها في غيل خفان أشبل

لهاميم في الإسلام سادوا ولم يكن ... لأولهم في الجاهلية أول

هم يمنعون الجار حتى كأنما ... لجارهم بين السماكين منزل

هم القوم إن قالوا أصابوا وإن دعوا ... أجابوا وإن أعطوا أطابوا وأجزلوا

ثلاث بأمثال الجبال حلومهم ... وأحلامهم منها لدى الروع أثقل

وما يستطيع الفاعلون فعالهم ... وإن أحسنوا في النابيات وأجملوا

فقال أبو يوسف ليحيى: لله در قائله! لمن هذا الشعر؟ فقال يحيى: لمروان بن أبي حفصة في والد هذا الفتى، ورمقني بطرفه، فالتفت أبو يوسف إلي وقال: من أنت يا فتى؟ فقلت: شرحبيل بن معن بن زائدة. قال شرحبيل: فوالله ما أعرف دخل على قلبي سرور أعظم من سروري بذلك، ولا مرت علي ساعة أطيب من تلك الساعة.

وقيل لما بلغ علقمة قول الأعشى:

تبيتون في المشتى ملاء بطونكم ... وجاراتكم غرثى يبتن خمائصا." (١)

"فقد ثبت جواز النسخ عقلا ودللنا على وقوعه شرعا وانقطعت معاذير اليهود١. - والله ربنا المحمود

١٤- فضيحة أخرى: زعم اليهود: "أن روح الله قبل خلقه العالم كانت ترفرف على المياه"٢. انظر - عافاك الله - إلى سوء هذا التعبير وسماجته، كأنهم يعتقدون أن حياة الباري تزايله وتفارق ذاته. فإن قالوا: إنما عنينا أن المياه كانت مصونة بحفظه عن الضياع.

قلنا لهم: فليس للمياه اختصاص بذلك فهلا قلتم: وصان الله المياه وحفظها كي لا تضيع، ولم استعملتم هذا اللفظ الموهم الموجب للالتباس، القاضي بالفكر الرديء والوسواس؟!

---

١ ر: في إثبات انسخ وإلزام اليهود والنصارى بذلك: إفحام اليهود ص ٨٦-١٠٢، للسموأل المغربي، مقامع هامات الصلبان ص ٢٦٥-٢٦٧، لأبي عبيدة الخزرجي، التمهيد ص ٢٠٤-٢١٩، للباقلاني، الداعي إلى الإسلام ص ٣١٩-٣٤٠، للأنباري، إغاثة اللهفان ص ٦٤٦-٦٥٢، لابن القيم، إظهار الحق ص ٢٩٥-١٣٣، لرحمة الله. وغيرها.

٢ سفر التكوين ١/٢.

وقد ورد في السنن القويم في تفسير أسفار العهد القديم ١/١٨، تفسير النص كالآتي: "وروح الله يرف على وجه المياه، أو ريح الله، وأكثر مفسري اليهود يفسرون الروح هنا بريح عظيمة من الله واعتاد العبرانيون أن ينسبوا إلى الله ما يريدون تعظيمه، وعلى هذا، ذهب جماعة من علماء التفسير إلى أن المقصود (بالروح) هنا: ريح عظيمة بدد الله بها ظلمات الغمر والخلو". اهـ.

ويقول الفيلسوف اليهودي سبينوزا في: (رسالة اللاهوت والسياسة ص: ١٣٥-١٣٨) : "تدل كلمة (رواه) في معناه الأصلي على الريح كما هو معروف، ولكنها تستعمل أيضا في كثير من الأحيان بمعان أخرى مشتقة من المعنى الجأول، فتقول مثلا: ١- نسمة. ٢- نفخ أو تنفس. ٣- الشجاعة أو القوة. ٤- الصفة أو القدرة. ٥- الرأي أو الفكرة إلى غير ذلك - ثم يقول: وهكذا يسهل علينا تفسير كل نصوص الكتاب

---

(١) نضرة الإغريض في نصرة القريض المظفر بن الفضل ص/٥٨

التي يرد فيها ذكر روح الله، فعبارة (روح الله) أو روح (يهوه) لا تعني في بعض النصوص إلا ريحا قوية جافة عاتية، كما في سفر التكوين ١/٢". اهـ.." (١)

"قال البغويون الذي كانوا مع أبي مسلم: مكثنا مع أبي جعفر المنصور هنة نغدو من قطربل إلى الموضع الذي فيه المدينة نرتاد موضعا، فبينا نحن إذ وقف على قائم – في باب الشأم – وفيه راهب، فأشرف عليه، فقال: أراك منذ شهور تدور وتكثر الترداد. فقال: أريد أن أبني في هذا الموضع مدينة. فقال له الراهب: لست صاحبها، إنا نجد أن صاحبها يقال له مقلاص! فقال أبو جعفر المنصور: أنا والله صاحبها، كنت أدعى وأنا صبي في الكتاب بمقلاص! فأمر حينئذ أن تصور له المدينة.

ووضع المنصور أول لبنة بيده وقال: بسم الله والحمد لله (يورثها من يشاء من عباده والعاقبة للمتقين) ، ابنوا على بركة الله! – وولي أبا حنيفة الفقيه القيام ببناء المدينة وبضرب اللبن وعدده حتى فرغ من استتمام بناء المدينة مما يلي الخندق، وذلك في سنة تسع وأربعين ومائة.

وخرج الأمر بأن يعمل على المدينة ثمانية أبواب حديد مما يلي كل ربع – ب ا بين بابا على الخندق وبابا على السور. قال: فمن الثمانية خمسة مما كان على مدينة الزندورد، وهي مدينة كانت في ظهر واسد من عمل الشياطين لسليمان ان داود، فنقلها الحجاج إلى واسط حين بناها، وهي الأربعة الأبواب الداخلة من كل باب، والخامس باب البصرة الخارج؛ وأما الباب السادس الخارج من باب خراسان من عمل الشأم فهو من عمل الفراعنة، وباب الخارج من باب الكوفة جيء به من الكوفة عمله خالد بن عبد الله القسري، وباب الشأم الخراج عمله المنصور وهو أضعفها.

ولما تم بناء المدينة وأراد المنصور النقلة إلى قصره بباب الذهب وقف على باب القصر يتأمله، فإذا على الحائط مكتوب: ادخل القصر " من الخفيف ":

ادخل القصر لاتخاف زوالا ... بعد ستين من سنيك رحيل

فوقف مليا، فتغرغرت عينه، ثم قال: بقية لعاقل وفسحة لجاهل! كأنه حسب ما بقي من السنين. – ومات أبو جعفر المنصور ببئر ميمون لست من ذي الحجة سنة ثمان وخمسين وهو ابن أربع وستين سنة، فعاش بعد بناء المدينة اثنتي عشرة سنة، وفد عليه بطريق من بطارقة الروم، فأمر الربيع أن يطوف به في المدينة وما حولها. فلما انصرف قال: كيف رأيتها.؟ قال: حسنا إلا أن أعداءك معك. قال: ومن هم؟ قال: السوقى. قال: فلما خرج البطريق أمر بإخراجهم من المدينة، ثم أمر ببناء القصر الجديد الذي يسمى الخلد، وكان

---

(١) تخجيل من حرف التوراة والإنجيل صالح الجعفري ٢/٥٥٥

ينهي عن تسميته بهذا الاسم.

ومن أخبار العلماء والنحاة والرواة من أهل بغداد ومن طرأ عليها من الامصار

منهم ابن يسار القرشي المدني هو

٩٠ - محمد بن إسحاق بن يسار

أبو عبد الله، ويقال: أبو بكر، ويسار مولى عبد الله بن قيس بن مخرمة وهو أول سبي دخل المدينة من العراق. سمع من ابن شهاب والأعمش، وهو أول من جمع مغزي رسول الله صلى الله عليه وسلم. وتوفي ببغداد سنة أربع وخمسين ومائة. وقال عنه سفيان: هو أمير المؤمنين في الحديث لحفظه، وكان يتشيع يقدم عليا على عثمان.

٩١ - ومن أخبار ابن دأب

كان أبو الوليد عيسى بن يزيد بن بكر بن دأب من رواة الأخبار والأشعار وحفاظهم، وكان من الحجاز، وجده دأب بن كرز بن عبد الله بن أحمر.

وعد المهدي ابن دأب جارية، ثم وهبها له، فأنشد عبد الله بن مصعب الزبيري قول مضرس الأسدي " من الطويل ":

فلا تيأسن من صالح أن تناله ... وإن كان قدما بين أيد تبادره

فضحك المهدي وقال: ادفعوا إلى عبد الله فلانة لجارية أخرى! فقال عبد الله " من الرجز ":

أنجز خير الناس قبل وعده ... أراح من مطل وطول كده

فقال أبن دأب: ماقلت شيئا؟ **هلا قلت** " من الرجز ":

حلاوةث الفضل بوعد ينجز ... لا خير في العرف كنهب ينهز

وقال إبراهيم بن المنذر الحزامي: أملي علي محمد بن مناذر " من الوافر ":

ومن يبغ الوصاة فإن عندي ... وصاة للكهول وللشباب

خذوا عن مالك وعن ابن عون ... ولا ترزووا أحاديث ابن دأب

ترى الغاوين يتبعون منها ... ملاهي من أحاديث الكذاب

إذا طلبت منافعها اضمحلت ... كما يرفض رقاق السراب." (١)

---

(١) نور القبس اليغموري ص/١١٤

"أعرف عمرك إنه لم يكن عندي دواء إلا الغم، فلم أقدر أجلب إليك الغم إلا بهذه العلة، فأذاب شحم الكلى؛ فأجازه وأحسن إليه.

(آيا صوفيا: ٩٢ أ)

جميل بثينة

(الترجمة رقم: ١٢٤، ص: ٣٦٦، س: ١٨، بعد الرقم (٣٥))

وقيل إن عائشة بنت طلحة أرسلت إلى كثير فقالت: يا ابن أبي جمعة، ما الذي يدعوك إلى أن تقول في عزة من الشعر ما قلت وليست من الحسن على ما تصف، ولو شئت صرفت ذلك عنها إلى غيرها ممن هو أولى به منها أنا ومثلي، فإني أشرف وأجمل وأوصل من عزة، وإنما أرادت أن تخبره بذلك، فقال:

إذا ما أرادت خلة أن تزيلها ... أبينا وقلنا الحاجبية أول

سنوليك عرفا إن أردت وصالنا ... ونحن لتلك الحاجبية أوصل

لها مهل لا يستطاع إدراكه ... وسابقة في القلب لا تتحول فقال له عائشة: أخطأت استك الحفرة يا أبا صخر؛ لقد أسميتني خلة وما أنا لك بخلة، وعرضت علي وصلك وما أريده، ولو أردته أنت لكرهته أنا، وإنما أردت أن أبول ما عندك قولا وفعلا فما أفلحت ولا أنجحت؛ **هلا قلت** كما قال سيدك جميل:

ويقلن إنك قد رضيت بباطل ... منها فهل لك في اجتناب الباطل

ولباطل ممن أحب حديثة ... أشهى إلي من البغيض الباذل وقال بعض الرواة: دخلت بثينة وعزة على عبد الملك بن مروان، فانحرف إلى عزة وقال: أنت عزة كثير قالت: لست لكثير بعزة ولكني أم بكر، قال أتروين قول كثير:

وقد زعمت أني تغيرت بعدها ... ومن ذا الذي يا عز لا يتغير." (١)

"بالقوم فيقولون: من هذا بين يديك يا أبا بكر فيقول: هاد يهديني. وهذا الحديث يدل على أنه أسن من رسول الله صلى الله عليه وسلم.

ورأى أبو بكر رضي الله عنه رجلا بيده ثوب فقال: أهو للبيع قال: لا أصلحك الله، فقال: **هلا قلت**: لا، وأصلحك الله لئلا يشتبه الدعاء لي بالدعاء علي وقال لرجل قال له: لأشتمنك شتما يدخل معك قبرك، قال: معك يدخل والله لا معي. ومدح قوم أبا بكر رضي الله عنه فقال: الله أعلم بي مني بنفسي، وأنا أعلم بنفسي منكم، فاستغفروا الله مما لا تعلمون، وأسأله أن لا يؤاخذكم بما تقولون، وأن يجعلني خيرا مما

---

(١) وفيات الأعيان ابن خلكان ١/٤٨٠

تظنون.
وحكي أن أبا بكر رضي الله عنه أتى النبي صلى الله عليه وسلم بصدقته فأخفاها فقال: يا رسول الله، هذه صدقتي ولله عندي معاد، وجاء عمر رضي الله عنه بصدقته فأظهرها وقال: يا رسول الله، هذه صدقتي ولي عند الله المعاد، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: يا عمر، وترت قوسك بغير وتر، ما بين صدقتيكما كما بين كلمتيكما.
أولاده لصلبه وأعقابهم: عبد الله بن أبي بكر وأسماء بنت أبي بكر وأمهما قتيلة من بني عامر بن لؤي، وعبد الرحمن وعائشة وأمهما أم رومان بنت الحارث بن الحويرث من بني فراس بن غنم بن كنانة، ومحمد بن أبي بكر أمه أسماء بنت عميس، وأم كلثوم أمها بنت زيد بن خارجة - رجل من الأنصار.
(٨٢) فأما عبد الله بن أبي بكر فإنه شهد الطائف مع النبي صلى الله عليه وسلم فجرح وبقي إلى خلافة أبيه ومات وترك سبعة دنانير فاستكثرها أبوه رضي الله عنه. وولد عبد الله إسماعيل، وهلك ولا عقب له.
(٨٣) وأما أسماء فهي ذات النطاقين وتزوجها الزبير بمكة فولدت له عدة أولاد، ثم طلقها فكانت مع عبد الله ابنها حتى قتل، وبقيت مائة سنة حتى عميت وماتت بمكة رضي الله عنها.
وأما عائشة رضي الله عنها فتزوجها النبي صلى الله عليه وسلم - وقد تقدم ذكرها في هذا الحرف -.
(٨٤) وأما عبد الرحمن بن أبي بكر فشهد يوم بدر مع المشركين ثم أسلم." (١)
"وحدث (١) أبو الفرج الأصبهاني صاحب كتاب " الأغاني " (٢) أن كثيرا خرج من عند عبد الملك بن مروان وعليه مطرف، فاعترضته عجوز في الطريق اقتبست نارا في روثة، فتأفف كثير في وجهها، فقالت: من أنت قال: كثير عزة، فقالت: ألست القائل:
فما روضة زهراء طيبة الثرى ... يمج الندى جثجاثها وعرارها
بأطيب من أردان عزة موهنا ... إذا أوقدت بالمندل الرطب نارها فقال لها كثير: نعم، فقالت: لو وضع المندل الرطب على هذه الروثة لطيب رائحتها، هلا قلت كما قال امرؤ القيس:
ألمترياني كلما جئت طارقا ... وجدت بها طيبا وإن لم تطيب فناولها المطرف وقال: استري علي هذا.
[وسمعت بعض مشايخ الأدب في زمن اشتغالي بالأدب يقول: إن النصف الثاني من البيت الثاني من تتمة أوصاف الروضة أيضا، فكأنه قال: إن هذه الروضة الطيبة الثرى التي يمج الندى جثجاثها وعرارها إذا أوقدت بالمندل الرطب نارها ما هي بأطيب من أردان عزة وعلى هذا لا يبقى عليه اعتراض، لكنه يبعد أن يكون

(١) وفيات الأعيان ابن خلكان ٣/٦٩

هذا مقصوده] (٣) .

وكان كثير (٤) ينسب إلى الحمق، ويروى أنه دخل يوما على يزيد بن عبد الملك فقال: يا أمير المؤمنين، ما يعني الشماخ بقوله:

إذا الأرطى توسد أبرديه ... خدود جوازئ بالرمل عين (٥)

---

(١) ر: وقال.

(٢) الأغاني ١٥: ٢٢٥.

(٣) ما بين معقفين لم يرد إلا في المختار، وقد أثبتناه كذلك للتنبيه إليه وإلا فإنه من أصل المؤلف، ولا بد.

(٤) الشعر والشعراء: ٤١٠.

(٥) الأرطى: نوع من الشجر؛ أبرداه: ظله وفيئه، الجوازئ: التي جزأت بالرطب عن الماء، العين: ذوات الأعين النجل، يصف بقر وحش جزأت بالطرب عن الماء.." (١)

"قال أبو حاتم السجستاني: كان أبو عبيدة يكرمني على أنني من خوارج سجستان. وقال الثوري: دخلت المسجد على أبي عبيدة، وهو ينكت الأرض جالسا وحده فقال لي: من القائل:

أقول لها وقد جشأت وجاشت ... مكانك تحمدي أو تستريحي فقلت له: قطري بن الفجاءة، فقال: فض الله فاك! **هلا قلت**: هو لأمير المؤمنين أبي نعامة، ثم قال لي: اجلس، واكتم على ما سمعت مني، قال: فما ذكرته حتى مات.

قلت أنا: وهذه الحكاية فيها نظر، لأن البيت من جملة أبيات لعمرو ابن الإطنابة الخزرجي الأنصاري، والإطنابة أمه، وسام أبيه زيد مناة، لا يكاد يخالف فيه أحد من أهل الأدب، فإنها أبيات مشهورة للشاعر المذكور.

وذكر المبرد في كتاب الكامل (١) أن معاوية بن أبي سفيان الأموي قال: اجعلوا الشعر أكبر همكم وأكثر آدابكم، فإن فيه مآثر أسلافكم، ومواضع إرشادكم، فلقد رأيتني يوم الهرير وقد عزمت على الفرار فما ردني، إلا قول ابن الإطنابة الأنصاري:

أبت لي عفتي وأبى بلائي ... وأخذي الحمد بالثمن الربيح

---

(١) وفيات الأعيان ابن خلكان ٤/١١٠

وإجشامي على المكروه نفسي ... وضربي هامة البطل المشيح

وقولي كلما جشأت وجاشت ... مكانك تحمدي أو تستريحي

لأدفع عن مآثر صالحات ... وأحمي بعد عن عرض صريح رجعنا إلى حديث أبي عبيدة:

وكان لا يقبل شهادته أحد من الحكام أنه كان يتهم بالميل إلى الغلمان؛ قال الأصمعي: دخلت أنا وأبو عبيدة يوما المسجد، فإذا على الاسطوانة التي

---

(١) الكامل ٤: ٦٨.." (١)

"وقد روي أن مسلم بن الوليد لما انتهى في إنشاء هذه القصيدة إلى هذا البيت قال له يزيد بن مزيد الممدوح: **هلا قلت** كما قال أعشى بكر بن وائل في مديح قيس بن معدي كرب:

وإذا تجيء كتيبة ملمومة ... شهباء تجتنب الكماة نزالها

كنت المقدم غير لابس جنة ... بالسيف تضرب معلما أبطالها فقال مسلم: قولي أحسن من قوله، لأنه وصفه بالخرق وأنا وصفتك بالحزم (١) .

الخرق: بضم الخاء المعجمة وسكون الراء وبعدها قاف، وهو الاسم من عدم معرفة العمل.

قلت: وقيس الذي مدحه الأعشى هو والد الأشعث بن قيس الكندي أحد الصحابة رضوان الله عليهم.

قلت: وقد تقدم الكلام على قوله:

قد عود الطير عادات وثقن بها ... وأنه أخذ هذا المعنى من أبيات النابغة البائية التي تقدم ذكرها، وقد وافقه في أخذ هذا المعنى جماعة منهم أبو فراس، قال عمر الوراق: سمعت أبا نواس ينشد قصيدته الرائية التي أولها (٢) :

أيها المنتاب من عفره ... لست من ليلي ولا سمره

لا أذود الطير عن شجر ... قد بلوت المر من ثمره فحسدته عليها، فلما بلغ إلى قوله:

وإذا مج القنا علقا ... وتراءى الموت في صوره

راح في ثنيي مفاضته ... أسد يدمى شبا ظفره

---

(١) وفيات الأعيان ابن خلكان ٥/٢٤١

(١) تروى حكاية مشابهة جرت بين كثير وعبد الملك بن مروان.

(٢) ديوان أبي نواس: ٦٦.." (١)

"صهره ابن سعيد اتهمه فسجنه في برد من طرطوشة ثم قتله هناك ودخل صاعد البغدادي على المنصور في يوم عيد فازدحم على حافة الصهريج فسقط في الماء فضحك المنصور وأمر بإخراجه وخلع عليه وقال له هل حضرك شيء فقال شيئان كانا في الزمان فاستبردوا ما أتى به فقال الجزيري **هلا قلت** ...

سروري بغرتك المشرقة ... وديمة راحتك المغدقة

ثناني نشوان حتى غرقت ... في لجة البركة المطبقة

لئن ظل عبدك فيها الغريق ... فجودك من قبلها اغرقة ...

فقال المنصور لله درك يا أبا مروان قسناك بأهل بغداد ففضلتهم فبمن تقاس بعد وأنهضه يومئذ للشرطة وشرب ليلة مع المنصور فكان ما أوجب أن ارتجل ... أرى بدر السماء يلوح حينا ... فيبدو ثم يلتحف السحابا

وذلك أنه لما تبدى ... وأبصر وجهك استحيا وغابا ...

وله في اعتقاله القصيدة المشهورة الطويلة التي يوصى بها ولده منها ... وبضمر الأقلام يبلغ أهلها ... ما ليس يبلغ بالجياد الضمر ...." (٢)

"والله لولا خصلة ارقبها ... لقل في الدنيا لما بي لبثي

الشعر لإبراهيم وله فيه لحنان أحدهما ثقيل أول عن أبي العنبس والآخر هزج بالبنصر عن عمرو وفيه لعريب ثقيل أول آخر وذكر حبش أن فيه لإبن جامع هزجا بالوسطى.

وذكر هرون بن الزيات أن حماد دثه عن أبيه أن ثعلبا هذا كان مملوكا لإبراهيم فقال هذه الأبيات في خنث جارية جزه بن مغول الموصلي وكانت مغنية محسنة وخاطب ثعلبا فيها مستخيرا له.

وذكر هرون بن محمد بن عبد الملك أن حماد بن إسحق حدثه عن أبيه أنه قال في خنث جارية جزه بن مغول الموصلي وخاطب في شعره غلاما يقال له ثعلب وكانت خنث مغنية محسنة وكانت تعرف بذات الخال.

قال:

---

(١) وفيات الأعيان ابن خلكان ٦/٣٣٤

(٢) المغرب في حلى المغرب ابن سعيد المغربي ١/٣٢٢

ثعلب يا هذا الكثير الخبث ... بالله ألا قلت لي عن خنث

وذكر الأبيات قال له أيضا:

أيد لذات الخال يا ثعلب ... قول أمريء في حبه لا يكذب

إني أقول الحق فأستيقني ... كل أمريء في حبه يلعب

الشعر والغناء لإبراهيم هـ فيه رحنان رمل وخفيف ثقيل عن إبن المكي ومنها:

جزى الله خيرا من كلفت بحبه ... وليس به إلا المموه من حسبي

وقالوا قلوب العاشقين رقيقة ... فما بال ذات الخال قاسية القلب

وقالوا لها هذا محبك معرضا ... فقالت أرى إعراضه أيسر الخطب

فما هو إلا نظرة بتبسم ... فتنشب رجلاه ويسقط للجنب

ومنها:

إن لم يكن حب ذات الخال عناني ... إذا فحولت في مسك إبن زيدان

فإن هذي يمين ما حلفت بها ... إلا على الحق في سري وإعلاني

الشعر والغناء لإبراهيم هزج بالبنصر ومنها:

لقد أخلو ذات الخا ... ل والحراس قد هجعوا

فمن يبصر أبا الخطا ... ب يطلبها ويتبع

ألا لن تر محزونا ... يتيم صبره الجزع

وقارعني ففزت بها ... وحازتها لي القرع

غناء إبراهيم من رواية تدل عنه ولم يذكر طريقته.

قال علي بن محمد الهشامي: حدثني حدي يعني إبن حمدون قال: حدثني مخارق قال: كنت عند إبراهيم الموصلي ومعي إبن زيدان صاحب البرامكة وإبراهيم يلاعبه بالشطرنج فدخل علينا إسحق فقال له أبوه: ما أفدت اليوم فقال أعظم فائدة، سألني رجل ما أفخم كلمة في الفم فقلت له لا إله إلا الله، فقال له أبوه إبراهيم: أخطأت هلا قلت دنيا ودينا، فأخذ إبن زيدان الشاه فضرب به رأس إبراهيم وقال: يا زنديق أتكفر بحضرتي، فأمر إبراهيم غلمانه فضربوا إبن زيدان ضربا شديدا، فأنصرف من ساعته إلى جعفر بن يحيى فحدثه بخبره قال: وعلم إبراهيم أنه قد أخطأ وجنى فركب إلى الفضل بن يحيى فأستجار به فأستوهبه الفضل من جعفر فوهبه له، فأنصرف وهو يقول:

إن لم يكن حب ذات الخال عناني ... إذا فحولت من مسك إبن زيدان

فإن هذين يميني ما حلفت بها ... إلا على الصدق في سري وإعلاني

قال وله في هذين البيتين صنعة وهي هزج ومنها:

من يرحم مجنونا ... بذات الخال مفتونا

أبى فيها فما بلو ... وكل الناس بلونا

فقد أودى به السقم ... وقد أصبح مجنونا

فإن دام على هذا ... ثوى في اللحد مدفونا

الشعر والغناء لإبراهيم خفيف ثقيل عن الهشامي ومنها:

لذات الخال أرقني ... خيال بات يلثمني

بكى وجرى له دمع ... ما بالقلب من حزن

فلا أنساه أو أنسى ... إذا أدرجت في كفني

الشعر والغناء لإبراهيم خفيف رمل بالوسطى عن الهشامي ومنها: قال:

هل علمت اليوم يا عاصم ... يا خير خدين

أن ذات الخال تأتيني ... على رغم قرين

لا تلمني إن ذات الخا ... ل دنياي وديني

وأبي حنص خليلي ... ووزيري وأميني

بحت لا أكتمه شيئا ... من الداء الدفين

إن بي من حب ذا ... ت الخال شيئا كالجنون

فيه لإبراهيم هزج بالوسطى عن إبن المكي ومنها: قال:." (١)

"طمأنينة القلب إلى الدنيا والأنس بها، فإذا كثرت المصائب انزعج القلب عن الدنيا ولم يسكن إليها، فصارت سجنا له، فكانت نجاته منها غاية المراد كخلاص المسجون من السجن.

وأما التألم فهو ضروري وذلك يضاهى فرحك بمن يحجمك أو يسقيك دواء نافعا بلا أجر فإنك تتألم وتفرح، فتصبر على الألم، وتشكر على سبب الفرح، فمن عرف هذا تصور منه أن يشكر على البلاء، ومن لا يؤمن أن ثواب المصيبة أكثر منها لم يتصور منه الشكر على المصيبة.

---

(١) المرقصات والمطربات ابن سعيد المغربي ص/٤٧

وقد روى أن أعرابيا عزى ابن عباس رضى الله عنه بأبيه فقال:

اصبر نكن بك صابرين فإنما ... صبر الرعية عند صبر الرأس

خير من العباس صبرك بعده ... والله خير منك للعباس

فقال ابن عباس رضى الله عنهما: ما عزاني أحد أحسن من تعزيته.

وقد سبق ذكر أنواع البلاء، وثواب الصبر عليها.

فإن قال قائل: الأخبار الواردة في فضل الصبر تدل على أن البلاء في الدنيا خير من النعيم، فهل لنا أن نسأل الله عز وجل البلاء؟

فالجواب: أنه لا وجه لذلك، فإن في الحديث من رواية أنس، أن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم عاد رجلا من المسلمين صار مثل الفرخ، فقال له رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم: "هل كنت تدعو بشيء أو تسأله؟ " قال: نعم، كنت أقول: اللهم ما كنت معاقبي به في الآخرة، فعجله لى في الدنيا، فقال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم: "سبحان الله لا تطيقه ولا تستطيعه، **فهلا قلت**: اللهم آتنا في الدنيا حسنة وفى الآخرة حسنة وقنا عذاب النار".

ومن حديث أنس رضى الله عنه أيضا، أن رجلا قال: يا نبى الله: أي الدعاء أفضل؟ قال: "سل الله العفو والعافية في الدنيا والآخرة" ثم أتاه الغد، فقال يا رسول الله، أي الدعاء أفضل؟ قال: "سل الله العفو والعافية في الدنيا والآخرة" ثم أتاه اليوم الثالث، فقال: "سل الله العفو والعافية في الدنيا والآخرة، فإن أعطيت العفو والعافية في الدنيا و الآخرة فقد أفلحت".

وفى "الصحيحين" انه صلى الله عليه وآله وسلم قال: "تعوذوا بالله من جهد." [١]

"وعصيت في النصح عمرك وزيدك، وأتبعت الأثر وتركت صيدك، ودراك دراك (١) ، سكون الحراك، وخل عنك ساجعات الأيك، وقل لها وراءك وإليك، ثم ما أنت وعهد ساكنات الخيام، وإن كانت من مباركات الأيام!! كم تسأل عن أنباء سعاد سعدا!! **هلا قلت** قول الألباء سحقا للهوى وبعدا؛ هذا أوان الشر، با من أرمى على الأشر، فتعال فلنخلع تلك اللينات من الملابس، ولنرجع عن الترهات البسابس، ولنذر الديار وساكناتها، ولنقر الأطيار على وكناتها، ولنذهب في منهاج من صالح العمل، ولنتأهب لانزعاج ليس يسعى به الجمل، هذا والله هو الرأي السديد، عند ذوي الرأي الحديد، ومع هذا فلابد أن نسلك في مسألتك أدنى سبل الإسعاف، ونتمسك من الجواز بالأحبل الضعاف، ونتذوق حلاوة أخبار الاستهتار فلها

(١) مختصر منهاج القاصدين المقدسي، نجم الدين ص/٢٩٤

طعم لذيذ، ونصدق إزراء من أتانا بها صفراء يزعم إنها نبيذ.

وقد ذكرت أن قوما من الشعراء، ذيلوا لي بيتا قد كان عندي منبوذا بالعراء، وأردت أن أقف على أبياتهم، وأعرف كيف تفاوتهم في غاياتهم، وزعمت أن لي بصرا بالتفريق، بيم من سار قصدا أو حاد عن الطريق، فسأقف عليها وإن كان الباع قصيرا، ولم يكن الناقد بصيرا:

فإن لا أكن كل الشجاع فإنني ... بضرب الطلى وإلهام حق عليم (٢)

---

(١) م: ودارك در السكوت.

(٢) ورد الشطر الثاني من هذا البيت في الأصول كالشطر الثاني من البيت الذي يليه، وهو خطأ لعله سهو من الناسخ، والبيتان لبعض بني أسد وقال التبريزي في شرح الحماسة إنهما لعبد العزيز بن زرارة، وأنظر شرح المرزوقي ١: ٣٧٨ (القطعة: ٨٣) .." [١]

"وآذوا رسول الله فيها فجللوا ... مخازى تبقى عمموها وفضحوا

وصبت عليهم محصدات كأنها ... شآبيب قطر من ذرى المزن تسفح «١»

وحكى أبو عمر بن عبد البر فى ترجمة مسطح- وهو عوف بن أثاثة بن عباد ابن عبد المطلب بن عبد مناف بن قصى، وأمه سلمى بنت صخر بن عامر خالة أبو بكر الصديق. قال: وذكر الأموى عن أبيه عن ابن إسحاق قال قال أبو بكر يذكر مسطحا:

يا عوف ويحك هلا قلت عارفة ... من الكلام ولم تتبع بها طمعا

وأدركتك حميا معشر أنف ... ولم تكن قاطعا يا عوف من قطعا

هلا حربت من الأفوام إذ حسدوا ... فلا تقول ولو عاينته قذعا

لما رميت حصانا غير مقرفة ... أمينة الجيب لم نعلم لها خضعا

فيمن رماها وكنتم معشرا أفكا ... فى سيء القول من لفظ الخنا شرعا

فأنزل الله وحيا فى براءتها ... وبين عوف وبين الله ما صنعا

فإن أعش أجز عوفا عن مقالته ... شر الجزاء إذا ألفيته تبعا

ولعل هذا الشعر إن صح عن أبى بكر فيكون قاله قبل نزول قوله تعالى: (ولا يأتل أولوا الفضل منكم)

---

(١) السفر الخامس من كتاب الذيل الأنصاري، المراكشي ٨٥/١

الآية. فإنه قد صح أن أبا بكر قال عند نزولها:

والله إنى أحب أن يغفر الله لى، ورجع إلى مسطح النفقة التى كان ينفق عليه، وقال: والله لا أنزعها عنه أبدا.

وقال محمد بن إسحاق: حدثنى أبى إسحاق بن يسار عن بعض رجال بنى النجار:

أن أبا أيوب خالد بن زيد، قالت له امرأته أم أيوب: ألا تسمع ما يقول." (١)

"وجذع ظفار: قال يعقوب: مدينة باليمن، وقد وقع جذع طعارى، وهو أيضا صحيح.

وأم رومان: زينب بنت عامر بن عويمر بن عبد شمس بن عتاب بن أذينة بن سبيع بن دهمان بن الحرث بن غنم، كذا قال مصعب، وغيره يخالفه، وقد وقع في الصحيح رواية مسروق عنها بصيغة العنعنة، وغيرها ولم يدركها، وملخص ما أجاب به أبو بكر الخطيب أن مسروقا يمكن أن يكون قال: سئلت أم رومان، فأثبت الكاتب صورة الهمزة ألفا، فتصحفت على من بعده بسألت، ثم نقلت إلى صيغة الإخبار بالمعنى في طريق، وبقيت على صورتها في آخر، ومخرجها التصحيف المذكور.

ومسطح: لقب، واسمه عوف بن أثاثة بن عباد بن المطلب بن عبد مناف. ذكر الأموي عن أبيه عن ابن إسحق قال: قال أبو بكر لمسطح:

يا عوف ويحك هلا قلت عارفة ... ومن الكلام ولم تتبع به طمعا

وأدركتك حميا معشر أنف ... ولم تكن قاطعا يا عوف منقطعا

فأنزل الله وحيا في براءتها ... وبين عوف وبين الله م ا صنعا

فإن أعش أجز عوفا عن مقاتله ... شر الجزاء إذا ألفيته تبعا

قال أبو عمر: أمر النبي صلى الله عليه وسلم بالذين رموا عائشة بالإفك حين نزل القرآن ببراءتها، فجلدوا الحد ثمانين فيما ذكر أهل السير والعلم والخبر.

ووقع في هذا الحديث: فقام سعد بن معاذ الأنصاري فقال: يا رسول الله أنا أعذرك منه، ووقع عند ابن إسحق في هذا الخبر بدل سعد بن معاذ أسيد بن حضير، فمن الناس من يرى أن ذكر سعد في هذا الخبر وهم، لأن سعدا مات عند انقضاء أمر بني قريظة، ويرى أن الصواب ما ذكره ابن إسحق من ذكر أسيد بن حضير.

ولو اتفق أهل المغازي على أن وقعة الخندق وبني قريظة متقدمة على غزوة بني المصطلق لكان الوهم لازما

---

(١) نهاية الأرب في فنون الأدب النويري ٤١٤/١٦

لمن رآه كذلك، ولكن هم مختلفون في ترتيب هذه المغازي كما سبق في هذه وغيرها. ورأيت عن الحاكم أبي عبد الله أن سبب هذا الخلاف إنما هو لاختلاف في التاريخ: هل هو لمقدم النبي صلى الله عليه وسلم في ربيع الأول كما هو عند قوم، أو للعام الذي قدم فيه كما هو عند آخرين، وذلك لا يتم لأمرين: أحدهما: أن تلك المدة التي وقع الاختلاف فيها إنما هي نحو ثلاثة أشهر،." [1]

"٣٧٩٣ - بخ: عبد الرحمن بن حبيب (١) ، مولى بني تميم. حجازي.

قال لي عبد الله بن عمر (بخ) : ممن أنت؟ قلت: من بني تميم. قال: من أنفسهم أو من مواليهم؟ قلت: من مواليهم. قال: فهلا قلت من مواليهم إذا.

روى عنه: وائل بن داود (بخ) .

ذكره ابن حبان في كتاب "الثقات" (٢) .

روى له البخاري في "الأدب هذا الحديث.

٣٧٩٤ - م ٤: - عبد الرحمن بن حجيرة الخولاني (٣) ، أبو عبد الله المصري، قاضيها، من بني يعلى بن مالك، وهو ابن مجيرة الأكبر، والد عبد الله بن عبد الرحمن بن حجيرة الأصغر.

روى عن: عبد الله بن عمرو بن العاص (د) ، وعبد الله بن مسعود، وعقبة بن عامر الجهني (س) ، وأبي ذر الغفاري (م) ، وأبي هريرة (د ت سي ق) .

---

(١) تاريخ البخاري الكبير ٥ / الترجمة ٨٩١، والجرح والتعديل: ٥ / الترجمة ١٠٦٦، وثقات ابن حبان: ٥ / ٩٤، وتذهيب التهذيب: ٢ / الورقة ٢٠٨، ونهاية السول، الورقة ٢٠٠، وتهذيب التهذيب: ٦ / ١٦٠، والتقريب: ١ / ٤٧٧، وخلاصة الخزرجي: ٢ / الترجمة ٤٠٦٥.

(٢) ٥ / ٤٩. وقال ابن حجر في "التقريب": مقبول.

(٣) تاريخ البخاري الكبير: ٥ / الترجمة ٨٩٤، والمعرفة ليعقوب: ٢ / ٥٠٨، ٥١١، والجرح والتعديل: ٥ / الترجمة ١٠٦٩، وثقات ابن حبان: ٥ / ٩٦، وسؤالات البرقاني للدارقطني، الترجمة ٢٧٠، والكندي: ٣١٤، ٣٢١، ورجال صحيح مسلم لابن منجويه، الورقة ١٠١، والجمع لابن القيسراني: ١ / ٢٩٦، والكاشف: ٢ / الترجمة ٣٢١١، وتذهيب التهذيب: ٢ / الورقة ٢٠٨، ومعرفة التابعين، الورقة ٢٧، وتاريخ

---

(١) عيون الأثر ابن سيد الناس ١٣٨/٢

الاسلام: ٣ / ٢٧١، ونهاية السول، الورقة ٢٠٠، وتهذيب التهذيب: ٦ / ١٦٠، والتقريب: ١ / ٤٧٧، وخلاصة الخزرجي: ٢ / الترجمة ٤٠٦٦، وشذرات الذهب: ١ / ٩٣.." [(١)]

"٥١٧٤ - د: محمد بن خالد بن الحويرث القرشي المخزومي المكي (١) .

روى عن: أبيه خالد بن الحويرث (د) .

روى عنه: روح بن عبادة (د) ، وأبو نعيم (٢) .

= حفص بن غياث، وعبد الواحد بن زياد، وعبدة بن سليمان أحب إلي من أبي معاوية يعنى في غير حديث الأعمش. (الجرح والتعديل: ٧ / الترجمة ١٣٦٠) . وقال الدارقطني: من الرفعاء الثقات. (السنن: ١ / ١٧٢) . ونقل الخطيب في "تاريخه "عن علي بن خشرم أنه قال: ماشيت وكيعا إلى الجمعة فقال لي: يا علي إلى من تختلف؟ فقلت إلى فلان، وإلى فلان، وإلى أبي معاوية الضرير. فقال وكيع: إختلف إليه فإنك إن تركته ذهب علم الأعمش على أنه مرجئ.

فقلت يا أبا سفيان دعاني إلى الارجاء فابيت عليه. فقال لي وكيع: **هلا قلت** له كما قال له الأعمش: لا تفلح أنت ولا أصحابك المرجئة. ونقل الخطيب عن محمد بن عيسى ابن الطباع أنه قال: قال ابن الباذش: أبو معاوية مرجئ كبير (تاريخ الخطيب: ٥ / ٢٤٧) وقال ابن نمير: كان أبو معاوية لا يضبط شيئا من حديثه، ضبطه لحديث الأعمش كان يضطرب في غيره اضطرابا شديدا. (تاريخ الخطيب: ٥ / ٢٤٥) . وقال ابن حجر في "التهذيب ": قال النسائي: ثقة في الأعمش وقال أبو داود: قلت لأحمد كيف حديث أبي معاوية عن هشام بن عروة؟ قال: فيها أحاديث مضطربة يرفع منها أحاديث إلى النبي صلى الله عليه وسلم (٩ / ١٣٩) وقال ابن حجر في "التقريب": ثقة أحفظ الناس لحديث الأعمش، وقد يهم في حديث غيره. قال بشار: هذا قول منصف.

(١) تاريخ البخاري الكبير: ١ / الترجمة ١٧٨، والجرح التعديل: ٧ / الترجمة ١٣٣٣، وثقات ابن حبان: ٧ / ٤٠٧، والكاشف: ٣ / الترجمة ٤٨٨٦، وتذهيب التهذيب: ٣ / الورقة ٢٠٠، ونهاية السول، الورقة ٣٢٣، وتهذيب التهذيب: ٩ / ١٤٠، والتقريب: ٢ / ١٥٧، وخلاصة الخزرجي: ٢ / الترجمة ٦١٧٦.

---

(١) تهذيب الكمال في أسماء الرجال المزي، جمال الدين ١٧/٥٤

(٢) وذكره ابن حبان في كتاب "الثقات" (٧ / ٤٠٧) . وقال ابن حجر في "التهذيب ": ذكر ابن أبي حاتم عن أبيه أنه لا يعرف (٩ / ١٤٠) ولم نجد قول أبي حاتم هذا في =." [1]

"الحافظ أبو عوانة صاحب الصحيح

//كان من كبار الحفاظ حمل عن أصحاب سفيان بن عيينة ووكيع //

٥٣٥ - قال الحاكم في ترجمته سمعت يحيى بن منصور القاضي يقول سمعت أبا عوانة رحمه الله يقول دخلت على أبي إبراهيم المزني في مرضه الذي مات فيه فقلت له ما قولك في القرآن فقال كلام الله غير مخلوق

فقلت **هلا قلت** قبل هذا قال لم يزل هذا قولي وكرهت الكلام فيه لأن الشافعي كان ينهى عن الكلام فيه يعني البحث والجدال في ذلك // مات أبو عوانة سنة ست عشرة وثلاثمائة //

ابن صاعد حافظ بغداد

٥٣٦ - نقل الحافظ أبو بكر الآجري في كتاب الشريعة له وهو مجلدان عن الإمام أبي محمد بن يحيى بن محمد بن صاعد أنه قال في هذه الفضيلة في قعود النبي صلى الله عليه وسلم على العرش لا ندفعها ولا نماري فيها ولا نتكلم في حديث فيه فضيلة للنبي صلى الله عليه وسلم بشيء // مات ابن صاعد في سنة ثمان عشرة وثلاثمائة وله تسعون سنة

وكان من أئمة هذا الشأن لحق أصحاب مالك وحماد بن زيد وصنف وجمع //

الطحاوي الإمام

٥٣٧ - قال الإمام عالم الديار المصرية في وقته أبو جعفر أحمد بن محمد ابن سلامة الأزدي الطحاوي الحنفي رحمه الله في العقيدة التي ألفها ذكر بيان السنة والجماعة على مذهب فقهاء الملة أبي حنيفة وأبي يوسف ومحمد رضي الله عنهم نقول في توحيد الله معتقدين أن الله واحد لا." [2]

"قلت: ثم قلت: ما معنى قولك: «ذيب غاض؟» فقال: هو الذي يأكل الغضا؛ فقلت: استنوق الجمل «١» ، يا أبا بكر، فانقلبت القوس ركوة، وصار الذئب جملا يأكل الغضا؟ فما معنى قولك: «إن الغضى في مثل ذاك تغاض» فإن الغضى لا أعرفه بمعنى الإغضاء؟ فقال: لم أقل الغضى فقلت: فما قلت؟ فأنكر البيت جملة؛ فقلت: يا ويحك، ما أغناك عن بيت تهرب منه وهو يتبعك، وتتبرأ منه وهو يلحق بك؛

---

(١) تهذيب الكمال في أسماء الرجال المزي، جمال الدين ١٣٤/٢٥

(٢) العلو للعلي الغفار الذهبي، شمس الدين ص/٢١٥

فقل لي: ما معنى «قراض» فلم أسمعه مصدرا من قرضت الشعر، ولكن هلا قلت كما قلت، وسقت الحشو إلى القافية كما سقته؟ فقال: هذه طريقة لم يسلكها العرب، فلا أسلكها.

ثم دخل الرئيس أبو جعفر، والقاضي أبو بكر الحربي، والشيخ أبو زكريا الحيري، وطبقة من الأفاضل، مع عدة من الأرذال، منهم أبو رشيد؛ فقلت: ما أحوج هذه الجماعة إلى واحد يصرف عنهم عين الكمال.

وأخذ الرئيس مكانه من الصدر والدست، وله في الفضل قدم وقدم، وفي الأدب هم وهمم، وفي العلم قديم وحديث؛ فتم المجلس، وظهر الحق بنظره، وقال: قد ادعيت عليه أبيات أنكرها، فدعوني من البديهة على النفس، واكتبوا ما يقولون، وقولوا على هذا الروي: [الكامل]

برز الربيع [لنا] برونق مائه ... فانظر لروعة أرضه وسمائه

فالترب بين ممسك ومعنبر ... من نوره بل مائه وروائه

فقلت «٢» : [الكامل]

والماء بين مصندل ومكفر ... في حسن كدرته ولون صفائه." (١)

"والطير مثل المحصنات صوادح ... مثل المغني شاديا بغنائه

والورد ليس بممسك رياه بل ... يهدي لنا نفحاته من مائه

زمن الربيع جلبت أزكى متجر ... وجلوت للرائين خير جلائه

فكأنه هذا الرئيس إذا بدا ... في خلقه وصفائه وعطائه

بحمى أغر محجب، وندى أغر ... رمحجل، في خلقه ووفائه

يعشو إليه المجتلي والمجتدي ... والمجتوي هو هارب بذمائه

ما البحر في تزخاره، والغيث في ... أمطاره، والجو في أنوائه

بأجل منه مواهبا ورغائبا ... لا زال هذا المجد خلف فنائه

والسادة الباقون سادة عصرهم ... متمدحون بمدحه وثنائه

فقال أبو بكر تسعة أبيات، قد غابت عن حفظنا، لكنه جمع فيها بين إقواء وإكفاء وأخطاء وإيطاء؛ ورددنا عليه بعد ذلك عشرين ردا، ونقدنا عليه فيها كذا نقدا؛ ثم قلت لمن حضر من وزير ورئيس وفقيه وأديب: أرأيتم لو أن رجلا حلف بالطلاق الثلاث لا أنشد شعرا قط، ثم أنشد هذه الأبيات فقط، هل كنتم تطلقون امرأته عليه؟ فقالت الجماعة: لا يقع بهذا طلاق؛ ثم قلت: انقد علي فيما نظمت، واحكم عليه كما

---

(١) مسالك الأبصار في ممالك الأمصار ابن فضل الله العمري ١٠٦/١٢

حكمت؛ فأخذ الأبيات وقال: لا يقال: نظرت لكذا، وإنما يقال: نظرت إليه؛ فكفتني الجماعة إجابته؛ ثم قال: لم شبهت الطير بالمحصنات؟ وأي شبه بينهما؟ فقلت: يا رقيع، إذا جاء الربيع كانت شوادي الأطيار تحت ورق الأشجار، فيكن كالمخدرات تحت الأستار؛ ثم قال: لم قلت: مثل المحصنات، مثل المغني؟ فقلت: هن في الخدر كالمحصنات، وكالمغني في ترجيع الأصوات؛ ثم قال: لم قلت: زمن الربيع جلبت أزكى متجر؟ **وهلا قلت**: أربح متجر؟ فقلت: ليس الربيع بتاجر يجلب البضائع المربحة؛ ثم قال: ما معنى قولك: الغيث في أمطاره؟ والغيث هو المطر نفسه، فكيف يكون له مطر؟." (١)

"الخوان، كرعت في الجفان، وأسرعت إلى الرغفان، وأمعنت في الألوان؛ وجعل هذا الفاضل يتناول الطعام بأطراف الأظفار، فلا يأكل إلا قضما، ولا ينال إلا شما، وهو مع ذلك ينطق عن كبد حرى، ويغيض عن نفس ملآى؛ فقلت: يا أبا بكر، بقيت لك منة وفيك مسكة: [البسيط]

يا قوم إني أرى الأموات قد نشروا ... والأرض تلفظ موتاكم إذا قبروا

فأخبرني يا أبا بكر: لم غشي عليك؟ فقال: لحمى الطبع وحمى الفرو؛ فقلت: أين أنت عن السجع؟ **هلا قلت**: حمى الطبع، وحمى الصفع.

وقال السيد أبو القاسم: أيها الأستاذ، مع الحديث فاعزل، يعنيه «١» ، فقلت:

لا تظلموه، ولا تطعموه طعاما يصير في بطنه مغصا، وفي عينه رمصا، وفي جلده برصا، وفي حلقه غصصا؛ فقال أبو بكر: هذه أسجاع كنت حفظتها، فقل كما أقوله: يصير في عينك قذى، وفي حلقك أذى، وفي صدرك شجى؛ فقلت: يا أبا بكر، على الألف تريد؟ خذ الآن؛ بفيك البرى، وعلى هامتك الثرى، ولا أطعمك الخرا إلا من ورا، كما ترى؛ فقالوا: أيها الأستاذ، السكوت أولى؛ ومالوا إلي وقالوا: ملكت فأسجح؛ فأبى أبو بكر أن يبقي لنفسه حمة لم يفضها، أو يدخر عنا كلمة لم يعرضها؛ فقال: والله لا تركتك من الميمات، فقلت: ما معنى الميمات؟ فقال: ما بين مهزوم ومهذوم ومهشوم ومغموم ومحموم ومرجوم؛ فقلت: وأتركك بين الميمات أيضا؛ بين الهيام والصدام والجذام والحمام والزكام والسام والبرسام والهام والسقام، وبين السينات فقد علمتنا طريقة؛ بين منحوس منخوس منكوس معكوس متعوس محسوس مغروس؛ وبين الخاءات، فقد فتحت علينا بابا؛ بين مطبوخ مشدوخ منسوخ ممسوخ مفسوخ؛ وبين." (٢)

---

(١) مسالك الأبصار في ممالك الأمصار ابن فضل الله العمري ١٢/ ١٠٧

(٢) مسالك الأبصار في ممالك الأمصار ابن فضل الله العمري ١٢/ ١١٢

"على أن ابن حمديس أتى بالمعنى كاملا في بيت واحد، وإدريس اليماني إنما أتى به في بيتين. ولكن نظم إدريس أعلق بالقلب، وأوقع في النفس، وأعذب في السمع.

وقريب من هذا المعنى قول أبي العلاء المعري في اللزوميات:

لم يكن الدن غير نكر ... سلافة الراح عرفته

كآدم صيغ من تراب ... ونفخة الروح شرفته

وكلاهما تسلق على هذا المعنى، ونقله إلى الثقل والخفة، وإلا فهو هو.

وعلى ذكر الخفة في الخمر والطيران، فما أحلى قول أبي الحسين الفكيك:

بكر خطاب إذا ما الماء خالطها ... أبدت لنا زبدا في سورة الغضب

كادت تطير نفارا حين واقعها ... لولا شبابيك ما صاغت من الحبب

نماذج من إنشاء ابن الأثير يدعي فيها السمو

قال: وقد جاءني في الكلام المنثور شيء من هذا الضرب، وسأذكر ههنا منه نبذة. فمن ذلك ما ذكرته في وصف صورة مليحة فقلت: ألبس من الحسن أنضر لباس، وخلق من طينة غير طينة الناس، وكما زاد حسنا فكذلك ز ا د طيبا، واتفقت فيه الأهواء حتى صار إلى كل قلب حبيبا، فلو صافح الورد لتعطرت أوراقه، ولو مر على اللينوفر ليلا لتفتحت أحداقه.

أقول: أي غريب في هذه المعاني، وأي إبداع حتى يثبته ويتعجب له ويروقه.

أما الأول فمأخوذ من قول:

ربيب ملك كأن الله صوره ... مسكا، وقدر إنشاء الورى طينا

ولا يخفى أن هذا أمدح وأحسن.

وأما الثاني، فمأخوذ من قول البحتري:

أفرغت في الزجاج من كل قلب ... فهي محبوبة إلى كل نفس

وقول ابن لنكك.

عصرت من دم القلوب فما تب ... صر إلا تعلقت بالقلوب

وأما قوله فلو صافح الورد لتعطرت أوراقه، فأي مزية لهذا الموصوف بهذه الصفة والورد ما زال عطرا، سواء صافحه زنجي أو غيره، وهذا من باب تحصيل الحاصل. ولو قال: فلو صافح الأثل تضوع منه نشر البان،

ولو مر على اللينوفر في الليل لأيقظ طرفه الوسنان لكان أحسن. فإن الورد لو صافحه أبو الأسود الدؤلي أبو عبد الملك بن مروان، لكان طيب العرف، والمدح إنما يكون بأن الإنسان يكسب الطيب ما ليس له طيب ويفيد الحسن ما لم يكن معروفا بحسن.

ألا ترى أنهم عابوا على كثير عزة قوله:

وما روضة بالحزن طيبة الثرى ... يمج الندى جثجاثها وعرارها

بأطيب من أردان عزة موهنا ... وقد أوقدت بالمندل الرطب نارها

وقيل له: لو كانت هذه أمة زنجية ووقود نارها مندل رطب، لطاب ريحها وتعطر ردنها. وهلا قلت كما قال امرؤ القيس.

ألم تر أني كلما جئت طارقا ... وجدت لها طيبا وإن لم تطيب

ولهذا استحسنوا قول القائل:

وريحها أطيب من طيبها ... والطيب فيه المسك والعنبر

فانظر إلى هذا الشاعر لما أثبت أنها تتطيب جعل ريحها أطيب منه.

وبالغ بشار بن برد في قوله:

وإذا أدنيت منها بصلا ... غلب الطيب على ريح البصل

لكن هجن هذا المعنى بذكر البصل.

ويحكى أن بعض الشيعة أنشد أبا مجالد قول السيد الحميري:

أقسم بالله وآياته ... والمرء عما قال مسؤول

أن علي بن أبي طالب ... على الهدى والبر مجبول

ذاك الذي سلم في ليلة ... عليه ميكال وجبريل

ميكال في ألف وجبريل في ... ألف ويتلوهم سرافيل

في يوم بدر بددا كلهم ... كأنهم طير أبابيل

فقال له أبو مجالد: يا هذا إن الشاعر لم يمدح صاحبك، وإنما هجاه في موضعين أحدهما أنه زعم أن عليا كرم الله وجهه مجبول على البر والهدى، ومن جبل على أمر لم يمدح عليه، لأنه لم يكسبه بسعيه.

وثانيهما أنه ادعى أن أيد في حروبه بالملائكة، ولا فضيله له حينئذ في الظفر، لأن أبا حية النميري لو أيد بهؤلاء لقهر الأعداء.

ذكر ذلك أبو عمر الزاهد في كتاب الياقوته فثبت بمثل هذا أن لا مدح في قوله: لو صافح الورد لتعطرت أوراقه. ويؤيد هذا أنه تنبه لهذا في السجعة الثانية فقال: ولو مر على اللينوفر ليلا لتفتحت أحداقه فاحترز بالليل لأنه في النهار يكون مفتوح الأوراق.

ومن طريف ما جاء للشعراء في اللينوفر قول الخبز أرزي:." (١)

"نفضة فقصقص متنه وبقر بطنه وجعل يلغ في ذمه فذمرت أصحابي فبعد لأي ما استقدموا فهجهجنا به فكر مقشعرا بزبرة كأن بها شيهما حوليا فاختلج من دوننا رجلا أعجز ذا حوايا فنفضه نفضة تزايلت لها مفاصله ثم نهم فقرقر ثم زفر فبربر ثز زأر فجرجر ثم لحظ فزمجر فوالله لخلت البرق يتطاير من تحت جفونه عن شماله ويمينه فأرعشت الأيدي)

واصطكت الأرجل وأطت الأضلاع وارتجت الأسماع ولحقت المتون بالبطون وشخصت العيون وساءت الظنون واحزألت المتون ثم تبهنس وحلق ثم حدق وحملق فإذا له عينان سجراوان مثل وهج الشرر كأنما نقر بالمناقير عن عرض حجر لونه ورد وزئيره رعد وجبهته عظيمة وهامته شتيمة إن استقبلته قلت أدرع وإن استدبرته قلت أقدع وإذا الليل اعرنكس تبغى وتحس هوله شديد وشره عنيد وخيره بعيد من قاسم ظلم ومن بارز حطم ومن مال غشم من الطويل

(عبوس شموخ مطرخم مكابر ... جريء على الأعداء للقرن قاهر)

(براثنه شثن وعيناه في الدجى ... كجمر غضا في وجهه الشر طائر)

(بدل بأنياب حداد كأنها ... إذا قلص الأشداق عنها حناجر)

فحبق أحد الحاضرين فقال له عثمان مه رض الله فاك فلقد رعبت المسلمين **هلا قلت** كما قال بشر بن أبي عوانة الأسدي من الوافر

(أفاطم لو شهدت ببطن خبث ... وقد لاقى الهزبر أخاك بشرا)." (٢)

(ثمانية لم تفترق مذ جمعتها ... فلا اقترفت ما ذب عن ناظر شفر)

(ضميرك والتقوى وجودك والغنى ... ولفظك والمعنى وسيفك والنصر)

---

(١) نصرة الثائر على المثل السائر الصفدي ص/٥٤

(٢) الوافي بالوفيات الصفدي ٢٦٢/١١

(وقد جاد محمود بألف تصرمت ... وغالب ظني أن سيخلفها نصر)

فأعطاه ألف دينار وقال والله لو قال سيضعفها نصر لأضعفتها له وكان على بابه جماعة من الشعراء فكتبوا إليه)

(على بابك المعمور منا عصابة ... مفاليس فانظر في أمور المفاليس)

(وقد قنعت منك الجماعة كلهم ... بعشر الذي أعطيته لابن حيوس)

(وما بيننا هذا التفاوت كله ... ولكن سعيدا لا يقاس بمنحوس)

فقال ولم تقولون بعشر **هلا قلتم** بمثل ثم إنه وصلهم وأحسن إليهم رحمه الله

٣ - (ابن المعروف)

نصر بن محمود بن المعروف أبو المظفر كان ذكيا فطنا كثير الاجتهاد والعناية والحرص بالعلوم الحكمية وله نظر في صناعة الطب واشتغل على ابن العين زربي لازمه مدة وقرأ عليه كثيرا من العلوم قال ابن أبي أصيبعة رأيت خطه في آخر." (١)

"وقرأ القرآن على الأرتاجي

وكان متواضعا كثير التلاوة دينا حدث بالحرمين ودمشق كان صدوقا وتوفي بحلب رحمه الله تعالى [٤٧٨]

٨٧ - ابن الدقاق يعقوب بن الدقاق أبو يوسف

كان مستملي أبي نصر صاحب قال كنا يوم جمعة بقبة الشعراء في رحبة مسجد المنصور فتناشدوا صوتا

إذا صاح في صائح من ورائي يا منتوف

فتغافلت كأني لم أسمع

فقال ويلك يا أعمى يا أعمى لم لا تتكلم

فقلت من هذا

فقالوا أبو دانق الموسوس

فالتفت إليه فقال لي ويلك هل تعرف أحسن من هذا البيت أو أشعر من قائله

فقلت كالمحاجر له لا

فقال لا أم لك **هلا قلت** نعم قوله." (٢)

---

(١) الوافي بالوفيات الصفدي ٥٥/٢٧

(٢) الوافي بالوفيات الصفدي ١١٤/٢٨

"الدين أبو يوسف بن السلطان صلاح الدين الناصر بن أيوب ولد سنة اثنتين وسبعين وخمس مائة وتوفي سنة أربع وعشرين وست مائة وسمع من عبد الله بن بري وابن أسعد الجواني وقرأ القرآن على الآرتاحي وكان متواضعا كثير التلاوة دينا حدث بالحرمين ودمشق وكان صدوقا وتوفي بحلب رحمه الله تعالى

٤ - ابن الدقاق يعقوب بن الدقاق ابن يوسف كان مستملي أبي نصر صاحب الأصمعي قال كنا يوم جمعة بقبة الشعراء في رحبة مسجد المنصور نناشد وكنت أعلاهم صوما إذ صاح بن صائح من ورائي يا منتوف فتغافلت كأني لم أسمع فقال ويلك يا أعمى يا أعمى لما لا تتكلم فقلت من هذا قال أبو دانق الموسوس فالتفت إليه فقال ويلك هل تعرف أحسن من هذا البيت أو أشعر من قائله // (من المنسرح) //

(ما تنظر العين منه ناحية ... إلا أقامت منه على حسن)

فقلت كالمحاجز له لا فقال لا أم لك **هلا قلت** نعم قوله // (من الهزج) //

(يزيدك وجهه حسنا ... إذا ما زدته نظرا)

ثم وثب وثبة إلى جانبي وأقبل علي وقال يا عمي صف لي صورتك الساعة على البديهة وغلا أخرجتك من بزتك ثم أقبل على من كان حاضرا فقال طلمناه ظلمناه هو ضرير لم ير وجهه فمن أحسن منا أن يصفه فليصفه وكان على الحقيقة أقبح الناس وجها وكان يحلق شعر رأسه وشعر لحيته وشعر حاجبيه ويدهن قال فلم يتكلم أحد فقال اكتبوا صفة في رأسه وأنشد // (من الوافر) //

(أشبه رأسه لولا رجار ... لعينيه ونضنضة اللسان)

(بأضخم قرعة عظمت وتمت ... فليس لها لدى التمييز ثاني)

(إذا عليت أسافلها أنالت ... دعائم رأسها نحو اللبان)

(فكان لنا مكان الجيد منها ... إذا اتصلت بممسكة الجران)

(لها في كل شارقة وبيض ... كأن بريقها لمع الدهان)

(فلا سلمت من حذري وخوفي ... متى سلمت صفاتك من بناني)

ووثب إلي فحالت الأيدي بينه وبيني

٥ - الجبان أبو يعقوب الجبان قال ياقوت لم يقع إلي اسمه ووجدته مذكورا في." [1]

"باطيب من أراد أن عزة موهنا ... إذا أوقدت بالمندل الرطب نارها

فقال كثير نعم. فقالت: لو وضع المندل الرطب على هذه الروثة لطيب ريحها **هلا قلت** كما قال امرؤ

---

(١) الوافي بالوفيات الصفدي ١١/٢٩

القيس؟.

ألم تراني كلما جئت زائرا ... وجدت بها طيبا وإن لم تطيب

فناولها المطرف، وقال أشتري على هذا قالت، وقوله نعم بعد قولها: الست القائل؟ فما روضة البيتين صوابه أن يقول بلى، كقوله عز وجل: " ألست بربكم قالوا بلى " - الأعراف: ١٧٢ - ولو قالوا نعم لكان كفرا، لأنه تقرير للنفي والحثحاث بالحاء المهملة والراء والثاء المثلثة مكررتين: نبت طيب الرائحه والعرار بالعين المهملة والراء المكررة: بهار البر، وهو طيب أيضا وإليه أشار الشاعر في قوله:

تمتع من شميم عرارنجد ... فما بعد العشية من عرار

وكان كثير ينسب إلى الحمق، ويروى أنه دخل يوما على يزيد بن عبد الملك، فقال يا أمير المؤمتين ما يعني الشماخ بقوله:

إذ الأرطا توسدا برديه ... خدود جواري بالرمل عين

فاقال يزيد: ما يضرني أن لا أعرف ما عنى هذا الأعرابي الجلف واستحمقه وأمربإخراجه ودخل كثير على عبد العزيز بن مروان والد عمر يعود في مرضه، وأهله يتمنون أن يضحك، وهو يومئذ أمير مصر، فلما وقف عليه قال: لولا أن سرورك لا يتم بأن تسلم واسقم لدعوت ربي أن يصرف ما بك إلي، ولكني أسأل الله عز وجل لك العافية، ولي في كنفك النعمة، فضحك عبد العزيز، وأنشد كثير:

ونعود سيدنا وسيد غيرنا ... ليت التشكي كان بالعواد

لوكان يقبل فديتي لفديته ... بالمصطفى من طارقي وتلادي

قلت يعني بقوله المصطفى إلى آخر البيت: الذي يختاره من المال الحادث والقديم. ومما يستجاد من شعركثير: قصيدته النائية التي يقول من جملتها:

وإني وتهيامي لعزة بعدما ... تسليت من وجد بها وتسلت

لك المرتجى ظل الغمامة كلما ... تبوأ منها للمقيل اضمحلت

وكان كثير بمصر وعزة بالمدينة، فاشتاق إليها، فسافر للاجتماع بها، فلقيها في الطريق." (١)

"فإذا قد وقع الشافعي

(فقلت معاذ الله أن يذهب التقى ... تلاصق أكباد بهن جراح)

قال الربيع فأنكرت على الشافعي أن يفتي لحدث بمثل هذا فقلت يا أبا عبد الله تفتي بمثل هذا لمثل هذا

---

(١) مرآة الجنان وعبرة اليقظان اليافعي ١/١٧٧

الشاب فقال لي يا أبا محمد هذا رجل هاشمي قد عرس في هذا الشهر يعني شهر رمضان وهو حدث السن فسأل هل عليه جناح أن يقبل أو يضم من غير وطء فأفتيته بهذا

قال الربيع فتبعت الشاب فسألته عن حاله فذكر لي أنه مثل ما قال الشافعي

قال فما رأيت فراسة أحسن منها

وبه إليه قال سمعت أبا بكر محمد بن أحمد بن عبد الله البيضاوي المقري قال سمعت أبا عبد الله المأموني يقول سمعت أبا حيان النيسابوري يقول بلغني أن عياشا الأزرق دخل على الشافعي يوما فقال يا أبا عبد الله قد قلت أبياتا إن أنت أجزت لي بمثلها لأتوبن أن لا أقول شعرا أبدا فقال له الشافعي إيه فأنشأ يقول

(وما همتي إلا مقارعة العدا ... خلق الزمان وهمتي لم تخلق)

(و الناس أعينهم إلى سلب الفتى ... لا يسألون عن الحجا والأولق)

(لو كان بالحيل الغنى لوجدتني ... بنجوم أقطار السماء تعلقي)

فقال له الشافعي **هلا قلت** كما أقول استرسالا

(إن الذي رزق اليسار فلن يصب ... حمدا ولا أجرا لغير موفق)

(فالجد يدني كل أمر شاسع ... والجد يفتح كل باب مغلق)." (١)

"أيوب عن يحيى بن أبي كثير، عن أبي سلمة: أن أبا هريرة مرض فدخلت عليه أعوده فقلت: اللهم اشف أبا هريرة، فقال: اللهم لا ترجعها، ثم قال: يا أبا سلمة يوشك أن يأتي على الناس زمان يكون الموت أحب إلى أحدهم من الذهب الأحمر.

وروى عطاء عن أبي هريرة قال: إذا رأيتم ستا فإن كانت نفس أحدكم في يده فليرسلها، فلذلك أتمنى الموت أخاف أن تدركني، إذا أمرت السفهاء، وبيع الحكم، وتهون بالدم، وقطعت الأرحام، وكثرت الجلاوزة، ونشأ نشو يتخذون القرآن مزامير.

وقال ابن وهب: حدثنا عمرو بن الحارث، عن يزيد بن زياد القرظي: أن ثعلبة بن أبي مالك القرظي حدثه أن أبا هريرة أقبل في السوق يحمل حزمتي حطب - وهو يومئذ أمير لمروان بن الحكم - فقال: أوسع الطريق للأمير يا بن أبي مالك، فقلت يرحمك الله يكفي هذا! فقال: أوسع الطريق للأمير والحزمة عليه.

وله فضائل ومناقب كثيرة وكلام حسن ومواعظ جمة، أسلم كما قدمنا عام خيبر، فلزم رسول الله صلى الله

---

(١) طبقات الشافعية الكبرى للسبكي السبكي، تاج الدين ١/ ٣٠٤

عليه وسلم ولم يفارقه إلا حين بعثه مع العلاء بن الحضرمي إلى البحرين، ووصاه به، فجعله العلاء مؤذنا بين يديه، وقال له أبو هريرة: لا تسبقني بآمين أيها الأمير.

وقد استعمله عمر بن الخطاب عليها في أيام إمارته، وقاسمه مع جملة العمال.

قال عبد الرزاق: حدثنا معمر: عن أيوب، عن ابن سيرين.

أن عمر استعمل أبا هريرة على البحرين فقدم بعشرة آلاف، فقال له عمر: استأثرت بهذا الأموال أي عدو الله وعدو كتابه؟ فقال أبو هريرة: لست بعدو الله ولا عدو كتابه، ولكن عدو من عاداهما.

فقال: فمن أين هي لك؟ قال: خيل نتجت، وغلة ورقيق لي، وأعطية تتابعت علي.

فنظروا فوجدوه كما قال.

فلما كان بعد ذلك دعاه عمر ليستعمله فأبى أن يعمل له، فقال له: تكره العمل وقد طلبه من كان خيرا منك؟ طلبه يوسف عليه السلام، فقال: إن يوسف نبي ابن نبي ابن نبي ابن نبي، وأنا أبو هريرة بن أمية وأخشى ثلاثا واثنين، قال

عمر: **فهلا قلت** خمسة؟ قال: أخشى أن أقول بغير علم، وأقضي بغير حلم، أو يضرب ظهري، وينزع مالي، ويشتم عرضي.

وذكر غيره أن عمر غرمه في العمالة الأولى اثني عشر ألفا فلهذا امتنع في الثانية.

وقال عبد الرزاق: عن معمر، عن محمد بن زياد.

قال: كان معاوية يبعث أبا هريرة على المدينة فإذا غضب عليه عزله وولى مروان بن الحكم، فإذا جاء أبو هريرة إلى مروان حجبه عنه، فعزل مروان ورجع أبو هريرة، فقال لمولاه: من جاءك فلا ترده واحجب مروان، فلما جاء مروان دفع الغلام في صدره فلما دخل إلا بعد جهد جهيد، فلما دخل قال: إن الغلام حجبنا عنك، فقال له أبو هريرة: إنك أحق الناس أن لا تغضب من ذلك.

والمعروف أن مروان هو الذي كان يستنيب أبا هريرة في إمرة المدينة، ولكن كان يكون عن إذن معاوية في ذلك والله أعلم.

وقال حماد بن سلمة، عن ثابت، عن أبي رافع: كان مروان ربما استخلف أبا هريرة على المدينة فيركب الحمار ويلقى الرجل فيقول: الطريق قد جاء الأمير – يعني نفسه – وكان يمر بالصبيان وهم يلعبون بالليل لعبة الأعراب، وهو أمير، فلا يشعرون إلا وقد ألقى نفسه بينهم." (١)

---

(١) البداية والنهاية ط إحياء التراث ابن كثير ٨/١٢١

"وحدثها الواشون أني هجرتها * فحملها غيظا علي المحمل فقالت له عائشة: قد جعلتني خلة ولست لك بخلة، **وهلا قلت** كما قال جميل فهو والله أشعر منك حيث يقول:

يا رب عارضة علينا وصلها * بالجد تخلطه بقول الهازل فأجبتها بالقول بعد تستر * حبي بثينة عن وصالك شاغلي لو كان في قلبي بقدر قلامة * فضل وصلتك أو أتتك رسائلي فقال: والله ما أنكر فضل جميل، وما أنا إلا حسنة من حسناته، واستحيا.

ومما أنشده ابن الأنباري لكثير عزة: بأبي وأمي أنت من معشوقة * طبن العدو لها فغير حالها ومشى إلي بعيب عزة نسوة * جعل الإله خدودهن نعالها الله يعلم لو جمعن ومثلت * لأخذت قبل تأمل تمثالها ولو ان عزة خاصمت شمس الضحى * في الحسن عند موفق لقضى لها وأنشد غيره لكثير عزة: فما أحدث النأي الذي كان بيننا * سلوا ولا طول اجتماع تقاليا وما زادني الواشون إلا صبابة * ولا كثرة الناهين إلا تماديا غيره له: فقلت لها يا عز كل مصيبة * إذا وطنت يوما لها النفس ذلت هنيئا مريئا غير داء مخامر * لعزة من أعراضنا ما استحلت وقال كثير عزة أيضا وفيه حكمة أيضا: ومن لا يغمض عينه عن صديقه * وعن بعض ما فيه يمت وهو عاتب ومن يتتبع جاهدا كل عثرة * يجدها ولا يبقى له الدهر صاحب وذكروا أن عزة بنت جميل بن حفص أحد بني حاجب بن عبد الله بن غفار أم عمرو الضمرية وفدت على عبد الملك بن مروان تشكو إليه ظلامة فقال: لا أقضيها لك حتى تنشديني شيئا من شعره، فقالت: لا أحفظ لكثير شعرا، لكني سمعتهم يحكون عنه أنه قال في هذه الأبيات: قضى كل ذي دين علمت غريمه * وعزة ممطول معنى غريمها

فقال: ليس عن هذا أسألك ولكن أنشديني قوله: وقد زعمت أني تغيرت بعدها * ومن ذا الذي يا عز لا يتغير تغير جسمي والمحبة كالذي * عهدت ولم يخبر بذاك مخبر." (١)

"يكن له بصيرة نافذة فيه، فدخل عليه بسبب ذلك الداخل، وراج عنده الباطل.

ودعا إليه وحمل الناس عليه قهرا.

وذلك في آخر أيامه وانقضاء دولته.

وقال ابن أبي الدنيا: كان المأمون أبيض ربعة حسن الوجه قد وخطه الشيب يعلوه صفرة أعين طويل اللحية رقيقها ضيق الجبين، على خده خال.

أمه أم ولد يقال لها مراجل.

---

(١) البداية والنهاية ط إحياء التراث ابن كثير ٢٨٢/٩

وروى الخطيب عن القاسم بن محمد بن عباد قال: لم يحفظ القرآن أحد من الخلفاء غير عثمان بن عفان والمأمون، وهذا غريب جدا لا يوافق عليه، فقد كان يحفظ القرآن عدة من الخلفاء.

قالوا: وقد كان المأمون يتلو في شهر رمضان ثلاثا وثلاثين ختمة، وجلس يوما لإملاء الحديث فاجتمع حوله القاضي يحيى بن أكثم وجماعة فأملى عليهم من حفظه ثلاثين حديثا.

وكانت له بصيرة بعلوم متعددة، فقها وطبا وشعرا وفرائض وكلاما ونحوا وغريبه، وغريب حديث، وعلم النجوم.

وإليه ينسب الزيج المأموني.

وقد اختبر مقدار الدرجة في وطئ، سنجار فاختلف عمله وعمل الأوائل من الفقهاء.

وروى ابن عساكر أن المأمون جلس يوما للناس وفي مجلسه الأمراء والعلماء، فجاءت امرأة تتظلم إليه فذكرت أن أخاها توفي وترك ستمائة دينار، فلم يحصل لها سوى دينار واحد.

فقال لها المأمون على البديهة: قد وصل إليك، حقك، كأن أخاك قد ترك بنتين وأما وزوجة واثني عشر أخا وأختا واحدة وهي أنت، قالت: نعم يا أمير المؤمنين.

فقال: للبنتين الثلثان أربعمائة دينار، وللأم السدس مائة دينار، وللزوجة الثمن خمسة وسبعون دينارا، بقي خمسة وعشرون دينارا لكل أخ ديناران ديناران، ولك دينار واحد.

فعجب العلماء من فطنته وحدة ذهنه وسرعة جوابه.

وقد رويت هذه

الحكاية عن علي بن أبي طالب.

ودخل بعض الشعراء على المأمون وقد قال فيه بيتا من الشعر يراه عظيما، فلما أنشده إياه لم يقع منه موقعا طائلا، فخرج من عنده محروما، فلقيه شاعر آخر فقال له: ألا أعجبك! أنشدت المأمون هذا البيت فلم يرفع به رأسا.

فقال: وما هو؟ قال قلت فيه: أضحى إمام الهدى المأمون مشتغلا * بالدين والناس بالدنيا مشاغيل فقال له الشاعر الآخر: ما زدت على أن جعلته عجوزا في محرابها.

فهلا قلت كما قال جرير في عبد العزيز بن مروان: فلا هو في الدنيا مضيع (١) نصيبه * ولا عرض الدنيا عن الدين شاغله وقال المأمون يوما لبعض جلسائه: بيتان اثنان لاثنين ما يلحق بهما أحد، قول أبي نواس: إذا اختبر الدنيا لبيب تكشفت * له عن عدو في لباس صديق وقول شريح:

---

(١) في ابن الاثير ٦ / ٤٣٨: يضيع.
(*)."[1]

"أن المأمون جلس يوما للناس وفي مجلسه الأمراء والعلماء، فجاءت امرأة تتظلم إليه فذكرت أن أخاها توفي وترك ستمائة دينار، فلم يحصل لها سوى دينار واحد. فقال لها المأمون على البديهة: قد وصل إليك حقك، كأن أخاك قد ترك بنتين وأما وزوجة واثني عشر أخا وأختا واحدة وهي أنت، قالت: نعم يا أمير المؤمنين. فقال: للبنتين الثلثان أربعمائة دينار، وللأم السدس مائة دينار، وللزوجة الثمن خمسة وسبعون دينارا، بقي خمسة وعشرون دينارا لكل أخ ديناران ديناران، ولك دينار واحد.

فعجب العلماء من فطنته وحدة ذهنه وسرعة جوابه. وقد رويت هذه الحكاية عن على بن أبى طالب.

ودخل بعض الشعراء على المأمون وقد قال فيه بيتا من الشعر يراه عظيما، فلما أنشده إياه لم يقع منه موقعا طائلا، فخرج من عنده محروما، فلقيه شاعرا آخر فقال له: ألا أعجبك! أنشدت المأمون هذا البيت فلم يرفع به رأسا. فقال: وما هو؟ قال قلت فيه:

أضحى إمام الهدى المأمون مشتغلا ... بالدين والناس بالدنيا مشاغيل

فقال له الشاعر الآخر: ما زدت على أن جعلته عجوزا في محرابها. فهلا قلت كما قال جرير في عبد العزيز بن مروان:

فلا هو في الدنيا مضيع نصيبه ... ولا عرض الدنيا عن الدين شاغله

وقال المأمون يوما لبعض جلسائه: بيتان اثنان لاثنين ما يلحق بهما أحد، قول أبي نواس:

إذا اختبر الدنيا لبيب تكشفت ... له عن عدو في لباس صديق

وقول شريح:

تهون على الدنيا الملامة إنه ... حريص على استصلاحها من يلومها

قال المأمون: وقد ألجأني الزحام يوما وأنا في الموكب حتى خالطت السوقة فرأيت رجلا في دكان عليه أثواب خلقة، فنظر إلي نظر من يرحمني أو من يتعجب من أمري فقال:

أرى كل مغرور تمنيه نفسه ... إذا ما مضى عام سلامة قابل

وقال يحيى بن أكثم: سمعت المأمون يوم عيد خطب الناس فحمد الله وأثنى عليه وصلى على الرسول صلى الله عليه وسلم ثم قال: عباد الله! عظم أمر الدارين وارتفع جزاء العالمين، وطالت مدة الفريقين، فو

---

(١) البداية والنهاية ط إحياء التراث ابن كثير ٣٠٢/١٠

الله إنه للجد لا اللعب، وإنه للحق لا الكذب، وما هو إلا الموت والبعث والحساب والفصل والميزان والصراط ثم العقاب أو الثواب، فمن نجا يومئذ فقد فاز. ومن هوى يومئذ فقد خاب، الخير كله في الجنة، والشر كله في النار. وروى ابن عساكر من طريق النضر بن شميل قال: دخلت على المأمون فقال: كيف أصبحت يا نضر؟ فقلت: بخير يا أمير المؤمنين. فقال: ما الإرجاء؟ فقلت دين يوافق الملوك يصيبون به من دنياهم وينقصون به من دينهم. قال: صدقت. ثم قال: يا نضر أتدري ما قلت في صبيحة هذا اليوم؟ قلت: إني لمن علم الغيب لبعيد. فقال قلت أبياتا وهي:." (١)

"وله من العمر تسع وثلاثون سنة، وكانت خلافته سبع سنين وستة عشر يوما، وكان عاقلا شجاعا فاتكا قهر أبا يزيد الخارجي الذي كان لا يطاق شجاعة وإقداما وصبرا، وكان فصيحا بليغا، يرتجل الخطبة على البديهة في الساعة الراهنة. وكان سبب موته ضعف الحرارة الغريزية كما أورده ابن الأثير في كامله، فاختلف عليه الأطباء، وقد عهد بالأمر إلى المعز الفاطمي وهو باني القاهرة المعزية كما سيأتي بيانه واسمه، وكان عمره إذا ذاك أربعا وعشرين سنة، وكان شجاعا عاقلا أيضا حازم الرأي، أطاعه من البربر وأهل تلك النواحي خلق كثير، وبعث مولاه جوهر القائد فبنى له القاهرة المتاخمة لمصر، واتخذ له فيها دار الملك، وهما القصران اللذان هناك- اللذان يقال لهما بين القصرين اليوم- وذلك في سنة أربع وستين وثلاثمائة كما سيأتي. وممن توفي فيها من الأعيان

إسماعيل بن محمد بن إسماعيل بن صالح

أبو علي الصفار أحد المحدثين، لقي المبرد واشتهر بصحبته، وكان مولده في سنة سبع وأربعين ومائتين، وسمع الحسن بن عرفة وعباسا الدوري وغيرهما، وروى عنه جماعة منهم الدار قطني. وقال صام أربعة وثمانين رمضانا، وقد كانت وفاته في هذه السنة عن أربع وتسعين سنة رحمه الله تعالى

أحمد بن محمد بن زياد

ابن يونس بن درهم أبو سعيد بن الأعرابي، سكن مكة وصار شيخ الحرم، وصحب الجنيد بن محمد والنوري وغيرهما، وأسند الحديث وصنف كتبا للصوفية.

إسماعيل بن القائم

بن المهدي الملقب بالمنصور العبيدي الذي يزعم أنه فاطمي، صاحب بلاد المغرب. وهو والد المعز باني القاهرة، وهو باني المنصورية ببلاد المغرب. قال أبو جعفر المروزي: خرجت معه لما كسر أبا يزيد الخارجي،

---

(١) البداية والنهاية ط الفكر ابن كثير ٢٧٦/١٠

فبينما أنا أسير معه إذ سقط رحمه فنزلت فناولته إياه وذهبت أفاكهه بقول الشاعر:

فألقت عصاها واستقر بها النوى ... كما قر عينا بالإياب المسافر

فقال: هلا قلت كما قال الله تعالى) فألقى موسى عصاه فإذا هي تلقف ما يأفكون فوقع الحق وبطل ما كانوا يعملون فغلبوا هنالك وانقلبوا صاغرين) ٧: ١١٧- ١١٩ قال فقلت له: أنت ابن بنت رسول الله صلى الله عليه وسلم قلت ببعض ما علمت، وأنا قلت بما بلغ به أكثر علمي. قال ابن خلكان: وهذا كما جرى لعبد الملك ابن مروان حين أمر الحجاج أن يبني بابا ببيت المقدس ويكتب عليه اسمه، فبنى له بابا وبنى لنفسه بابا آخر، فوقعت صاعقة على باب عبد الملك فأحرقته، فكتب إلى الحجاج بالعراق يسأله عما أهمه من ذلك يقول: ما أنا وأنت إلا كما قال الله تعالى (واتل عليهم نبأ ابني آدم بالحق إذ قربا قربانا فتقبل من أحدهما ولم يتقبل من الآخر قال لأقتلنك) ٥: ٢٧ فرضى عنه الخليفة بذلك. توفى المنصور في هذه السنة من برد شديد والله أعلم.." (١)

"إلى أحدهم من الذهب الأحمر. وروى عطاء عن أبي هريرة قال: إذا رأيتم ستا فإن كانت نفس أحدكم في يده فليرسلها، فلذلك أتمنى الموت أخاف أن تدركني، إذا أمرت السفهاء، وبيع الحكم، وتهون بالدم، وقطعت الأرحام، وكثرت الجلاوزة، ونشأ نشو يتخذون القرآن مزامير. وقال ابن وهب: حدثنا عمرو بن الحارث عن يزيد بن زياد القرظي أن ثعلبة بن أبي مالك القرظي حدثه أن أبا هريرة أقبل في السوق يحمل حزمتي حطب- وهو يومئذ أمير لمروان بن الحكم- فقال: أوسع الطريق للأمير يا ابن أبي مالك، [فقلت يرحمك الله يكفي هذا! فقال: أوسع الطريق للأمير والحزمة عليه] [١] وله فضائل ومناقب كثيرة وكلام حسن ومواعظ جمة، أسلم كما قدمنا عام خيبر، فلزم رسول الله صلى الله عليه وسلم ولم يفارقه إلا حين بعثه مع العلاء بن الحضرمي إلى البحرين، ووصاه به، فجعله العلاء مؤذنا بين يديه، وقال له أبو هريرة: لا تسبقني بآمين أيها الأمير. وقد استعمله عمر بن الخطاب عليها في أيام إمارته، وقاسمه مع جملة العمال. قال عبد الرزاق: حدثنا معمر عن أيوب عن ابن سيرين. أن عمر استعمل أبا هريرة على البحرين فقدم بعشرة آلاف، فقال له عمر: استأثرت بهذه الأموال أي عدو الله وعدو كتابه؟ فقال أبو هريرة: لست بعدو الله ولا عدو كتابه، ولكن عدو من عاداهما.

فقال: فمن أين هي لك؟ قال: خيل نتجت، وغلة ورقيق لي، وأعطية تتابعت علي. فنظروا فوجدوه كما قال. فلما كان بعد ذلك دعاه عمر ليستعمله فأبى أن يعمل له، فقال له: تكره العمل وقد طلبه من كان خيرا

---

(١) البداية والنهاية ط الفكر ابن كثير ١١/٢٢٦

منك؟ طلبه يوسف عليه السلام، فقال: إن يوسف نبي ابن نبي ابن نبي ابن نبي، وأنا أبو هريرة بن أمية وأخشى ثلاثا واثنين، قال عمر: فهلا قلت خمسة؟ قال: أخشى أن أقول بغير علم، وأقضى بغير حلم، أو يضرب ظهري، وينزع مالي، ويشتم عرضي. وذكر غيره أن عمر غرمه في العمالة الأولى اثني عشر ألفا فلهذا امتنع في الثانية. وقال عبد الرزاق عن معمر عن محمد بن زياد.

قال: كان معاوية يبعث أبا هريرة على المدينة فإذا غضب عليه عزله وولى مروان بن الحكم، فإذا جاء أبو هريرة إلى مروان حجبه عنه، فعزل مروان ورجع أبو هريرة، فقال لمولاه: من جاءك فلا ترده واحجب مروان، فلما جاء مروان دفع الغلام في صدره فما دخل إلا بعد جهد جهيد، فلما دخل قال:

إن الغلام حجبنا عنك، فقال له أبو هريرة: إنك أحق الناس أن لا تغضب من ذلك. والمعروف أن مروان هو الذي كان يستنيب أبا هريرة في إمرة المدينة، ولكن كان يكون عن إذن معاوية في ذلك والله أعلم. وقال حماد بن سلمة عن ثابت عن أبي رافع: كان مروان ربما استخلف أبا هريرة على المدينة فيركب الحمار ويلقى الرجل فيقول: الطريق قد جاء الأمير- يعني نفسه- وكان يمر بالصبيان وهم يلعبون بالليل لعبة الأعراب، وهو أمير، فلا يشعرون إلا وقد ألقى نفسه بينهم ويضرب برجليه

---

[١] سقط من المصرية." (١)

"أشرف وأفضل وأحسن منها- وكانت عائشة بنت طلحة قد فاقت النساء حسنا وجمالا وأصالة- وإنما قالت له ذلك لتختبره وتبلوه فقال:

ضحى قلبه يا عز أو كاد يذهل ... وأضحى يريد الصوم أو يتبدل

وكيف يريد الصوم من هو وامق ... لعزة لا قال ولا متبذل

إذا واصلتنا خلة كي تزيلنا ... أبينا وقلنا الحاجبية أول

سنوليك عرفا إن أردت وصالنا ... ونحن لتيك الحاجبية أوصل

وحدثها الواشون أني هجرتها ... فحملها غيظا علي المحمل

فقالت له عائشة: قد جعلتني خلة ولست لك بخلة، وهلا قلت كما قال جميل فهو والله أشعر منك حيث يقول:

يا رب عارضة علينا وصلها ... بالجد تخلطه بقول الهازل

---

(١) البداية والنهاية ط الفكر ابن كثير ١١٣/٨

فأجبتها بالقول بعد تستر ... حبي بثينة عن وصالك شاغلي

لو كان في قلبي بقدر قلامة ... فضل وصلتك أو أتتك رسائلي

فقال: والله ما أنكر فضل جميل، وما أنا إلا حسنة من حسناته، واستحيا. ومما أنشده ابن الأنباري لكثير عزة:

بأبي وأمي أنت من مءشوقة ... طبن العدو لها فغير حالها

ومشى إلي بعيب عزة نسوة ... جعل الإله خدودهن نعالها

الله يعلم لو جمعن ومثلت ... لأخذت قبل تأمل تمثالها

ولو ان عزة خاصمت شمس الضحى ... في الحسن عند موفق لقضى لها

وأنشد غيره لكثير عزة:

فما أحدث النأي الذي كان بيننا ... سلوا ولا طول اجتماع تقاليا

وما زادني الواشون إلا صبابة ... ولا كثرة الناهين إلا تماديا

غيره له: فقلت لها يا عز كل مصيبة ... إذا وطنت يوما لها النفس ذلت

هنيئا مريئا غير داء مخامر ... لعزة من أعراضنا ما استحلت

وقال كثير عزة أيضا وفيه حكمة أيضا:

ومن لا يغمض عينه عن صديقه ... وعن بعض ما فيه يمت وهو عاتب

ومن يتتبع جاهدا كل عثرة ... يجدها ولا يبقى له الدهر صاحب

وذكروا أن عزة بنت جميل بن حفص أحد بني حاجب بن عبد الله بن غفار أم عمرو الضمرية." (١)

"نتجت، وغلة ورقيق لي، وأعطية تتابعت علي. فنظروا فوجدوه كما قال. فلما كان بعد ذلك دعاه عمر ليستعمله، فأبى أن يعمل له، فقال له: تكره العمل، وقد طلبه من كان خيرا منك؟ طلبه يوسف عليه السلام. فقال: إن يوسف نبي ابن نبي ابن نبي ابن نبي، وأنا أبو هريرة بن أميمة وأخشى ثلاثا واثنتين. قال عمر: **فهلا قلت** خمسة؟ قال: أخشى أن أقول بغير علم، وأقضي بغير حكم، أو يضرب ظهري، وينتزع مالي، ويشتم عرضي.

وذكر غيره أن عمر أغرمه في العمالة الأولى اثني عشر ألفا، فلهذا امتنع في الثانية.

وقال عبد الرزاق، عن معمر، عن محمد بن زياد قال: كان معاوية يبعث أبا هريرة على المدينة، فإذا غضب

---

(١) البداية والنهاية ط الفكر ابن كثير ٢٥٤/٩

عليه عزله وولى مروان بن الحكم فإذا جاء أبو هريرة إلى مروان حجبه عنه، فعزل مروان ورجع أبو هريرة، فقال لمولاه: من جاءك فلا ترده، واحجب مروان. فلما جاء مروان دفع الغلام في صدره، فما دخل إلا بعد جهد، فلما دخل قال: إن الغلام حجبنا عنك. فقال له أبو هريرة: إنك أحق الناس أن لا تغضب من ذلك. والمعروف أن مروان هو الذي كان يستنيب أبا هريرة في إمرة المدينة، ولكن كان يكون عن إذن معاوية في ذلك. والله أعلم.

وقال حماد بن سلمة، عن ثابت، عن أبي رافع: كان مروان ربما." (١)

"وقال مصعب بن عبد الله الزبيري: قالت عائشة بنت طلحة لكثير عزة: ما الذي يدعوك إلى ما تقول من الشعر في عزة وليست على ما تصف من الحسن والجمال؟ ! فلو قلت ذلك في وفي أمثالي، فأنا أشرف وأفضل منها، وإنما أرادت أن تختبره وتبلوه، فقال:

صحا قلبه يا عز أو كاد يذهل ... وأضحى يريد الصوم أو يتبدل

وكيف يريد الصوم من هو وامق ... لعزة لا قال ولا متبذل

إذا وصلتنا خلة كي تزيلنا ... أبينا وقلنا الحاجبية أول

سنوليك عرفا إن أردت وصالنا ... ونحن لتيك الحاجبية أوصل

وحدثها الواشون أني هجرتها ... فحملها غيظا علي المحمل

فقالت له عائشة: لقد جعلتني خلة ولست لك بخلة، **وهلا قلت** كما قال جميل فهو والله أشعر منك حيث يقول:

يا رب عارضة علينا وصلها ... بالجد تخلطه بقول الهازل

فأجبتها بالقول بعد تستر ... حبي بثينة عن وصالك شاغلي

لو كان في قلبي بقدر قلامة ... فضل وصلتك أو أتتك رسائلي

فقال: والله ما أنكر فضل جميل وما أنا إلا حسنة من حسناته. واستحيا.." (٢)

"عظيما، فلما أنشده إياه لم يقع منه هذا البيت موقعا طائلا، فخرج من عنده، فلقيه شاعر آخر، فقال: ألا أعجبك؟ أنشدت المأمون هذا البيت فلم يرفع به رأسا. فقال: وما هو؟ قال: قلت فيه:

أضحى إمام الهدى المأمون مشتغلا ... بالدين والناس بالدنيا مشاغيل

---

(١) البداية والنهاية ط هجر ابن كثير ٣٨٧/١١

(٢) البداية والنهاية ط هجر ابن كثير ٣١/١٣

فقال له ذلك الشاعر الآخر: ما زدت على أن جعلته عجوزا في محرابها، **فهلا قلت** كما قال جرير في عبد العزيز بن الوليد:

فلا هو في الدنيا مضيع نصيبه ... ولا عرض الدنيا عن الدين شاغله

وقال المأمون يوما لبعض جلسائه: بيتان لاثنين ما لحقهما أحد؛ قول أبي نواس:

إذا اختبر الدنيا لبيب تكشفت ... له عن عدو في لباس صديق

وقول شريح

تهون على الدنيا الملامة إنه ... حريص على استصلاحها من يلومها

قال المأمون: وقد ألجأني الزحام يوما وأنا في الموكب حتى خالطت." (١)

"والحسن بن زيد العلوي.

صاحب طبرستان في رجب من هذه السنة، وكانت ولايته تسع عشرة سنة وثمانية أشهر وستة أيام، وقام بالأمر من بعده أخوه محمد بن زيد، وكان الحسن بن زيد كريما جوادا ممدحا يعرف الفقه والعربية، قال له شاعر في جملة قصيدة مدحه بها:

الله فرد وابن زيد فرد

فقال: ويلك، لا تقل، **هلا قلت:**

الله فرد وابن زيد عبد

ثم نزل عن سريره، وخر ساجدا لله - عز وجل - وألصق خده بالتراب، ولم يعط ذلك الشاعر شيئا.

وامتدحه بعضهم فقال في أول قصيدته:

لا تقل بشرى ولكن بشريان ... عزة الداعي ويوم المهرجان

فقال له الحسن بن زيد: لو ابتدأت بالمصراع الثاني لكان أحسن، وأبعد لك أن تبتدئ شعرك بحرف " لا ". فقال له الشاعر: ليس في الدنيا كلمة أجل من قول: لا إله إلا الله. فقال: أصبت. وأمر له بجائزة سنية.." (٢)

"وإذا قدموا بدأوا بالسلام عليه وكان يكاشف بأحوالهم وربما نذر أحدهم النذر وندم عليه فإذا أتى الشيخ للسلام عليه أعلمه بما نذر له وأمره بالوفاء به واتفق له ذلك مرات واشتهر به. فلما خالف القاضي

---

(١) البداية والنهاية ط هجر ابن كثير ٢٢٠/١٤

(٢) البداية والنهاية ط هجر ابن كثير ٥٩٣/١٤

جلال الأفغاني وقبيلته بتلك الجهات بلغ السلطان أن الشيخ الحيدري دعا للقاضي جلال وأعطاه شاشيته من رأسه، وذكر أيضا أنه بايعه. فلما خرج السلطان إليهم بنفسه وانهزم القاضي جلال خلف السلطان شرف الملك أمير بحت أحد الوافدين معنا عليه بكنباية وأمره بالبحث عن أهل الخلاف وجعل معه الفقهاء يحكم بقولهم فأحضر الشيخ علي الحيدري بين يديه وثبت أنه أعطى للقائم شاشيته ودعا له فحكموا بقتله. فلما ضربه السياف لم يفعل شيئا وعجب الناس لذلك وظنوا أنه يعفى عنه بسبب ذلك فأمر سيافا آخر بضرب عنقه، فضربها رحمه الله تعالى.

وكان طوغان الفرغاني وأخوه من كبار أهل مدينة فرغاني فوفدا على السلطان فأحسن إليهما وأعطاهما عطاء جزيلا وأقاما عنده مدة فلما طال مقامهما أرادا الرجوع إلا بلادهما وحاولا الفرار فوشى بهما أحد أصحابهما إلى السلطان فأمر بتوسيطهما فوسطا وأعطى للذي وشى بهما جميع مالهما. وكذلك عادتهم بتلك البلاد إذا وشى أحد بأحد وثبت ما وشى به فقتل أعطي ماله.

وكان ابن ملك التجار شابا صغيرا لا نبات بعارضيه، فلما وقع خلاف عين الملك وقيامه وقتاله للسلطان كما سنذكره، غلب على ابن ملك التجار هذا، فكان في جملته مقهورا فلما هزم عين الملك وقبض عليه وعلى أصحابه كان من جملتهم ابن ملك التجار وصهره ابن قطب الملك فأمر بهما فعلقا من أيدهما في خشب وأمر أبناء الملوك فرموهما بالنشاب حتى ماتا. ولما ماتا قال الحاجب خواجة أمير علي التبريزي لقاضي القضاة كمال الدين ذلك الشاب لم يجب عليه القتل. فبلغ ذلك السلطان فقال: **هلا قلت** هذا قبل موته؟ وأمر به فضرب مائتي مقرعة أو نحوها وسجن وأعطي جميع ماله لأمير السيافين. فرأيته في ثاني ذلك اليوم قد لبس ثيابه وجعل قلنسوته على رأسه وركب فرسه فظننت أنه هو. وأقام بالسجن شهورا ثم سرحه ورده إلى ما كان عليه ثم غضب عليه ثانية ونفاه إلى خراسان فاستقر بهراة وكتب إليه يستعطفه فوقع له على ظهر كتابه أكرباز آمدي باز "آي" معناه إن كنت تبت فارجع فرجع إليه.." (١)

"عناء لا يجدي، وتعب لا ينفع؛ كأنه لم يسمع ما شحنت به العرب أشعارها من وصف ركض المنهزم، وإسراع الهارب، وتقصير الطالب، وقولهم: إن الذي نجى فلانا كرم فرسه، والذي ثبطني عنه سرعة طرفه، ولم يعلم أن مذاهب العرب المحمودة عندهم، الممدوح بها شجعانهم التفضل عند اللقاء، وترك التحصن في الحرب، وأنهم يرون الاستظهار بالجنن ضربا من الجبن، وكثرة الاحتفال والتأهب دليلا على الوهن، ولم يسمع قول الأعشى:

---

(١) رحلة ابن بطوطة ط دار الشرق العربي ابن بطوطة ٣٧٢/٢

وإذا تكون كتيبة ملموسة ... خرساء يخشى الدارعون نزالها

كنت المقدم غير لابس جنة ... بالسيف تضرب معلما أبطالها

ولما أنشد كثير عبد الملك بن مروان:

على ابن أبي العاصي دلاص حصينة ... أجاد المسدي سردها وأذالها

قال له عبد الملك: وصفتني بالجبن! **هلا قلت** كما قال الأعشى، وذكر البيتين المتقدمين: فقال: وصفتك بالحزم ووصفه بالخرق. وأنشد الأصمعي قول مزرد بن ضرار:

ومسفوحة فضفاضة تبعية ... وآها القتير تجتويها المعابل

دلاص كظهر النون لا يستطيعها ... سنان ولا تلك الحظاء الدواخل

موشح بيضاء دان حبيكها ... لها حلق بعد الأنامل فاضل." (١)

"وهو أول من حمل الطعام من مصر في بحر أيلة إلى المدينة حين أقحطوا في عام الرمادة والأمير على مصر يومئذ عمرو بن العاص قال القضاعي حفر خليج القاهرة من الفسطاط إلى السويس في ثمانية أشهر وجرت فيه السفن بالطعام من عامه فكان ينقل منها إلى السفن ببحر القلزم فيحمل منها إلى المدينة

وهو أول من أعال الفرائض فيما ذكره العسكري عن ابن عباس وكان ابن عباس ينكر القول ولم يظهر ذلك إلا بعد موت عمر فقيل له **هلا قلت** ذلك في زمن عمر قال كان رجلا مهيبا فهبته

وهو أول من اتخذ الدرة وحملها ليعذب بها الجناة وكانت من الهيبة بحيث قال الشعبي إن درة عمر لأهيب من سيف الحجاج

أول خليفة ولى وأمه في قيد الحياة عثمان بن عفان رضي الله عنه ثم موسى وهارون ابنا المهدي ثم المعتضد ثم المطيع

وهو أول من أقطع القطائع بالأرضين." (٢)

"المقصد الثالث في بيان ما يحتاج إليه الكاتب من اللغة؛ ويرجع المقصود منه إلى خمسة أصناف

الصنف الأول- الغريب

، وهو ما ليس بمألوف الاستعمال، ولا دائر على الألسنة؛ وذلك أن مدار الكتابة على استخراج المعاني من القرآن الكريم، والأحاديث النبوية، والشعر؛ وألفاظها لا تخلو عن الغريب؛ بل ربما غلب الغريب منها

---

(١) الوساطه بين المتنبي وخصومه ونقد شعره الجرجاني، الشريف ص/٤٣٥

(٢) مآثر الإنافة في معالم الخلافة القلقشندي ٣/٣٣٩

في الشعر على المألوف لا سيما الشعر الجاهلي. وقد قال الأصمعي «١» «توسلت بالملح ونلت بالغريب» . قال صاحب «الريحان والريعان» : «والغريب، وإن لم ينفق منه الكاتب فإنه يجب أن يعلم ويتطلع إليه ويستشرف؛ فرب لفظة في خلال شعر أو خطبة أو مثل نادر أو حكاية؛ فإن بقيت مقفلة دون أن تفتح لك، بقي في الصدر منها حزازة تحوج إلى السؤال، وإن صنت وجهك عن السؤال، رضيت بمنزلة الجهال» . وقد عاب ابن قتيبة رجلا كتب في وصف برذون: «وقد بعثت به أبيض الظهر والشفتين» . فقيل له: هلا قلت في بياض الشفتين أرثم ألمظ! فقال لهم: فبياض الظهر، قالوا لا ندري، فقال: إنما جهلت من الشفتين ما جهلتم من الظهر. وذم قوما من وجوه الكتاب بأنه اجتمع معهم في مجلس فتذاكروا عيوب الرقيق فلم يكن فيهم من يفرق بين الوكع «٢» والكوع «٣» ، ولا بين الحنف «٤» والفدع «٥» ، ولا." (١)

"فلما رأيته استصغرت الرتبة مع شرفها الباذخ في جانبه، وعلمت أن ما تقدم من المدح لم يوف حقه ولم يقم ببعض واجبه؛ فغلبت هيبته إقدامي، وحالت حرمته بيني وبين مرامي، فقلت: إنا لله! قد فاتتني مآربي، ورجعت من فوري إلى صاحبي، فأظهرت له الأسف، وقصصت عليه القصة قال: لا تخف؛ إنها لمنقبة عمرية، وأثرة عدوية؛ فالفاروق جده، وبنو عدي قبيله وجنده «١» .

هذا وإنه لألطف وأرق من النسيم الساري، والماء الجاري، وأحيى من العذراء في خدرها، وأشفق من الوالدة إذا ضمت ولدها إلى صدرها، وأحلم من «معن بن زائدة» ، وإن كان أفصح من «قس بن ساعدة» .

يغضي حياء ويغضى من مهابته ... فلا يكلم إلا حين يبتسم!

بالعزائم الفاروقية فتحت الأمصار، وبالهيبة العمرية أقر المهاجرون والأنصار؛ ويشهد لذلك قصة «ابن عباس» في العول «٢» وسكوته في خلافة عمر وصمته، وجوابه بعد ذلك للقائل له: هلا قلت ذلك في زمن عمر؟ بقوله: إنه كان مهيبا فهبته؛ كيف؟ وما سلك فجا إلا وسلك الشيطان فجا غير فجه وضاقت عليه الفجاج، ولم تماثل هيبته بهيبة غيره وإن عظمت سطوته حتى قال الشعبي: إن درة «٣» عمر لأهيب من سيف الحجاج؛ وهو مع ذلك يلطف بالأرامل والمساكين، ويعين الفقراء والمحتاجين؛ فقد اتضحت لك القضية، وتحققت أنها سمات إرثية.." (٢)

---

(١) صبح الأعشى في صناعة الإنشاء القلقشندي ١٨٦/١

(٢) صبح الأعشى في صناعة الإنشاء القلقشندي ١٤٣/١٤

"من ثمرات الأوراق أن رجلا من الحذاق كان يكتب كتابا وإلى جانبه آخر فانتهى في كتابه إلى اسم عمرو فكتبه بغير واو فقال يا مولانا زدها واوا للفرق بينها وبين عمر فقال: والله لقد تفضل مولانا بزيادة الواو بمعنى تفوضل قلت وبعضهم يرى أن الواو تزاد بعد لا النافية في الجواب إذا قيل هل فعلت كذا وكذ فيقول لا وعافاك الله.

قال أبو الفرج بن الجوزي: روي عن أمير المؤمنين عمر بن الخطاب رضي الله عنه أنه قال لرجل عربي أكان كذا وكذا فقال: لا أطال الله بقاءك فقال الإمام عمر رضي الله عنه: قد علمتم فلم تتعلموا **هلا قلت**: لا وعافاك الله.

وحكي عن الصاحب بن عباد أنه قال هذه الواو هنا أحسن من واوات الأصداغ في وجنات الملاح. قلت وهذه الواو أعني واو عمرو نظم فيها الشعراء كثيرا منهم أبو نواس قال يهجو أشجع السلمي.

قل لمن يدعي سليمى سفاها ... لست منها ولا قلامة ظفر

إنما أنت من سليمى كواو ... ألحقت في الهجاء ظلما بعمرو

وقال أبو سعيد الرسمي وأجاد:

أفي الحق أن يعطى ثلاثون شاعرا ... ويحرم ما دون الرضا شاعر مثلي." (١)

"الأدب في نقيب الأشراف بالمدائن رثاء خلب قلبي وهو يقول:

قد قلت للرجل المولى غسله ... هلا أطاع وكنت من نصائحه

جنبه ماءك ثم غسله بما ... أذرت عيون المجد عند بكائه

وأزل أفاويه الحنوط ونحها ... عنه وحنطه بطيب ثنائه

ومر الملائكة الكرام بنقله ... شرفا ألست تراهم بإزائه

لا توه أعناق الرجال بحمله ... يكفي الذي حملوه من نعمائه

قال الشيخ شهاب الدين فوقع في نفسي أنه أحق الناس بهذا الرثاء وأنه نعى نفسه فمات في ذلك الأسبوع برد الله مضجعه.

نكتة لطيفة قيل إنه لما رجع الشيخ شهاب الدين السهروردي رحمه الله من الشام إلى بغداد وجلس على عادته أخذ يقلل أحوال الناس ويهضم جانب الرجال ويقول إنه ما بقي من يجاري وقد خلت الدنيا وأنشد:

ما في الصحاب أخو وجد نطارحه ... حديث نجد ولا خل نجاريه

---

(١) ثمرات الأوراق في المحاضرات الحموي، ابن حجة ١/٩

فصاح من أطراف المجلس رجل عليه قباء وكلوتة فقال يا شيخ كم تنتقص بالقوم والله إن فيهم من لم يرض أن يجاريك وقصاراك أن تفهم ما يقول **هلا قلت**:

ما في الصحاب وقد سارت حمولهم ... إلا محب له في الركب محبوب." [١]

"نزولها، وإما للذم لمن نزلت فيه الآية كما في قوله تعالى: ﴿وما كنت متخذ المضلين عضدا﴾ [الكهف: ٥١] مع أنه سبحانه لا يتخذ عضدا من المضلين ولا من غيرهم، وقد ذكر الزمخشري رحمه الله أن المعنى: وما كنت متخذهم عضدا، ولكن ذكر المضلين للذم (١) وقد حكم في " الكشاف " بمثل هذا في مواضع كثيرة، فكذا يمكن أن يكون وضع الفاسق في موضع ما هو أعم منه، كما لو قال: إن جاءكم أحد ليفيد الذم، وتلك الفائدة حاصلة بالعام لو أتى به معروفة، أو وضع الفاسق موضع ما هو أخص منه، وهو الوليد (٢) ليفيد الذم، والفائدة أيضا معروفة فتأمل ذلك.

فإن قلت: ما المانع من القول بأن المعنى: وإن لم يأتكم فاسق، فلا تبينوا، **وهلا قلت**: إن هذا المعنى صحيح، ولا يمنع منه ما في ظاهره من النهي من التبين، لأنه لم ينه عنه لأمر يعود عليه في نفسه، ولكن نهى عن طلبه لحصوله، كأنه قال: وإن جاءكم مسلم، فقد حصل البيان، فلا تطلبوا البيان.

قلت: الجواب أنه لا يصح القطع على أن هذا هو المراد لوجهين.

أحدهما: أنا بينا أن المفهوم لا يصح أن يكون: وإن جاءكم مسلم، وإنما المفهوم وإن لم يأتكم فاسق. ويدل عليه وجوه.

---

(١) " الكشاف " ٢/ ٤٨٨.

(٢) هو الوليد بن عقبة بن أبي معيط القرشي الأموي، أخو أمير المؤمنين عثمان بن عفان لأمه، أسلم يوم الفتح، وسيذكر المصنف ذلك قريبا، وفيه نزل قوله تعالى ﴿إن جاءكم فاسق بنبإ فتبينوا﴾ وانظر أخباره في " طبقات ابن سعد " ٦/ ٢٤ و٧/ ٤٧٦ ونسب قريش ص ١٣٨، و" الجرح والتعديل " ٩/ ٨ والأغاني ٥/ ١٢٢، وتاريخ ابن عساكر ١٧/ ٤٣٤ ب و" العقد الثمين " ٧/ ٣٩٨، والإصابة ٣/ ٦٣٧ و" تهذيب التهذيب " ١١/ ١٤٢.." [٢]

---

(١) ثمرات الأوراق في المحاضرات الحموي، ابن حجة ٥٤/١

(٢) العواصم والقواصم في الذب عن سنة أبي القاسم ابن الوزير ١٧٦/٢

"قلت: ظاهر قوله تعالى: ﴿والكافرون هم الظالمون﴾ يأبى العموم، لأن ظاهرة قصر الظالمين على الكافرين كما تقدم، سلمنا جواز أن الظاهر العموم دون الاشتراك، لكن الاشتراك محتمل غير راجح، فلا يصلح الاستدلال بها في مسألة قطعية حتى ينتفي الاشتراك بقاطع.

فإن قلت: **هلا قلت**: إن قوله تعالى: ﴿والكافرون هم الظالمون﴾ مجاز كقول القائل: العلماء هم العاملون مبالغة في أن كل عامل بغير علم فليس بعامل لما يعرض في عمله من الخطأ.

قلت: الجواب من وجهين.

الأول: أنه لا يعدل إلى المجاز إلا بدليل، وإنما سألت عن الدليل.

الثاني: أن السيد ادعى أن المسألة قطعية، فلا بد للسيد من الدليل القاطع على نفي هذا الاحتمال.

وأما السنة، فعن عبد الله بن مسعود رضي الله عنه قال: لما نزلت هذه الآية ﴿الذين آمنوا ولم يلبسوا إيمانهم بظلم﴾ [الأنعام: ٨٢] شق ذلك على أصحاب النبي - صلى الله عليه وسلم -، فقالوا: أينا لم يلبس إيمانه بظلم؟ فقال رسول الله - صلى الله عليه وسلم -: " إنه ليس بذاك [إنما هو الشرك] ألا تسمع إلى قول لقمان ﴿إن الشرك لظلم عظيم﴾ رواه البخاري ومسلم في " صحيحيهما " (١)،

---

(١) أخرجه البخاري (٣٢) و (٣٣٦٠) و (٣٤٢٨) و (٣٤٢٩) و (٤٦٢٩) و (٤٧٧٦) و (٩٦١٨) و (٦٩٣٧) ومسلم (١٢٤) والترمذي (٣٠٦٧) وأحمد رقم (٣٥٨٩) و (٤٠٣١) و (٤٢٤٠) والطبري (١٣٤٧٦) وذكره السيوطي في " الدر المنثور " ٣/ ٢٦ - ٢٧ وزاد نسبته إلى ابن المنذر، وابن أبي حاتم، والدارقطني في " الأفراد " وأبي الشيخ وابن مردويه.." [1]

"في السارق: إنه يقتل النفس، فكيف قلت في من أرجىء، ولم يعرف منه إلا هذه المعصية: إنه يفعل غيرها من المعاصي التي يعتقد تحريمها، **وهلا قلت**: إن قوله هذا يضعف الظن لصدقه، ويضعف الظن لاجتنابه للمعاصي كما تقول العلماء.

فإن قلت: إنك إنما عنيت بهذا فساق التصريح منهم.

قلت: ليس كلامنا في فساق التصريح على أنه لا يجوز الرجم بالغيب على فساق التصريح، ولا كفار التصريح، والعجب أن السيد -أيده الله- قال في البراهمة مع إنكارهم للنبوات، وما جاءت به الشرائع من عذاب النار في حق الفساق والكفار: إنهم يتحرزون عن الكذب أشد التحرز، فيتنزهون عنه أشد التنزه مع

---

(١) العواصم والقواصم في الذب عن سنة أبي القاسم ابن الوزير ٢/٢٠٠

إنكارهم لعذاب النار بالمرة، بل مع تكذيبهم لجميع الرسل والأنبياء، وإنكارهم لجميع ما جاؤوا به مما يخالف العقول من إيلام الحيوان في الدنيا والآخرة، فكيف أخبر عنهم بأنهم في غاية التحرز من الكذب. وأما المرجئة، مع تصديقهم للأنبياء عليهم السلام، وخوفهم من الموت على الكفر الذي لا يغفر، وإثباتهم للعذاب الأخروي، فقطع السيد بأنهم يكذبون، ويرتكبون سائر المعاصي، ولم يمكنه العدول عن هذه العبارة إلى ما هو أقرب منها إلى الصدق، وإلى ما يكفيه في (١) جرحهم، بل تعدى الطور في الغلو، و (٢) جاوز الحد في التعدي حتى فضل البراهمة المصرحين بتكذيب الله ورسله، القاطعين ببطلان العذاب،

---

(١) في (ب): من.

(٢) في (ب): أو.." (١)

"في المتشابه. وقد مرت الإشارة إلى ذلك.

فإما أن يسلم ذلك حصل عرضا، وإن ادعى أنه لا يجوز أن يعلم الله من الحكم ما لا نعلمه، احتاج إلى برهان قاطع على ذلك، ولا برهان إلا مجرد الوهم لقياس الخالق على المخلوق، وهو باطل.

وأين الرازي من قوله:

العلم للرحمن جل جلاله ... وسواه في جهلاته يتغمغم

ما للتراب وللعلوم وإنما ... يسعى ليعلم أنه لا يعلم (١)

والعجب من الرازي -مع ذكائه- كيف يمنع الوسائل لكونها عبثا في الاستدلال على أن جميع أفعاله سبحانه عبث عنده، ومن قبل جعل العبث حقيقة الغنى، والحكمة حقيقة الحاجة.

فيا هذا، إذا كانت أفعال الله تعالى عندك كلها عبث، لا حكمة فيها، ولا يتم غناه إلا بذلك، فكيف يكون ما أدى إلى مذهبك الحق باطلا، لاستلزامه الغنى الذي هو حق، ومستلزم الحق حق.

وهلا قلت: لزم أن يكون غنيا بالمعجمة والنون، لا عبثا بالمهملة والموحدة ثم المثلثة، وقد سميت الداعي حاجة، والمتصف به محتاجا، فغيرت اسم الحكمة وسميتها حاجة، واسم الحكيم وسميته محتاجا، تشنيعا على خصمك، كما غيرت اسم العبث وسميته غنى، واسم العابث وسميته غنيا، حين احتجت إلى ذلك، فبان غلاطك وقلبك لأسماء الصفات، ووقوفك مع مجرد العبارات، وهذا كلام نازل، وتطاول ليس تحته طائل.

---

(١) العواصم والقواصم في الذب عن سنة أبي القاسم ابن الوزير ٢/٢٦١

فإن قلت: إنما عنيت أنه يلزم المخالف على أصله أنه عبث.

قلنا: هو مشترك الإلزام بينك وبينه، فكما أنك تسترت بتسميته عبثا،

---

(١) تقدم هذان البيتان: ٢/ ١٠١.." [1]

"المعصية مقدور لهم أو لا، إن قال: إنه غير مقدور لهم، وجاز وقوعه منهم؛ فلا وجه لقطعه بأنهم لا يفعلون أحد الجائزين. وهلا ذكر قوله في رسالته: إنه لا يجوز للإنسان أن يخبر بخبر يجوز أنه كذب؟ فكيف أخبر عن جميع المرجئة بارتكاب الكذب وغيره من المعاصي!؟ وليس يجوز [مثل] (١) هذا في حق الفساق المصرحين إلا فيما شوهد من معاصيهم، فليس لك أن تقول في قاطع الصلاة: إنه يشرب الخمر، ولا في الزاني: إنه مرب، ولا في المربي: إنه يقتل النفس التي حرم الله، وأمثال ذلك، فكيف قلت فيمن أرجأ ولم يعرف منه إلا معصية الإرجاء: إنه يفعل غيرها من المعاصي؟ **وهلا قلت**: إن قوله هذا يضعف الظن بقيامه بالواجبات واجتنابه للمحرمات حتى تجاب بما يجاب به من أورد الشبهات، وتميز نفسك عن منكري الضرورات؟

والعجب من المعترض أنه نزه البراهمة عن الكذب مع إنكارهم للنبوات، وجحدهم لجميع الشرائع الإسلامية، وقد تقدم تقرير هذا في آخر الجواب عما أورده في حق الجبرية، فهذا الوجه الأول من وجوه الجواب عن المرجئة يصلح (٢) جوابا على ما أورده في حق الجبرية فإنه قال فيهم الجميع: إنهم لا يرتدعون عن الكذب وسائر المعاصي.

الوجه الثاني: اعلم أن الحامل على المحافظة على الخيرات

---

(١) زيادة من (ي) و (س).

(٢) في (س): ((يصح)).." [2]

"قال: وهبة الله بن محمد بن نوبي الانباري عن أبي الحسن بن العلاف قلت: نوبي هذا اسم على هيئة النسبة وهو جد عال للأنباري فهو هبة الله بن محمد بن أحمد بن علي بن نوبي كنيته أبو علي توفي سنة ثلاث وخمسين وخمس مئة قال: وأبو نصر عبد الصمد بن أحمد بن محمد بن النوبي سمع

---

(١) العواصم والقواصم في الذب عن سنة أبي القاسم ابن الوزير ٣٢١/٧

(٢) الروض الباسم في الذب عن سنة أبي القاسم - صلى الله عليه وسلم - ابن الوزير ٥١٣/٢

ابن كليب ومات سنة خمس وعشرين وست مئة **كهلا قلت**: وسالم بن عبد الله النوبي التنيسي حدث عن ابن لهيعة ذكره أبن يونس في تاريخه وقاله ابن ماكولا بالنون أوله والموحدة بعد الواو روى عنه عبيد الله بن محمد بن خنيس الدمياطي ومن قاله بالمثناة فوق أوله والنون بعد الواو فشبهته أن سالما هذا من أهل تنيس وحديثه عند الدمياطيين وتونة من تنيس وأبو الغيث لاحق بن عبد الله النوبي المسعودي من شيوخ مصر روى عن ابن رواج مات بالشام سنة خمس وتسعين وست مئة وأبو الخير سعد بن عبد الله النوبي الأسود السبكي مولاهم المجمر بجامع دمشق سمعنا منه عن إبراهيم بن بركات الأنصاري قال: و [التويي] : [إلى] تويك من عمل همذان.." (١)

"محمد بن اشرس السلمي وعنه الحاكم أبو عبد الله النيسابوري وأبو عبد الرحمن السلمي وغيرهما قال: وأبو بكر محمد بن عبد الله بن محمد بن الحسين الضبغي عن أبي حامد ابن الشرقي مات **كهلا قلت**: سنة أربع واربعين وثلاث مئة وهو ابن نيف وخمسين سنة وهو أحد أعيان الفقهاء الشافعية حدث عن مكي بن عبدان وابي محمد بن أبي حاتم وابي عبد الله المحاملي وطائفة وعنه الحاكم أبو عبد الله وقال: كن حانوته مجمعا للحفاظ والمحدثين انتهى قال: ومحمد بن أحمد بن علي الصبغي عن ابن خزيمة مات سنة أربع وثمانين وثلاث مئة وعبيد الله بن محمد الصبغي شيخ لابن المقرئ و [الضبعي] بضاد مضمومة قلت: معجمة والموحدة مفتوحة قال: شبيل بن عزرة الضبعي عن أنس قلت: هو ختن قتادة حدث عنه شعبة بن الحجاج وسعيد بن عامر الضبعي وغيرهما قال: وسعيد بن عامر الضبعي قلت: هو أبو محمد البصري يقال: مولى عجيف واخواله بنو." (٢)

"فتفاءلت له بالظفر، ونزلت مسرعا، فرفعت الرمح من الأرض، ومسحته بكمي، فرفعته إليه، وقبلت يده، وقلت:

فألقت عصاها واستقر بها النوى ... كما قر عينا بالإياب المسافر

فأخذ المنصور الرمح من يدي وقال: **هلا قلت** ما هو خير من هذا وأصدق؟.

قال، قلت: وما هو؟.

قال: قال الله عز وجل: " وأوحينا إلى موسى أن ألق عصاك فإذا هي تلقف ما يأفكون؛ فوقع الحق وبطل ما كانوا يعملون، فغلبوا هنالك وانقلبوا صاغرين ".

---

(١) توضيح المشتبه ابن ناصر الدين الدمشقي ٦٦٠/١

(٢) توضيح المشتبه ابن ناصر الدين الدمشقي ٤٠٦/٥

قال: فقلت: يا مولانا: أنت ابن رسول الله صلى الله عليه وسلم، وإمام الأمة، عليكم نزل القرآن، ومن بيتكم درجت الحكم، فقلت أنت بما عندك من نور النبوة، وقال عبدك بما بلغه من علمه ومعرفته بكلام العرب وأهل الشعر.

وكان الأمر كما قال، فما هو إلا أن أشرف على عسكر أبي يزيد حتى ضرب الله في وجوههم، فقتلوا، وأحرق عسكرهم وخيامهم بالنار، وولى أبو يزيد في بقية أصحابه خائبين إلى داخل المغرب.

ولما صارت الخلافة إلى المنصور في الشهر الذي توفى أبوه فيه، لم يغير السكة ولا البنود، وأقام على ذلك إلى سنة ست وثلاثين وثلاثمائة فأظهر موت أبيه بعد أن ظفر بأبي يزيد.

وكان سبب موته: أنه خرج إلى سفاقس وتونس، ثم إلى قابس، وبعث يدعو." [١]

"يتكلم، فإن كان فصيحا عظم في صدري، وإن قصر سقط من عيني.

وقد اختلف الناس في الفصاحة، فمنهم من قال: إنها راجعة إلى الألفاظ دون المعاني، ومنهم من قال: إنها لا تخص الألفاظ وحدها. واحتج من خص الفصاحة بالألفاظ بأن قال: نرى الناس يقولون هذا لفظ فصيح، وهذه الألفاظ فصيحة، ولا نرى قائلا يقول: هذا معنى فصيح، فدل على أن الفصاحة من صفات الألفاظ دون المعاني.

وإن قلنا إنها تشمل اللفظ والمعنى لزم من ذلك تسمية المعنى بالفصيح، وذلك غير مألوف في كلام الناس، والذي أراه في ذلك أن الفصيح هو اللفظ الحسن المألوف في الاستعمال بشرط أن يكون معناه المفهوم منه صحيحا حسنا.

ومن المستحسن في الألفاظ تباعد مخارج الحروف، فإذا كانت بعيدة المخارج جاءت الحروف متمكنة في مواضعها غير قلقة ولا مكدودة، والمعيب من ذلك كقول القائل:

لو كنت كنت كتمت الحب كنت كما ... كنا وكنت ولكن ذاك لم يكن

وكقول بعضهم أيضا:

ولا الضعف حتى يبلغ الضعف ضعفه ... ولا ضعف ضعف الضعف بل مثله ألف

وكقول الآخر:

وقبر حرب بمكان قفر ... وليس قرب قبر حرب قبر

قيل: إن هذا البيت لا يمكن إنشاده في الغالب عشر مرات متوالية إلا ويغلط المنشد فيه لأن القرب في

---

(١) اتعاظ الحنفاء بأخبار الأئمة الفاطميين الخلفاء المقريزي ١/٨٩

المخارج يحدث ثقلا في النطق به.

وقيل: من عرف بفصاحة اللسان لحظته العيون بالوقار.

وبالفصاحة والبيان استولى يوسف الصديق عليه الصلاة والسلام على مصر وملك زمام الأمور وأطلعه ملكها على الخفي من أمره والمستور.

قال الشاعر:

لسان الفتى نصف ونصف فؤاده ... فلم يبق إلا صورة اللحم والدم

وسمع النبي صلى الله عليه وسلم من عمه العباس كلاما فصيحا فقال: بارك الله لك يا عم في جمالك. أي فصاحتك.

وعرضت على المتوكل جارية شاعرة، فقال أبو العيناء «١» يستجيزها: أحمد الله كثيرا. فقالت: حيت أنشاك ضريرا. فقال: يا أمير المؤمنين قد أحسنت في إساءتها فاشترها.

وقال فيلسوف: كما أن الآنية تمتحن بأطيانها، فيعرف صحيحها من مكسورها، فكذلك الإنسان يعرف حاله من منطقه.

وقال المبرد: قلت للمجنون: أجزني هذا البيت:

أرى اليوم يوما قد تكاثف غيمه ... وإبراقه فاليوم لا شك ماطر

فقال:

وقد حجبت فيه السحائب شمسه ... كما حجبت ورد الخدود المحاجر

وقال عبد الملك لرجل: حدثني، فقال: يا أمير المؤمنين افتتح، فإن الحديث يفتح بعضه بعضا.

وقال الهيثم بن صالح لابنه: يا بني إذا أقللت من الكلام أكثرت من الصواب، قال: يا أبت فإن أنا أكثرت وأكثرت؟، يعني كلاما وصوابا، قال: يا بني، ما رأيت موعوظا أحق بأن يكون واعظا منك.

وقال الشعبي: كنت أحدث عبد الملك بن مروان وهو يأكل فيحبس اللقمة فأقول: أجزها أصلحك الله، فإن الحديث من وراء ذلك، فيقول: والله لحديثك أحب إلي منها.

وقال ابن عيينة: الصمت منام العلم، والنطق يقظته، ولا منام إلا بتيقظ ولا يقظة إلا بمنام.

قال ابن المبارك:

وهذا اللسان بريد الفؤاد ... يدل الرجال على عقله

ومر رجل بأبي بكر الصديق رضي الله تعالى عنه، ومعه ثوب، فقال له أبو بكر رضي الله عنه: أتبيعه؟ فقال:

لا، رحمك الله، فقال أبو بكر: لو تستقيمون لقومت ألسنتكم، **هلا قلت**: لا ورحمك الله.

ومنه: ما حكي أن المأمون سأل يحيى بن أكثم عن." (١)

"قم فاجلس مع خصمك، فتناظرا، وانصرف الرجل، ورجع علي إلى مجلسه، فتبين لعمر التغير في وجه علي، فقال يا أبا الحسن ما لي أراك متغيرا، أكرهت ما كان؟

قال: نعم. قال: وما ذاك؟ قال: كنيتني بحضرة خصمي.

هلا قلت يا علي قم، فاجلس مع خصمك، فأخذ عمر برأس علي رضي الله عنهما، فقبله بين عينيه، ثم قال بأبي أنتم بكم هدانا الله وبكم أخرجنا من الظلمات إلى النور.

وعن أبي حنيفة رضي الله عنه: القاضي كالغريق في البحر الأخضر «١» إلى متى يسبح وإن كان سابحا.

وأراد عمر بن هبيرة أن يولي أبا حنيفة القضاء، فأبى، فحلف ليضربنه بالسياط، وليسجننه، فضربه حتى انتفخ وجه أبي حنيفة ورأسه من الضرب، فقال: الضرب بالسياط في الدنيا أهون علي من الضرب بمقامع الحديد في الآخرة.

وعن عبد الملك بن عمير عن رجل من أهل اليمن قال:

أقبل سيل باليمن في خلافة أبي بكر الصديق رضي الله عنه، فكتب إلينا، لا تحركوه حتى يقدم إليكم كتابي، ثم فتح، فإذا برجل على سرير عليه سبعون حلة منسوجة بالذهب وفي يده اليمنى لوح مكتوب فيه هذان البيتان:

إذا خان الأمير وكاتباه ... وقاضي الأرض داهن في القضاء «٢»

فويل ثم ويل ثم ويل ... لقاضي الأرض من قاضي السماء

وإذا عند رأسه سيف أشد خضرة من البقلة مكتوب عليه هذا سيف عاد بن إرم.

عن ابن أبي أوفى عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال: «إن الله مع القاضي ما لم يجر، فإذا جار برىء الله منه ولزمه الشيطان.

وقال محمد بن حريث: بلغني أن نصر بن علي راودوه على القضاء بالبصرة، واجتمع الناس إليه فكان لا يجيبهم فلما ألحوا عليه دخل بيته ونام على ظهره وألقى ملاءة على وجهه وقال: اللهم إن كنت تعلم أني لهذا الأمر كاره فاقبضني إليك، فقبض.

وعن أنس رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم القضاة جسور للناس يمرون على ظهورهم يوم

---

(١) المستطرف في كل فن مستطرف شهاب الدين الأبشيهي ص/٥١

القيامة.

وقال حفص بن غياث لرجل كان يسأله عن مسائل القضاء: لعلك تريد أن تكون قاضيا، لأن يدخل الرجل أصبعه في عينيه فيقلعهما ويرمي بهما خير له من أن يكون قاضيا.

وقيل أول من أظهر الجور من القضاة بلال بن أبي بردة بن أبي موسى الأشعري، كان أمير البصرة وقاضيا فيها وكان يقول إن الرجلين يتقدمان إلي فأجد أحدهما أخف على قلبي من الآخر فأقضي له.

وتقدم المأمون بين يدي القاضي يحيى بن أكثم مع رجل ادعى عليه بثلاثين ألف دينار، فطرح للمأمون مصلى يجلس عليه فقال له يحيى: لا تأخذ على خصمك شرف المجلس، ولم يكن للرجل بينة، فأراد أن يحلف المأمون فدفع إليه المأمون ثلاثين ألف دينار وقال: والله ما دفعت لك هذا المال إلا خشية أن تقول العامة أني تناولتك من جهة القدرة ثم أمر ليحيى بمال وأجزل عطاءه.

وقدم خادم من وجوه خدم المعتضد بالله إلى أبي يوسف بن يعقوب في حكم فارتفع الخادم على خصمه في المجلس فزجره الحاجب عن ذلك فلم يقبل، فقال أبو يوسف: قم، أتؤمر أن تقف بمساواة خصمك في المجلس فتمتنع، يا غلام ائتني بعمرو بن أبي عمرو النخاس «٣» فإنه إن قدم علي الساعة أمرته ببيع هذا العبد وحمل ثمنه إلى أمير المؤمنين، ثم إن الحاجب أخذ بيده حتى أوقفه بمساواة خصمه فلما انقضى الحكم رجع الخادم إلى المعتضد وبكى بين يديه وأخبره بالقصة، فقال له: لو باعك لأجزت بيعه ولم أردك إلى ملكي، فليست منزلتك عندي تزن رتبة المساواة بين الخصمين في الحكم فإن ذلك عمود السلطان وقوام الأديان. والله تعالى أعلم.

وقال العكلي يمدح بعض القضاة:

رفضت وعطلت الحكومة قبله ... في آخرين وملها رواضها

حتى إذا ما قام ألف بينها ... بالحق حتى جمعت أوفاضها «٤»

وفي ضد ذلك قول بعضهم:

أبكي وأندب ملة الإسلام ... إذ صرت تقعد مقعد الحكام

إن الحوادث ما علمت كبيرة ... وأراك بعض حوادث الأيام." (١)

"وتقدمت إمرأة إلى قاض، فقال لها: جامعك شهودك، فسكتت، فقال كاتبه: إن القاضي يقول لك جاء شهودك معك، قالت: نعم، **هلا قلت** مثل ما قال كاتبك كبر سنك وقل عقلك وعظمت لحيتك حتى

---

(١) المستطرف في كل فن مستطرف شهاب الدين الأبشيهي ص/١٠٩

غطت على لبك، ما رأيت ميتا يقضي بين الأحياء غيرك.
وقيل: المضروب بهم المثل في الجهل وتحريف الأحكام، قاضي منى وقاضي كسكر وقاضي أيدج، وهو الذي قال فيه أبو إسحاق الصابي:
يا رب علج أعلج ... مثل البعير الأهوج «١»
رأيته مطلعا ... من خلف باب مرتج «٢»
وخلفه عذيبة ... تذهب طورا وتجي «٣»
فقلت من هذا ترى ... فقيل قاضي أيدج
وقاضي شلبة وهو الذي قال فيه أبو الحسن الجوهري:
رأيت رأسا كدبه ... ولحية كالمذبة «٤»
فقلت من أنت قل لي ... فقال قاضي شلبه
وتقدمت امرأة جميلة إلى الشعبي فادعت عنده فقضى لها، فقال هذيل الأشجعي:
فتن الشعبي لما ... رفع الطرف إليها
فتنته ببنان ... كيف لو رأى معصميها
ومشت مشيا رويدا ... ثم هزت منكبيها
فقضى جورا على الخصم ... ولم يقض عليها
فتناشدها الناس وتداولوها حتى بلغت الشعبي فضرب الأشجعي ثلاثين سوطا.
وحكى ابن أبي ليلى قال: انصرف الشعبي يوما من مجلس القضاء ونحن معه فمررنا بخادمة تغسل الثياب وهي تقول: فتن الشعبي لما. وأعادته ولم تعرف بقية البيت فلقنها الشعبي وقال: رفع الطرف إليها. ثم قال أبعده الله أما أنا فما قضيت إلا بالحق. وأنشد بعضهم في أمين الحكم:
تتماوتن إذا مشيت تخشعا ... حتى تصيب وديعة ليتيم
الفصل الثاني في الرشوة والهدية على الحكم وما جاء في الديون
أما الرشوة، فقد روي عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال: لعن الله الراشي والمرتشي. وقال عمر بن الخطاب رضي الله عنه لا تولوا اليهود ولا النصارى فإنهم يقبلون الرشا ولا يحل في دين الله الرشا، قال الشهيدي: وأصحابنا اليوم أقبل للرشا منهم.
وفي نوابغ الحكم: «إن البراطيل تنصر الأباطيل» .

وعن ابن مسعود رضي الله عنه قال: من شفع شفاعة ليرد بها حقا أو يدفع بها ظلما، فأهدي له فقبل فذلك السحت «٥» ، فقيل له، ما كنا نرى السحت إلا الأخذ على الحكم، قال: الأخذ على الحكم كفر.

وأنشد المبرد رحمه الله تعالى:

وكنت إذا خاصمت خصما كببته ... على الوجه حتى خاصمتني الدراهم

فلما تنازعنا الحكومة غلبت ... علي وقالت: قم فإنك ظالم

وأما الدين وما جاء فيه نعوذ بالله من غلبة الدين وقدر الرجال فقد روي عن أبي أمامة رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال: من تداين بدين وفي نفسه وفاؤه ثم مات، تجاوز الله عنه وأرضى غريمه بما شاء. ومن تداين بدين وليس في نفسه وفاؤه ثم مات، اقتص الله لغريمه منه يوم القيامة.

رواه الحاكم.." (١)

"- حرف النون

-

١١٧٢ - نجم بن عبد الوهاب بن عبد الواحد بن محمد بن على الشيرازى ثم الدمشقى الأنصارى الشيخ نجم الدين بن شرف الإسلام الشيخ أبى الفرج شيخ الحنابلة فى وقته

سمع وأفتى ودرس وهو ابن ونيف وعشرين سنة إلى أن مات وعاش مرفها لم يل ولاية من جهة سلطان ومازال محترما معظما ممتعا قويا وقال رأيت الحق عز وجل فى منامى قبل أن يموت بسنة فقال يا نجم أما علمتك وكنت **جاهلا قلت** بلى يارب

قال أما أغنيتك وكنت فقيرا قلت بلى يارب

قال أما أمت سواك وأحييتك وجعل يعدد النعم ثم قال أعطيتك ما أعطيت موسى بن عمران." (٢)

"من كتاب (اللطائف واللطف) [١] لأبي منصور الثعالبي

[٢] رأى أبو بكر الصديق- رضي الله عنه- رجلا بيده ثوب، فقال له: أهو للبيع؟

قال: لا، أصلحك الله، فقال له: **هلا قلت**: لا، وأصلحك الله، لئلا يشتبه الدعاء لي، بالدعاء علي [٣]

.

كان عمر يقول: لو كنت تاجرا لما اخترت على العطر [٤] ، إن فاتني ربحه لم يفتني ريحه.

---

(١) المستطرف في كل فن مستطرف شهاب الدين الأبشيهي ص/١١٠

(٢) المقصد الارشد ابن مفلح، برهان الدين ٣/٥٣

كان ابن مسعود يقول: الدنيا كلها غموم، فما كان فيها من سرور، فهو ربح [٥] .
كان ابن عباس كثيرا ما يروي عن النبي صلى الله عليه وسلم: (الهدية مشتركة) [٦] فأهدي إليه من مصر ثياب، فأمر بتسليمها إلى خادمه، فقال له جلساؤه: ألم ترو لنا أن الهدية مشتركة؟
فقال: تلك مما يؤكل ويشرب، فأما ثياب مصر فلا.
كان أبو هريرة يقول: ما شممت رائحة أطيب من رائحة الخبز الحار. قال نصر بن سيار والي خراسان [٧] : كل شيء يرخص إذا كثر، إلا الأدب، فانه إذا كثر كان أغلى [٨] .
أبو جعفر المنصور [٩] . شكى إليه رجل بعض عماله في قصة،/ فوقع: اكفني أمر هذا، وإلا كفيته أمرك.
وقال له بعض الهاشميين: إني صرورة [١٠] ، قال: فاحجج، قال: ليس لي نفقة، قال: ليس عليك حج، قال: يا أمير المؤمنين، إنما جئتك مستمنحا [١١] لا مستفتيا.
مرض خاقان [١٢] ، فعاده المعتصم وابنه الفتح إذ ذاك صبي، فقال له المعتصم: داري أحسن أم دار أبيك؟ فقال: ما دام أمير المؤمنين فيها فهي أحسن [١٣] ، وكان في يده خاتم

---

[١] نشر الكتاب بعنوان (لطائف اللطف) بتحقيق عمر الأسعد، ط دار المسيرة، بيروت ١٩٨٠.
[٢] الثعالبي: عبد الملك بن منصور بن إسماعيل النيسابوري، مؤلف وله أشعار كثيرة، وهو صاحب (يتيمة الدهر) ، و (فقه اللغة) ، توفي ٩٢٤ هـ. (وفيات الأعيان ٨٧١/٣) .
[٣] لطائف اللطف ص ٢٧.
[٤] في لطائف اللطف ص ٢٧: عن العطر شيئا. والخبر في الإعجاز والأيجاز ص ٧٦.
[٥] لطائف اللطف ص ٢٩، وفيه: (الدنيا غموم فمن ك١ن فيها) .
[٦] في لطائف اللطف ص ٢٩: الهدايا مشتركة.
[٧] نصر بن سيار بن رافع، أمير من الدهاة الشجعان، والي خراسان توفي سنة ١٣١ هـ. (الكامل لابن الأثير ١٤٨/٥) .
[٨] اللطائف ص ٣٦، والإعجاز والإيجاز ص ٧٦.
[٩] الخليفة العباسي، وهو ثاني الخلفاء العباسيين، وباني بغداد، المتوفى سنة ١٥٨ هـ.
[١٠] الصرورة: الذي لم يحج أو لم يتزوج. (اللسان: صرر) .
[١١] في اللطف ص ٣٧، والإعجاز والإيجاز ص ٧٨: مستجديا.

[١٢] خاقان: هو خاقان بن أحمد بن غرطوج، وهو أبو الفتح بن خاقان وزير المتوكل، توفي الفتح سنة ٢٤٧ هـ.

(فوات الوفيات ٢/١٣٢) .

[١٣] الخبر في اللطف ص ٤٣- ٤٤، وأخبار الأذكياء ص ٢١٢، وأخبار الظراف والمتماجنين لابن الجوزي ص ١٠٥.." [١]

"الوحد بن محمد بن علي الشيرازي ثم الدمشقي الانصاري الشيخ نجم الدين بن شرف الاسلام ابن الشيخ ابي الفرج شيخ الحنابلة في وقته سمع وافتى ودرس وهو ابن نيف وعشرين سنة الى ان مات رحمه الله تعالى وعاش هنيا مترفها لم يل ولايه من جهة سلطان وما زال محترما معظما ممتعا قويا وقال رحمه الله تعالى رايت الحق عز وجل في منامي فقال يا نجم اما علمتك وكنت **جاهلا قلت** بلى يا رب قال افما اغنيتك وكنت فقيرا قلت بلى يا رب قال اما امت سواك واحييتك وجعل يعدد النعم ثم قال اعطيتك ما اعطيت موسى بن عمران وهذا المنام قبل موته بسنه انتهى وكان الشيخ موفق الدين واخوه ابو عمر اذا اشكل عليهما شيء سألا والدي وخرج له ابو الخير سلامه بن ابراهيم الحداد مشيخه وذكر المنذري ان له اجازة من ابي الحسن علي بن الزغواني وغيره توفي رحمه الله تعالى في ثاني عشر شهر ربيع الاول سنة ست وثمانين وخمسمائة ودفن بسفح قاسيون وكان له عدة اخوه منهم بهاء الدين عبد الملك وقد مرت ترجمته قريبا ومنهم سديد الدين عبد الكافي قال ناصح الدين كان فقيها ماهرا وعظة في سياسة وكان يذكر الدرس في الحلقة مستندا الى خزانة ابيه وكان شجاعا مات بعد الثمانين وخمسمائة ودفن تحت مغاره الدم ومنهم الشيخ شمس الدين عبد الحق قال الناصح كان فقيها فاضلا عاقلا عفيفا حسن العشره كثير الصدقة سافر في طلب العلم وقرا الهداية ورحل الى بلاد العجم وراى آمد وخراسان ثم عاد الى دمشق ومات في جمادى الآخرة سنة احدى واربعين وستمائة ودفن بسفح قاسيون ومنهم الشيخ شرف الدين محمد كان فقيها فرضيا يعرف القراآت ويعبر المنامات ويتجر ودفن رحمه الله تعالى بباب الصغير ومنهم الشيخ عز الدين عبد الهادي كان فقيها واعظا فاضلا شجاعا حسن الصوت بالقرآن شديدا في السنة شديد القوى حكي عنه انه بارز فارسا من الفرنج فضربه بدبوس فقطع ظهره وظهر الفرس فوقعا جميعا ويقال انه رفع

---

(١) المحاضرات والمحاورات السيوطي ص/٤١٥

الحجر الذي على بئر جامع دمشق فمشى به خطوات ثم رده الى مكانه وبنى مدرسه بمصر ومات رحمه الله قبل تمامها انتهى كلام." (١)

"(ما تنظر العين منه ناحية ... إلا أقامت منه على حسن) // المنسرح //

فقلت كالمحاجر له لا فقال لا أم لك هلا قلت نعم قوله

(يزيدك وجهه حسنا ... إذا ما زدته نظرا) // من مجزوء الوافر //

ثم وثب وثبة فجلس إلى جانبي وأقبل علي وقال لي يا أعمى صف لي صورتك الساعة وإلا أخرجتك من بزتك ثم أقبل علي من كان حاضرا فقال ظلمناه ظلمناه وهو ضرير لم ير وجهه فمن أحسن منا أن يصفه فليصفه وكان على الحقيقة أقبح الناس وجها وكان يحلق شعر رأسه وشعر لحيته وشعر حاجبيه ويدهن قال فلم يتكلم أحد فقال اكتبوا صفته في رأسه وأنشد

(أشبه رأسه لولا وجار ... بعينيه ونضنضة اللسان)

(بأضحم قرعة عظمت وتمت ... فليس لها لدى التمييز ثان)

(إذا عليت أسافلها أمالت ... دعائم رأسها نحو اللبان)

(فكان لها مكان الجيد منها ... إذا اتصلت بممسكة الجران)

(لها في كل شارقة وبيض ... كأن بريقها لمع الدهان)

(فلا سلمت من حذري وغوفي ... متى سلمت صفاتك من بنانى) // الوافر //

ووثب إلي فحالت الأيدي بيني وبينه

والشاهد في البيت معرفة حقيقة المجاز العقلي الخفية التي لا تظهر إلا بعد نظر وتأمل

ومثله قول محمد اليزيدي

(أتيتك عائذا بك منك ... لما ضاقت الحيل)

(وصير ني هواك وبي ... لحيني يضرب المثل)." (٢)

"الدليلين واسمه حسبل انا أدلك يا رسول الله فأقبل حتى انتهوا الى مفرق الطريق المتعددة قال حسبل يا رسول الله هذه طرق يمكن الوصول من كل منها الى المقصد فأمر بأن يسميها له واحدا واحدا قال حسبل اسم واحد منها احزن فأبى النبى صلى الله عليه وسلم من سلوكه وقال اسم الاخر شأس فامتنع منه

---

(١) الدارس في تاريخ المدارس النعيمي ٢/٥٤

(٢) معاهد التنصيص على شواهد التلخيص أبو الفتح العباسي ٨٢/١

أيضا وقال اسم الاخر حاطب فامتنع منه أيضا قال حسبل فما بقى الا واحد قال عمر ما اسمه قال مرحب فاختار النبى صلى الله عليه وسلم سلوكه فقال عمر يا حسبل هلا قلت هذا أول مرة* وفى خلاصة الوفاء مرحب بالحاء المهملة كمقعد طريق اختار النبى صلى الله عليه وسلم أن يسلكه لخيبر بعد ان ذكر له طرق غيره فأبى أن يسلكها فأقبل حتى نزل بواد يقال له الرجيع كأمير فنزله بين أهل خيبر وبين غطفان ليحول بينهم وبين أن يمدوا أهل خيبر وكانوا لهم مظاهرين على رسول الله صلى الله عليه وسلم كما مر وقد كان النبى صلى الله عليه وسلم قدم عباد بن بشر فى جماعة من الركبان أمامه طليعة فأصابوا عينا اليهود خيبر فأخذوه فسأله عباد من أنت قال جمال فاقدا بل خرجت أطلبها قال ما الخبر من أهل خيبر قال هم أرسلوا هوذة بن قيس وكنانة بن أبى الحقيق الى حلفائهم يستمدونهم وأدخلوا عيينة بن بدر مع جمع كثير فى حصونهم لامدادهم فالان فيها ألف مقاتل يترقبون حرب محمد وأصحابه قال له عباد كأنك عينهم فأنكر فضربه وعذبه وخوفه بالقتل فقال اذا أدخلتنى فى جوارك أصدقتك ففعل فقال اعلموا ان أهل خيبر خائفون منكم خوفا شديدا واستولى على قلوبهم خوف عظيم مما فعلتم بيهود بنى قريظة والنضير ومنافقو المدينة بعثوا الى أهل خيبر يخبرونهم ان محمدا يقصدكم فلا تخافوهم فانهم قليلون فأرسلونى لا تجسس أخباركم وأحرز أعدادكم ومقداركم فجاء به عباد الى النبى صلى الله عليه وسلم فأخبره بما سمع منه فقال عمر ينبغى أن يضرب عنقه فقال عباد هو فى جوارى فأمر النبى صلى الله عليه وسلم عبادا بحفظه حتى يتبين الامر وبعد ما دخل النبى صلى الله عليه وسلم خيبر أسلم العين وعن سلمة بن الاكوع أنه قال خرجنا من المدينة مع النبى صلى الله عليه وسلم الى خيبر فقال رجل من القوم لعامر بن الاكوع ألا تسمعنا من هنيهاتك وكان عامر رجلا شاعرا فشرع يحد وللقوم يقول رجز ابن رواحة

اللهم لولا أنت ما اهتدينا ... ولا تصدقنا ولا صلينا

فاغفر فدى لك لما أبقينا ... وثبت الاقدام ان لاقينا

وألقين سكينة علينا ... انا اذا صيح بنا أتينا

وبالصياح عولوا علينا

وفى رواية اياس بن أبى سلمة عن أبيه عن الضبى فى هذا الرجز من الزيادة وهو قوله

ان الذين قد بغوا علينا ... اذا أرادوا فتنة أبينا

ونحن عن فضلك ما استغنينا

فأعجب القوم ذلك وفرحوا وأسرع الابل فقال النبى صلى الله عليه وسلم كما فى رواية البخارى من هذا

السائق قالوا عامر بن الاكوع فقال يرحمه الله* وفى رواية لما قال من هذا السائق قال أنا عامر ابن الاكوع فقال غفر لك ربك وكان معلوما عندهم انه ما استغفر رسول الله صلى الله عليه وسلم لانسان يخصه الا استشهد فقال عمر بن الخطاب وجبت له الشهادة فنادى عمر وهو على جمل له يا رسول الله هلا أمتعتنا به فاستشهد فى خيبر كما سيجئ* وفى صحيح البخارى فأصيب صبيحة ليلته* وفى بعض الكتب لما سكت عامر عن الحداء أمر رسول الله صلى الله عليه وسلم عبد الله بن رواحة أن يسوق الابل فشرع عبد الله فى الحداء وأنشد ما أنشد عامر وزاد عليه فقال صلى الله عليه وسلم اللهم ارحمه فاستشهد هو أيضا بمؤتة كما سيجئ* وروى انه كان لسلام بن مشكم حصن." (١)

"إذا ما أتينا خلة كي تزيلنا ... أبين وقلن الحاجبية أول

سنوليك عرفا إن أردت وصالنا ... ونحن لتلك الحاجبية أوصل

هلا قلت كما قال جميل

يا رب عارضة علينا وصلها ... بالجد تخلطه بقول الهازل

فأجبتها بالقول بعد تأمل ... حبي بثينة عن وصالك شاغلي

لو كان في قلبي كقدر قلامة ... فضلا لغيرك ما أتتك رسائلي

والله لأسقينك شيئا فتركها وانصرف ولما اشتدت حالته أنشد:

يزهدني في حب مية معشر ... قلوبهم فيها مخالفة قلبي

فقلت دعوا قلبي وما اختار وارتضى ... فبالقلب لا بالعين يبصر ذو اللب

وما تبصر العينان في موضع الهوى ... ولا تسمع الآذان إلا من القلب

هكذا رواه ابن إسحاق، وقال الشهاب محمود بذلك ونقل في الطبقات الأبيات إلا أنه قال:

يزهدني في حب عزة معشر

ثم قال هذه الأبيات لكثير وقد توهم قوم أنها لذي الرمة بدليل قوله: يزهدني في حب مية معشر، وليس كذلك وإنما كان سهوا، ودخل كثير على عبد الملك ابن مروان فقال له وقد كان يتهمه بالتشيع بحق علي هل رأيت أعشق منك، فقال لو أقسمت علي بحقك لأخبرتك فقال بحقي إلا ما أخبرتني فقال يا أمير المؤمنين خرجت يوما وإذا أنا بصياد قد نصب شبكته ليصطاد ما يسد به رمقه فقلت له إن ساعدتك شاركني فيما يكون قال نعم فجاءت ظبية فوقعت في الأحبولة فسبقني إليها فحلها ثم مسح وجهها وقبلها

---

(١) تاريخ الخميس في أحوال أنفس النفيس الدِّيار بَكْري ٢/٤٤

وأطلقها وأنشد:

أيا شبه ليلى لا تراعى فإنني ... لك اليوم من وحشية لصديق

أقول وقد أطلقتها من وثائقها ... فأنت لليلى ما حييت طليق

فعينك عيناها وجيدك جيدها ... ولكن عظم الساق منك دقيق

ودخلت عزة على أم البنين بنت عبد العزيز فقالت لها ما الحق الذي مطلته كثيرا إذ قال:

قضى كل ذي حق فوفى حقوقه ... وعزة ممطول معنى غريمها

فقالت وعدته قبلة فقانت نجزيها وعلي اثمها وفي رواية أن الحكاية مع سكينة بنت الحسين. وفي الذيل من رواية الفارسي: قضى كل ذي دين فوفى ديونه. وفي أخرى غريمه، وللبيت حكاية من عجيب الاتفاق هي أن كثيرا كان له غلام يتجر على العرب فأعطى النساء إلى أجل، فلما اقضى ما له منهن ماطلته عزة فقال لها يوما وقد حضرت في نساء أما آن أن تفي بما عندك فقالت كرامة لم يبق إلا الوفاء. فقال صدق مولاي حيث يقول قضى كل ذي دين وأنشد البيت فقلن له أتدري من غريمتك فقال لا نلن هي والله عزه فقال أشهدكن علي أنها في حل مما عندها ومضى فأخبر مولاه بالحكاية فقال له وأنت حر وما عندك لك، ورأيت في روضة الدولتين لأبي شامة إن الذي وهبه كثير ألف دينار وأنشد حين أعتق الغلام:

سيهلك في الدنيا شفيق عليكم ... إذا غاله من حادث الدهر غائله

يود بأن يمسي سقيما لعلها ... إذا سمعت عنه بشكوى تراسله

ويهتز للمعروف في طلب العلا ... لتحمد يوما عند عز شمائله

ودخلت عزة على عبد الملك فقال لها أتروين قول كثير:

لقد زعمت أني تغيرت بعدها ... ومن ذا الذي يا عز لا يتغير

تغير جسمي والخليقة كالتي ... عهدت ولم يخبر بسرك مخبر

فقالت لا أدري هذا ولكن أروي قوله:

كأني أنادي صخرة حين أعرضت ... من الصم لو يمشي بها العصم زلت

صفوحا فما تلقاك إلا بخيلة ... فمن سل منها ذلك الوصل ملت

فضحك من ذلك وقيل أنه سألها عن قوله قضى كل ذي دين وهذان البيتان من قصيدة طويلة رواها في الذيل عن ابن دريد عن عمه عن حماد عن كثير وقال أنها من عجائب شعره وهي:

خليلي هذا بع عزة فاعقلا ... قلوصيكما ثم أبكيا حيث حلت

وما كنت أدري قبل عزة ما البكا ... ولا موجعات الحزن حتى تولت

وفي رواية ولا موجعات القلب البيت:

فقد حلفت جهدا بما نحرت له ... قريش غداة المازمين وصلت

أناديك ما حج الحجيج وكبرت ... بفيفا غزال رفقة وأهلت." (١)

"لكالمرتجى ظل الغمامة كلما ... تبوأ منها للمقيم اضمحلت

كأني وإياها سحابة ممحل ... رجاها فما جاوزته استهلت

وخرج يوما من عند عبد الملك فاعترضته عجوز معها نار في روثة فقالت من أنت قال صاحب عزة فقالت أنت القائل:

وما روضة بالحزن طيبة الثرى ... يمج الندى جثجاثها وعرارها

يا طيب من أردان عزة موهنا ... إذا أرقدت بالمندل الرطب نارها

قال نعم قالت ويحك إذا أوقد المندل الرطب على هذه الروضة أو بخرت به أمك العجوز الشناء كانت كذلك **فهلا قلت** كما قال امرؤ القيس بن حجر الكندي:

ألم ترياني كلما جئت زائرا ... وجدت بها طيبا وإن لم تطيب

فناولها مطرف خز كان معه وقال استري علي ذلك وهذه الحكاية نقلها قاضي القضاة شمس الدين بن خلكان في تاريخه، ثم قال إن بعض مشايخ الأدب قال ليس على كثير شيء فإن قوله إذا أوقدت بالمندل الرطب نارها نعت للروضة المذكورة انتهى وهذا جيد لو لم يطلب كثير من العجوز الستر فإنه عرفنا أنه ما أراد إلا المعنى المعترض فيكون هذا تصحيحا لإثبات قصده، وتوفي كثير سنة خمس ومائة في اليوم الذي مات فيه عكرمة مولى ابن عباس وقبر في مقابر المدينة وله في عزة أشعار كثيره من محاسنها قوله:

يقولون سوداء العيون مريضة ... فأقبلت من أهلي إليها أعودها

فوالله ما أدري إذا أنا جئتها ... أأبرئها من دائها أم أزيدها

إذا جئتها وسط النساء منحتها ... صدودا كان النفس ليس تريدها

ولي نظرة بعد الصدود من الجوى ... كنظرة ثكلى قد أصيب وحيدها

وقيل أن هذه الأبيات لذي الرمة لأنه بعد ما ذكر يقول:

وكنت إذا ما جئت ميا أزورها ... أرى الأرض تطوي لي ويدنو بعيدها

---

(١) تزيين الأسواق في أخبار العشاق داود الأنطاكي ص/٣٤

من الخفرات البيض ود جليسها ... إذا ما انقضت أحدوثة لو تعيدها

ومنها وقد سأل عبد العزيز أن يرشده إلى قبر عزة فلما وقف عليه أنشد:

وقفت على ربع لعزة ناقتي ... وفي البر رشاش من الدمع يسفح

فيا عز أنت البدر قد حال دونه ... رجيع تراب والصفيح المضرح

وقد كنت أبكي من فراقك خفية ... فهذا لعمري اليوم أنأى وأنزح

فهلا فداك الموت من أن ترينه ... بمن هو أسوأ منك حالا وأقبح

ألا لا أرى بعد ابنة النضر لذة ... لشيء ولا ملجأ لمن يتملح

فلا زال رمس ضم عزة سائلا ... به نعمة من رحمة الله تسفح

فإن التي أحببت قد حال دونها ... طوال الليالي والضريح الموجح

أرب بعيني البكا كل ليلة ... فقد كاد مجرى الدمع عيني يقرح

إذا لم يكن ما تسفح العين لي دما ... وشر البكاء المستعار المسيح

ومنها:

ألا حيا ليلى أجد رحيلي ... وآذن أصحابي غدا بقفولي

تبدت له ليلى لتذهب عقله ... وشاقتك أم الصلت بعد ذهول

أريد لأنسى ذكرها فكأنما ... تمثل لي ليلى بكل سبيل

إذا ذكرت ليلى تغشتك عبرة ... تعل بها العينان بعد نهول

ومنها:

حلفت برب الراقصات إلى منى ... خلال الملا يمددن كل جديل

يمين امرىء مستغلظ من ألية ... يكذب قيلا قد ألح بقيل

لقد كذب الواشون ما بحت عندهم ... بليلى ولا راسلتهم برسول

فإن جاءك الواشون عني بكذبة ... فروها ولم يأتوا لها بحويل

فلا تعجلي يا ليل أن تتفهمي ... بنصح أتى الواشون أم بخيول

ومنها:

تذكرت أترابا لعزة كالمهى ... حبين بلفظ ناعم وقبول

وكنت إذا لاقيتهن كأنني ... مخالطة عقلي سلاف شمول

ومنها:

كفى حزنا للعين إن رد طرفها ... لعزة عير آذنت برحيل

وقالوا نأت فاختر من الصبر والبكى ... فقلت البكى أشفى إذن لغليلي

توليت محزونا وقلت لصاحبي ... أقاتلتي ليلى بغير قتيل." [١]

"قال جرير أنا قلته قالت فما أحسنت ولا أجملت ولا صنعت صنع الحر الكريم لا ستر الله عليك كما هتكت سترك وسترها ما أنت بكلف ولا شريف حين رددتها وقد تجشمت إليك هول الليل **هلا قلت:**

طرقتك صائدة القلوب فمرحبا ... نفسي فداؤك فادخلي بسلام

خذ هذه الخمسمائة درهم فاستعن بها في سفرك ثم انصرفت إلى مولاتها وقد أفحمتنا وكل من الباقين يتوقع ما يخجله ثم خرجت فقالت أيكم القائل:

ألا حبذا البيت الذي أنا هاجره ... فلا أنا ناسيه ولا أنا ذاكره

فبورك من بيت وطال نعيمه ... ولا زال مغشيا وخلد عامره

هو البيت بيت الطول والفضل دائما ... وأسعد ربي جد من هو حاذره

به كل موشي الذراعين يرتعي ... أصول الخزامى ما ينفر طائره

هما دلياني من ثمانين قامة ... كما أنقض باز أقتم الريش كاسره

فلما استوت رجلاي في الأرض قالتا ... أحي يرجى أم قتيل نحاذره

فأصبحت في أهلي وأصبح قصرها ... مغلقة أبوابه ودساكره

قال أبي يعني الفرزدق أنا قتله فقالت وما وفقت ولا أصبت أما أيست بتعريضك من عودة صدق محمودة خذ هذه الستمائه درهم فاستعن بها ثم انصرفت إلى مولاتها ثم عادت فقالت أيكم القائل:

فلولا أن يقال صبا نصيب ... لقلت بنفسي النشأ الصغار

بنفسي كل مهضوم حشاها ... إذا ظلمت فليس لها انتصار

فقال نصيب أنا قلته فقالت أغزلت وأحسنت ولا كرمت لأنك صبوت إلى الصغار وتركت الناهضات بأمالها خذ هذه السبعمائة درهم فاستعن بها ثم انصرفت إلى مولاتها ثم عادت فقالت أيكم القائل:

وأعجبني يا عز منك خلائق ... كرام إذا عد الخلائق أربع

دنوك حتى يذكر الجاهل الصبا ... ومدك أسباب الهوى حين يطمع

---

(١) تزيين الأسواق في أخبار العشاق داود الأنطاكي ص/٣٦

وأنك لا تدري غريما مطلته ... أيشتد إن لاقاك أو يتضرع
وأنك إن واصلت أعلمت بالذي ... لديك فلم يوجد لك الدهر مطمع
قال كثير أنا قلته قالت أغزلت وأحسنت خذ هذه الثمانمائة درهم فاستعن بها ثم انصرفت إلى مولاتها ثم خرجت فقالت أيكم القائل:
لكل حديث بينهن بشاشة ... وكل قتيل بينهن شهيد
يقولون جاهد يا جميل بغزوة ... وأي جهاد غيرهن أريد
وأفضل أيامي وأفضل مشهدي ... إذا هيج بي يوما وهن قعود
فاقل جميل أنا قلته قالت أغزلت وأحسنت وكرمت وعففت أدخل فلما دخلت سلمت فقالت سكينة أنت الذي جعلت قتيلنا شهيدا وحديثنا بشاشة وأفضل أيامك يوم تذب عنا وتدافع ولم تتعد ذلك إلى قبيح خذ هذه الاف درهم وابسط لنا العذر أنت أشعرهم وهذه الحكاية هي التي سبقت الاشارة إليها في فصل الخيال من الباب الخامس.
واجتمع كثير وجميل وعمر بن أبي ربيعة عند عبد الملك فقال أنشدوني أرق بيت قلتم فأنشد جميل.
حلفت يمينا يا بثينة صادقا ... فإن كنت فيه كاذبا فعميت
فلو أن جلدا غير جلدكم مسني ... وباشرني دون الشعار شريت
ولو أن راقى الموت يرقي جنازتي ... يمنطقها في الناطقين حييت
وأنشد كثير
بأبي وأمي أنت من مظلومة ... طبن العدو لها فغير حالها
لو أن عزة خاصمت شمس الضحى ... في الحسن عند موفق لقضى لها
وسعى إلى بصرم عزة نسوة ... جعل المليك خدودهن نقالها
وأنشد ابن أبي ربيعة
ألا ليت قبري يوم تقضي منيتي ... بتلك التي من بين عينيك والفم
وليت طهوري كان ريقك كله ... وليت حنوطي من مشائك والدم
ألا ليت أم الفضل كانت قرينتي ... هنا أو هنا في جنة أو جهنم
فقال أعط صاحب جهنم عشرة آلاف درهم وسمع الحسن جارية تنشد وهي طائفة بالبيت.

لا يقبل الله من معشوقة عملا ... يوما وعاشقها غضان مهجور

وليس يأجرها في قتل عاشقها ... لكن عاشقها في ذاك مأجور." (١)

"وقال لأصحابه الذين اجتمعوا إليه: لئن حدث بحديث ليكذبن، وإن قال برأي نفسه ليخطئن.

فقال قتادة: ويلك، أوقعت هذه المسألة؟ قال: لا.

قال: فلم تسألني عما لم يقع؟ فقال أبو حنيفة: إنا نستعد للبلاء قبل نزوله، فإذا وقع عرفنا الدخول فيه والخروج منه.

قال قتادة: والله لا أحدثكم بشيء من الحلال والحرام، سلوني عن التفسير.

*فقام إليه أبو حنيفة، فقال له: يا أبا الخطاب: ما تقول في قول الله تعالى: (قال الذي عنده علم من الكتاب أنا آتيك به قبل أن يرتد إليك طرفك) ؟.

قال: نعم، هذا آصف بن برخيا بن شميعا، كاتب سليمان بن داود، وكان يعرف اسم الله الأعظم.

فقال أبو حنيفة: وهل كان يعرف الأسم سليمان؟ قال: لا.

قال: فيجوز أن يكون في زمان نبي من هو أعلم من النبي؟ قال: فقال قتادة: والله لا أحدثكم بشيء من التفسير، سلوني عما اختلف فيه العلماء.

*قال: فقام إليه أبو حنيفة، فقال: يا أبا الخطاب، أمؤمن أنت؟ قال: أرجو.

قال: ولم؟ قال: لقول إبراهيم عليه الصلاة والسلام: (والذي أطمع أن يغفر لي خطيئتي يوم الدين) .

فقال أبو حنيفة: فهلا قلت كما قال إبراهيم، عليه الصلاة والسلام: (قال أولم تؤمن قال بلى) .

قال: فقام قتادة مغضبا، ودخل الدار، وحلف أن لا يحدثهم.

وروى الخطيب أيضا، عن الفضل بن غانم، قال: كان أبو يوسف مريضا شديد المرض، فعاده أبو حنيفة مرارا، فصار إليه آخر مرة، فرآه ثقيلا، فاسترجع، ثم قال: لقد كنت أؤملك بعدي للمسلمين، ولئن أصيب الناس بك ليموتن علم كثير.

ثم رزق العافية، وخرج من العلة، فأخبر أبو يوسف بقول أبي حنيفة فيه، فارتفعت نفسه، وانصرفت وجوه الناس إليه، فعقد لنفسه مجلسا في الفقه، وفصر عن لزوم مجلس أبي حنيفة، فسأل عنه، فأخبر أنه عقد لنفسه مجلسا، وأنه بلغه كلامك فيه.

*فدعا رجلا كان له عنده قدر، فقال: صر إليه بعد أيام في طلب الثوب، فقال له القصار: ما لك عندي

(١) تزيين الأسواق في أخبار العشاق داود الأنطاكي ص/١٩٢

شيء. أنكره، ثم إن رب الثوب رجع إليه، فدفع إليه الثوب مقصورا، أله أجره؟. فإن قال: له أجره، فقل: أخطأت. وإن قال: لا أجر له. فقل: أخطأت.

فصار إليه، فسأله، فقال أبو يوسف: له الأجرة.

فقال: أخطأت.

فنظر ساعة، ثم قال: لا أجرة له.

فقال: أخطأت.

فقام أبو يوسف من ساعته، فأتى أبا حنيفة، فقال له، ما جاء بك إلا مسألة القصار.

قال: أجل.

فقال: سبحان الله، من قعد يفتي الناس، وعقد مجلسا يتكلم في دين الله، وهذا قدره، لا يحسن أن يجيب في مسألة من الإجارات! فقال: يا ابا حنيفة، علمني.

فقال: إن قصره بعدما غصبه فلا أجرة له، لأنه قصر لنفسه، وإن كان قصره قبل أن يغصبه، فله الأجرة، لأنه قصره لصاحبه.

ثم قال: من ظن أن يستغني عن التعلم فليبك على نفسه.

وحدث الحسن بن زياد اللؤلؤي، قال: كانت هنا امرأة يقال لها أم عمران مجنونة، وكانت جالسة في الكناسة، فمر بها رجل فكلمها بشيء، فقالت له: يا ابن الزانيتين. وابم أبي ليلى حاضر، فسمع ذلك، فقال للرجل: أدخلها على المسجد. وأقام عليها حدين، حدا لأبيه وحدا لأمه.

فبلغ ذلك أبا حنيفة، فقال: أخطأ فيها في ستة مواضع؛ أقام الحد في المسجد، ولا تقام الحدود في المساجد، وضربها قائمة، والنساء يضربن قعودا، وضرب لأبيه حدا، ولأمه حدا، ولو أن رجلا قذف جماعة كان عليه حد واحد، وجمع الحدين، ولا يجمع بين حدين، حتى يخف أحدهما، والمجنونة ليس عليها حد، وحد لأبويه، وهما غائبان، لم يحضرا فيدعيان.

فبلغ ذلك ابن أبي ليلى، فدخل على الأمير، فشكا إليه أبا حنيفة، فحجر عليه، وقال: لا يفتى.

فلم يفت أياما، حتى قدم رسول من ولي العهد، فأمر أيعرض على أبي حنيفة مسائل حتى يفتى فيها، فأبى أبو حنيفة، وقال: أنا محجور علي.

فذهب الرسول إلى الأمير، فقال الأمير: قد أذنت له. فقعد فأفتى.

فصل

في ذكر ما نقل في حق الإمام، رضي الله تعالى عنه كان من كبار الحفاظ للحديث الشريف، وكان مقبول القول في الجرح والتعديل، وفي ذكر طائفة ممن روى عن الإمام، وروى الإمام عنه، وأنه كان من كبار الثقات، وثقات الكبار، رضي الله تعالى عنه." [١]

"من أصحاب محمد وزفر، له مسائل؛ منها مسألة الصدقة على السائل في المسجد، قال: لا أقبل شهادة من تصدق عليه.

قلت: وعندي شبهة في كون الترجمتين لشخص واحد، وإن ظفرت بما يزيلها ألحقته.

قال سلمة: لو جمع علم خلف لكان في زاوية من علم على الرازي، إلا أن خلف بن أيوب أظهر علمه بصلاحه.

يروى أن خلفا فرق بين مسألتين، فلم يقنع السائل به فقال: الفرق بحبة لا بالجوالق.

وقيل لخلف بن أيوب: إنك مولع بالحسن بن زياد، وإنه يخفف الصلاة. قال: لأنه حذقها – يعني أتم ركوعها وسجودها – وفي الخبر: كان رسول الله صلى الله عليه وسلم أخفهم صلاة في تمام.

وتفقه خلف على أبي يوسف ايضا، وأخذ الزهد عن إبراهيم بن أدهم، وصحبه مدة وروى عن أسد بن عمرو البجلي، وسمع الحديث من إسرائيل بن يونس، وجرير بن عبد الحميد.

وروى عنه أحمد، ويحيى، وايوب بن الحسن الفقيه الزاهد الحنفي.

قال الحاكم: قدم نيسابور في سنة ثلاث ومائتين، فكتب عنه مشايخنا.

وذكره ابن حبان في " الثقات "، وذكره المزي في " الكمال "، وقال: روى له أبو عيسى الترمذي حديثا عن أبي كريب محمد بن العلاء، ولا أدري كيف هو.

قال في " الجواهر ": ومتن الحديث: " خصلتان لا تجتمعان في منافق؛ حسن سمت، وفقه في الدين ".

قال في " القنية ": ورد خلف بن أيوب شاهدا لاشتغاله بالنسخ حالة الأذان.

وذكر خلف بن أيوب هذا الحافظ الذهبي، في " تاريخ الإسلام "، وعظمه، وأثنى عليه.

ونقل عن الحاكم، في " تاريخه "، أنه قال: سمعت محمد بن عبد العزيز المذكر، سمعت محمد بن علي البيكندي الزاهد، يقول: سمعت مشايخنا يذكرون أن السبب لثبات ملك آل سامان، أن أسد بن نوح جد الأمير إسماعيل، خرج إلى المعتصم، وكان شجاعا عالما، فتعجبوا من حسنه ومن عقله، فقال له المعتصم: هل في أهل بيتك أشجع منك؟ قال: لا. قال: فهل في أهل بيتك أعقل وأعلم منك؟ قال: لا.

---

(١) الطبقات السنية في تراجم الحنفية الغزي، تقي الدين ص/٣٠

فما أعجب الخليفة ذلك.

ثم بعد ذلك سأله كذلك، فأعاد قوله، وقال: هلا قلت لي: ولم ذلك؟ قال: ويحك ولم ذلك؟ قال: لأنه ليس في أهل بيتي من وطئ بساط أمير المؤمنين وشاهد طلعته غيري. فاستحسن ذلك منه، وولاه بلخ، فكان يتولى الخطبة بنفسه.

ثم سأل عن علماء بلخ. فذكروا له خلف بن أيوب، ووصفوا له علمه وزهده، فتحين مجيه للجمعة، وركب إلى ناحيته، فلما ترجل وقصده، فقعد خلف وغطى وجهه، فقال: السلام عليكم. فأجاب ولم يرفع رأسه، فرفع الأمير أسد رأسه إلى السماء، وقال: اللهم إن كان هذا العبد الصالح يبغضنا فيك فنحن نحبه فيك.

ثم ركب ومر فأخبر بعد ذلك أن خلف بن أيوب مرض فعاده، فقال: هل لك من حاجة؟ قال: نعم حاجتي أن لا تعود إلي، وإن مت فلا تصل علي وعليك السواد.

فلما توفي شهد أسد جنازته راجلا، ثم نزع السواد وصلى عليه، فسمع صوتا بالليل: بتواضعك وإجلالك لخلف ثبتت الدولة في عقبك.

مات خلف سنة خمس ومائتين، ويقال: سنة خمس عشرة ومائتين. وهو الأصح، وقيل: سنة عشرين ومائتين. والله تعالى أعلم.

ورأيت بخط بعضهم على هامش نسخة من " الجواهر المضية " معزوا إلى شرح الشيخ قوام الدين الإتقاني، ما صورته: ومن زهده - يعني خلف بن أيوب - أنه مرض فأهدى إليه شداد رمانة، فوضعها عند رأسه، فقال له: من أين هذه الرمانة؟ قال: من شجرة في داري. فقال: من أي ماء سقيتها؟ فقال: من بئر في سكتي. فقال: أليس دارك في سكة كذا؟ قال: نعم. فقال: إنه لا يطيب لي، ليس لك من ذلك النهر إلا الشقة، وليس لك أن تسقي الشجرة. فردها عليه. انتهى والله تعالى أعلم.

٨٣٦ - خلف بن أيوب الضرير، الفقيه

درس بمشهد الإمام أبي حنيفة، رضي الله تعالى عنه.

تفقه عليه السيد بن علي أبو جعفر، المعروف بابن الزيتوني.

ذكره الدبثي، في ضمن ترجمته. قاله في " الجواهر ".

٨٣٧ - خلف بن أبي الفتح بن خلف بن أحمد بن عبد الله

أبو القاسم المقري

سبط خلف الفقيه الشلحي.

كان يقرأ القرآن بتلاوة حسنة، وكان يحفظ أشعارا كثيرة، وكان يتبع مظفرا التوني المغني ويغني معه.
قال ابن النجار: علقت عنه شيئا كثيرا، وكان حسن الأخلاق، كيسا.
قال ابن النجار: أنشدنا أبو القاسم خلف القوال، من لفظه وحفظه، أنشدني أستاذي مظفر بن الأعز التوني، لعبد المحسن الصوري:." (١)

"علماء اليهود والنصارى ممن لا يصدق ولا يكذب في اخبارهم ولا يعتمد على آثارهم لكن يشكل هذا بما رواه الإمام أحمد بن حنبل في مسنده فقال حدثنا يحيى بن أبي بكير وقال عبد ابن حميد في مسنده حدثنا أبو بكر بن أبي شيبة قال حدثني ابن أبي بكير حدثنا زهير بن محمد عن موسى بن جبير عن نافع مولى عبد الله بن عمر عن عبد الله بن عمر أنه سمع نبي الله صلى الله تعالى عليه وسلم يقول إن آدم عليه السلام لما أهبطه الله تبارك وتعالى إلى الأرض قالت الملائكة أي رب أتجعل فيها من يفسد فيها ويسفك الدماء ونحن نسبح بحمدك ونقدس لك قال إني أعلم ما لا تعلمون قالوا ربنا نحن أطوع لك من بني آدم قال تعالى للملائكة هلموا ملكين من الملائكة حتى يهبط بهما إلى الأرض لينظره كيف يعملان قالوا ربنا هاروت وماروت فاهبطا إلى الأرض ومثلت لهما الزهرة امرأة من أحسن البشر فجاآها فسألاها نفسها فقالت لا والله حتى تكلما بهذه الكلمة من الاشراك فقالا لا والله لا نشرك به أبدا فذهبت عنهما ثم رجعت بصبي تحمله فسألاها نفسها فقالت لا والله حتى تقتلا هذا الصبي فقالا لا والله لا نقتله أبدا فذهبت ثم رجعت بقدح خمر تحمله فسألاها نفسها فقالت لا والله حتى تشربا هذه الخمر فشربا فسكرا فوقعا عليها وقتلا الصبي وتكلما بكلمة الإشراك فلما افاقا قالت المرأة والله ما تركتما شيئا مما ابيتماه علي إلا وقد فعلتماه حتى سكرتما فخيرا بين عذاب الدنيا وعذاب الآخرة فاختارا عذاب الدنيا انتهى ويحيى بن أبي بكير شيخ أحمد ثقة أخرج له الأئمة الستة وزهير بن أحمد أخرج له أيضا أصحاب الكتب الستة ووثقه أحمد وروى الميموني عن أحمد مقارب الحديث وروى المروزي عن أحمد ما به بأس وروى البخاري عن أحمد قال كان زهير الذي روى عنه أهل الشام زهيرا آخر وروى الأشرم عن أحمد قال للشاميين عن زهير مناكير وقال الترمذي في العلل سألت البخاري عن حديث زهير هذا فقال أنا أتقي هذا الشيخ كان حديثه موضوع وليس هذا عندي بزهير بن محمد قال وكان أحمد بن حنبل يضعف هذا الشيخ ويقول هذا الشيخ ينبغي أن يكونوا قلبوا اسمه قال الحلبي وله ترجمة في الميزان وقد ذكر فيها مناكير ولم يذكر هذا منها وأما موسى بن جبير فقد أخرج له أبو داود وابن ماجه وذكره أبو حيان في الثقات وأما نافع فلا يسأل عنه فيحتاج

---

(١) الطبقات السنية في تراجم الحنفية الغزي، تقي الدين ص/٢٧١

هذا الحديث إلى جواب على وجه صواب قال الحلبي وقد رأيت الحديث في مستدرك الحاكم في تفسير سورة الشورى من طريق ابن عباس وقال في آخره صحيح ولم يتعقبه الذهبي في تلخيصه للمستدرك هذا وذكر في الميزان في ترجمة سنيد بن داود اسمه الحسين أنه حافظ له تفسير وله ما ينكر ثم ساق بسند إلى سنيد حدثنا فرج بن فضالة عن معاوية بن صالح عن نافع قال سرت مع ابن عمر فقال طلعت الحمراء قلت لاثم قال قد طلعت قلت لا قال لأمر حبابها ولا **أهلا قلت** سبحان الله نجم ساطع مطيع قال ما قلت إلا ما سمعت من رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم أن الملائكة قالت يا رب كيف صبرك على بني آدم قال اني قد ابتليتهم وعافيتهم قالوا لو كنا مكانهم ما عصيناك قال فاختاروا ملكين منكم فاختاروا." (١)

"وقيل لأعرابي: من أبلغ الناس: قال: أقلهم لفظا، وأحسنهم بديهة.

قال الإمام فخر الدين الرازي في حد البلاغة: إنها بلوغ الرجل بعبارته. كنه ما يقول في قلبه، مع الاحتراز عن الإيجاز المخل والتطويل الممل.

قال فيلسوف: كما أن الآنية تمتحن بأطنانها فيعرف صحيحها ومكسورها فكذلك الإنسان يعرف حاله بمنطقه.

مر رجل على أبي بكر ومعه ثوب فقال له أبو بكر: أتبيعه؟ فقال: لا يرحمك الله، فقال أبو بكر: لو تستقيمون لقومت ألسنتكم، **هلا قلت** لا ويرحمك الله؟ ! .

قال كاتب الأحرف: إعتراض أبي بكر غير وارد على ذلك الرجل لاحتمال أن يكون قصده من قوله: لا يرحمك الله معنى غير محتاج إلى الواو فتأمل.

وحكي أن المأمون سأل يحيى بن أكثم عن شيء. فقال: لا وأيد الله أيد الأمير فقال المأمون: ما أظرف هذا الواو وما أحسنها في موضعها.

وكان الصاحب يقول هذا الواو أحسن من واوات الأصداغ. قالت الأشاعرة: شكر المنعم ليس بواجب أصلا، ومثلوها بتمثيل، فقالوا: وما مثله إلا كمثل الفقير حضر مائدة ملك عظيم يملك البلاد شرقا وغربا يعم البلاد وهبا ونهبا فتصدق عليه بقلمة خبز، فطفق يذكره في المجامع، ويشكره عليها بتحريك أنملته دائما لأجله، فإنه يعد استهزاء بالملك، فكذا هنا، بل اللقمة بالنسبة إلى الملك وما يملكه أكثر مما أنعم الله به على العبد بالنسبة إلى الله وشكر العبد في قلتها أقل قدرا في جنب الله من شكر الفقير بتحريك

---

(١) شرح الشفا الملا على القاري ٢/٣١٩

أصبعه. وأتت المعتزلة بتمثيل آخر أحسن منه، فقالوا التمثيل المناسب للحال أن يقال: إذا كان في زاوية الخمول وهاوية الذهول رجل أخرس اللسان، مشلول اليدين والرجلين، فاقد السمع والبصر، بل لجميع الحواس الظاهرة والمشاعر الباطنة، فأخرجه الملك من تلك الهاوية، وتلطف عليه بإطلاق لسانه وإزالة شلل أعضائه، ووهب له الحواس لجلب المنافع ودفع المضار ورفع رتبته وكرمه على كثير من أتباعه وخدمه، ثم إن ذلك الرجل بعد وصول تلك النعم الجليلة إليه، وفيضان تلك التكريمات عليه، طوى عن شكر ذلك الملك كشحا وضرب عنه صفحا ولم يظهر منه ما ينبىء عن الإشعار بشيء من تلك النعم أصلا، بل كان حاله قبلها كحاله بعدها من غير فرق بين وجودها وعدمها فلا ريب أنه مذموم بكل لسان ومستحق للإهانة والخذلان.

وحكي أن بعضهم دخل على عدوه من النصارى فقال له: أطال الله بقائك، وأقر عينك، وجعل يومي قبل يومك، والله إنه يسرني ما يسرك، فأحسن إليه وأجازه على دعائه وأمر له بصلة ولم يعرف لحن كلامه، فإنه كان دعا عليه؛ لأن معنى أطال الله بقائك لوقوع المنفعة للمسلمين به لأداء الجزية، وأقر عينك: معناه سكن الله حركتها فإذا سكنت،." (١)

"بسم الله الرحمن الرحيم

قال سيد المرسلين، وأشرف الأولين والآخرين صلوات الله عليه وآله أجمعين في خطبة خطبها وهو على ناقته العضباء.

أيها الناس كأن الموت فيها على غيرنا كتب، وكأن الحق على غيرنا وجب، وكأن الذي يشيع من الأموات سفر عما قليل إلينا راجعون، نبوئهم أجداثهم، ونأكل تراثهم كأنا مخلدون بعدهم قد نسينا كل واعظة، وأمنا كل حائجة، طوبى لمن أنفق ما اكتسبه من غير معصية، وجالس أهل الفقه والحكمة، وخالف أهل الذل والمسكنة، طوبى لمن ذلت نفسه، وحسنت خليقته، وصلحت سريرته، وعزل عن الناس شره، طوبى لمن أنفق الفضل من ماله، وأمسك الفضل من قوله، ووسعته السنة، ولم تستهوه البدعة.

قيل الإعرابية: ما الذل؟ قلت: وقوف الشريف بباب الدنيء ثم لا يؤذن له. قيل وما الشرف؟ قالت: عقد المنن في أعناق الرجال.

قيل لإياس القاضي: لا عيب فيك إلا أنك تعجل في القضاء من غير ترو فيما تحكم به، فرفع كفه وقال: كم إصبعا؟ فقالوا خمسة، قال: عجلتم، **هلا قلتم** واحد، اثنان، ثلاثة أربعة، خمسة فقالوا: لا نعد ما عرفناه،

---

(١) الكشكول البهاء العاملي ٢٨٣/١

فقال: أنا لا أؤخر ما تبين لي الحكم فيه

قال رجل للأعمش: إنك تحب الدراهم، فقال إنما أحب الاستغناء عن السؤال.

من كلام بعض العارفين: الأخ الصالح خير لك من نفسك؛ لتن النفس أمارة بالسوء، والأخ الصالح لا يأمرك إلا بالخير.

قيل لأمير المؤمنين علي عليه السلام - وهو على بغلة له، وهو في بعض." [1]

"رجع إلى أخبار صاعد اللغوي البغدادي:

حكي (١) أنه دخل على المنصور يوم عيد، وعليه ثياب جدد وخف جديد، فمشى على حافة البركة لازدحام الحاضرين في الصحن، فزلق فسقط في الماء، فضحك المنصور، وأمر بإخراجه، وقد كاد البرد أن يأتي عليه، فخلع عليه، وأدنى مجلسه، وقال له: هل حضرك شيء فقال:

شيئان كانا في الزمان عجيبة ... ضرط ابن وهب ثم وقعة (٢) صاعد فاستبرد ما أتى به فقال أبو مروان الكاتب الجزيري: هلا قلت:

سروري بغرتك المشرقه ... وديمة راحتك المغدقه

ثاني نشوان حتى غرق ... ت في لجة البركة المطبقه

لئن ظل عبدك فيها الغريق ... فجودك من قبلها أغرقه فقال له المنصور: لله درك يا أبا مروان، قسناك بأهل بغداد ففضلتهم، فبمن نقيسك بعد انتهى. وقال في الذخيرة في ترجمة صاعد (٣) : وفد على المنصور نجما من المشرق غرب، ولسانا عن العرب، وأراد المنصور أن يعفي به آثار أبي علي القالي فألفى سيفه كهاما، وسحابه جهاما، من رجل يتكلم بملء فيه، ولا يوثق بكل ما يذره، ولا ما يأتيه، انتهى باختصار.

وأصل صاعد من ديار الموصل، وقال ارتجالا وقد عبث المنصور بترنجان:

لم أدر قبل ترنجان عبثت به ... أن الزمرد أغصان وأوراق

---

(١) انظر الذخيرة ٤ / ١: ٢٣.

(٢) الذخيرة: زلقة.

(٣) الذخيرة ٤ / ١؛ وبدائع البدائه ٢: ٣١.." [2]

---

[1] الكشكول البهاء العاملي ٢/٢٤٩

[2] نفح الطيب من غصن الاندلس الرطيب ت إحسان عباس المقري التلمساني ٣/٩٥

"الطويل ومن الغرائب تفسير العيني للحاجبية هنا بالرمل الطويل. وهو غفلة عن نسبها.

قال ابن قتيبة في كتاب الشعراء: بعثت عائشة بنت طلحة بن عبيد الله إلى كثير فقالت له: يا ابن أبي جمعة ما الذي يدعوك إلى ما تقول من الشعر في عزة وليست على ما تصف من)

الجمال لو شئت صرفت ذلك إلى من هو أولى به منها أنا أو مثلي فأنا أشرف وأوصل من عزة وإنما أرادت تجربته بذلك فقال: الطويل

(إذا وصفلتنا خلة كي تزيلها ... أبينا وقلنا: الحاجبية أول)

(لها مهل لا يستطاع دراكه ... وسابقة ملحب لا تتحول)

(سنوليك عرفا إن أردت وصالنا ... ونحن لتلك الحاجبية أوصل)

فقالت عائشة: والله لقد سميتني لك خلة وما أنا لك وعرضت علي وصالك وما أريد **هلا قلت** كما قال جميل: الكامل

(يا رب عارضة علينا وصلها ... بالجد تخلطه بقول الهازل)

(فأجبتها بالرفق بعد تستر ... حبي بثينة عن وصالك شاغلي)

(لو كان في قلبي كقدر قلامة ... وصلتك كتبي أو أتتك رسائلي)

وروى القالي في أماليه عن العتبي قال: دخلت عزة على عبد الملك بن مروان فقال لها: أنت

(وقد زعمت أني تغيرت بعدها ... ومن ذا الذي يا عز لا يتغير)." (١)

"ولما سمع قوله: سمعت الناس البيت قال لغلامه: مر لها بقت ونوى. أراد أن ذا الرمة لا يحسن المدح. اه.

فلما خرج ذو الرمة قال له أبو عمرو وكان حاضرا: **هلا قلت** له إنما عنيت بانتجاع الناقة صاحبها كما قال الله عز وجل: واسأل القرية التي كنا فيها يريد أهلها.

وهلا أنشدته قول الحارثي: الوافر

(وقفت على الديار فكلمتني ... فما ملكت مدامعها القلوص)

يريد صاحبها.

---

(١) خزانة الأدب ولب لباب لسان العرب للبغدادي عبد القادر البغدادي ٥/٢٢٢

-

فقال له ذو الرمة: يا أبا عمرو أنت مفرد في عملك وأنا في عملي وشعري ذو أشباه. اه.

وقال ابن عبد ربه في العقد الفريد: ولما أنشد هذا الشعر بلالا قال: يا غلام مر لصيدح بقت وعلف فإنما هي انتجعتنا. وهذا من التعنت الذي لا إنصاف معه لأنه قوله: انتجعي إنما أراد نفسه. ومثله في كتاب الله تعالى: واسأل القرية التي كنا فيها والعير التي أقبلنا فيها وإنما أراد أهل القرية وأهل العير.

وقوله: إذا النكباء إلخ قال المبرد في الكامل: النكباء: الريح التي تأتي من بين ريحين فتكون بين الشمال والصبا أو الشمال والدبور أو الجنوب والدبور أو الجنوب والصبا.

فإذا كانت النكباء تناوح." (١)

"خطر لي الآن كلام فأردت أن أنبه عليه " و " على طرف منه فإن شرحه يطيل وذلك أنا بعد وفاة الأستاذ المحقق السني أبي عبد الله بن ناصر رضي الله عنه لم نزل نسعى في نفع الناس بتعليم ما يحتاجون من دينهم وما يحتاجون من أوراد النوافل والأذكار التي يتزودون بها لمعادهم ويتحببون بها ويتقربون إلى ربهم عاملين في ذلك على وجه المؤاخاة والمعاونة على البر والنصيحة، على وجه المشيخة، وعلى وجه التعليم والإرشاد لا على وجه التربية، ثم أنه جرى من ذلك ما عادته أن يجري من كلام منكر أو متنصح، فأخبرني بعض أصحابي أنه جرى كلام بينه وبين " بعض " القضاة المتصدرين للدرس فتكلم له القاضي في شأني وقال له على وجه النصيحة فيما زعم: ما ألجأ فلانا إلى تلقين الأوراد؟ فهل رأيتم مريدا بشروط الإرادة قط؟ فلما حدثني بذلك قلت له: هلا قلت له: أما أنا لم نر مريدا كذلك " فهو كذلك " وكيف نراه إلا أن يتداركنا ،الله برحمته؟ وقد كان الشيخ أبو العباس زروق يحكي عن شيخه أبي العباس أحمد ابن عقبة الخضرمي رضي الله عنهما أنه كان يقول " لهم ": لو فتشتم من أقصى مشارق الأرض إلى أقصى مغاربها على مريد صادق في أحواله لم تجدوه فكيف بالعارف الكامل؟ ومع ذلك فانتقاص الزمان وانتقاص أهله لا يوجب انقطاع الدين ولا ارتفاع النصيحة، فإن هذا النقص سار في الدين وفي العقول وفي الأقوات وفي الإمامة الكبرى والصغرى وفي النصيحة وغير ذلك، وهو قضاء جار أخبر به الصادق المصدوق صلى الله عليه وسلم قبل كونه في الأحاديث الكثيرة، وإليه يشير القائل:

هذا الزمان الذي كنا نحاذره ... في قول كعب وفي قول ابن مسعود

إن دام هذا ولم يحدث له غير ... لم يبك ميت ولم يفرح بمولود

---

(١) خزانة الأدب ولب لباب لسان العرب للبغدادي عبد القادر البغدادي ١٧٤/٩

هذا ويا ليته دام، فإنه لا يزيد الأمر إلا شدة والخير إلا إدبارا حتى ينقرض انقراضا غير أن المعتبر في كل زمان ما هو فيه، وحكم الله تعالى جار في كل بحسب حاله، والدين مستمر، والحق ظاهر حتى يأتي أمر الله.

ثم يلزمك أيها الناصح في هذا مثل ما يلزمنا، وما كان جوابك هو جوابنا، فإنك تصدرت للتعليم فهل رأيت بعينيك متعلما على شروط التعليم المعتبرة؟ أو هل رأيت في نفسك شروط المعلم؟ " فلا بد أن تعرض على نفسك شروط المعلم " وعلى من يجلس إليك شروط المتعلم، فإن تجد ذلك صحيحا ظاهرا أو باطنا فتصدر، وإن وجدته مختلا فكيف يحل لك أن تتصدر، وارتفاع الشرط يوجب ارتفاع المشروط، وقد قال صلى الله عليه وسلم: " لا تؤتوا الحكمة غير أهلها فتظلموها " فإن أجاب بأنه ارتكب أخف الضررين أو أن العلم أمنع جانبا من أن يصل إلى غير أهله أو نحو ذلك فهو جوابنا بعينه، والله الموفق المسئول أن يتجاوز عنا بعفوه ويتغمدنا برحمته إنه ولي ذلك والقادر عليه.

لله الأمر من قبل ومن بعد

باب في

ملح من الأدب

رأيت أن ألم بملح من الأدب تثمينا للكتاب، وامتناعا لذوي الألباب، فإن النفس ملول والأذن مجاجة، وفي التلون والانتقال تطييب لها وتنشيط كما قيل:

لا يصلح النفس إن كانت مدبرة ... إلا التنقل من حال إلى حال

وذلك كله مما يصلح للمحاضرات ويوافق شرط الكتاب، ويعد من الآداب.

وقد قال الحسن بن سهل: الآداب عشرة: ثلاثة شهرجانية وهي ضرب العود، ولعب الشطرنج، والصوالج، وثلاثة أنوشروانية، وهي: الطب، والهندسة، والفروسية، وثلاثة عربية، وهي: الشعر والنسب وأيام الناس، والعاشرة مقطعات الحديث والسمر وما يتعاطاه الناس بينهم في المجالس، وهذا عام.

وقال ابن مسعود رضي الله عنه: القلوب تمل كما تمل الأبدان فابتغوا لها طرائف الحكمة.

وقال أبو الدرداء رضي الله عنه: إني لأستجم نفسي من الباطل ليكون أقوى لها على الحق، وقال الشاعر:

عجبا ممن تناهت حاله ... وكفاه الله ذلات الطلب

كيف لا يقسم شطري عمره ... بين حالين نعيم وأدب

مرة جدا وأخرى لعبا ... فإذا ما غسق الليل انتصب

فقضى الدنيا نهارا حقه ... وقضى لله ليلا ما يجب." [١]

"إفريقية يوم هزم أبا يزيد الخارجي فسايرته وبيده رمحان فسقط أحدهما مرارا فمسحته وتفاءلت له فأنشدته من // (الطويل) //

(فألقت عصاها واستقر بها النوى ... كما قر عينا بالإياب المسافر)

فقال **هلا قلت** ما هو خير من هذا وأصدق ﴿وأوحينا إلى موسى أن ألق عصاك فإذا هي تلقف ما يأفكون فوقع الحق وبطل ما كانوا يعملون فغلبوا هنالك وانقلبوا صاغرين﴾ الأعراف ١١٧ ١١٩ فقلت يا مولانا أنت ابن رسول الله قلت ما عندك لما عندك من العلم وكان المنصور شجاعا رابط الجأش فصيحا بليغا يرتجل الخطب ارتجالا وتوفي بمدينته التي بناها وسماها المنصورية انتهى ما ذكره ابن خلكان وإفريقية بكسر الهمزة والفاء الساكنة والراء المكسورة بعدها مثناة تحتية فقاف مكسورة فمثناة تحتية مشددة إقليم عظيم ببلاد المغرب افتتح في خلافة عثمان بن عفان رضي الله تعالى عنه ثم قام من بعده ابنه معد الملقب بالمعز بن إسماعيل الملقب بالمنصور بن نزار الملقب بالقائم بن عبيد الله الملقب بالمهدي هذا المعز أول من ملك مصر من العبيديين أرسل عبده جوهرا الرومي الصقلي أرسله من إفريقية بلاد المغرب لأخذ بلاد مصر عند اضطراب جيشها بعد موت كافور الإخشيدي فلم يجتمعوا عليه فأرسل بعضهم إلى المعز يستنجد به فأرسل مولاه جوهرا هذا في ربيع الأول سنة ثمان وخمسين وثلاثمائة فوصل إلى القاهرة في شعبان في مائة ألف مقاتل ومعه من الأموال ألف ومائتا صندوق وقيل خمسمائة صندوق فانزعج الناس وأرسلوا يطلبون إليه الأمان فآمنهم فلم يرض الجيش بذلك وبرزوا لقتاله فكسرهم وجدد الأمان لأهلها ودخلها يوم الثلاثاء لثمان عشرة ليلة خلت من شعبان فشق مصر ونزل في مكان القاهرة اليوم وأسس من ليلته القصرين وخطب يوم الجمعة." [٢]

"فجاء به إلى رسول الله -صلى الله عليه وسلم، وغسل عن وجهه الدم، وصب على رأسه وهو يقول: "اشتد غضب الله على من دمى وجه نبيه".

وصلى النبي -صلى لله عليه وسلم- الظهر يومئذ قاعدا من الجراح التي أصابته، وصلى المسلمون خلفه قعودا.

---

(١) المحاضرات في اللغة والأدب الحسن اليوسي ص/٩٨

(٢) سمط النجوم العوالي في أنباء الأوائل والتوالي العصامي ٣/٥٤٦

قال ابن إسحاق: ووقعت هند بنت عتبة والنسوة اللاتي معها يمثلن بالقتلى

منه، فقال مالك: هلا قلت بغدير، ومن يجعل له مهراسا في أرض فلاة، وبهذا يتبين لك أن المهراس ليس مخصوصا بالذي كان بأحد، ولذا وقع في غريب الحديث أنه -صلى الله عليه وسلم- مر بقوم يتحارون مهراسا أن يرفعوه. انتهى.

"فجاء به،" أي: بالماء الذي ملأ به درقته، وفي الشامية: فجاء بها، أي: بالدرقة، لكن الذي في ابن إسحاق، وتبعه اليعمري به، "إلى رسول الله -صلى الله عليه وسلم".

قال ابن إسحاق: ليشرب منه، فوجد له ريحا، فعافه فلم يشرب منه، "وغسل عن وجهه الدم، وصب على رأسه"، وهذا وقع قبل انصراف الكفار من علي وحده، ثم لما انصرفوا، كما في رواية الطبراني: أتت فاطمة في النسوة، فجعلت تغسل وعلي يسكب كما يأتي، فلا يورد على هذا كما زعم، "وهو" صلى الله عليه وسلم "يقول" كما ذكره ابن إسحاق بلا إسناد: "اشتد غضب الله على من دمى".

قال البرهان: بفتح الميم المشددة، وهذا ظاهر، انتهى. أي: جرح، "وجه نبيه" ، وأسنده البخاري وغيره عن ابن عباس بلفظ: "غضب الله على قوم دموا وجه نبي الله".

قال المصنف: بفتح الدال المهملة، والميم المشددة، أي: جرحوا. انتهى.

"وصلى النبي -صلى الله عليه وسلم" فيما ذكره ابن هشام مرسلا، "الظهر يومئذ قاعدا من الجراح التي أصابته، وصلى المسلمون خلفه قعودا" من الجراح التي أصابتهم، أو لأن موافقة الإمام كانت واجبة، ثم نسخت.

"قال ابن إسحاق: ووقعت هند بنت عتبة" بن ربيعة بن عبد شمس بن عبد مناف، أسلمت في الفتح بعد إسلام زوجها أبي سفيان بليلة، وشهدت معه اليرموك.

روى الأزرقي وغيره: أنها لما أسلمت جعلت تضرب صنمها في بيتها بالقدوم فلذة فلذة وتقول: كفاني غرورا.

روى عنها ابنها معاوية وعائشة، ماتت سنة أربع عشرة. "والنسوة اللاتي معها" تقدمت عدتهن، "يمثن بالقتلى" يقال: مثل به -بفتح الميم والثاء المخففة- يمثل، بضم الثاء، مثلا، بفتح." [1]

---

(١) شرح الزرقاني على المواهب اللدنية بالمنح المحمدية الزرقاني، محمد بن عبد الباقي ٢/٤٤٠

"فقلت له: يا عبد الخير، إن صاحب هذه الدار كان من أصدق الناس إلي فما فعل به الزمان؟ فقال لي الغلام: يا مولاي هو في قيد الحياة. وهو يطلب الموت فلا يجده.

فقلت له: بالله عليك خذ لي الطريق.

فقال لي الغلام: يا مولاي من أقول.

فقلت: قل الشيخ أبو الحسن الخليع الدمشقي المسامر.

قال: فعبر الغلام وغاب ساعة وعاد وقال لي: بسم الله أدخل. ويقول له: يا مولاي الضارب ضارب والساكن ساكن لا برد ولا حمى ولا تشتكي غير سهر الليل وجريان الدمع، لا يكون المولى إلا مسحورا.

فلما سمع الأمير عمرو كلام الطبيب بكى وأنشد يقول:

قال الطبيب لقومي، حين جس يدي: ... هذا فتاكم ورب البيت مسحور

فقلت: ويحك قد قاربت في صفتي ... عين الصواب فهلا قلت مهجور

ثم إنه ناوله كاغدا فيه بعض دنانير، فأخذها الطبيب وانصرف ثم التفت الأمير عمرو إلي وقال: يا شيخ أبي الحسن أما تنظر إلى هذا الحال الذي وقعت فيه؟

فقلت له: حاشاك من الأسوأ ما سبب ذلك؟ قال: ما أعرف له سببا إلا أن هجر الست بدور قد قتلني وحبها أضنى فؤادي.

فقلت: يا مولاي، بالعام الماضي تركتك أميرا، واليوم أتيت لقيتك أسيرا فما السبب؟ فقال الأمير عمرو: يا شيخ إني في ليلة من الليالي ركبت في الشط، وقد شحنت مركبي من سائر الأزهار والفواكه والرياحين والطعام والمدام، وأوقدت الشموع حتى صارت مثل ضوء النهار، وقد غرقنا في البسط، وبقينا في لعب وضحك إلى ثلث الليل الأول، وإذ قد أقبل من صدر الشط مركب وهو يعزف بالطارات والدفوف ويضيء كضوء الشمس وفيه وهج عظيم، فقلت للملاح: قدم بنا حتى نتفرج وننظر أينا أحسن تعبية مركبنا أو هذا المركب؟ فمددت عيني فرأيت صاحبتي الست بدور، وهي بين جواريها وغلمانها تلعب وتضحك، وهي مثل اسمها، اسم على مسمى، فلما وقعت عيني عليها، كأنما رمت في قلبي جمرة نار فقلت في نفسي: ما فارقت هذا الوجه المليح بذنب. ثم إني تذكرت العهد القديم الذي كان بيننا فلم أقدر أن اصبر، فمدت يدي وأخذت تفاحة." (١)

---

(١) نوادر الخلفاء = إعلام الناس بما وقع للبرامكة مع بني العباس الإتليدي ص/١٦١

"يعني١ لا تشركوني ولا غيري٢ في المشيئة، وهذا الشرك ليس من الأكبر لقوله: يمنعني كذا وكذا إذ لو كان من الأكبر لما منعه شيء عن النهي عنه.

وفيه أن الرؤيا الصالحة من أقسام الوحي، وقد تكون سببا لشرع بعض الأحكام، كما في الأذان في رؤيا عبد الله بن زيد بن عبد ربه٣ في المنام، ومما كره النبي صلى الله عليه وسلم الجمع بين الله وبينه في الضمير. يروى أن رجلا خطب عند رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال: من يطع الله ورسوله فقد رشد، ومن يعصهما٤ فقد غوى، فقال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم: "بئس خطيب القوم أنت **هلا قلت**: ومن يعص الله ورسوله فقد غوى "٥ وكره قوله ومن يعصهما، لما فيه من الجمع بينهما في الضمير والمساواة.

---

١ كلمة: (يعني) سقط من"ر".

٢ هذا في"الأصل"، وفي النسخ الأخرى، أخطاء إملائية ونحوية.

٣ هو: عبد الله بن زيد بن ثعلبة بن عبد الله الأنصاري -صحابي- شهد العقبة وبدرا، وهو الذي أري الأذان في النوم، توفي سنة ٣٢ هـ، قال الحاكم بأن الصحيح أنه توفي في أحد. انظر ترجمته في:"طبقات ابن سعد": (٣/ ٥٣٦- ٥٣٧) ،"الإصابة": (٦/ ٩٠- ٩١) ،"أسد الغابة": (٣/ ١٤٢- ١٤٥) .

٤ هذا في"الأصل"، وفي بقية النسخ: (يعصاهما) .

٥ [٢١٠ ح] "صحيح مسلم مع شرح النووي": (٦/ ٤٠٧ ، ح ٤٨/ ٨٧٠) ، كتاب الجمعة، باب تخفيف الصلاة والخطبة، و"المستدرك"للحاكم: (١/ ٢٨٩) . والحديث -كما ترى- قد أخرجه مسلم في"صحيحه"، ومع ذلك فإن الحاكم قد قال عقبه: هذا حديث صحيح على شرط الشيخين ولم يخرجاه ووافقه الذهبي على ذلك. فوهم رحمه الله في قوله: إن مسلما لم يخرجه. والحديث عن عدي بن حاتم -رضي الله عنه-. انظر بقية التخريج في الملحق.." [(١)]

"إذا بت مشغول الفؤاد بما ترى ... من الغيد عيني والجمال مفرق

اركب في وهمي محيا يشوقني ... على قامة أولى به ثم أشبق

ولكن قد نهيتني آنفا في التغزل عن تصور ذات بخصوصها وقلت أنه حرام **فهلا قلت** بحرمية هذا أيضا. قالت إنما حرميه ذاك لكونه ذاهبا في الكلام سدى وسرفا. على أن الغزل كله كيفما كان لا خير فيه ولا جدوى. فأما في الفعل من قبل النساء فإنه ينشأ عنه صاحبه الأولاد. ولذلك ترى انف بعضهم كأنف زيد

---

(١) تحقيق التجريد في شرح كتاب التوحيد عبد الهادي البكري ٢/ ٤٣٠

وفمه كفهم عمرو وعينيه كعيني بكر. وهو أيضا جواب لمن قال إن في رؤية الرجل نساء كثيرة مصلحة تعود على امرأته لاكتسابه منهن التشمير عند الإياب. بخلاف خروج المرأة فإن التشمير ملازم لها. فأما هؤلاء الحمقى الزاعمون أن تصور الرجل مؤثر في توزيع الولد فيلزمهم أن لا يروا امرأة أصلا غير نسائهم. لئلا تأتي ذريتهم كلها إناثا أو في الأقل خناثا. وذلك لمناعفة التصورين من قبل الأب والأم. وألا وإن امرأة لا تستبدل زوجها إلا بالفكر والتخيل لجديرة بأن تكون قبله كل مطرئ. وإن لا يفكر زوجها إلا فيها. قلت مقتضى كلامك إن النساء المقصورات عن رؤية العموم لا لذة لهن مع الخصوص. قالت أما بالنسبة إلى ناظرة العموم فلا.

وأما بالنسبة إلى العدم فنعم. فإن الماء مهما يكن سخنا يطفئ النار. قلت وبالعكس أي أن النار مهما تكن باردة تسخن الماء. قالت يصح العكس لكن الطرد أولى. قلت إلى كم قسم اللذة. قالت إلى خمسة أقسام. الأول تصورها قبل الوقوع. الثاني ذكرها قبله. الثالث حصولها فعلا بالركنين المذكورين. الرابع تصورها بعد الوقوع. الخامس ذكرها بعده. وكون لذة التصور قبل الوقوع أقوى أو بعده أقوال. فذهب بعض ألا أن الأولى أقوى. لأن الفعل لما كان غير حاصل كان الفكر فيه أجول وأمعن فلا يقف على حد. وزعم آخرون إن الحصول يهيئ للفكر هيئة معلومة وصورة معينة يعتمد عليها في قياس ما يترقب من الإعادة والتكرير. وكما حصل الخلاف في وقتي التصور حصل أيضا فيه وفي الذكر. والعبرة بحدة التصور وذرب اللسان. فأما اصلح الأزمنة لها فالصيف عند النساء والشتاء عند الرجال. فأما الكمية فمن الناس الموحدون ومنهم المثنوية ومنهم أهل التثليث. قلت ومنهم المعتزلة والمعطلون. قالت هؤلاء لا خير فيهم. وما هم جديرون بأن يعدوا مع الناس. قلت ما شأن من يتزوج اثنتين وثلاثا. قالت هو أمر مغاير للطبع. قلت كيف وقد كانت سنة الأنبياء. قالت هل نحن نبحث الآن في الأديان أو نتكلم في الطبيعيات. إلا ترى أن الذكور من الحيوانات التي قدر لها أن تعيش مع إناث كثيرة قدر لها أن تعيش مع إناث كثيرة قدر لها أيضا القدرة على كفايتهن كالديك والعصفور مثلا. وغيرها إنما يعيش مع واحدة ويكتفي بها. ولما كان الرجل غير قادر على كفاية ثلاث لم يكن أهلا لان يحوزهن. وبعد فلأي سبب حظرت المرأة عنان تتزوج ثلاثة رجال. قلت إن في كثرة النساء للرجل كثرة النسل التي يتوقف عليها عمران الدنيا. وذلك مفقود في كثرة الرجال للمرأة الواحدة. على أني قرأت في بعض الكتب إن هذه العادة لم تزل مستعملة عند بعض الهمج. قالت مه مه أهؤلاء هم الهمج وانتم المتمدينون الكيسيون. فأما دعواك بتكاثر النسل في كثرة النساء فهل سكان الأرض الآن قليلون. ألم تضق بهم البسيطة وتثقل بهم بطونها ويمزق اديمها. فما الموجب إلى هذا الإكثار سوى البطر والنهم. قلت

قد عدت إلى لوم الرجال فلنعد إلى الوداع. أني مسافر عنك اليوم وتارك عندك فؤادي حتى إذا زارك أحد أحس به. قالت كيف تحس وما فؤادك معك. والناس يخصون القلب بالحس والشعور. والحزن والسرور. قلت أن حسي برأسي. قالت من أي جهة. قلت من الجانب الأعلى من الرأس. قالت نعم الشيء إلى جنسه أميل. ولكن أين تتركه. قلت على العتبة كيلا يخطوها أحد. قالت فإذا طفر فوقها. قلت في الفراش. قالت فإن يكن في غيره. قلت فيك. قالت ذلك أحسن مقرا.." (١)

"(وقد كان أمر المؤمنين وملكهم ... إلى وصيتي في البلاد شهير)

(فها أنا ذا قد صرت ملقى بحفرة ... ولم يغن عني قائد ووزير)

(تزودت حسن الظن بالله راحمي ... وزادي بحسن الظن فيه كثير)

(ومن كان مثلي عالما بحنانه ... فهو بنيل العفو منه جدير)

(وقد جاء إن الله قال ترحما ... إلى ما يظن العبد بي سيصير)

وحكى أنا ابنه أبا عبد الله المعروف بالمسلوخ لما قرأ هذه الأبيات عاقب ناظمها وقال له إن في قولك ملقى بحفرة دسيسة وتلويحا إلى الحديث (القبر روضة من رياض الجنة أو حفرة من حفر النار) فهلا قلت ببلقع أو نحوه

بقية أخبار السلطان الغالب بالله وسيرته

كان السلطان أبو محمد عبد الله الغالب بالله ذا سياسة وخبرة بأحوال الملك وتأن في الأمور ولما ولي الخلافة ألان الجانب وخفض الجناح وسار بسيرة حسنة حتى صلحت الرعية وازدانت الدنيا وانتعش الناس حتى كان يقال ثلاث عينات هم عيون الزمان السلطان امولي عبد الله والشيخ أبو محمد عبد الله بن حسين المغاري والشيخ أبو السرور عياد السوسي

قال اليفرني ورأيت من جملة سؤال كتب به الفقيه الصالح خطيب الجامع الأعظم بتارودانت أبو زيد عبد الرحمن التلمساني إلى قاضي الجماعة أبي مهدي عيسى بن عبد الرحمن السكتاني يقول فيه ولا شك أن مولاي عبد الله مجمع على عدالته وبيعته وقد أخبرني الثقة من أصحاب الشيخ الجامع أبي العباس أحمد بن موسى السملالي أنه قال مولاي عبد الله ياقوتة الأشراف هو صالح لا سلطان وقد اشتهر بين الأنام وعلى ألسنة الخاص والعام أن السلطان الغالب بالله كان عدلا صالحا ووقع في الرسالة." (٢)

---

(١) الساق على الساق في ما هو الفارياق الشدياق ص/٢١٩

(٢) الاستقصا لأخبار دول المغرب الأقصى أحمد بن خالد الناصري ٥/٥٣

"إني أقول الحق فاستيقني ... كل امرئ في حبه يلعب

وقال فيها أيضا:

جزى الله خيرا من كلفت بحبه ... وليس به إلا المموه من حبي

وقالوا قلوب العاشقين رقيقة ... فما بال ذات الخال قاسية القلب

وقالوا لها هذا محبك معرضا ... فقالت أرى إعراضه أيسر الخطب

فما هو إلا نظرة بتبسم ... فتنشب رجلاه ويسقط للجنب

وقال فيها أيضا. ولكن فلنذكر السبب وهو أن إبراهيم الموصلي لعب الشطرنج يوما مع ابن زيدان صاحب البرامكة فدخل عليهما إسحاق فقال أبوه: ما أفدت اليوم؟ فقال: أعظم فائدة، رجل سألني ما أفخم كلمة في الفم فقلت: لا إله إلا الله. فقال أبوه: إبراهيم أخطأت، **هلا قلت** دنيا ودينا فأخذ ابن زيدان الشاه فضرب به رأس إبراهيم وقال: يا زنديق، أتكفر بحضرتي فأمر إبراهيم غلمانه فضربوا ابن زيدان ضربا شديدا فانصرف من ساعته إلى جعفر بن يحيى وحدثه الخبر وعلم إبراهيم أنه قد أخطأ وجنى، فركب إلى الفضل بن يحيى فاستجار به فاستوهبه الفضل من جعفر فوهبه له فانصرف وهو يقول:

إن لم يكن حب ذات الخال عناني ... إذا فحولت في مسك ابن زيدان

فإن هذي يمين ما حلفت بها ... إلا على الصدق في سري وإعلاني

ذبية بنت ثبية الفهمية

كانت من أحسن بني فهم حسبا وأعرقهن نسبا، وأكثرهن أدبا، وأبهاهن جمالا، وألطفن كمالا، لها شعار لطيفة ورثاء مقبول منها: قولها ترثي قومها كانوا قتلوا بصورة وهو مكان بأراضي مكة:

ألا إن يوم الشر يوم بصورة ... ويوم فناء الدمع لو كان فانيا

لعمري لقد أبكت فريم وأوجعوا ... بجرعة بطن القيل من كان باكيا

قتلتم نجوما لا يحول ضيفهم ... ولا يذخرون اللحم أخضر ذاويا

عماد سمائي أصبحت قد تهدمت ... فخري سمائي لا أري لك بانيا

ذؤابة امرأة رباح القيسي

كانت -رضي الله عنها- تقوم الليل كله وكانت إذا مضى الربع الأول تقول له: قم يا رباح للصلاة، فلا يقوم، فتقوم ثم تأتيه وتقول له: قم يا رباح، فلم يقم، فتقوم الربع الآخر، ثم تأتيه وتقول: قم يا رباح فلا يقوم، فتقوم الربع الآخر، إلى تمام الليل ثم تأتيه وتقول: قم يا رباح قد مضى عسكر الليل وأنت نائم فليت

شعري من غرني بك يا رباح ما أنت إلا جبار عنيد.

وكانت تأخذ تبنة من الأرض وتقول: والله للدنيا أهون علي من هذه وكانت إذ صلت العشاء تطيبت ولبست ثيابها ثم تقول لزوجها: ألك حاجة فإن قال لا نزعت ثياب زينتها وصلت إلى الفجر -رضي الله عنها.

حرف الراء

راحاب الإسرائيلية

امرأة مشهورة من "أريحاء" قبلت في بيتها الجاسوسين اللذين أرسلهما "يشوع" ليجسا الأرض وأخبأتهما عن." (١)

"طبائع الأعراب:

بقي أن نذكر شيئا عن طبائع الأعراب الفصحاء الذين كانوا يطرءون على الحضر فتؤخذ عنهم اللغة؛ لأن العلماء كانوا إذا وجدوا منهم من يفهم اللحن وعلل الإعراب بهرجوه وزيفوا طبعه وطرحوا لغته؛ كما يفعلون بمن لم يخلص منطقه وبمن يرق طبعه وتضعف فصاحته، لإغراقه في علل الحضارة وأسبابها، فقد ذكروا أن أبا عمرو بن العلاء "توفي سنة ١٥٤هـ" استضعف يوما فصاحة أبي خيرة العدوي الأعرابي، فسأله: كيف تقول: حفرت الإران؟ فقال: حفرت إرانا. فقال له أبو عمرو: ألان جلدك يا أبا خيرة حين تحضرت١! وهكذا كانوا: إذا ارتابوا بفصاحة أعرابي وظنوا أن جلده قد لان وذهب جفاؤه الذي يعدونه مادة الفصاحة، وضعوا له قياسا غير صحيح وسألوه عنه، فإن نطق به طرحوه، وإلا كان عندهم بتلك المنزلة، وإنما يعمدون إلى الأقيسة غالبا؛ لأن قياس العربي قريحته كما بيناه من قبل، والقريحة مظهر الفطرة؛ قال الأصمعي: سمعت أبا عمرو يقول: ارتبت بفصاحة أعرابي فأردت امتحانه، فقلت بيتا وألقيته عليه، وهو:

كما رأينا من "مسحب" مسلحب ... صار لحم النسور والعقبان

فأفكر فيه ثم قال: رد علي ذكر "المسحوب"، حتى قالها مرات، فعلمت أن فصاحته باقية٢. ولا تجد الأعرابي ينطق بمثل هذا إلا إذا ضعفت فصاحته وبدأت سليقته تتحضر، فكأنما انصدع مفصل العربية من لسانه.

قال ابن جني: سألت مرة الشجري -وهو أعرابي من عقيل كانوا يرجعون إليه في اللغة -ومعه ابن عم له دونه في الفصاحة، وكان اسمه غصنا- فقلت لهما: كيف تحقران حمراء؟ فقالا: حميراء. وواليت من ذلك أحرفا وهما يجيئان بالصواب، ثم دسست في ذلك علباء، فقال غصن: عليباء، وتبعه الشجري؛ فلما هم

---

(١) الدر المنثور في طبقات ربات الخدور زينب فواز ص/١٩٦

بفتح الباء تراجع كالمذعور، ثم قال: آه عليبي٣.

وقال في موضع آخر من "الخصائص": سألته يوما -يعني الشجري- كيف تجمع دكانا؟ فقال: دكاكين. قلت: فسرحانا؟ قال: سراحين.. قلت: فعثمان؟ قال: عثمانون، فقلت له: **هلا قلت** عثامين؟ قال: أيش عثامت؟ أرأيت إنسانا يتكلم بما ليس من لغته؟

كذلك نقل عن أبي حاتم سهل بن محمد السجستاني "توفي سنة ٢٥٥هـ" في كتابه الكبير في

---

١ قال الرياشي: إنه أخطأ؛ لأن الحفرة يقال لها إرة، وتجمع على إرين، وهي التي يخبز فيها، وأما الإران فخشب النعش. وقد وقفنا على مسائل أخرى مما "لان فيه جلد الأعراب" لم نر فائدة في استقصائها.

٢ قلت: يريد بقوله "مسحب" اسم المفعول من "سحب" الثلاثي، امتحانا له بالخطأ، فأبت عربيته الخالصة أن ينطق به إلا على الصحيح، وهو "مسحوب".

٣ صغروه على ذلك لأن همزته بدل من ياء، وإذا أردت شرح ذلك فراجع كتاب سيبويه "الجزء الثاني صفحة ١٠٨". وعلياء البعير: عصب عنقه. قلت: وفرق ما بين علباء وحمراء، أن ألف حمراء مزيدة للتأنيث.." (١)

"سواها فهو أقبح من أقوال الخوارج والمعتزلة، وغيرهم من أهل الضلال، انتهى. فهذا كلام إمامكم بنصه ولا جرم أنكم عالمون بما كان عليه من الحق والإنصاف، لكن الشيطان أغراكم على اتهامه بما هو بريء منه وليس هذا الإمام وحده أنصف من نفسه، بل جميع أجلاء علماء أهل السنة كانوا — وما زالوا — على هذا الهوى، وهذا الصراط المستقيم".

أقول: إن ما نسبه الملحد من هذا الكلام إلى الشيخ ابن تيمية رحمه الله تعالى: كله كذب بحت، لم يقله الشيخ، لا لفظا ولا تضمنه كلامه معنى، وإنما هو من اختلاق هذا الملحد كعادته في تحريف كلام العلماء والكذب عليهم ونحن ننقل كلام الشيخ ابن تيمية الذي حرفه المعترض بنصه.

قال الشيخ رحمه الله تعالى في كتابه "رفع الملام" في الكلام على نصوص الوعيد، فإن قيل: **فهلا قلتم**: إن أحاديث الوعيد لا تتناول محل الخلاف وإنما تتناول محل الوفاق، وكل فعل لعن فاعله، أو توعد بغضب أو عقاب حمل على فعل اتفق على تحريمه، لئلا يدخل بعض المجتهدين في الوعيد، إذا فعل ما اعتقد تحليله، بل المعتقد أبلغ من الفاعل، إذ هو الآمر له بالفعل، فيكون قد ألحق به وعيد اللعن، أو الغضب

---

(١) تاريخ آداب العرب الرافعي ، مصطفى صادق ١٦١/١

بطريق الالتزام؟ قلنا: الجواب من وجوه – ثم ذكر اثني عشر وجها – ثم قال في الوجه الثاني عشر منها: أن نصوص الوعيد من الكتاب والسنة كثيرة جدا، والقول بموجبها واجب على وجه العموم والإطلاق، من غير أن يعين شخص من الأشخاص، فيقال: هذا ملعون أو مغضوب عليه ومستحق للنار، لا سيما إن كان لذلك الشخص فضائل وحسنات: فإن من سوى الأنبياء يجوز عليهم الصغار والكبائر، مع إمكان أن يكون ذلك الشخص صديقا أو شهيدا أو صالحا. لما تقدم أن موجب الذنب: يختلف عنه بتوبة أو استغفار، أو حسنات ما حية، أو مصائب مكفرة، أو شفاعة، أو لمحض مشيئته ورحمته. فإذا قلنا بموجب قوله تعالى: ﴿إن الذين يأكلون أموال اليتامى ظلما إنما يأكلون في بطونهم نارا وسيصلون سعيرا﴾ [النساء، الآية: ١٠] ثم ساق آيات في هذا المعنى – وقال: إلى غير ذلك من آيات الوعيد، أو." (١)

"«المرأة لتلبس ثيابها، فيقال: أين تريدين؟ فتقول: أعود مريضا، أو أشهد جنازة، أو أصلي في مسجد. وما عبدت امرأة ربها مثل أن تعبده في بيتها» .

قال المنذري: "إسناده حسن".

«وعن علي بن أبي طالب رضي الله عنه: أنه قال لفاطمة رضي الله عنها: ما خير للنساء؟ قالت: أن لا يرين الرجال ولا يرونهن. فذكره للنبي صلى الله عليه وسلم، فقال: إنما فاطمة بضعة مني» .

رواه أبو نعيم في "الحلية".

وعن أنس رضي الله عنه؛ قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «"ما خير للنساء؟ ". فلم ندر ما نقول، فسار علي رضي الله عنه إلى فاطمة رضي الله عنها، فأخبرها بذلك، فقالت: فهلا قلت له: خير لهن أن لا يرين الرجال ولا يرونهن. فرجع فأخبره بذلك، فقال له: من علمك هذا؟ قال: فاطمة. قال: "إنها بضعة مني» .

رواه أبو نعيم في "الحلية".

وعن أبي هريرة رضي الله عنه؛ قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «صنفان من أهل النار لم أرهما: قوم معهم سياط كأذناب البقر يضربون بها الناس، ونساء كاسيات عاريات مميلات مائلات رؤوسهن كأسنمة البخت المائلة، لا يدخلن الجنة ولا يجدن ريحها وإن ريحها ليوجد من مسيرة كذا وكذا» .

رواه: الإمام أحمد، ومسلم.

وعن عبد الله بن عمرو رضي الله عنهما؛ قال: سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول: «سيكون في

---

(١) البيان والإشهار لكشف زيغ الملحد الحاج مختار فوزان السابق ص/٢٢٢

آخر أمتي رجال يركبون على سروج كأشباه الرحال، ينزلون على أبواب المساجد، نساؤهم كاسيات عاريات على رؤوسهن كأسنمة البخت العجاف، العنوهن فإنهن ملعونات، لو كان وراءكم أمة من الأمم لخدمن»." (١)

"فغرق في الماء، فصرخ ونادى الجنيد وقال: " أيها الحضرة!! قد غرقت "!!! فقال له الجنيد: " قل: يا جنيد. يا جنيد.، مكررا مرارا ".

فجعل الرجل يقول: " يا جنيد. يا جنيد. "مرارا وتكرارا، فنجا من الغرق، وعبر النهر، ثم قال الرجل للجنيد: " أيها الحضرة، ما السر في أنك كنت تقول: يا الله. فتعبر النهر.؟؟ ولما قلت: يا الله ... غرقت!!! فقال له الجنيد: نعم أيها الأحمق! إنك لم تصل بعد إلى منزلة الجنيد، وتطمع في الوصول إلى الله مباشرة؟؟؟ الله أكبر!!!

المثال الثاني: ما استدل به النبهاني (١٣٥٠هـ) قائلا:

(إن سيدي محمد الحنفي قدس الله سره (؟؟؟) فرش سجادته على البحر وقال لمريده: قل: يا حنفي، وامش، فمشى المريد خلفه، فخطر له: لم تقول: يا حنفي؟؟؟ **هلا قلت**: يا الله؟؟؟؟." (٢)

"الربيع بن خثيم: اتقوا تكذيب الله، ليتق أحدكم أن يقول: قال الله في كتابه كذا وكذا، فيقول الله: كذبت لم أقله.

وقال عمر بن الخطاب – رضي الله تعالى عنه –: ((لا يقل أحدكم: أهريق الماء، ولكن يقول: أبول)) .

وسأل عمر رجلا عن شيء، فقال: الله أعلم. فقال عمر: ((قد خزينا إن كنا لا نعلم أن الله أعلم، إذا سئل أحدكم عن شيء فإن كان يعلمه قاله، وإن كان لا يعلمه قال: لا علم لي بذلك)) .

وسمع رجلا يدعو ويقول: اللهم اجعلني من الأقلين! قال: ما هذا الدعاء؟ قال: إني سمعت الله عز وجل يقول: ﴿وقليل من عبادي الشكور﴾ وقال: ﴿وما آمن معه إلا قليل﴾ قال عمر: عليكم من الدعاء بما يعرف.

وكره عمر بن عبد العزيز، قول الرجل لصاحبه: ضعه تحت إبطك.

وقال: **هلا قلت**: تحت يدك، وتحت منكبيك! وقال مرة – وراث فرس بحضرة سليمان – فقال: ارفعوا ذلك النثيل، ولم يقل: ذلك الروث.

---

(١) إتحاف الجماعة بما جاء في الفتن والملاحم وأشراط الساعة التويجري، حمود بن عبد الله ١/٣٤١

(٢) جهود علماء الحنفية في إبطال عقائد القبورية شمس الدين الأفغاني ٢/١٠٥٧

وقال الحجاج لأم عبد الرحمن بن الأشعث: عمدت إلى مال الله فوضعته تحت.. كأنه كره أن يقول على عادة الناس: تحت إستك، فتلجلج خوفا من أن يقول قذعا أو رفثا، ثم قال: تحت ذيلك.

وقال النبي – صلى الله عليه وسلم –: ((لا يقولن أحدكم لمملوكه: عبدي، وأمتي، ولكن يقول: فتاي، وفتاتي، ولا يقول المملوك: ربي، وربتي، ولكن يقول: سيدي وسيدتي)) .

وكره مطرف بن عبد الله، قول القائل للكلب: اللهم أخزه.

وكره عمران بن الحصين أن يقول الرجل لصاحبه: ((انعم الله بك عينا)) و ((لا أنعم الله بك عينا)) انتهى.

وهذا النقل الحافل عن الحيوان للجاحظ تراه بنحوه في بعض الألفاظ." (١)

"كان شرفه مستقرا حاصلا، وحينئذ اجعل مثل ثواب ذلك تقبله ليحصل مثل ثوابه للنبي – صلى الله عليه وسلم –.

وحاصله: أن طلب الزيادة له – صلى الله عليه وسلم – يكون بنحو طلب تكثير أتباعه سيما العلماء: أي وبرفع درجاته ومراتبه العلية، كما مر عن الحليمي، وقد رد شيخ الإسلام أبو عبد الله القاياتي ما مر عن العلم وأبيه فقال في الروضة: إن القارئ إذا قرأ وجعل ما حصل من الأجر للميت كان بحصول ذلك الأجر للميت فينفعه، وفي الأذكار أن يدعو بالجعل فيقول: اللهم اجعل ثوابها واصلا لفلان)) انتهى.

فاتن:

يأتي في حرف الواو: وصال.

الفاتحة:

من البدع المحدثة في أعقاب التلاوة وصلاة الجنائز، والتعازي، ومن البدع المركبة في الموالد، وهكذا.

الفاتحة على روح فلان: (١)

من البدع المحدثة: قولهم عند إخبار أحدهم بالوفاة: الفاتحة على روح فلان لاسيما والقراءة لا تصل إلى الموتى على أحد القولين في المسألة. والله أعلم.

---

(١) معجم المناهي اللفظية بكر أبو زيد ص/٦٩